

التفسير البسيط

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

ت (۴۶۸ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسين علي بن أحمد بن محمد الولي حري

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الثامن عشر

سورة الروم

تحقيق

الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد الحسين

من أول سورة لقمان إلى آخر سورة يس

تحقيق

الدكتور محمد بن عبد الله بن سباح الطيار

دقيقه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سميون بن زلال العتيبي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سميون بن زلال العتيبي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدى، أبو الحسن علي أحمد

التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد

الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥٠٠م.

٤٩٨ ص: ١٦، ٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠-٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١٠٤١-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٨)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).

٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.

العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٣، ٢٢٧ - ٢٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤ - فاكس: ٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة الروم^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْمَ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة العنكبوت .

٢-٣ . قوله تعالى : ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قال المفسرون : «إن أهل فارس غلبوا أهل الروم ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ ففرح بذلك كفار مكة ، وقالوا : إن فارس ليست لهم كتب ونحن مثلهم ، وقد غلبوا أهل الروم وهم أهل كتاب مثلكم ، فنحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم»^(٢) .

(١) مكية كلها ، وعدد آياتها ستون آية . انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٠ ، وتفسير الثعلبي ١٦٣ / ٨ ب . وحكى الإجماع على ذلك . انظر أيضاً : زاد المسير لابن الجوزي ٢٨٦ / ٦ ، وتفسير الثعلبي ١٦٤ / ٨ أ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١٠١ / ٢ عن مجاهد وقتادة والشعبي ، وأخرجه ابن جرير ١٧ / ٢١ عن ابن عباس وعكرمة وعطاء والشعبي ، وأخرجه مقاتل عن عكرمة في تفسيره ٧٥ ب ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٤ / ٨ ، وصدره بقوله : «قال المفسرون» ، ولم يسمهم .

وقال السُّدِّي : «اقتتل فارس والروم فغلبتهم فارس ، ففخر أبو سفيان بن حرب على المسلمين ، وقال : الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم الكتاب . فذلك قوله : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾^(١) ، وهم جيل من ولد الروم بن عيص بن إسحاق^(٢) ، غلب اسم أبيهم عليهم ، فصار كالاسم للقبيلة . وإن شئت قلت : جمع رومي منسوب إلى روم بن عيص ، كما يقال : زنجي وزنج ، ونحو ذلك» .

قال صاحب النظم : «لا يحتمل قوله : ﴿الْمَ﴾ هاهنا إلا أن يكون في معنى القسم ، ويكون خبره في قوله : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ على معنى : لقد غلبت ، فلمَّا أضمرت قد أضمرت معها اللام ، وقد مما يضم ، كقوله : ﴿أَوْجَاءُكُمْ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء : ٩٠] ، وقول النابغة :

أَضَحَّتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا^(٣)

يعني : قد احتملوا .

(١) أخرجه ابن جرير ١٦/٢١ عن ابن عباس من طرق ، وعن عكرمة وقتادة ، ولم أجد فيه رواية السُّدِّي ، ولم أجدّه في تفسير السُّدِّي . انظر : جمع محمد عطا يوسف .

(٢) قال ابن دريد : «الروم : جيل معروف» . انظر : جهرة اللغة ٢/ ٨٠٣ . وفي اللسان (روم) ١٢/ ٢٥٨ : جيل معروف ، واحدهم رُومي ، ينتمون إلى عيص بن إسحاق النبي عليه السلام .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ٣١ ، وعجزه :

أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

وفي الحاشية : أَخْنَى عَلَيْهَا : غَيَّرَهَا وَأَفْسَدَهَا ، وَلُبْدٍ : زَعَمُوا أَنَّهُ نَسَرَ كَانَ لِلْقَمَانِ بْنِ عَادٍ عُمَرٌ طَوِيلًا . قال البغدادي : «هذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني مدح بها النعمان بن المنذر ، واعتذر إليه مما بلغه عنه» . انظر : خزنة الأدب ٥/ ٤ .

وَلَمَّا أَضْمَرَ قَدْ فِي الْآيَةِ وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّامِ أَيْضاً ، كَقَوْلِهِ : ﴿قَامَا الَّذِينَ
 اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران : ١٠٦] فيقال لهم : ﴿أَكْفَرْتُمْ﴾ أضمر الفاء
 معه ؛ لأنه موضعه ؛ وذلك أن جواب (أمّا) لا يكون إلّا بالفاء ، كما قال عز وجل :
 ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٠٧] .

وقوله : ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الجزيرة»^(١) .

قال ابن أبي نجيح : «هي الجزيرة ، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس»^(٢) .
 وعن ابن عباس أيضاً : «طرف الشام»^(٣) .

وقال مقاتل : «هي الأردن وفلسطين» ، عكرمة : «أذرعات وكسكر»^(٤) .

(١) لعل المراد بها جزيرة أًفُور ؛ فإنها تسمى الجزيرة ؛ لأنها بين دجلة والفرات ، مجاورة الشام ، وقد أطلال
 الحديث عنها ياقوت في معجمه ١٥٦ / ٢ ، وهي تقع شمال غرب العراق ، في المنطقة الفاصلة بين
 العراق وسوريا .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ١٦٥ / ٨ أ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٢١ عن ابن عباس ، وأخرج نحوه ١٦ / ٢١ عن ابن عمر ، وذكره عن
 ابن عمر الفراء في معاني القرآن ٣١٩ / ٢ . قال الزّجاج ١٧٥ / ٤ : «وتأويله : أدنى الأرض من أرض
 العرب» .

(٤) في تفسير مقاتل ٧٥ ب : أذرعات عن عكرمة ، وفي ٧٧ أ : الأردن وفلسطين ، وليس فيه ذكر كسكر ،
 ولكن ذكره عن عكرمة الثعلبي ١٦٥ / ٨ أ ، وأخرج ابن جرير ١٨ / ٢١ عن عطاء وعكرمة أنها :
 أذرعات . وأذرعات : بلد في أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمّان . انظر : معجم البلدان
 ١٥٨ / ١ . وكسكر فيدل تعريف ياقوت لها على أنها مدينة بين البصرة والكوفة . انظر : معجم البلدان
 ٥٢٣ / ٤ ، وهي تقع جنوب شرق بغداد على نهر دجلة بالقرب من الحدود الإيرانية . وفي تهذيب اللغة
 ٣١٥ / ٢ : أذرعات : بلد تنسب إليها الخمر ، وفي اللسان (ذرع) ٩٧ / ٨ : موضع بالشام تنسب إليه
 الخمر ، وهي تبعد نحو ١٢٠ كم إلى الشرق من مدينة عكا .

وقوله : ﴿وَهُمْ﴾ : يعني الروم . ﴿مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ﴾ . قال الفراء : «كلام العرب : غَلَبَتْهُ غَلَبَةً ، فإذا أضافوا أسقطوا الهاء ، كما أسقطوها من قوله : ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] والكلام : إقامة الصلاة»^(١) . وأنكر الزجاج ذلك ، وقال : «هذا خطأ ، والغلب والغلبة مصدر : غَلَبْتُ ، مثل : الجَلَبُ والجَلَبَةُ»^(٢) .

وقال المبرِّد : «أضاف الغلبة إلى الروم وهم مفعولون ؛ لأن الفعل يضاف إلى مفعوله كما يضاف إلى فاعله ؛ لأنه صاحبه ، تقول : أعجبنى خياطة الخياط ، وبناء الباني ، ونجر النجار ، ويضاف إلى المفعول ؛ لأنه فيه حلٌّ ، يقولون : ما أحسن بناء هذه الدار ، وخياطة هذا الثوب ، ونجر هذا الباب ، ومثل هذا في القرآن كثير ، كقوله : ﴿وَأَتَى أَمْوَالٌ عَلَى حَيْهٍ﴾ [البقرة: ١٧٧] ؛ أي حُب المال . ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْهٍ﴾ [الإنسان: ٨] ؛ أي حُب الطعام ، ومثله : ﴿يَسْأَلُ نَجْمَكَ﴾ [ص: ٢٤] ، وهذا مما ذكرنا قديماً»^(٣) .

٣-٤ . قوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ : ذكرنا تفسير البضع عند قوله : ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]^(٤) .

(١) معاني القرآن ٣١٩/٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٧٧/٤ . الجَلَبُ : ما جلب القوم من غنم أو سبي ، والجَلَبُ : الجلبة في جماعة الناس ، والفعل : أجلبوا وجلبوا من الصياح . انظر : تهذيب اللغة (جلب) ٩٠/١١ .

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قال الفراء والزجاج : والمعنى : يسأله نعتك فأضيف المصدر إلى المفعول لِمَا أَلْقَيْتَ الهاء من السؤال ، ومثله : ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] ؛ أي من دعائه بالخير ، فلَمَّا أَلْقَى الهاء أضيف الفعل إلى الخبر ، وألقي من الخبر الباء ، كقول الشاعر :
ولستُ مُسَلِّماً ما دمْتُ حياً على زيدي بتسليم الأمير
أي : بتسليمي على الأمير» .

(٤) ذكر الواحدي في تفسير هذه الآية الخلاف في البضع ، والأقوال التي ذكرها :
١ . البضع ما لم يبلغ العقد ولا نصفه ؛ أي من واحد إلى أربعة ، قاله أبو عبيدة .
٢ . قال الأصمعي : «ما بين الثلاث إلى التسع» ، وصححه الزجاج .
٣ . البضع ما بين العقدين ، وهو قول الأخفش . ثم قال الواحدي : «وعامة المفسرين على أن المراد بالبضع هاهنا : سبع» .

أخبر الله تعالى أن الروم بعدما غلبوا سيغلبون ، ويصيرون غالبيين
لفارس . روى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لَمَّا نزلت :
﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ناحب أبو بكر قريشاً ثم أتى
النبي ﷺ وقال : إني ناحبهم ، فقال له النبي ﷺ : «فهلّا احتطت فإن
البضع ما بين الثلاث إلى التسع»^(١) . والمناحية : المراهنة ، وذلك قبل
تحريمه^(٢) .

وقال في رواية عطاء : «لَمَّا نزلت هذه الآية جرى بين أبي بكر - رضي الله
عنه - وأمية بن خلف في ذلك كلام حين وقع بينهما رهان على ثلاث قلائص»^(٣)
إلى أجل ثلاث سنين ، فأتى أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ :
«ارجع فاستزده في القلائص ، وفي السنين» ، فصيروا الرهان سبع قلائص إلى
سبع سنين»^(٤) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٧/٢١ من طريق ابن شهاب الزهري عن عبيد الله ، عن عبد الله بن عباس .
ومن الطريق نفسه أخرجه الترمذي ٣٢٠/٥ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣١٩١ . وقال الترمذي :
«هذا حديث غريب من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس» . وهو حديث مرسل ؛
فعبيد الله بن عبد الله قد أرسل عن جماعة من الصحابة ، منهم : ابن عباس . انظر : تهذيب التهذيب
٢٢/٧ . والحديث في ضعيف سنن الترمذي ٤٠٢ ، رقم ٦٢٤ .

وقد ورد في النسختين هكذا : عبد الله بن عبد الله ، والصواب : عبيد الله بن عبد الله ، كما هي رواية
الترمذي ، وابن جرير .

(٢) تفسير الثعلبي ٨/١٦٤ ب . والنَّحْب : تطلق على معانٍ ، منها : النذر ، والقمار ، وغيرهما . انظر :
تهذيب اللغة (نحب) ٥/١١٧ .

(٣) القُلُوص : الفتية من النوق ، بمنزلة الفتاة من النساء ، وتطلق أيضاً على كل أنثى من الإبل حين
تركب ، وإن كانت بنت لبون أو حقة . انظر : تهذيب اللغة (قلص) ٨/٣٦٨ .

(٤) أخرج نحوه ابن جرير ١٦/٢١ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير ، وأخرجه أيضاً عن عكرمة
وقتادة ، مع اختلاف في عدد السنين ، وعدد القلائص ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٨/١٦٤ ب ولم
ينسبه .

وقال الشعبي : «بلغنا أن المسلمين والمشركين تخاطروا^(١) بينهم لَمَّا نزلت هذه ، وذلك قبل تحريم القمار ، وضربوا بينهم أجلاً ، فقال النبي ﷺ : «لو ضربتم أجلاً آخر فإن البضع يكون ما بين الثلاث إلى تسع» فزايده إلى سبع سنين على سبعة أبكار ، قال : فالتقى الروم وفارس ، فغلبهم الروم ، فجاء جبريل بهزيمة فارس وظهور الروم عليهم ، ووافق ذلك يوم بدر^(٢) .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : «لَمَّا غلبت فارس الروم وفرح المشركون بذلك ، ذكروا ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «أما إنهم سيغلبون فارس» ، فذكر أبو بكر لهم : إن الروم سيغلبون ثم عقدوا عقد الرهان على ما ذكرنا^(٣) .

قال أبو إسحاق : «وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله عز وجل ؛ لأنه أنبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه إلا الله^(٤)» .

(١) الخطر والسَّبق والتَّدب واحد ، وهو كله : الذي يوضع في النُّضال ، والرهان ، فمن سبق أخذه . انظر : تهذيب اللغة (خطر) ٢٢٤ / ٧ .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير ١٩ / ٢١ مختصراً .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٦ / ٢١ من طريق سعيد بن جبير ، وأخرجه الحاكم ٤٤٥ / ٢ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٤٠ من طريق سعيد أيضاً ، وقال : «على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وأخرجه من طريق سعيد أيضاً الترمذي ٣٢٠ / ٥ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣١٩٣ ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح غريب» ، وهو في صحيح سنن الترمذي ٨٧ / ٣ ، رقم ٢٥٥١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٧٥ / ٤ .

وقال جماعة من المفسرين : «صاحب القمار من جهة المشركين كان أبي بن خلف ، وكان الخطر بينهم : مائة من الإبل»^(١) .

وقوله : ﴿فِي يَضْعِ سِنِينَ﴾ : أجمع المفسرون «أن الروم غلبت فارس بعد ما أخبر الله بهذه الآية أنهم سيغلبون في السنة السابعة»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ حين غلبت الروم فارس ، وهذا قول الجميع ، قالوا : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ أن تغلب ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ ما غلبت^(٣) . والمعنى : أن غلبة أحدهما الآخر ، أيها كان الغالب والمغلوب فإن ذلك بأمر الله وإرادته وقضائه وقدره ، فحين غلبت فارس الروم كان الأمر لله ، وحين تغلب الروم فارس يكون الأمر لله .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/٢١ عن عكرمة وقتادة ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٨/١٦٤ ب ولم ينسبه .

(٢) تفسير مقاتل ٧٧أ ، وليس فيه ذكر السنة ، بل ذكر فيه أن ذلك وقع في سنة الحديبية ، وقد وقع صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة . انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٢١ ، والفصول في سيرة الرسول ﷺ ١٨٤ . وذكر نيار بن مكرم أنها سبع سنين ، أخرجه عنه الترمذي ٥/٣٢١ بسند حسن ، قاله الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي ٣/٨٨ . وذكره السيوطي عن ابن شهاب وقتادة في الدر المنثور ٦/٤٨١ ، وأخرج ابن جرير ٢١/٢٠ عن ابن مسعود أنها تسع . فحكاية الإجماع هنا غريبة ؛ إذ اختلفت أقوال المفسرين في زمن وقوع ظهور الروم على فارس ، فقليل : يوم بدر ، وقيل : في صلح الحديبية ، وقيل : بعد سبع سنين من الأجل ، وقيل : بعد تسع سنين ، وقال الثعلبي في تفسيره ٨/١٦٤ ب : «لما ذكر القول بأن المدة سبع سنين ، قال بعده : هكذا قول أكثر المفسرين» . فحكاية الإجماع هنا غير مستقيمة ، والله أعلم .

(٣) أخرج نحوه ابن جرير ٢١/٢١ عن ابن جريج ، وانظر : تفسير مقاتل ٧٧أ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٧٦ .

وذكرنا الكلام في وجه ارتفاع ﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾ في أوائل سورة البقرة^(١).
وذكر الفراء والزرَّاج هاهنا كلاماً طويلاً في إعراب ﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾ ووجوه استعمالهما مركبة^(٢).

٤-٥. قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ. قال ابن عباس: «يريد: حينئذ؛ حين تغلب الروم فارس» ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أبو بكر وأصحابه ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ الروم على فارس^(٣)، وقال مقاتل: «لَمَّا كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة، وأتى الخبر المسلمين أن الروم قد غلبوا أهل فارس ففرح المؤمنون بذلك».

قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يعني يوم بدر^(٤). ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ، ونحو هذا قال السُّدي: «فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم: بدر، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك». قال أبو سعيد الخدري: «ظهر الروم على فارس يوم أحد»^(٥).

(١) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥]: «﴿قَبْلُ﴾ يبنى على الضم في هذا الموضع؛ لأنها تضمنت معنيين؛ أحدهما معناها في ذاتها وهو السبق، والآخر معنى ما بعدها؛ لأن التأويل: هذا الذي رزقنا من قبله، فهو وإن لم يصف ففيه معنى الإضافة، فلمَّا أدت عن معنيين قويت فحملت أثقل الحركات، وكذلك قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ تأويله من قبل كل شيء وبعده»، وهذا مذهب الفراء والمُبرِّد، واختيار ابن الأنباري. وقد ذكر إعرابها سيبويه في الكتاب ٢٨٦/٣، والمُبرِّد في المقتضب ١٧٤/٣، ١٧٥، والأخفش في معاني القرآن ٦٥٨/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣١٩-٣٢٢، ومعاني القرآن للزرَّاج ١٧٦-١٧٧.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٧/٢١.

(٤) تفسير مقاتل ٧٧ أ. ولا يفهم من نقل الواحدي عن مقاتل أن غلبة الروم على فارس كانت مقاربة لغزوة بدر، بل قال مقاتل: «وأتى المسلمين الخبر بعد ذلك، والنبي ﷺ والمؤمنون بالحديبية، أن الروم قد غلبوا أهل فارس».

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/٢١، وفيه يوم بدر، وهكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨١/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأخرجه كذلك الترمذي ٣٢٠/٥، كتاب: تفسير القرآن، رقم ٣١٩٢. فكتابة أحد بدل بدر في البسيط تحريف، والله أعلم.

وقال آخرون : «ظهر الروم على فارس يوم الحديبية» ، وهو قول عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود^(١) .

وقوله : ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الروم على فارس» ، وقال مجاهد : «بإدالة الروم من أهل الكتاب على فارس أهل الأوثان»^(٢) .

قوله : ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ؛ أي كما نصر الروم على فارس .

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ : المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين خاصة^(٣) .

٦ . ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

قوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ . قال أبو إسحاق : «مصدر مؤكد ؛ لأن قوله : ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ هو وعد من الله للمؤمنين ، فقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ بمنزلة : وعد الله وعداً»^(٤) .

(١) أخرجه ابن جرير ١٩/٢١ عن عطاء وقتادة . قال ابن كثير ٣/٦ : «وقد كانت نصره الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء ؛ كابن عباس ، والثوري ، والسدي ، وغيرهم . . . » ، وقال آخرون : «بل كان نصره الروم على فارس عام الحديبية» ، قاله عكرمة ، والزهري ، وقتادة وغيرهم . . . ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين من حصص إلى إيلياء - وهو بيت المقدس - شكر الله عز وجل . . . ولم يف بنذره إلا بعد الحديبية ، ثم قال : «والأمر في هذا سهل قريب» .

(٢) أخرجه ابن جرير ١٧/٢١ عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح .

(٣) تفسير مقاتل ٧٧ أ .

(٤) ورد في معاني القرآن للزجاج ٤/١٧٧ ، وذكره سيوطي في الكتاب ١/٣٨١ ، وذكره أيضاً السمرقندي في المقتضب ٣/٢٣٢ ، فقال : «ومثل ذلك : ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ لأنه لما قال : ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥) يَنْصُرِ اللَّهُ عَلَّمَ أَنْ ذَلِكَ وَعْدٌ مِنْهُ ، فصار بمنزلة : وعدهم وعداً ، ثم أضافه» ، وذكر نحوه في المسائل الحلييات ٣٠٣ .

قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني كفار مكة»^(١) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس ، ثم قال لكفار مكة :

٧ . ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . قال عكرمة وإبراهيم : «معاشهم وما يصلحهم»^(٢) .

وقال الحسن : «يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم»^(٣) ، وروي عنه في هذه الآية ، قال : «بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بيده فيخبرك بوزنه ، ولا يحسن يصلي»^(٤) .

وقال قتادة : «يعلمون تجارتها وحرفتها وبيعها»^(٥) .

قال ابن عباس : «يعرفون عمران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال»^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٧٧ أ .

(٢) أخرجه عنهما ابن جرير ٢٣ / ٢١ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٣ / ٢١ .

(٤) ذكره الدر المنثور ٦ / ٤٨٤ ، ونسبه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٨٨ ، ولفظه في الدر : «يقلب الدرهم على ظفره» ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٢٨٩ ، ولفظه : «ينقر الدرهم بظفره» ، وفي النسختين : «ينقر الدرهم بيده» . ولعل الصواب والله أعلم : (يقلب الدرهم بيده) ؛ لأن تقليب الدرهم باليد يستفيد منه الحاذق معرفة الوزن دون النقر ؛ الذي يمكن أن يستفاد منه معرفة النوع الرديء من الجيد» .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ١٠٢ ، وابن جرير ٢٣ / ٢١ عن قتادة .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٣٢ من طريق علي بن أبي طلحة .

وقال الضحاك : «يعلمون بنيان قصورها ، وتشقيق أنهارها ، وغرس أشجارها»^(١) .

وقال مقاتل : «يعني حرفتهم ، ومتى يُدرك زرعهم ، وما يصلحهم في معاشهم»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : يعلمون من معاش الحياة ؛ لأنهم كانوا يعالجون التجارات»^(٣) ، فأعلم الله - عز وجل - مقدار ما يعلمون . وقوله^(٤) : ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(٥) . قال مقاتل : «ثم وعظهم ليعتبروا» ، فقال :

٨ . ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٦) ؛ أي ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ المكذبون بالبعث والقيامة في خلقي إياهم فيعلموا ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ﴾ الآية^(٧) . قال أبو إسحاق : «وحذف فيعلموا ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه»^(٨) .

(١) ذكره الدر المنثور ٦/ ٤٨٥ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ٩/ ٣٠٨٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٧ أ .

(٣) ذكر نحوه الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٢٢ .

(٤) هكذا : (وقوله) في النسختين . ولعل الصواب : (بقوله) ، كما يدل عليه السياق ، والله أعلم . أمّا عند الزجاج فقد جاءت بزيادة أوضحت المعنى ، قال في معاني القرآن ٤/ ١٧٨ : «... فأعلم الله - عز وجل - لمّا نفى أنهم لا يعلمون ما الذي يجهلون ، ومقدار ما يعلمون فقال : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾» .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٧٧ أ .

(٧) تفسير ابن جرير ٢١/ ٢٤ باختصار .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧٨ .

وقوله : ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ . قال الفرّاء : «﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني للشواب والعقاب»^(١) .

وقال الزّجاج : «إِلَّا لِلْحَقِّ ؛ أي لإقامة الحق»^(٢) ، وهو معنى قول مقاتل : «لم يخلقها عبثاً لغير شيء ؛ خلقها لأمر هو كائن»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ . قال : «للسّماوات والأرض أجل ينتهيان إليه ؛ وهو يوم القيامة»^(٤) . قال الزّجاج : «وهو الوقت الذي توفّي فيه كل نفس ما كسبت»^(٥) ، والمعنى : أو لم يتفكروا في خلق الله إياهم ولم يكونوا شيئاً فيعلموا أن خلق السّماوات لأمر ، وأن لها أجلاً ، وهو القيامة .

ثم قال : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ . قال مقاتل والكلبي : «يعني كفار مكة»^(٦) . ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «بالبعث بعد الموت ﴿لَكَفَرُونَ﴾ لا يؤمنون أنه كائن»^(٧) .

قال أبو إسحاق : «معناه : لكافرون بقاء ربهم ، تقدمت الباء ؛ لأنها متصلة بـ (كافرون) ، وما اتصل بخبر إنّ جاز أن يقدّم قبل اللام ، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر ، كقولك : زيد كافر بالله ؛ لأنها تدخل على الابتداء والخبر فتؤكد الجملة ، ولا تأتي توكيداً وقد مضت الجملة»^(٨) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٢٢ .

(٢) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ١٧٨ .

(٣) تفسير مقاتل ٧٧ أ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٧ أ بنصه .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ١٧٨ ، وفيه : «توفّي فيه» ، وسقطت كلمة : (فيه) من النسختين .

(٦) تفسير مقاتل ٧٧ أ ، وتنوير المقباس ٣٣٩ .

(٧) تفسير مقاتل ٧٧ أ بنصه .

(٨) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ١٧٩ .

٩. قال مقاتل : «ثم خوّفهم ، فقال : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ : يعني الأمم الخالية كان عاقبتهم العذاب في الدنيا»^(١) ، والمعنى : أو لم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم ويعلموا أنهم أهلكوا بتكذيبهم فيعتبروا ، ثم وصفهم ، فقال :

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ؛ أي أعطاهم من القوة ما لم يعط هؤلاء . ﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ﴾ : ذكرنا تفسير : الأثار عند قوله : ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]^(٢) . قال الفراء : «حرثوها»^(٣) ، وهو قول مجاهد^(٤) .

وقال ابن قتيبة : «قلبوها للزراعة»^(٥) .

وقال ابن عباس : «يريد الأجنة»^(٦) والأنهار وما غرسوا من الأشجار»^(٧) ، يريد أن أثارهم كان لأجل هذه الأشياء .

(١) تفسير مقاتل ٧٧ أ .

(٢) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ ؛ أي قلبها للزراعة . ومعنى الإثارة : تفريق الشيء في كل جهة ، يقال : أثرت الشيء واستثرته إذا هيخته» .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٢٢ / ٢ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١١٩ / ٢ : «أي استخرجوها ، ومنه قولهم : أثار ما عندي ؛ أي استخرجه ، وأثار القوم ؛ أي استخرجهم» .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٥ / ٢١ .

(٥) غريب القرآن ٣٤٠ .

(٦) هكذا في (أ) و(ب) : (الأجنة) ، وهي جمع جنة . قال الأزهري في تهذيب اللغة (جنن) ٥٠٣ / ١٠ : «الجنة : الحديقة ، جمع جنان» .

(٧) أخرجه ابن جرير ٢٤ / ٢١ بلفظ : «ملكوا الأرض وعمروها» .

وقال مقاتل : «يعني : وملكوا الأرض»^(١) ، وهذا معنى وليس بتفسير ؛ وذلك أنه يثير الأرض مالکها .

وقوله : ﴿وَعَمْرُوها﴾ يعني : الأمم ، ﴿أَكْثَرُ مِمَّا عَمْرُوها﴾ : يعني كفار مكة^(٢) . واختلفوا : لِمَ كانت الأمم أكثر عمارة من أهل مكة ؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا أكثر عمارة ؛ لأنهم كانوا أطول عمراً ، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل . قال الكلبي : «وبقوا فيها أكثر مما بقي فيها قومك»^(٣) .

وقال مقاتل : «يقول : وعاشوا في الأرض أكثر مما عاش فيها كفار مكة»^(٤) . وإذا كانوا أطول بقاءً وأكثر عيشاً كانوا أكثر عمارة ، وقال آخرون : «لأنهم كانوا أكثر عدداً ؛ فقد روي أنه لم يبقَ نَشَرٌ^(٥) من الأرض يحتمل عمارة إلا كان لها عامر على عهد عاد ، والأمم السالفة» . وذكر أبو إسحاق معنًى آخر ، فقال : «يعني أن الذين أهلكوا من الأمم كانوا أكثر حرثاً وعمارة من أهل مكة ؛ لأن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث»^(٦) .

قوله : ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : الحلال والحرام ، والأحكام والحدود» ، وقال مقاتل : «فيعذبهم على غير ذنب»^(٧) . ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والتكذيب . ودلَّ هذا الكلام على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا ؛ لأن الله أعلم أنه عذبهم غير ظالم لهم .

(١) لم أجده في تفسير مقاتل ، ولم أجده أيضاً عند الثعلبي .

(٢) معاني القرآن للقرطبي ٢ / ٣٢٢ .

(٣) تنوير المقياس ٣٣٩ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٧ ب .

(٥) النَّشْرُ ، والنَّشْرُ ، والنَّشْرُ : ما ارتفع من الأرض . انظر : تهذيب اللغة (نشر) ١١ / ٣٠٥ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧٩ .

(٧) انظر : تفسير قول الله تعالى : ﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ في تفسير مقاتل ٧٧ ب ، فلعل ذكر الآية سقط من النسختين ، والله أعلم .

قال صاحب النظم : «يأتي [الظلم]^(١) في الكلام لثلاثة معانٍ ؛ أحدها : وضع الشيء في غير موضعه ، كقوله : ﴿إِنَّكَ الشَّرَكَ لَظْلَمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] ؛ وذلك أنه وضع الربوبية غير موضعها . والثاني : المنع والحبس ، كقوله : ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِثْنَهُ شَيْئًا﴾ [الكهف : ٣٣] . والثالث : أخذ الشيء قبل وقت أخذه ، كقول الشاعر :

وقائلةً ظلمتُ لكم سِقائِي وهل يخفى على العكِيدِ الظلِيمِ^(٢)

والظليم هاهنا : اللبن يُشرب قبل أن يُدرك ويَرُوب . والمعاني الثلاثة محتملة في هذه الآية ؛ فيكون معنى قوله : ﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ بوضع عذابهم في غير موضعه ؛ بأخذهم قبل وقته ، وبحبس شيء من أرزاقهم . ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بوضعها في غير موضعها من التغرير بها ، وتعرضها للهلاك بالكفر ، وترك النظر لها ، ويظلمون أنفسهم أيضاً بمنعها الخير من الإيمان .

١٠ . ثم أخبر عن عاقبتهم ، فقال : ﴿ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ آسَأُوا السُّؤَاءِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني أشركوا»^(٣) .

(١) كلمة (الظلم) غير موجودة في النسختين ، وزدتها لاستقامة الكلام .

(٢) ذكر في تهذيب اللغة (ظلم) ٣٨٣ / ١٤ ولم ينسبه ، وكذا في مقاييس اللغة ٤٦٩ / ٣ ، ولسان العرب ٣٧٥ / ١٢ . سبق أن استشهد الواحدي بهذا البيت في تفسير سورة البقرة . والبيت غير منسوب في جمهرة الأمثال ١٣١ / ١ ، واستشهد بهذا البيت في ذكر المثل : «أهون مظلوم سقاء مروّب» ، وكذا في مجمع الأمثال ٤٨٢ / ٢ ، والمستقصى للزحصري ٤٤٤ / ١ . العكيد : أصل اللسان . انظر : تهذيب اللغة (عكد) ٣٠٠ / ١ . ومعنى البيت : أن اللسان يدرك بالشرب أن اللبن قد ظلم بأخذه قبل وقته .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٥ / ٢١ من طريق علي بن أبي طلحة . انظر : تفسير مقاتل ٧٧ ب .

وقوله : ﴿السُّوَاءُ﴾ : أكثر التفسير في ﴿السُّوَاءُ﴾ أنها النار ضد الحسنى ؛ وهي : الجنة^(١) ، وهو قول الأخفش والفرّاء والزّجاج وابن قتيبة^(٢) . قال الزّجاج وغيره : «إساءتهم هاهنا : كفرهم ، وجزاء الكفر : النار»^(٣) . كما جعل للعمل الحسنى ؛ وهو الإيمان : الثواب الحسن ؛ وهو : الجنة ، في قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ﴾ [يونس: ٢٦] .

قال ابن قتيبة : «﴿السُّوَاءُ﴾ جهنم ، والحسنى : الجنة»^(٤) ، وقال غيره : «سُمّيت جهنم ﴿السُّوَاءُ﴾ لأنها تسوء صاحبها ، من قولهم : ساء يسوؤه» ، وقيل : لأنها قبيحة المنظر ، يقال ساء الشيء إذا قُبِحَ يسوء ، والسَّوء : المرأة القبيحة ، ومنه : السيئ والسيئة ، وقد ذُكرتا^(٥) ، وقيل في تفسير ﴿السُّوَاءُ﴾ هاهنا أنها العذاب في الدنيا ، وهو قول مقاتل^(٦) .

(١) أخرجه ابن جرير ٢٥/٢١ عن ابن عباس وقتادة ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٥/٨ ب ولم ينسبه . والحسنى وردت في قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ، وقد ذكر الآية الواحدى بعد ذلك .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣٢٢/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٠ ، ومعاني القرآن للزّجاج ١٧٩/٤ . قال الأخفش في معاني القرآن ٦٥٦/٢ : «﴿السُّوَاءُ﴾ مصدر هاهنا مثل : التقوى» ، ولم أجد فيه ما ذكر الواحدى .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ١٧٩/٤ .

(٤) غريب القرآن ٣٤٠ .

(٥) قال الواحدى في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَلَن تُصَبِّحُكُمْ سَيِّئَةُ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] : «يقال : ساء الشيء يسوء فهو سيء ، والأنثى سيئة ؛ أي قُبِحَ ، ومنه قوله : ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] ، وسوّأت على الرجل فعله ؛ أي قبحته عليه وعبته به ، والسُّوَأَى ضد الحسنى ، والسَّوءاء : المرأة القبيحة» .

(٦) تفسير مقاتل ٧٧ ب .

وفي قوله : ﴿عَقِبَهُ الَّذِينَ﴾ قراءتان ؛ الرفع والنصب ^(١) ؛ فَمَنْ نصب جعلها خبر كان ، ونصبها متقدمة ، كما قال : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم : ٤٧] : واسم كان على هذه القراءة يجوز أن يكون أحد شيئين ؛ أحدهما : ﴿السَّوَاءِ﴾ على تقدير : ثم كان عاقبة الذين أساءوا ^(٢) ، ويكون أن في قوله : ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ مفعولاً له ؛ أي لأن كذبوا ^(٣) .

وهذا معنى قول الفرّاء والزّجاج . قال الفرّاء : «﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ لتكذيبهم ، ولأن كذبوا ، فإذا أُلقيت اللام كان نصباً» ^(٤) .

وقال الزّجاج : «المعنى : ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم» ^(٥) .

الوجه الثاني في اسم كان على هذه القراءة هو : ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ التقدير : ثم كان التكذيب ، ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَهُ الَّذِينَ اسْتَوُوا﴾ ، ويكون : ﴿السَّوَاءِ﴾ على هذا مصدراً ، وفُعْلي من أبنية المصادر ، كالرّجعى ، والشورى ، والبشرى ^(٦) . ومعنى

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع : ﴿عَقِبَهُ﴾ بالرفع ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحزة ، والكسائي : ﴿عَقِبَهُ﴾ بالنصب . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٩٣ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٤٤ .

(٢) اسم كان هنا غير واضح ؛ لأن في العبارة نقصاً ، وصوابها كما عند أبي علي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٢ : «التقدير : ثم كان السوأي عاقبة الذين أساءوا» .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٣ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٢٢ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ٤ / ١٧٩ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٣ . والرّجعى وردت في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق : ٨] ، والبشرى في قوله تعالى : ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس : ٦٤] ، و﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ﴾ [هود : ٧٢] ، و﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللَّهِ لَهُمُ الْبَشَرَىٰ﴾ [الزمر : ١٧] . أمّا الشورى فلم ترد في القرآن مُعرّفة بالآلف واللام ، وإنما جاءت منكورة ، قال تعالى : ﴿وَأَمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] ، والله أعلم .

الآية : ثم كان التكذيب آخر أمرهم ؛ أي ماتوا على ذلك ، كأن الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب والشرك عقاباً لهم بذنوبهم ، وهذا الوجه ذكره أبو علي وصاحب النظم .

وَمَنْ رَفَعَ الْعَاقِبَةَ جَازَ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ : ﴿السُّوَّاءِ﴾ و﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ كما جاز فَيَمَنْ نَصَبَ الْعَاقِبَةَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْأَسْمَ ، والتقدير : ثم كان عاقبة المسيء التَّكْذِيبَ بآيات الله ، يعني أنه مات على التكذيب كما ذكرنا ، أو يكون المعنى : أنه لم يظفر في شركه وكفره بشيء إلا بالتكذيب بآيات الله . و﴿السُّوَّاءِ﴾ على هذا في موضع نصب بأنه مصدر . وقد يجوز أن يكون صفة لموصوف محذوف ، كأنه الْخَلَّةُ ﴿السُّوَّاءِ﴾ ، أو الْخِلَالُ ﴿السُّوَّاءِ﴾^(١) .

١١ . قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ . قال مقاتل : «الله بدأ خلق الناس فخلقهم أولاً ، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجزئهم بأعمالهم في الآخرة»^(٢) .

وَقَرِيءٌ : (تُرْجَعُونَ) بالياء والتاء^(٣) ؛ فَمَنْ قرأ بالياء فلأن المتقدم ذكره غيبة ، وهو قوله : (يَبْدُوُ الْخَلْقَ) . والخلق هم المخلوقون في المعنى ، وجاء قوله : (ثُمَّ يُعِيدُهُ) على لفظ الخلق ، وقوله : (تُرْجَعُونَ) على المعنى ، ولم يرجع على لفظ الواحد

(١) الحجة للقرءاء السبعة ٥/ ٤٤٤ بنصه . وقد ضبطت (الخلَّة) بضم الخاء ، و(الخلال) بكسرها ، ولم يبين في الحاشية المعنى ، ولعل الصواب - والله أعلم - أن المراد : الخَلَّةُ (بفتح الخاء) ، جمع : خِلَال (بكسرها) ، والمراد بها : الخَصْلَةُ . فيكون المعنى : الخصلة السوَّى ، أو الخصال السوَّى ، والله أعلم . انظر : تهذيب اللغة (خل) ٦/ ٥٦٩ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٧ ب .

(٣) قرأ أبو عمرو ، وعاصم في رواية أبي بكر : ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالياء ، وقرأ أبو عمرو في رواية عنه : ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٦ ، والحجة للقرءاء السبعة ٥/ ٤٤٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٩٤ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٤ .

كما كان ﴿يُعِيدُهُ﴾ كذلك . ووجه التاء أنه صار من الغيبة إلى الخطاب ، ونظيره :
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] ، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة : ٥] ^(١) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ . قال مقاتل : «يئس» ،
وهو قول الكلبي وقتادة ^(٢) .

وقال مجاهد : «يكتئب» ، وعنه أيضاً : «يفتضح» ^(٣) .

وقال الفرّاء : «ينقطع كلامهم وحجتهم» ^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «المبلس : الساكت المنقطع في حجته ، اليأس من أن
يهتدي إليها ، تقول : ناظرت فلاناً فأبلس ؛ أي انقطع وأمسك ، ويئس من أن
يحتج» ^(٥) .

وذكر تفسير الإبلّاس عند قوله : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام : ٤٤] ^(٦) .

(١) الحجة للفرّاء السبعة ٤٤٤ / ٥ بنصه .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٧٧ ب ، وذكره السيوطي عن ابن عباس ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وذكر في الدر المنثور ٦ / ٤٨٥ ، وهو قول الفرّاء في معاني القرآن ٢ / ٣٢٢ ، قال : «يئأسون من كل خير» ، وكذا أبو عبيدة في المجاز ٢ / ١٢٠ ، وابن جرير ٢٦ / ٢١ .

(٣) ذكرهما الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٦٦ أ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦ / ٤٨٥ ، وعزاهما لابن أبي حاتم ٩ / ٣٠٨٨ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٢٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٧٩ .

(٦) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «قال ابن عباس : آيسون من كل خير» ، وهو قول مقاتل ، وقال الفرّاء : «المبلس : اليأس المنقطع رجاءه ، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته أو لا يكون عنده جواب : قد أبلس . . .» ، وقال الزجاج : «المبلس : الشديد الحسرة اليأس الحزين» . فالإبلّاس في اللغة يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، ويكون بمعنى انقطاع الحجة ، ويكون بمعنى الحيرة بما يرد على النفس من البلية ، وهذه المعاني متقاربة .

قال الكلبي : «يُسُّ المشركون من كل خير حين عاينوا العذاب»^(١).

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ : أوثانهم التي عبدوها من دون الله ليشفعوا لهم^(٢) . ﴿شَفَعْتُوا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ . قال الكلبي : «تتبرأ منهم الآلهة ، ويتبرؤوا منها»^(٣) .

١٤ . ﴿يَوْمَذِيئَفَرَقُوا﴾ . قال ابن عباس : «يُفَرِّقُ بين أولياء الله وبين أعدائه» ، وقال مقاتل : «يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ، فلا يجتمعون أبداً»^(٤) ، وقال الحسن : «لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة ؛ هؤلاء في أعلى عليين ، وهؤلاء في أسفل السافلين»^(٥) . وكان قتادة يقول : «فُرْقَةُ وَاللَّهِ لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهَا»^(٦) .

وقال أبو علي : «يصيرون فرقة بعد فرقة من قوله : ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى : ٧] ، وهذا إخبار عن الخلق المذكور في قوله : ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ ؛ لأنه أراد المسلمين والكافرين جميعاً ، يدل على ذلك أنه أخبر بمنزلة الفريقين ، فقال :

(١) تنوير المقياس ٣٣٩ .

(٢) تفسير الثعلبي ١٦٦/٨ أ ب نصه .

(٣) تنوير المقياس ٣٣٩ بنحوه .

(٤) تفسير مقاتل ٧٧ ب .

(٥) الدر المنثور ٤٨٦/٦ ، ونسبه لابن أبي حاتم ٣٠٨٩/٩ .

(٦) أخرجه ابن جرير ٢٧/٢١ .

١٥. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾^(١).
قال الأخفش: «يقال حَبَّرَهُ اللهُ يُحَبِّرُهُ حَبْرًا، وهو محبوب: مُكْرَّمٌ مُنْعَمٌ»^(٢).

قال ابن السكيت: «يُسْرُونَ»^(٣). والخَبْرَةُ والحَبُور: الشُّرور، وأنشد:

الحمدُ لله الذي أعطى الحَبَرَ.^(٤)

وقال الليث: «يُنْعَمُونَ، والخَبْرَةُ: النعمة، وقد حَبَّرَ الرجلُ حَبْرَةً فهو: مُحَبَّرٌ»، وأنشد للمرار^(٥)، فقال:

قَدْ لَيْسْتُ الدَّهْرَ مِنْ أَفْنَانِهِ كُلُّ فَنٍّ نَاعِمٍ مِنْهُ حَيْرٌ^(٦)

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٠، حيث قال: «وفي ما بعده دليل على أن التفرق للمسلمين والكافرين، فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾، ثم يبين على أي حال يتفارقون، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾».

(٢) لم أجد قول الأخفش في كتابه المعاني عند هذه الآية، ولا عند قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمُ الْمُحِبَّرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]، ولم أجده في تهذيب اللغة.

(٣) ذكره عنه الأزهري في تهذيب اللغة (حبر) ٥/ ٣٤، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٤٠، ولم ينسبه.

(٤) ورد قول ابن السكيت مع إنشاد البيت ونسبته إلى العجاج في إصلاح المنطق ٢٥٢، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (حبر) ٥/ ٣٤ مقتصرًا على صدره، ولم ينسبه، وأنشده كاملاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٢٠، ونسبه إلى العجاج، وهو في ديوانه ٣٤، وعجزه:

مَوَالِي الْحَقِّ إِنَّ الْمَوْلَى شَكْرُ

(٥) المرار العدوي، زياد بن منقذ بن عمرو، وسمّاه ابن قتيبة: المَرَّار بن منقذ بن صدي بن مالك بن حنظلة، وأم صدي من جُل بن عدي فيقال له ولولده: بنو العدوية. والمرار من شعراء الدولة الأموية، كان معاصراً للفرزدق وجريز، توفي سنة ١٠٠ هـ. انظر: الشعر والشعراء ٤٦٩، وخزانة الأدب ٥/ ٢٥٣، والأعلام ٣/ ٥٥.

(٦) ذكره كتاب العين (حبر) ٣/ ٢١٨، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ٣٤، وفيها نسبة البيت للمرار العدوي.

وقال المُبرِّد : «الحبرة والخبور والخبر : التنعم والفرح ، ومنه المثل السائر : ما دار ملئت حبرة إلا وستملأ عبرة»^(١) .

وقال أبو عبيدة : «﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُسْرُونَ وَيُفْرَحُونَ»^(٢) . قال ابن عباس : «يريد في رياض الجنة ينعمون»^(٣) ، وهو قول مجاهد وقتادة^(٤) .

وقال مقاتل : «يكرمون بالتحف ونحوه»^(٥) .

وقال السُّدِّي : «يفرحون ويكرمون»^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «الحبرة في اللغة : كلُّ نِعْمَةٍ حَسَنَةٍ ، والتحجير : التحسين ، والخبِرَ العالم ؛ لأنه متخلق بأحسن الأخلاق»^(٧) ، ويخبرون : يكرمون إكراماً يبالغ فيه . وعن الأوزاعي ويحيى بن أبي كثير أنها قالا هو : «السماع في الجنة»^(٨) ، وعلى هذا المعنى : يُنْعَمُونَ بالسماع .

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٠ بلفظ : «كل حبرة تتبعها عبرة» ، ولم أجده في كتب الأمثال التي اطلعت عليها .

(٢) مجاز القرآن ١٢٠ / ٢ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٧ / ٢١ بلفظ : «يكرمون» ، وذكره عنه الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٦٦ أ .

(٤) أخرجه عنهما ابن جرير ٢٨ / ٢١ بلفظ : «ينعمون» ، وذكره عنهما الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٦٦ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٧ ب ، ولفظه : «في البساتين يكرمون وينعمون فيها ، وهي : الجنة» .

(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤ / ٣٠٢ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٠ ، وفيه : «والخبِر : المداد ؛ إنا سمي لأنه يُحَسِّنُ به» .

(٨) أخرجه عنهما ابن جرير ٢٨ / ٢١ ، والثعلبي ٨ / ١٦٦ أ ، واقتصر عليه الزجاج ٤ / ١٨٠ ، ولم ينسبه .

– عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمرو والأوزاعي ، أبو عمرو الفقيه ، تقدمت ترجمته .

– يحيى بن أبي كثير ، الطائي مولاهم ، أبو نصر اليماني ، اسم أبيه صالح ، وقيل : غيره ، أحد الأعلام الحفاظ ، ثقة ثبت ، لكنه يدلس ويرسل ، روى عن أبي أمامة الباهلي في صحيح مسلم ، ولكنه مرسل ، وروى عنه الأوزاعي ومعمرو ومحمد بن جابر وغيرهم ، توفي سنة ١٣٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٧ ، وتقريب التهذيب ١٠٦٥ .

١٦. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «أخبر أن حال المؤمنين : السماعُ في الجنة ، والشغلُ بغاية النعمة ، وأن حال الكافرين : العذاب الأليم ، هم حاضروه أبداً ، غير مخفف عنهم» .

١٧. ثم ذكر ما تدرك به الجنة فقال : ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾^(١) . قال الكلبي ومقاتل والفرّاء : «فصلُّوا لله»^(٢) .

روى مِقْسَمٌ وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : «كلُّ تسبيح في القرآن فهو : صلاة» ، وقال مجاهد : «كلُّ سُبْحَةٍ في القرآن : صلاة»^(٣) .

قال المُبَرِّدُ : «والعرب تقول : حتى أفرغ من سُبحتي ؛ أي من صلاتي . والتسبيح : اسم الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] ؛ أي من المصلين» .

قال صاحب النظم : «فتكون سبحان الله على تأويل : سَبَّحُوا الله ، فلمَّا صُرف قوله : سَبَّحُوا إلى مصدره نُصِبَ لِيُعلم أن معناه الإغراء والأمر ، كما قال عز وجل : ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤] ؛ أي فاضربوا الرقاب» . هذا كلامه . وروي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس ، فقال : «أرأيت الصلوات الخمس تجدها في القرآن ؟ قال : نعم ؛ ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الغداة ، ﴿وَعِشَاءً﴾ العصر ، ﴿وَحِينَ تَنْظَهُرُونَ﴾ الظهر ، ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور: ٥٨]»^(٤) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٠ .

(٢) تنوير المقياس ٣٣٩ ، وتفسير مقاتل ٧٧ ب ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٢٣ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٩ / ٢١ ، وفيه : (سجدة) بدل (تسبيحة) ، فعمل الصواب : (تسبيحة للآية) . وضبط السبحة من التهذيب (سبح) ٤ / ٣٣٩ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ١٠٣ ، وابن جرير ٢٩ / ٢١ ، وفيه : «ثم قرأ : ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَزَاةٍ لَكُمْ﴾» ، وأخرجه الحاكم ٢ / ٤٤٥ ، كتاب : التفسير ، رقم ٣٥٤١ ، وقال : «صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» .

وروى أبو عياض عنه ، قال : « جمعت هذه الآية مواقيت الصلاة ؛ ﴿ فُسَبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ المغرب والعشاء ، ﴿ وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴾ الفجر ، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ العصر ، ﴿ وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ الظهر »^(١) .

١٨ . قوله : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : وهو ابتداء الآية الثانية في ذكر بيان المواقيت . قال ابن عباس : « يريد : يحمده أهل السماوات وأهل الأرض ، ويصلُّون له ويسجدون » .

وقال مقاتل : « يحمده أهل السماوات : الملائكة ، ويحمده المؤمنون في الأرض »^(٢) .

قوله : ﴿ تَظْهَرُونَ ﴾ ؛ أي تدخلون في وقت الظهيرة^(٣) ؛ وهو نصف النهار ، وقد مرَّ^(٤) . يقال : أظهر مثل : أصبح ، وأضحى ، وأمسى .

١٩ . قوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ . قال عبدالله : « هي النطفة تخرج من الرجل ميتة ، وهو حي ، ويخرج الرجل منها حياً ،

(١) أخرجه ابن جرير ٢٩/٢١ من طريق الحكم بن أبي عياض ، وأخرجه من طريق آخر الثعلبي ١٦٧/٨ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٧ ب .

(٣) في (ب) : (الظهر) .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ [النور : ٥٨] ، ولم أجد في تفسير الواحدي لها إلا قوله : ﴿ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ يريد : المقتبل .

وهي ميتة»^(١)، ونحو هذا قال مقاتل^(٢)، وهذه الآية مما قد تقدّم القول فيها^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي يجعلها تنبت وذلك حياتها^(٤).

﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾. قال مقاتل: «وهكذا تخرجون يا بني آدم من الأرض يوم القيامة بالماء كما يخرج العشب من الأرض بالماء؛ وذلك أن الله تعالى يرسل يوم القيامة ماء الحيوان من السماء السابعة على الأرض بين النفختين كمني الرجال

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠ / ٢١، وأخرج نحوه أيضاً عن ابن عباس، وأخرج عن الحسن، قال: «المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن». ومثل ذلك: الطير من البيضة، والنخل من النواة. والآية عامة تشمل جميع ما ذكر، وإن كان الأقرب لسياق الآية أن المراد بها ضرب الأمثلة الحسية من المخلوقات على وحدانية الله عز وجل، وعلى البعث بعد الموت، ويدل على هذا قول الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾، والله أعلم.

(٢) تفسير مقاتل ٧٧ ب، واقتصر عليه الزجاج ١٨١ / ٤، ولم ينسبه.

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ الْآلِيَ مِنَ الْآلِيَّتِ وَنُخْرِجُ الْآلِيَّتِ مِنَ الْآلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ٢٧]: «أكثر المفسرين على أن معناه: تخرج الحيوان من النطفة، وتخرج النطفة من الحيوان»، وقال الكلبي: «تخرج الفرخ من البيضة، وتخرج البيضة من الطير»، وهذا كالأول؛ لأن البيضة للطير بمنزلة النطفة لسائر الحيوانات، وقال ابن عباس في رواية عطاء والحسن: «تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والمؤمن حي الفؤاد، والكافر ميت الفؤاد، دليله قوله: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]». انظر: البسيط ٣١٣ / ١، تحقيق: الحمادي.

(٤) تفسير مقاتل ٧٧ ب، ومعاني القرآن للزجاج ١٨١ / ٤.

فتنبت عظام الخلق ولحومهم وجلودهم في قبورهم نبات العُشب^(١)، كما ينبتون في بطون أمهاتهم^(٢)، وهذا قول الكلبي والسُدِّي^(٣).

(١) تفسير مقاتل ٧٧ ب .

(٢) هذا جزء من حديث طويل موقوف على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، أخرجه الحاكم من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء ، قال : «كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَذَكَرَ عِنْدَهُ الدَّجَالُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : تَفْتَرِقُونَ أَيُّهَا النَّاسُ لَخُرُوجِهِ عَلَى ثَلَاثِ فُرُقٍ : فِرْقَةٌ تَتَّبِعُهُ ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِأَرْضِ آبَائِهَا بِمَنَابِتِ الشَّيْخِ ، وَفِرْقَةٌ تَأْخُذُ شَطْلَ الْفِرَاتِ يِقَاتِلُهُمْ وَيَقَاتِلُونَهُ . . . إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ . . . قَالَ : فَيُرْسِلُ اللَّهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمْنِي الرِّجَالُ فَتَنْبِتُ لِحْمَانَهُمْ وَجَسْمَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ كَمَا يَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنَ الثَّرَى ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنْثِيرُ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مِمَّنْ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر : ٩] . قَالَ الْحَاكِمُ : «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ» ، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : «مَا احْتِجَاجًا بِأَبِي الزَّعْرَاءِ» . انظر : المستدرک علی الصحیحین ٤ / ٦٤١ ، کتاب : الأھوال ، رقم ٨٧٧٢ . وهذا الحديث معروف عند أهل العلم بحديث الشفاعة الذي يرويه أبو الزعراء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وفيه أن النبي ﷺ رابع شفيع يقوم يوم القيامة ، واسم أبي الزعراء : عبدالله بن هانئ ، قال عنه البخاري : عبدالله بن هانئ ، أبو الزعراء الكوفي ، روى عن ابن مسعود -رضي الله عنه- في الشفاعة : «ثم يقوم نبيكم رابعهم» ، والمعروف عن النبي ﷺ : «أنا أول شافع» ، ولا يتابع على حديثه . انظر : التاريخ الكبير ٥ / ٢٢١ ، رقم ٧٢٠ ، وقال ابن عدي : «يروي سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء ، عن عبدالله بن مسعود إن كان قد سمع من عبدالله بن مسعود» . انظر : الكامل في ضعفاء الرجال ٤ / ١٥٤٩ . وقد وقعت تسمية أبي الزعراء في تحقيق الألباني لأحاديث شرح العقيدة الطحاوية ٤١٠ ، بالوليد بن يحيى ، ولا أدري كيف وقع ذلك ، فلعله لم يقف على كلام البخاري ، ولا ابن عدي ، حيث أحال على الهيثمي وحده في مجمع الزوائد ١٠ / ٣٣٠ ، والهيتمي ذكره بكنيته ، ونقد هذه الرواية لمخالفتها الحديث الصحيح : «أنا أول شافع» ، ونسب هذا النقد الألباني إلى الهيثمي ، مما يدل على أنه لم يطلع على كلام البخاري في هذا الموضع ، والله تعالى أعلم .

أما قول إن السماء تمطر مطراً ينبت منه أجساد العباد فثبت من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهم- في حديث مرفوع أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٢٢٥٩ ، كتاب : الفتن وأشرط الساعة ، رقم ٢٩٤٠ . والشاهد فيه : قول النبي ﷺ : «ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل [نعمان] الشاك] فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» .

(٣) تنوير المقياس ٣٣٩ .

وقال أبو إسحاق : «كذلك يخرجون من قبورهم مبعوثين ، ومعنى الكاف نصب لقوله : ﴿تُخْرِجُونَ﴾ ، والمعنى : أن بعثكم عليه - عز وجل - كخلقكم ؛ أي هما في قدرته متساويان^(١) ، يعني أن ذكر ابتداء الخلق بقوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ يعني الإنسان من النطفة ، ثم قال : ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ .

وقرأ حمزة والكسائي : (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء^(٢) ، وحجة هذه القراءة قوله : ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج : ٤٣]^(٣) ، أضاف الخروج إليهم .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَيْنَتِهِ﴾ : ومن دلالاته على توحيده وقدرته . ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يعني آدم أبا البشر^(٤) . ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾» ، وقال ابن عباس : «من لحم ودم» ، يعني ذرية آدم ، ينتشرون : «ينبسطون في الأرض» ، قاله مقاتل^(٥) ، وقال ابن عباس : «تذهبون وتحيئون» . ومعنى الآية : تعجيبيهم من خلقه إياهم من تراب ، ثم صيرورتهم بشراً ينتشرون في الأرض .

٢١ . قوله تعالى : ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ . قال الكلبي : «يقول : جعل لكم من خلقكم آدمياً مثلكم ، ولم يجعله من الجن ولا من غيره»^(٦) ، وقال غيره : «يعني خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم» ، حكاها

(١) معاني القرآن للزجاج ١٨١/٤ .

(٢) قرأ حمزة ، والكسائي : ﴿تُخْرِجُونَ﴾ بفتح التاء ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : ﴿تُخْرِجُونَ﴾ بضم التاء . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٦ ، والحجة للقراء السبعة ٤٤٥/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٩٥/٢ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤٤٥/٥ .

(٤) تفسير مقاتل ١٧٨ أ . وتفسير ابن جرير ٣١/٢١ ، وأخرجه عن قتادة الثعلبي في تفسيره ١٦٧/٨ ب .

(٥) تفسير مقاتل ١٧٨ أ .

(٦) ورد في تنوير المقياس ٣٤٠ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٧/٨ ب ، ولم ينسبه .

الزَّجَّاج ، وهو قول قتادة^(١) ، وذكر غيره أن معنى ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أنه خلق النساء من نطف الرجال^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ : جعل بين الزوج والمرأة المودة والرحمة ، فهما يتوادان ويتراحمان ، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما ، وهذا معنى قول مقاتل والمفسرين^(٣) . وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿مَوَدَّةً﴾ يعني الجماع ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ يعني الولد ، وهو قول الحسن^(٤) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٢ ، ولم ينسبه ، وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٣١ عن قتادة . وأما قول إن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم - عليه السلام - فمروي عن جمع من المفسرين . انظر : تفسير ابن جرير ٧/ ٥١٥ ، تحقيق : محمود شاكر ، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٥٢ ، وهي آثار موقوفة ، ليس فيها شيء مرفوع للنبي ﷺ ، وقد صرح ابن إسحاق بأخذ هذه الأخبار عن أهل الكتاب ، فقال : «ألقي على آدم - عليه السلام - السنة ، في ما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم . . .» . أخرجه ابن جرير ٧/ ٥١٦ .

وأما مسألة خلق المرأة من ضلع فثابتة في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، ولفظه : «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً» . البخاري ، كتاب : النكاح ، رقم ٥١٨٥ ، فتح الباري ٩/ ٢٥٢ ، ومسلم ٢/ ١٠٩٠ ، كتاب : الرضاع ، رقم ١٤٦٨ ، وزاد : «وكسرها طلاقها» . قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : «قوله : (فإنهن خلقن من ضلع) كأن فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحاق في المبتدأ ، عن ابن عباس ، أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم» . انظر : فتح الباري ٩/ ٢٥٣ .

(٢) لعله يعني مقاتل ؛ إذ قال في تفسيره ٧٨ أ : ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني : بعضكم من بعض ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٨/ ١٦٧ ب ، ولم ينسبه ، وذكر نحوه الماوردي عن علي بن عيسى في النكت والعيون ٦/ ٣٠٥ .

والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن لا تعارض بين هذه الأقوال ، فالقول الأول يدل على أن الزوج من جنس آدمي ، وهو بهذا يتفق مع القولين بعده ، وأفاد القول الثاني أن أصل خلق الأنثى (زوج الذكر) من ضلع على ما سبق بيانه ، وأفاد القول الثالث التكاثر والتناسل عن طريق النطف ، والله تعالى أعلم .

(٣) تفسير مقاتل ٧٨ أ ، وتفسير ابن جرير ٢١/ ٣١ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩٠ عن الحسن ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من صنعه . ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ﴾ في عظمة الله وقدرته .

٢٢ . ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده وقدرته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال مقاتل : «بأن الله خالقهما ، كقوله : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان : ٢٥] ، [الزمر : ٣٨]»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَاخْتَلَفُ الْيَزْنَكَمُ وَالْوَزْنَكَمُ﴾ : يعني اختلاف اللغات كالعربية والعجمية والتركية وغيرها . وقوله : ﴿وَالْوَزْنَكَمُ﴾ مختلفة ؛ لأن الخلق من بين أبيض وأسود وأحمر^(٢) . قال الكلبي : «وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة»^(٣) ، وألستهم وألوانهم مختلفة» .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد البر والفاجر» ، وعنه أيضاً : «الإنس والجن»^(٤) . وقرأ حفص بكسر اللام^(٥) . قال الفرّاء : «وهو وجه جيد ؛ لأنه قد قال : ﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم : ٢٤] ، ﴿لَا يَتَّبِعُ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٠]»^(٦) .

(١) تفسير مقاتل ٧٨ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٨ ب معناه ، من قوله : ﴿وَاخْتَلَفُ﴾ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٧ / ٨ ب ، ولم ينسبه .

(٤) تنوير المقباس ٣٤٠ .

(٥) قرأ حفص عن عاصم : ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بكسر اللام (جمع : عالم) ، وقرأ الباقون : ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بنصب اللام . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٤ ، والنشر في القراءات العشر ٣٤٤ / ٢ .

(٦) معاني القرآن للقراء ٣٢٣ / ٢ .

٢٣. قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .
قال ابن عباس : «يريد طلب المعيشة»^(١) . قال صاحب النظم : «تأويله :
ومن آياته منامكم بالليل ، وابتغائكم من فضله بالنهار ، اعتباراً بقوله :
﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [القصص : ٧٣]» .

قوله تعالى : ﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ : يعني سماع اعتبار وتدبر . قال ابن عباس :
«يريد : لقوم يجيبون داعي الله ، وجعل السماع بمعنى الإجابة» ، وقال الكلبي
ومقاتل : «﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ مواعظ الله فيوحدون ربهم»^(٢) .

٢٤. قوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ . قال الأخفش : «أراد أن
يريككم ، فحذف أن ؛ لأن المعنى يدل عليه ، وفي حرف عبدالله :
﴿يُرِيكُمْ﴾»^(٣) ، وأنشد قول طرفة :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِي أَحْضَرَ الْوَغَى . . . البيت^(٤)
أراد : أن أحضر»^(٥) .

(١) تنوير المقياس ٣٤٠ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٨ أ .

(٣) لم أجد هذه القراءة عند ابن خالويه ، ولا ابن جني .

(٤) البيت لطرفة من معلقته في ديوانه ١٠٥ ، وفيه (اللائمي) بدل : (الزاجري) ، وعجزه :

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلَدِي ؟

وأنشده كاملاً منسوباً سيويه ٩٩ / ٣ ، والثعلبي ١٦٧ / ٨ ب ، وأنشده ولم ينسبه الأخفش ٦٥٧ / ٢ ،
وابن جرير ٣٢ / ٢١ ، وفي حاشية ابن جرير : «رواية البيت عند البصريين : أحضر ، بالرفع ؛ لأنه
لمّا أضمر «أن» قبله ذهب عملها ، وعند الكوفيين : أحضر ، بالنصب ؛ لأنها وإن أضمرت فكأنها
موجودة لقوة الدلالة عليها» . الوغى : الحرب ، أراد : أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي
الحرب ، وتحصيل اللذات ، هل تخلدني في الدنيا إذا كففت عن الحرب ؟ وأنشد صدره ولم ينسبه أبو
علي في المسائل العسكرية ٢٠٢ ، وأنشد صدره ونسبه ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢٨٥ / ١ .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٦٥٧ / ٢ ، وليس فيه ذكر لقراءة عبدالله ، ولم أجد لها عند ابن خالويه .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : ومن آياته آيةٌ يريكم بها البرق ، هذا أجود في العطف ؛ لأن قبله خلق السماوات ، ومنامكم ، فيكون اسماً منسوقاً^(١) على اسم ، ثم حُذف ، ودلّ عليه قوله : ﴿وَمِنْ﴾ كما قال الشاعر :

وما الدهرُ إلّا تارتانِ فمنهُما أموتُ وأخرى أبتغي العيشَ أكدح^(٢)

والمعنى : فمنهما تارة أموتها ، أي أموت فيها^(٣) ، وقال الفرّاء : «أراد : فمنهما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها»^(٤) . قال أبو إسحاق : «ويجوز أن يكون المعنى : ويريكُم البرق خوفاً وطمعاً من آياته ، فيكون عطفاً بجمله على جملة»^(٥) ، وهذان القولان ذكرهما الفرّاء^(٦) .

قوله تعالى : ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ . قال ابن عباس : «خوفاً من الصواعق ، وطمعاً [من آياته فيكون]^(٧) بالرحمة» .

وقال مقاتل وقتادة : «خوفاً من الصواعق للمسافر ، ولَمَن كان بأرض ، وطمعاً للمقيم»^(٨) ، وهذا مما تقدّم تفسيره في سورة الرعد^(٩) .

(١) أي : معطوفاً .

(٢) البيت لتمييم بن مقبل في ديوانه ٢٤ ، أنشده ونسبه سيبويه ٣٤٦ / ٢ ، وأنشده ولم ينسبه الفرّاء ٣٢٣ / ٢ ، وابن جرير ٣٣ / ٢١ ، والزّجاج ١٨٢ / ٤ . وفي حاشية سيبويه : «الشاهد فيه : حذف الاسم لدلالة الصفة عليه ، والتقدير : فمنهما تارة أموت فيها» .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ١٨٢ / ٤ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٣٢٣ / ٢ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ١٨٢ / ٤ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٣٢٣ / ٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) أخرجه ابن جرير ٣٢ / ٢١ عن قتادة بلفظ : «خوفاً للمسافر ، وطمعاً للمقيم» ، وتفسير مقاتل ٧٨ أ ، وقد ورد فيه : «وخوفاً من الصواعق لَمَن كان بأرض» .

(٩) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد : ١٢] : «قال ابن عباس : يريد : خوفاً من الصواعق وطمعاً في المطر» . =

قال أبو إسحاق: «وهما منصوبان على المفعول له . المعنى : يريكم للخوف والطمع ، وهو خوفٌ للمسافر ، وطمعٌ للحاضر»^(١) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ . قال ابن مسعود : «قامتا على غير عمد بأمره»^(٢) .

وقال الفرّاء : «يقول : تدوما قائمتين بأمره بغير عمد»^(٣) .

قال ابن عباس : «يريد : بقوته وقدرته» .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ . قال الكلبي : «يعني النفخة الأخيرة»^(٤) ، وقال مقاتل : «يدعو إسرافيل من صخرة بيت المقدس حتى ينفخ في الصور عن أمر الله»^(٥) .

وهو قول الحسن ، وقال قتادة : «خوفاً للمسافر ، وطمعاً للمقيم» . وهذا قول أكثر أهل التأويل . قال أبو إسحاق وأبو بكر : «الخوف للمسافر لَمَّا تَأْذِي بِهِ مِنَ الْمَطَرِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنْ كَانَ يَكُمُ أَدْنَى مِنْ مَطَرٍ﴾ [النساء : ١٠٢] ، والطمع للحاضر المقيم ؛ لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب» .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٨٢/٤ .

(٢) ذكره عن ابن مسعود مقاتل ٧٨ أ ، وأخرجه ابن جرير ٣٤/٢١ عن قتادة .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٣٢٣/٢ ، وهو قول الزجاج ١٨٢/٤ .

(٤) تنوير المقياس ٣٤٠ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٨ أ . وقد ورد في الصور أحاديث كثيرة ، بعضها في الصحيح ، وبعضها في غيره ، فمن ذلك حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج الدجال في أمّتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحداً دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى يقبضه» ، قال : سمعتها من رسول الله ﷺ ، قال : «يبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم =

وقوله : ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ معناه التأخير وإن قدم ؛ لأن التقدير : إذا أنتم تخرجون من الأرض ، كذا قال مقاتل وأكثر العلماء ^(١) .

قال أبو إسحاق : «أي إذا دعاكم للبعث حييتم بعد الموت» ^(٢) . ولهذا جعل بعضهم تمام الوقف عند قوله : ﴿دَعْوَةٌ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ ليس من صلة الدعوة ، وهو من صلة ﴿تَخْرُجُونَ﴾ ، وهو مذهب نافع . قال يعقوب : «هذا من الوقف الذي يحق على العالم علمه» ، وخالفه أبو حاتم ، وقال : «أظن الوقف : ﴿دَعْوَةٌ مِّنَ الْأَرْضِ﴾ ؛ أي وأنتم في الأرض ، كما تقول : دعاكم من القبور ، ودعوت فلاناً من بيته ؛ أي هو في بيته» ^(٣) .

وقال النحاس : «﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةٌ﴾ ليس بوقف ؛ لأنه لم يأت بجواب ﴿إِذَا﴾ ، وجواب ﴿إِذَا﴾ على قول الخليل وسيبويه : ﴿أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ؛ أي

حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا قال وأول من يسمعه رجل يلو ط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس» . أخرجه مسلم ٢٢٥٨ / ٤ ، كتاب : الفتن وأشرط الساعة ، رقم ٢٩٤٠ . اللّيت : صفحة العنق ، وهما ليتان ، وأصغى : أمال . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٨٤ / ٤ .

وأما الأحاديث الضعيفة فكثيرة ، منها حديث الصور الطويل الذي أخرجه الطبراني في كتابه الأحاديث الطوال ٣٦ ، المطبوع مع المعجم الكبير للطبراني ٢٥ / ٢٦٦ ، وقد ساقه بطوله ابن كثير في تفسيره ١٤٦ / ٢ عند قوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأncام : ٧٣] ، ثم قال : «هذا حديث مشهور ، وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة» . أمّا ما ذكره الواحدي عن مقاتل في تحديد المكان ؛ من صخرة بيت المقدس ، فلم أجده بهذا اللفظ في الأحاديث ، وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، والله أعلم .

(١) تفسير مقاتل ٧٨ ب ، وتفسير ابن جرير ٢١ / ٣٤ ، وأخرجه عن الضحاك الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٦٨ أ ، ونسبه إلى أكثر العلماء ، ولم يسمهم ، وذكره النحاس عن أبي حاتم في القطع والائتناف ٢ / ٥٣٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٢ ، وليس فيه كلمة : (حييتم) .

(٣) القطع والائتناف ٢ / ٥٣٢ .

«خرجتم»، وكذا قال سيبويه: «﴿وَأِنْ تُصَبِّهُمْ سَبْتُهُ بِمَا قَدَمْتُ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾» [الروم: ٣٦] تقديره عنده: قنطوا^(١). والقول ما قال النحاس.

٢٦. قوله تعالى: «﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾». قال مقاتل: «كلهم عبيده، وفي ملكه»^(٢). «﴿كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾». قال: «يعني مقرون له بالعبودية، يعلمون أن الله ربهم وهو خلقهم»، وهذا قول قتادة واختيار ابن قتيبة^(٣). والقنوت على هذا القول معناه طاعة الإقرار^(٤).

وقال الكلبي: «وهذا خاص لمن كان منهم مطيعاً»^(٥)، وعلى هذا لفظ الآية عام، ومعناها الخصوص^(٦).

وقال أبو إسحاق: «معنى ﴿قَنِينٌ﴾ مطيعون طاعة لا يجوز أن يقع معها معصية؛ لأن القنوت: القيام بالطاعة، ومعنى الطاعة هاهنا: أن من في السماوات والأرض مخلوقون كما أراد الله - عز وجل -، لا يقدر أحد على تغيير الخلق، ولا ملك مقرب، فأثار الصنعة والخلق تدل على الطاعة؛ ليس يعني بها طاعة العباد،

(١) القطع والانتفاف ٥٣٢/٢، وقد سأل سيبويه الخليل عن هذه الآية. انظر: الكتاب ٦٣/٣، وذكره المبرّد في المقتضب ٥٨/٢. وإنما قدمت كتاب النحاس لنقل الواحدي عنه مذهب الخليل وسيبويه.

(٢) تفسير مقاتل ٧٨ ب.

(٣) أخرجه ابن جرير ٣٥/٢١ عن قتادة، وذكر في تأويل مشكل القرآن ٤٥٢، وغريب القرآن ٣٤٠، وهو قول مقاتل في تفسيره ٧٨ ب.

(٤) ذكر ابن الأثير أن القنوت يقسم في كلام العرب أربعة أقسام، هي: الطاعة، الصلاة، طول القيام، السكوت. انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٦٨/١.

(٥) تنوير المقباس ٣٤٠.

(٦) قال ابن جرير ٣٥/٢١: «وقال آخرون: هو على الخصوص. والمعنى: وله من في السماوات والأرض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم»، ثم ذكر معناه بإسناده عن ابن زيد.

إنما هو طاعة الإرادة والمشیئة»^(١) ، وهذا معنى قول ابن عباس : «كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث ، وإن عصوا في العبادة»^(٢) ، وهذا مُفسّر في سورة البقرة^(٣) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ . قال مقاتل : «يعني خلق بني آدم بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً» ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعني يبعثهم في الآخرة أحياء بعد موتهم كما كانوا ، قال : ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾^(٤) . واختلفوا في هذا ؛ فذهب كثير من أهل التفسير والمعاني أن ﴿أَهْوَتْ﴾ هاهنا بمعنى هين . يقول : «وهو هين عليه» ، وهذا قول الحسن ، والربيع ، وقتادة ، والكلبي ، قالوا : «هو هين عليه ، أول خلقه وآخره ، وما شيء عليه بعزير»^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٨٣ / ٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير ٣٥ / ٢١ .

(٣) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ [البقرة : ١١٦] : «قال مجاهد وعطاء والسدي : مطيعون . قال أبو عبيد : أصل القنوت في أشياء ؛ منها : القيام ، وبه جاءت الأحاديث في قنوت الصلاة ؛ لأنه إنما يدعو قائماً والقنوت أيضاً : الطاعة » ، وقال الزجاج : «المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء ، وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله » ، وقال ابن عباس في هذه الآية : «قوله : ﴿كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ راجع إلى أهل طاعته ، دون الناس أجمعين ، وهو من العموم الذي أريد به الخصوص» ، وهو اختيار الفراء .

(٤) تفسير مقاتل ٧٨ ب .

(٥) أخرجه ابن جرير ٣٦ / ٢١ عن ابن عباس وقتادة والربيع بن خثيم ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٨ / ٨ أ عن الربيع بن خثيم والحسن ، وقال : «وهو رواية العوفي عن ابن عباس» ، وذكره السيوطي عن الحسن ، وعزاه لابن المنذر في الدر المنثور ٤٩١ / ٦ ، وتنوير المقباس ٣٤٠ .

وهذا مذهب أبي عبيدة ، وذكره المُبرِّد والزَّجَّاج^(١) ، وقالوا : «يجيء أفعِل
بمعنى الفاعل» ، وأنشد^(٢) لمعن بن أوس^(٣) :

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُّ

يعني لوجل^(٤) .

وقال الفرزدق :

بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول^(٥)

وأنشد المُبرِّد :

قُبِّحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا الْأَمَّ قَوْمِ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا^(٦)

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٢١ ، والكامل ٢/ ٨٧٦ ، والمقتضب ٣/ ٢٤٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ١٨٣ .

(٢) هكذا في النسختين ، ولعل الصواب : (وأنشدوا) .

(٣) معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني ، شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، رحل إلى الشام والبصرة ، وكُفَّ بصره في أواخر أيامه ، مات في المدينة . انظر : خزانة الأدب ٧/ ٢٦١ ، والأعلام ٧/ ٢٧٣ ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث (المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والإسلام) ، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ . انظر أيضاً : الإصابة في معرفة الصحابة ٦/ ١٧٩ .

(٤) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٢١ ، وأنشد البيت كاملاً ، ولم ينسبه ، وعجزه :

على أيّنا تعدو المنية أولُ

وهو في ديوان معن بن أوس ٣٦ ، وأنشده المُبرِّد في الكامل ٢/ ٨٧٦ ، وذكره المقتضب ٣/ ٢٤٦ ، وابن جرير ٢١/ ٣٧ ، ونسبه لمعن بن أوس ، وأنشده الزَّجَّاج ٤/ ١٨٣ ، ولم ينسبه .

(٥) انظر : ديوان الفرزدق ٢/ ١٥٥ ، وصدره :

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا

أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٢١ ، ونسبه ، وذكره المُبرِّد في الكامل ٢/ ٨٧٧ ، وابن جرير ٢١/ ٣٧ .

(٦) ذكره المُبرِّد في الكامل ٢/ ٨٧٧ ، والمقتضب ٣/ ٢٤٧ ، ولم ينسبه ، وقال بعده : «يريد : صغاراً وكباراً» ، وورد في حاشية المقتضب : «لم يعرف قائل البيت» ، وهو في خزانة الأدب ٨/ ٢٤٦ غير منسوب .

ومثله قولهم : الله أكبر ؛ أي الكبير ، ورجل أوحّد الناس ؛ أي أحد الناس ^(١) .

قال قتادة : «وفي حرف ابن مسعود : ﴿وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾» ^(٢) ، وهذا معنى رواية عطاء عن ابن عباس ، قال : «يريد : هان الأول والآخر عليه» ^(٣) .

القول الثاني في هذه الآية ما ذهب إليه عكرمة ومجاهد : «الإنشاء أهون عليه من الابتداء ، والإعادة أهون عليه من البدء» ، وهو معنى رواية الوالبي عن ابن عباس ^(٤) ، وهذا ليس على ظاهره ؛ لأنه لا يجوز أن يكون شيء على الله أهون من شيء ^(٥) .

ووجهه ما ذكره مقاتل ، والمُبرّد ، والفراء ، والزجاج . قال مقاتل : «يقول : البعث أيسر عليه عندكم يا معشر الكفار من الخلق الأول» ^(٦) .

وقال المُبرّد : «﴿وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ عندكم ؛ لأنكم قد أقررتُم بأنه بدأ الخلق ، وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه» ^(٧) ، ونحو هذا قال

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ١٢١ ، ولم ينشد البيت ، والزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ٢٩ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ١٠٢ ، ولم أجده عند ابن خالويه .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٣٦ من طريق محمد بن سعد بسنده عن ابن عباس ، ولفظه : «كل شيء عليه هيّن» .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٣٦ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة ، وأخرجه عن مجاهد وعكرمة ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٦٨ أعن مجاهد وعكرمة ، وقال : «وهي رواية الوالبي عن ابن عباس» .

(٥) أخرجه بسنده الفراء عن مجاهد ، ثم قال : «ولا أشتبه ذلك ، والقول فيه : أنه مثل ضربه الله فقال : أتكفرون بالبعث ، فابتداء خلقكم من لا شيء أشد» . انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٢٤ .

(٦) تفسير مقاتل ٧٨ ب .

(٧) ذكر في المقتضب ٣ / ٢٤٥ بلفظ : «تأويله : وهو عليه هيّن ؛ لأنه لا يقال : شيء أهون عليه من شيء» .

الفَرَاء^(١) . واختار أبو إسحاق هذا الوجه ، وقال : «إن الله خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء والإنشاء»^(٢) .

وفي الآية قول ثالث ؛ وهو أن الكناية في ﴿عَلَيْهِ﴾ تعود إلى الخلق . والمعنى : أن الإعادة أهون على الخَلْق من الابتداء^(٣) ، وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح والسُّدِّي . قال ابن عباس : «وهو أهون على المخلوق ؛ لأنه يقول له يوم القيامة : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣] ، [النحل: ٤٠] ، [مريم: ٣٥] ، [يس: ٨٢] ، [غافر: ٦٨] وأول خلقه نطفة ثم علقه ثم مضغة»^(٤) .

وقال السُّدِّي : «ليس يشتد على الله شيء ، ولكن يعني به المخلوق ، يصاح به فيقوم سوياً ؛ أهون عليه من أن يكون كما خلقه أولاً ؛ نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ثم يعود رضيعاً ثم فطياً» .

وقال عطاء : «هو أهون على المخلوق أن يُبعث سميعاً بصيراً ، يفهم ويفقه ويعقل ، ليس مثل المولود لا يعقل حتى يكبر» . قال أبو إسحاق : «ومعنى هذا القول أن البعث أهون على الإنسان من إنشائه ؛ لأنه يقاسي في النشأة ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث»^(٥) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٣ .

(٣) ذكر هذا القول ابن جرير ٢١ / ٣٦ ، والزجاج ٤ / ١٨٣ ، ولم ينسبه .

(٤) أخرجه بسنده الفراء في معاني القرآن ٢ / ٣٢٤ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٨٢ عن ابن عباس من طريق أبي صالح ، وذكره أيضاً الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٦٨ أ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٣ . وقد اعترض على هذا القول أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١٢١ ، فقال بعد أن ذكر أن المراد في الآية : «وهو هين عليه» ، قال : «فإن احتج محتج فقال : إن الله لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف به المخلوق ، فالحجة عليه قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩] ، وقوله : ﴿وَلَا يُؤْذِرُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «أي ليس كمثله شيء»^(١) .

وقال قتادة : «مثله الأعلى أنه : لا إله إلا هو في السماوات والأرض»^(٢) ، وعلى هذا يكون المثل بمعنى الصفة ، يعني : وله الصفة العليا ، وهي أنه : لا إله غيره . وذكرنا قول من أجاز أن يكون المثل بمعنى الصفة عند قوله : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد : ٣٥]^(٣) .

وقال قوم : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ يعني ما ضرب من المثل في الإعادة أهون على المخلوق من الابتداء ؛ لأن من قدر على ابتداء شيء كان أحرى أن يقدر على إعادته ، وهذا اختيار الفراء والزجاج . قال الزجاج : «أعلمهم أن يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء ، وجعله مثلاً لهم ، ثم قال : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ؛ أي قوله : ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ قد ضربه لكم مثلاً في ما يصعب ويسهل»^(٤) .

ولم يرجح الواحدي شيئاً من هذه الأقوال . والذي يظهر من سياق الآيات أن المراد إثبات البعث والرد على المنكرين له ، المستبدين وقوعه بعد موتهم وفنائهم ، فأعلمهم الله - عز وجل - أن إقرارهم بالخلق الأول يستلزم الإيمان بإعادتهم ؛ إذ هي أهون وأيسر ، ويدل على ذلك تقدم الآيات في إثبات الربوبية ، التي منها قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ، والله أعلم .

(١) أخرجه ابن جرير ٣٨/٢١ من طريق علي بن أبي طلحة ، وذكره عنه الثعلبي ١٦٨/٨ .
(٢) أخرجه ابن جرير ٣٨/٢١ عن قتادة ، وتفسير مقاتل ٧٨ ب بمعناه ، واقتصر على هذا القول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٣٨٢ ، ولم ينسبه .

(٣) أطال الواحدي الكلام في تفسير هذه الآية عن وجه ارتفاع : ﴿مَثَلُ﴾ فذكر قول سيبويه والمبرد أنه مرفوع على الابتداء بتقدير : في ما نقص عليكم مثل الجنة ، واختار هذا القول الأنباري وأبو علي ، ثم قال : «وقال قوم : المثل هاهنا بمعنى الصفة ، قالوا : ومعناها : صفة الجنة التي وعد المتقون» ، ونسبه لعمر بن العلاء ، ثم ذكر نقد المبرد وأبي علي لهذا القول ، ولم يرجح الواحدي في هذه المسألة ، وعن يمنع تفسيره بالصفة سيبويه في الكتاب ١٤٣/١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٨٣/٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٢٤/٢ بنحوه .

وقال غيره من أهل المعاني مصححاً لهذه الطريقة : «معنى قوله : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ؛ أي ما يمثل به دليلاً صفته الذي هو طريق إلى معرفته من أن إنساناً إذا نسخ كتاباً لإعادة نسخه عليه أهون ، وكذلك إذا صاغ حلياً ، هذا في مقدور العباد مع نقصانهم ، فمقدور من لا يلحقه النقص من وجهٍ أولى أن يسع الإعادة» ، وعلى هذا المثل الأعلى هو المثل الذي ضربه الله لتحقيق بيان قدرته على الإعادة ، ووصف هذا المثل بأنه : ﴿الْأَعْلَى﴾ ؛ لأنه مؤدٍّ إلى معرفة قدرة الله وصفته .

وقوله : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ : قال ابن عباس : ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ . قال مقاتل : نزلت في كفار قريش ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون في إحرامهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، فقال الله : ﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ يقول : وَصَفَ لَكُمْ شَبْهاً من أنفسكم ^(١) .

قال الكلبي : «مِنْ مِثْلِ خَلْقِكُمْ» هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يعني من عبيدكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من أموالكم وعبيدكم وأهلكم ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وشركاؤكم من ممالئكم في ما رزقناكم شرع ﴿سَوَاءٌ﴾ ^(٢) .

(١) تفسير مقاتل ٧٨ ب ، ولم يذكره الواحدي في أسباب النزول .

(٢) تنوير المقياس ٣٤٠ ، وذكره عنه الثعلبي ١٦٨ / ٨ أ ، هكذا وردت عنده : «شرع سواء» ، وفي تنوير المقياس : «شرك» ؛ أي من الشراكة ، وهو أقرب ، والله أعلم . قال ابن عباس : «﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في الآلهة ، وفيه» ، «تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً» ، وقد ذكره البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في تفسير سورة الروم ، وقال ابن حجر في فتح الباري ٥١٠ / ٨ : «الضمير في قوله : فيه ، لله تعالى ؛ أي إن المثل لله وللأصنام» ، وأخرجه ابن جرير ٣٩ / ٢١ من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس .

وقوله : ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً»^(١) ، وهو قول مقاتل ، والسُّدِّي ، قال : «يقول : مِنْ مملوككم شركاؤكم في الميراث الذي ترثونه من آبائكم ، فأنتم تخافون أن يدخل معكم مملوككم في ذلك الميراث ، كما تدخلون أنتم فيه»^(٢) .

قال الكلبي : «تخافون لائمتهم كما يخاف الرجل لائمة أخيه وأبيه وأقاربه»^(٣) .

وقال أبو مجلز : «تخافون أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضاً»^(٤) .

فهذه ثلاثة أقوال في معنى قوله : ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ مرجعها إلى معنى واحد ؛ وهو أن عَبْدَ الرجل لا يكون مثله حتى يكون بينهما توارث ، وخوف لائمة ومقاسمة . ومعنى الآية : إن الله تعالى يقول : كيف تعدلون بي عبيدي ، وأنتم لا تعدلون عبيدكم بأنفسكم . قال قتادة : «يقول : ليس مِنْ أَحَدٍ يرضى لنفسه أن يشاركه عبده في ماله وزوجه حتى يكون مثله ، يقول : قد رضي بذلك ناسٌ لله فجعلوا معه إلهاً شريكاً»^(٥) ، هذا قول المفسرين في هذه الآية .

وقد شرح أصحاب المعاني هذه الآية أبين شرح ، قال صاحب النظم : «هذا مثل ضربه الله - عز وجل - للذين جعلوا له شريكاً ، فقال : هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله وولده حتى يكون هو ومملوكه فيه سواء يخافه كما يخافه غيره من شريك له لو كان معه ؟ فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم ، فَلِمَ تجعلون لي عبيدي شركاء ؟ والفاء في قوله : ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ بمنزلة حتى ، تأويله : حتى أنتم وعبيدكم فيه سواء» . انتهى كلامه .

(١) أخرجه ابن جرير ٣٩/٢١ من طريق عطاء الخرساني ، وذكره عنه الثعلبي ١٦٨/٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٨ ب بنحوه ، وذكر نحوه الماوردي عن السُّدِّي في النكت والعيون ٣١١/٤ .

(٣) تنوير المقياس ٣٤٠ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٣٩/٢١ ، وذكره عنه الثعلبي ١٦٨/٨ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ١٠٢/٢ ، وفيه : (ونفسه) بدل : (وزوجه) ، وأخرجه بنحوه ابن جرير ٣٨/٢١ .

وقال ابن قتيبة : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، وذلك أقرب عليكم .
﴿ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ ﴾ شركاء من عبيدكم الذين تملكون ﴿ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ ﴾
وعبيدكم ﴿ سَوَاءٌ ﴾ يأمرهم فيه كأمرهم ، ويحكمون كحكمكم ، وأنتم ﴿ تَخَافُونَهُمْ ﴾
كخيفتكم أنفسكم ﴿ ؛ أي كما يخاف الرجل الحرُّ شريكه الحرَّ في المال يكون بينهما ،
فلا يأمر فيه بشيء دون أمره ، ولا يُمضي فيه عطيةً بغير أمره ، وهو مثلُ قوله :
﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات : ١١] ؛ أي لا تغيبوا إخوانكم من المسلمين ، وقوله :
﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور : ١٢] ؛ أي بأمثالهم من المؤمنين خيراً ،
يقول : فإذا كنتم أنتم بهذه المنزلة في ما بينكم وبين أقاربكم وأقائكم ، فكيف
تجعلون لله من عبيده شركاء في ملكه ؟ ومثله قوله : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى
بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [النحل : ٧١] ، فجعل منكم المالك والمملوك . ﴿ فَمَا آَلَيْتُ فَضُلُوكَ ﴾
يعني السادة ﴿ بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من عبيدهم حتى يكونوا فيه
شركاء . يريد : فإذا كان هذا لا يجوز بينكم فكيف تجعلونه لله ؟ ^(١) .

وقال أبو إسحاق : « أعلم الله - عز وجل - أن مملوك الإنسان ليس بشريكه
في ماله وزوجته ، وأنه لا يخاف أن يرثه مملوكه ، يقول : فقد جعلتم ما هو مُلْكُ
الله من خلقه مثل الله وأنتم كلكم بشر ليس بمالكم بمزلتكم في أموالكم ، فالله
- عز وجل - أجدر أن لا يُعدل به خلقه » . انتهى كلامه ^(٢) .

انتصب قوله : ﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾ وهو مضاف إلى الفاعل ، كما تقول : عجبت من
اشترائك عبداً لا تحتاج إليه ، فإذا أضيف المصدر إلى المفعول ارتفع ما بعده ،
تقول : عجبت من موافقتك كثرة شرب الماء ؛ لأن المعنى : من أن وافقتك ،
والعرب تقول : عجبت من قيامكم أجمعون وأجمعين ؛ فمن خفض أتبعه اللفظ ؛

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٨٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٤ .

لأنه في الظاهر خفض ، ومن رفع ذهب إلى التأويل ؛ وذلك أنه في تأويل رفع ؛ لأنهم الفاعلون ، هذا قول الفرّاء^(١) .

وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ ؛ أي كما بيّنا في ضرب المثل من أنفسكم . قال مقاتل : «هكذا نبين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله الأمثال فيوحدونه» .

٢٩ . ثم ذكر الله الذين ضرب لهم المثل ، فقال : ﴿بَلِ اتَّبَعَ الذِّبْنَ ظَلَمُوا﴾^(٢) : يعني الذين أشركوا ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الشرك ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه بأن مع الله شريكاً ، قاله مقاتل^(٣) ، وقال ابن عباس : «يريد : بغير علم جاءهم من الله» .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ . قال صاحب النظم : «هذا استفهام ، ومعناه النفي والإنكار على معنى : فلا هادي لمن أضل الله ، يدل على ذلك قوله في النَّسَقِ عليه : ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾» .

٣٠ . قال مقاتل : «ثم قال للنبي ﷺ : إن لم يوحد كفار مكة ربهم فوحد أنت ربك ، وهو قوله : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ﴾ ، فالمعنى : فأخلص دينك»^(٤) ، ونحوه قال سعيد بن جبير ، وقال غيره : «سدّد عملك»^(٥) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٢٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٨ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٧٨ ب .

(٤) تفسير مقاتل ٧٩ أ .

(٥) ذكره الماوردي عن الكلبي في النكت والعيون ٤ / ٣١١ .

والوجه في اللغة : ما يُتوجه إليه ، وعملُ الإنسان ودينُهُ مما يتوجه إليه الإنسان لتسديده وإقامته ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢]^(١) .

وقوله : ﴿ لِلَّذِينَ حَنِيفًا ﴾ معناه على التقديم والتأخير ؛ أي حنيفاً للدين ؛ أي مائلاً إلى الطاعة ، مستقيماً عليها لا ترجع عنها .

قال أبو إسحاق : «والحنيف الذي يميل إلى الشيء فلا يرجع عنه»^(٢) .

وقوله : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . قال عكرمة ومجاهد : «الإسلام» ، وهو قول الحسن^(٣) .

وقال مقاتل : «﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾ الملة ، وهي الإسلام والتوحيد الذي خلقهم عليه يوم أخذ الميثاق حين قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، فأقروا له بالربوبية والمعرفة»^(٤) ، ونحو هذا قال ابن زيد^(٥) ، واختاره الزَّجَّاج ، فذكره^(٦) ،

(١) قال الواحدي في تفسير هذه الآية : «معنى قوله : ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ ؛ أي بذل وجهه له في السجود ، وعلى هذا أسلم بمعنى : سلم» ، وقال ابن الأنباري : «والمسلم على هذا هو المخلص لله العباد» ، وقال قوم من أهل المعاني : «﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ ؛ أي أسلم نفسه وجميع بدنه لأمر الله ، والعرب تستعمل الوجه وهم يريدون نفس الشيء إلا أنهم يذكرونه باللفظ الأشرف كما قال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] ، وقال جماعة : «الوجه قد يقع صلة في الكلام ، فقوله : ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ ﴾ ؛ أي انقاد هو الله ، ومثله : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]» .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٨٤ ، وفيه : «كالْحَنَفِ في الرَّجُل ، وهو ميلها إلى خارجها خلقه ، لا يملك الأحنف أن يرد حنفته» .

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٤٠ عن مجاهد من طريق الحسن ، وأخرجه كذلك عن عكرمة ٢١ / ٤١ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٩ أ ، ونحوه قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٣٤١ ، ولفظه : «أي : خلقه الله التي خلق الناس عليها ؛ وهي أنه فطرهم جميعاً على أن يعلموا أن لهم خالقاً ومدبراً» .

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١ / ٤٠ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٨٤ . قال ابن كثير ٦ / ٣١٤ : «فإن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره . . . وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام ، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية» .

هذا قول المفسرين في هذه الآية ، ويشكل هذا بأن يقال : الفطرة ابتداء الخلق ، ولو كان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم على ملة الإسلام والتوحيد ما أشرك أحد ولا كفر أحد مع قيام الدليل بأن الله خلق أقواماً للنار^(١) ، وهم لم يخلقوا على الإسلام والتوحيد وهو قوله : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٩] . والخبر قد ورد بتفصيل الفريقين يوم أخذ الميثاق حين أخرج الله تعالى من صلب آدم ذريته ، بعضها سود وبعضها بيض ، فقال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار^(٢) .

(١) لعل الواحد يشير بذلك إلى حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة ؛ لم يعمل السوء ، ولم يدركه ، قال : «أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم» ، أخرجه مسلم ٢٠٥٠ / ٤ في القدر ، رقم ٢٦٦٢ .

(٢) أخذ الميثاق على ذرية آدم - عليه السلام - ثابت في حديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : «إن الله يقول لأهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفترق به ؟ قال : نعم ، قال : فقد سألتك ما هو أهلون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك» . متفق عليه ، انظر : البخاري ، كتاب : الأنبياء ، رقم ٣٣٣٤ ، فتح الباري ٦ / ٣٦٣ ، ومسلم ٢١٦٠ / ٤ ، وكتاب صفات المنافقين ، رقم ٢٨٠٥ .

ومن ذلك أيضاً حديث كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبر عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، قال : «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم فأخرج من صلبه ذرية ذراها فنثرهم نثراً بين يديه كالذر ، ثم كلمهم فقال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ . أخرجه الحاكم ٨٠ / ١ ، كتاب : الإيمان ، رقم ٧٥ ، وقال : «حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» . وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه من الطريق نفسه ابن أبي عاصم في كتاب : السنة ، رقم ٨٩ ، ورجح ابن كثير ٥٠٢ / ٣ وقف هذا الحديث على ابن عباس ، وحسن رفعه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٨ / ٤ ، رقم ١٦٢٣ ؛ نظراً إلى وروده في تفسير القرآن فيأخذ حكم الرفع ، ولوروده من طرق أخرى مرفوعاً ، وإن كان فيها ضعف .

والأول غير مسلم ؛ إذ إن الروايات الإسرائيلية في التفسير قد تصحح إسناداً إلى بعض الصحابة ، ومصدرها الأخذ عن بني إسرائيل ؛ فهل يُجزم بأخذها حكم المرفوع ؟ والله أعلم . هذا ما يتعلق بأصل أخذ الميثاق وثبوته ، أمّا ما ذكره الواحد ي من تفصيلهم إلى فريقين (سود ، وبيض) ، فقد ورد ذكر ذلك في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال عبدالله بن الإمام أحمد في المسند ٤١٧ / ١٠ ، رقم ٢٧٥٥٨ :

وقال رسول الله ﷺ في الغلام الذي قتله الخضر : « طبعه الله يوم طبعه كافراً »^(١).

وبيان هذا الإشكال أن يقال : المراد بالناس هاهنا المؤمنون الذين فطرهم الله على الإسلام يوم أخذ الميثاق ؛ لأن المشرك لم يفطر على الإسلام ، فلفظ الناس عام والمراد منه الخصوص . هذا وجه قول المفسرين في هذه الآية ، وهو اختيار أبي الهيثم ، قال في هذه الآية : « هذه فطرة فُطر عليها المؤمن »^(٢).

= « حدثني أبي ثنا هيثم ، وسمعتُه أنا منه ، قال ثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ ، قال : « خلق الله آدم حين خلقه فضرِبَ كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمَم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي » ، وقد وصَّحَه الألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم ٤٩ .

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٥٠ ، كتاب : القدر ، رقم ٢٦٦١ ، ولفظه : « إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافراً ، ولو عاش لأرْهَقَ أبويه طغياناً وكفراً » ، وأخرجه الترمذي ٥/ ٢٩٢ ، كتاب : تفسير القرآن ، رقم ٣١٥٠ .

(٢) ذكره عن أبي الهيثم الأزهرى في تهذيب اللغة ١٣/ ٣٢٦ . وما ذهب إليه الواحدى واختاره أبو الهيثم في دفع الإشكال في الجمع بين الآية والحديث غير وجه ، والصواب أن لفظ (الناس) في قوله تعالى : « فُطِرَتْ أَلْوَانُ آلِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » باقٍ على عمومهِ لم يدخله التخصيص ، يشهد لذلك قوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ » [الأعراف : ١٧٢] ، فلم يُسْتثنَ من الذرية أحد ، وعليه فحديث : « كل مولود يولد على الفطرة » يدل على أن المولود وُلِدَ على الفطرة سليماً ، ووُلِدَ على أن هذه الفطرة السليمة يُغَيِّرُهَا الأبوان كما قَدَّرَ الله تعالى ذلك وكتبه ، وقد مثل النبي ﷺ ذلك بقوله في آخر الحديث : « كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ، فبيّن أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس ، وذلك بقضاء الله وقدره ، فكذلك المولود يولد على الفطرة سليماً ثم يفسده أبواه ، وذلك أيضاً بقضاء الله وقدره . انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٦١ .

أمّا حديث الغلام الذي قتله الخضر فإن قول النبي ﷺ فيه : « طُبع يوم طبع كافراً » معناه : طُبع في الكتاب ؛ أي قُدِّرَ وقُضِيَ لا أنه كان كفراً موجوداً قبل أن يولد فهو مولود على الفطرة السليمة ، وعلى أنه بعد ذلك يتغير فيكفر ، كما طُبع كتابه يوم طُبع . ومن ظن أن المراد به الطبع على قلبه ، وهو الطبع المذكور على قلوب الكفار ، فهو غلط ؛ فإن ذلك لا يُقال فيه : طُبع يوم طُبع ، إذ كان الطبع على قلبه إنما يوجد بعد كفره . وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عياض بن حمار عن النبي ﷺ في ما يروي عن ربه تعالى أنه قال : « خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ،

وذهب إسحاق^(١) في هذه الآية ، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث^(٢) ، مذهباً حسناً ؛ وهو أنه قال : الفطرة : الخلقة التي خلقهم عليها ، إمّا الجنة وإمّا النار ، حين أخرج من صُلب آدم كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء للنار ، فيقول : كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه أو ينصرانه ، يقول : بالأبوين يتبين لكم ما تحتاجون إليه في أحكامكم من الموارث وغيرها ، يقول : إذا كان الأبوان مؤمنين فاحكموا لولدهما بحكم الإيثار ، وإن كانا كافرين فاحكموا لولدهما بحكم الكفر ، وأمّا خلقته التي خلق عليها فلا علم لكم بذلك ، وهو قوله

وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . وهذا صريح في أنه خلقهم على الخيفية وأن الشياطين اجتالهم بعد ذلك . وكذلك في حديث الأسود بن سَريع الذي رواه أحمد وغيره ، قال : بعث النبي ﷺ سرية ، فأفضى بهم القتل إلى الذرية ، فقال لهم النبي ﷺ : « ما حملكم على قتل الذرية ؟ » قالوا : يا رسول الله ، أليسوا أولاد المشركين ؟ قال : « أو ليس خياركم أولاد المشركين » ، ثم قام النبي ﷺ ، خطيباً ، فقال : « ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه » ، فخطبته لهم بهذا الحديث عقب نبيه لهم عن قتل أولاد المشركين ، وقوله لهم : « أو ليس خياركم أولاد المشركين » ، يبين أنه أراد أنهم وُلِدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك ، ولو كان أراد أن المولود حين يولد يكون إمّا كافراً وإمّا مسلماً على ما سبق له القدر لم يكن في ما ذكره حجة على ما قصده ﷺ من نبيه لهم عن قتل أولاد المشركين . انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٣٦٢ .

وحديث الأسود بن سَريع أخرجه الإمام أحمد ٢٤ / ٣٥٤ ، رقم ١٥٥٨٨ (طبعة الرسالة) ، وقال محققو المسند : « رجاله ثقات رجال الشيخين » ، إلا أن الحسن البصري لم يسمع من الأسود بن سَريع . وأخرج الحديث الحاكم ٢ / ١٣٣ ، رقم ٢٥٦٦ ، وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين » ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : « تابعه يونس عن الحسن حدثنا الأسود بن سَريع بهذا على شرط البخاري ومسلم » ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩ / ١٣٠ ، قال : « قال الشافعي في رواية أبي عبد الرحمن عنه : هي الفطرة التي فطر الله عليها الخلق فجعلهم ما لم يفصحوا بالقول لا حكم لهم في أنفسهم إنما الحكم لهم بأبائهم » .

(١) إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، صرّح بذلك الأزهري في تهذيب اللغة (فطر) ١٣ / ٣٢٨ .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة . انظر : البخاري ، كتاب : الجنائز ، رقم ١٣٥٩ ، فتح الباري ٣ / ٢١٩ ، ومسلم ٤ / ٢٠٤٧ ، كتاب : القدر ، رقم ٢٦٥٨ .

تعالى : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ؛ أي من الشقاوة والسعادة . والدليل على هذا قوله : ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ ؛ أي لا تبديل لما خلقهم له من جنة أو نار^(١) .

وقال الأزهري : «والقول قول أبي إسحاق^(٢) في تفسير الآية ، ومعنى الحديث^(٣) ، وعلى هذا القول انتصب : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ﴾ على المصدر ، وهو قول الأخفش ، قال : «كأنه قال : فَطَرَ الله تلك فِطْرَةً»^(٤) ، ونحو ذلك قال الفرّاء^(٥) .

معنى الآية : إن الكلام قد تم عند قوله : ﴿حَنِيفًا﴾ ، ثم أخبر - عز وجل - أنه خلق الخلق على ما أراد من شقاوة وسعادة ، ولا تبديل لذلك . وفيه إشارة إلى أن الكفار الذين سبق ذكرهم خلقوا للنار ، وأن النبي ﷺ والمؤمنين خلقوا للجنة ؛ لأن

(١) ذكر الأزهري قول إسحاق في تهذيب اللغة (فطر) ٣٢٩ / ١٣ .

(٢) هكذا في النسختين : (أبي إسحاق) ، والصواب : (إسحاق) ، كما في تهذيب اللغة ٣٢٩ / ١٣ .

(٣) الصواب القول الأول الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين ؛ وهو أن الفطرة المراد بها الإسلام ، وقوله : ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ ؛ أي لدين الله . قال ابن عبد البر : «وقال آخرون : الفطرة هاهنا : الإسلام ؛ قالوا : وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل ، وقد أجمعوا في تأويل قوله عز وجل : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ على أن قالوا : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ﴾ دين الله الإسلام ، واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث : اقرأوا إن شئتم : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ، وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قول الله عز وجل : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ، قالوا : ﴿فَظَرَّتَ اللَّهُ﴾ دين الله الإسلام . ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ قالوا لدين الله . نقله عنه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل ٣٦٧ / ٨ .

ويسدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير ٤١ / ٢١ عن ابن عباس أنه سُئل عن إخصاء البهائم فكرهه ، وقال : ﴿لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ ، وعن عكرمة ومجاهد أيضاً . قال شيخ الإسلام : «لا منافاة بينهما كما قال تعالى : ﴿وَلَا أَمْرُهُمْ فُتِنَتْكُمْ﴾ ، إِذَاكَ الْأَنْعَامُ وَلَا أَمْرُهُمْ فُتِنَتْكُمْ خَلَقَ اللَّهُ [النساء : ١١٩] ، فتغير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغير لخلقه ، وإخصاء وقطع الأذن أيضاً تغير لخلقه ، ولهذا شبه النبي ﷺ ، أحدهما بالآخر في قوله : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ، فأولئك يغيرون الدين ، وهؤلاء يغيرون الصورة بالجدع وإخصاء ، هذا تغير لما خُلِقَتْ عليه نفسه ، وهذا تغير ما خُلِقَ عليه بدنه» .

(٤) معاني القرآن ٦٥٧ / ٢ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٣٢٤ / ٢ ، ولفظه : «يريد : دين الله ، منصوب على الفعل» .

قوله : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ﴾ خطاب له وللمؤمنين ، يدلُّ عليه قوله بعد هذا : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ بلفظ الجمع ، وإن قلنا : ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ﴾ يعني دين الله التوحيد ، على ما ذكر المفسرون ، فانتصابها يكون بالإغراء ، وهو قول الزَّجاج ، وقال : «﴿فَطَرَتْ اللَّهُ﴾ منصوب بمعنى : اتبع فطرة الله ؛ لأن معنى : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ﴾ اتبع الدين القيم ، اتبع فطرة الله .»

قوله تعالى : ﴿لَا بُدَّ لِي لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ : قد ذكرنا معناه ؛ لا تبديل لما خلقهم له . وقال مجاهد وإبراهيم : «الدين : الإسلام ، و﴿لَا بُدَّ لِي لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ لدين الله»^(١) ، وعلى هذا المراد بلفظ النفي : النهي ؛ أي لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك والكفر .

﴿ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمُ﴾ . قال مقاتل : «يعني التوحيد هو الدين المستقيم وَلَنْ يَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتوحيد الله»^(٢) .

٣١ . قوله تعالى : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال الأخفش : «نصبه على الحال ؛ لأنه حين قال : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ﴾ قد أمره ، وأمر قومه حتى كأنه قال : فأقيموا وجوهكم منيبين»^(٣) ، وقال المبرِّد : «لَمَّا قال : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ﴾ كانت له ولأُمَّته قاطبة ؛ وهذا أجودُ كلام إذا كان واحداً حاضراً أن تأمره بها يخصه ، وتعم من وراءه من يأمره»^(٤) كقولهم : يا زيد اتق

(١) أخرجه عبد الرزاق ١٠٣ / ٢ عن قتادة ، وقال : «وقال معمر : كان الحسن يقول : فطرة الله الإسلام» ، وأخرجه ابن جرير ٤١ / ٢١ عن مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وإبراهيم النخعي ، وصحَّح إسناد ابن جرير إلى مجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٣٧٤ / ٨ ، وبوّب البخاري في صحيحه ، فقال : باب ﴿لَا بُدَّ لِي لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ : لدين الله . انظر : فتح الباري ٥١٢ / ٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٩ أ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٦٥٧ / ٢

(٤) هكذا في النسختين ، ولعل الصواب : (وتعم من وراءه من يأتمر بأمره) ، ويوضح هذا المثال الذي ذكره بعد ذلك .

عمراً ، واحذروا أن تظلموه ، إذا كان زيد رئيس القوم ؛ هم مأمورون بها أمر به زيد» ، ونحو هذا قال الفراء ، وصاحب النظم^(١) .

وقال الزجاج : «زعم جميع النحويين أن معنى هذا : فأقيموا وجوهكم منيين ؛ لأن مخاطبة النبي - عليه السلام - تدخل معه فيها : الأمة ، والدليل على ذلك قوله : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق : ١] ، قال : ومعناه : راجعين إلى كل ما أمر الله به ، مع التقوى وأداء الفرائض^(٢) ، وهو قوله : ﴿وَأَتَّقُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ .

ثم أخبر أنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص في التوحيد ، فقال : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

٣٢ . ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾^(٣) ذكرنا تفسيره في آخر سورة الأنعام^(٤) . وهذه الآية متصلة بالأولى ؛ لأنها من نعت المشركين . قال الفراء : «وإن شئت استأنفت قوله تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾»^(٥) .

(١) قال الفراء في إعراب ﴿مُنِيَّينَ﴾ : «منصوبة على الفعل ، وإن شئت على القطع ، فأقم وجهك ومن معك منيين مقبلين إليه» . انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٢٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٥ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٥ .

(٤) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٥٩] : «قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد : المشركين بعضهم يعبدون الملائكة يزعمون أنهم بنات الله ، وبعضهم يعبد الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس : ١٨] فهذا معنى : ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ ؛ أي فرقا وأحزابا في الضلالة ؛ فتفريقهم دينهم أنهم لم يجتمعوا في دينهم الذي هو شرك على شيء واحد» .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢٥ ، وقامه : «كانك قلت : الذين تفرقوا وتشايعوا كل حزب بها في يده فرح» .

قال مقاتل : «كل أهل ملة^(١) بما عندهم من الدين راضون به»^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : «كل حزب من هذه الجماعة الذين فَرَّقُوا دينهم فرح ؛ يظن أنه هو المهتدي»^(٣) ، وهذا مذكور في سورة المؤمنين^(٤) .

٣٣ . قوله : ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾ . قال مقاتل : «يعني كفار مكة ، الضر يعني القحط والسَّنة . ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه»^(٥) . قال أبو إسحاق : «أي لا يلتجئون في شدائدهم إلى مَنْ عبده مع الله عز وجل ، إنما يرجعون في دعائهم إليه وحده»^(٦) .

وقوله : ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ . قال مقاتل : «إذا أعطاهم من عنده ، يعني المطر . ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يقول : تركوا توحيد ربهم في الرخاء ، وقد وَحَّدُوهُ فِي الضَّرَاءِ»^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٧٩ أ . وفي النسختين : مكة بدل ملة ، وهو تصحيف .

(٢) تفسير مقاتل ٧٩ أ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٨٦ / ٤ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ، وقد أحال الواحدي في تفسيرها على سورة الأنبياء ؛ حيث قال : «والكلام في هذا قد سبق في نظيرتها في سورة الأنبياء» . انظر : البسيط ٦١٩ / ٢ ، تحقيق : المدينيغ ، وقال في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهَةٍ بِإِثْنَيْنِ فَزِعُوا﴾ [الأنبياء : ٩٣] : «قال ابن عباس : يريد المشركين اتخذوا من دونه آلهة» ، هذا كلامه في رواية عطاء ، والصحيح أن هذا إخبار عن جميع مخالفي شريعة محمد ﷺ ، يقول : «اختلفوا في الدين فصاروا فيه فرقا وأحزاباً . ويجوز أن يكون هذا الاختلاف راجعاً إلى اختلاف أهل كل ملة كاختلاف اليهود في ما بينهم ، واختلاف النصارى ؛ وهذا هو الظاهر ، ويجوز أن يرجع إلى مخالفتهم دين الحق» . انظر : البسيط ١٨٧ / ١ ، تحقيق : المدينيغ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٩ أ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٨٦ / ٤ .

(٧) تفسير مقاتل ٧٩ أ .

٣٤. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ : هذه الآية مُفسّرة في آخر سورة العنكبوت^(١).

وقوله : ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا خطاب بعد الإخبار لمّا قال : ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ كان خبراً عن غائب ، وكأن المعنى : فتمتعوا أيها الفاعلون لهذا ، وليس هذا بأمر لازم ، بل هو أمر على جهة الوعيد ، يدل عليه قوله : ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني حالكم في الآخرة»^(٢).

٣٥. قوله تعالى : ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ . قال ابن عباس : «حجة»^(٣).

قال قتادة ومقاتل : «كتاباً من السماء» ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا﴾ يقولون ، يعني من الشرك^(٤) ، يعني يأمرهم به ، ونعذرهم على ذلك^(٥) ، وهذا استفهام معناه الإنكار ؛ أي ليس الأمر على هذا .

٣٦. ثم ذكر بطرهم عند النعمة ، وبأسهم عند^(٦) الشدة بقوله : ﴿وَلِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ الآية . وهذا خلاف وصف المؤمن ؛ فإنه يشكر عند النعمة ، ويرجو ربه عند الشدة ، ويرغب إليه في كشفها .

(١) عند قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٦] .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٦ . قال الأخفش : «كأنه قال : فقد تمتعوا فسوف يعلمون» .

(٣) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٩ أ عن ابن عباس والضحاك .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٤ عن قتادة ، وذكره مقاتل في تفسيره ٧٩ أ ، والثعلبي في تفسيره ٨/ ١٦٩ أ عن قتادة والربيع .

(٥) تفسير الثعلبي ٨/ ١٦٩ أ ، واقتصر عليه الفراء ، ولم ينسبه في معاني القرآن ٢/ ٣٢٥ .

(٦) (عند) ساقطة من النسختين ، وزدتها لاستقامة الكلام .

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ : يعني شدة وبلاء . ﴿يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ ؛ أي بما عملوا من السيئات . ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ : ﴿إِذَا﴾ جواب الشرط ، وهو مما يجاب به الشرط ، قوله : ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ في موضع : قنطوا^(١) .

٣٧ . قال مقاتل : «ثم وعظهم فقال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ﴾» الآية^(٢) .

٣٨ . قوله : ﴿فَقَاتِلْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ؛ أي من الصلة والبر^(٣) . قال مقاتل : «حقُّ القرابة : الصلة»^(٤) .

وقال قتادة : «إذا كان لك ذو قرابة فلم تصله بمالك ، ولم تمش إليه برجلك فهو قطيعة»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «وفرائض المواريث كأنها قد نسختُ هذا ، أعني : حق القرابة ، وجائز أن تكون القرابة حق لازم في البر»^(٦) .

(١) ذكر سيبويه الإعراب والمعنى في الكتاب ٦٣ / ٣ ، وذكره المبرِّد في المقتضب ٥٨ / ٢ ، وقال في ١٧٨ / ٣ : «فأما (إذا) التي تقع للمفاجأة فهي التي تسد مسد الخبر ، والاسم بعدها مبتدأ ، كقولك : جئتكَ فإذا زيد ، وكلمتك فإذا أخوك ، وتأويل هذا : جئت ففاجأني زيد ، وكلمتك ففاجأني أخوك ، وهذه تغني عن الفاء ، وتكون جواباً للجزء ، نحو : إن تأتني إذا أنا أفرح ، على حد قولك : فأنا أفرح ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ، فقوله : ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ في موضع : يقنطوا ، وذكره أيضاً الأخفش في معاني القرآن ٦٥٧ / ٢ ، وأبو علي في الإيضاح العضدي ٣٣٠ / ١ ، وابن جني في سر صناعة الإعراب ٢٥٤ / ١ ، ٢٦١ .

(٢) تفسير مقاتل ٧٩ ب .

(٣) تفسير ابن جرير ٤٥ / ٢١ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٩ ب .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ١٠٣ / ٢ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١٨٧ / ٤ . والصحيح أن الآية لا نسخ فيها ، فحق ذوي القربى ثابت بالإحسان إليهم بالكلام الحسن ، والقول المعروف ، ووصلهم بالنفقة إذا كانوا محتاجين ، ووقع الخلاف بين أهل التفسير هل الأمر في الآية للوجوب أم للنadb على قولين ، فقال القرطبي ٣٥ / ١٤ : «واختلف في هذه الآية ، فقيل : إنها منسوخة بآية المواريث ، وقيل : لا نسخ ، بل للقربى حق لازم في البر على =

وقوله: ﴿وَالْمُسْكِينِ﴾ . قال ابن عباس: «أطعم الطواف»^(١).

وقال مقاتل: «حقه أن يُتصدق عليه»^(٢).

وقوله: ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ يعني حق الضيف عليك أن تحسن إليه^(٣).

﴿ذَلِكَ حَيْرٌ﴾ . يقول: «إعطاء الحق أفضل من الإمساك» ﴿لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٤) يطيعون بما يعلمون ثوابه ، ثم نعتهم فقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).

كل حال ، وهو الصحيح ، وقال مجاهد وقتادة: «صلة الرحم فرض من الله - عز وجل - ، حتى قال مجاهد: «لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة» . وقيل: المراد بالقربى أقرباء النبي ﷺ ؛ والأول أصح ؛ فإن حقهم مبيّن في كتاب الله - عز وجل - في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] ، وقيل: إن الأمر بإيتاء ذي القربى على جهة الندب . قال الحسن: ﴿حَقُّهُ﴾: المواساة في اليسر ، وقول ميسور في العسر ، وحكى الشوكاني قول القرطبي مقررأله . انظر: فتح القدير ٢١٩/٤ .

قال أبو المظفر السمعاني ٢١٥/٤: «أكثر المفسرين على أن المراد من إيتاء ذي القربى هاهنا صلة الرحم بالعطية والهدية» ، ثم ذكر قول قتادة ، وقال القاسمي: ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ ؛ أي من البر والصلة . واستدل به أبو حنيفة على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب ؛ لأن ﴿فَقَاتِ﴾ أمر للوجوب . والظاهر من الحق بقريته ما قبله أنه مالي ، وهو استدلال متين . انظر: تفسير القاسمي ١٨١/١٣ .

قال ابن كثير في تفسيره ٣١٨/٦: «يقول تعالى أمراً بإعطاء ذي القربى حقه ؛ أي من البر والصلة» ، وهو قول البغوي ٢٧٢/٦ ، وقال أبو حيان ١٦٩/٧ بعد ذكر رأي الحنفية: «الظاهر أن الحق ليس الزكاة وإنما يصير حقاً بجهة الإحسان والمساواة» ، وقال ابن عطية ٤٥٩/١١: «هذا على جهة الندب» ، وهذا محمول على إذا لم تكن قرابته محتاجة ، فإذا كانت قرابته محتاجة فقيرة وهو غني مقتدر فيجب عليه أن يصل قرابته بهاله ، والله أعلم .

(١) ذكره عنه القرطبي ٣٥/١٤ بلفظ: «أطعم السائل الطواف» .

(٢) تفسير مقاتل ٧٩ ب .

(٣) تفسير مقاتل ٧٩ ب ، ومعاني القرآن للزجاج ١٨٧/٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٧٩ ب .

(٥) تفسير مقاتل ٧٩ ب ، من قوله: «ثم نعتهم» .

٣٩. قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية . روى قتادة عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «هي هدية الرجل يهدي الشيء يريد أن يثاب أفضل منه ، فذلك الذي لا يربو عند الله ، لا يؤجر فيه صاحبه ، ولا إثم عليه فيه»^(١) . وعن مجاهد قال : «هي الهدايا»^(٢) .

وروى ابن أبي رواد عنه ، قال : «هو الربا الحلال ؛ يهدي الرجل الشيء ليُهدى له أفضل منه ، فهو حلال ليس فيه إثم ولا أجر»^(٣) . وقوله : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المائدة: ٦٠] : نزلت في النبي ﷺ خاصة ، نُهي أن يهدي هدية فيُهدى له أفضل منها ، وحُرِّم ذلك عليه خاصة^(٤) .

وقال الشَّاذي : «الربا في هذا الموضع : الهدية يهديها الرجل لأخيه ؛ طلب المكافأة ، فإن ذلك لا يربو عند الله ، ولا يؤجر عليه صاحبه» ، وقال سعيد بن جبير : «هذا في الرجل يُعطي لثاب عليه»^(٥) ، هذا قول المفسرين في هذه الآية .

(١) أخرجه عبدالرزاق ١٠٣/٢ ، وأخرجه ابن جرير ٨٤/٢١ عن ابن عباس من طريق قتادة ، وأخرجه ابن جرير ٤٦/٢١ من طريق محمد بن سعد بإسناده عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل ٧٩ ب .

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٦/٢١ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ١٠٤/٢ عن الضحاك بن مزاحم من طريق عبدالعزيز بن أبي رواد .

– عبدالعزيز بن أبي رواد ، شيخ الحرم ، واسم أبيه : ميمون ، حدَّث عن سالم بن عبدالله ، والضحاك بن مزاحم ، وعكرمة ، ونافع ، وغيرهم ، وحدَّث عنه يحيى القطان ، وعبدالرزاق ، وابن المبارك ، وغيرهم ، صدوق عابد ، وربما وهم ، ورمي بالإرجاء ، توفي سنة ١٥٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨٤/٧ ، وتقريب التهذيب ٦١٢ .

(٤) ذكره ابن جرير في تفسيره ٤٦/٢١ ، ولم ينسبه ، وقد كُتب في تفسير ابن جرير بعد قول الضحاك مفصلاً عنه ، فلعله من قول الضحاك ، وفصله عنه خطأ ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٩٥/٦ من كلام الضحاك ، وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وذكره عن الضحاك الثعلبي ١٦٩/٨ . وقد ذكر ابن كثير ٢٦٤/٨ في آية المدثر أربعة أقوال ، استظهر منها القول الذي اقتصر عليه الواحدي .

(٥) أخرجه ابن جرير ٤٦/٢١ .

وشرحها أهل المعاني، فقال أبو إسحاق: «يعني به: دفع الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك ليس بحرام، ولكنه لا ثواب فيه؛ لأن الذي يهبه يستدعي به ما هو أكثر منه»^(١).

وقال أبو علي الفارسي: «﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم﴾ يحتمل تقديرين؛ يجوز أن تكون للجزاء^(٢)، ويجوز أن تكون موصولة؛ فإن قدرتها جزاء كانت في موضع نصب بـ: ﴿آتَيْتُم﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَرِيئُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في موضع جزم بأنه جواب للجزاء، ويقوي هذا الوجه قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّنْ ذَّكْوَةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾، ألا ترى أنه لو كان مبتدأ لعاد عليه ذكر، وإن جعلتها موصولة كان موضع ﴿مَا﴾ رفعاً بالابتداء، ﴿آتَيْتُم﴾ صلة، والعائد إلى الموصول: الذكر المحذوف من ﴿آتَيْتُم﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَلَا يَرِيئُ﴾ في موضع رفع بأنه خبر الابتداء، والفاء دخلت في الخبر على حد ما دخلت في قوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٨٧ بمعناه.

(٢) أي: اسم شرط جازم.

(٣) يعني بالذكر المحذوف هنا: الضمير الواقع مفعولاً في قوله تعالى: ﴿آتَيْتُم﴾، والتقدير: الذي آتيتموه، وسرُّ تسميته بالذكر المحذوف—في ما يظهر—أن المقدَّر هنا كالمذكور سواء بسواء.

وقوله : ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ : أكثر القُرَاء قرأ : ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد^(١) ، ^(٢) إلى قول : (من مد) كأنه قيل : ما جئتم من رباً ، ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء له كما قال^(٣) : أتيت الخطأ ، وأتيت الصواب ، وأتيت قبيحاً . قال الشاعر :

أتيتُ الذي يأتي السفينةَ لغرتي إلى أن علا وخُط من الشيبِ مفرقي
فإتيانه الذي يأتي السفينة إنما هو فعل منه له^(٤) .

وقوله : ﴿مِنْ رَبِّاً﴾ على ضريين ؛ أحدهما : متوعد عليه محرم بقوله : ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة : ٢٧٨] ، والآخر غير محرم ؛ وهو أن يُهدي شيئاً أو يهبه ، فيستشيب أكثر منه . وسُمِّي بهذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة : رباً لَمَّا كان الغرض فيه الاستزادة على ما أعطى ، فسُمِّي باسم الزيادة ؛ لمكان الزيادة المقصودة في المكافأة . والربا هو الزيادة ، فبذلك سُمِّي المحرم رباً ؛ لزيادة ما يأخذ على ما دفع^(٥) .

(١) قرأ ابن كثير : ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ مقصورة ، وقرأ الباقرن ﴿ءَاتَيْتُمْ﴾ بالمد ، في قوله تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً﴾ ، وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ : فلم يختلفوا في مدها . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٩٦ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٤٤ .

(٢) يوجد هنا سقط في النسختين ، ولا يتم المعنى من دونه ، وتام الكلام كما هو عند أبي علي في الحجة ٥ / ٤٤٦ : «وأما قصر ابن كثير فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مد . . .» .

(٣) في الحجة ٥ / ٤٤٦ : «كما تقول» .

(٤) ذكره أبو علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٦ ، وأنشد البيت كاملاً ، ولم ينسبه . الغرُّ : الصغير الذي لم يجرب الأمور ، يقال : كان ذلك في غراري وحدائتي ، والمفرق : وسط الرأس . انظر : تهذيب اللغة (غرر) ١٦ / ٧١ ، ولسان العرب (فرق) ١٠ / ٣٠١ .

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٤٤٧ بتصرف ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٧ بمعناه ، وهذا من الاستطراد لبيان معنى الآية ؛ لأن الربا المحرم لا يدخل في هذه الآية ، وليس هو المراد منها ، بدليل ما نقله الواحدي عن السلف في ذلك ، فلم يُنقل عنهم - والله أعلم - أن الربا المحرم معني بهذه الآية ؛ إذ لو أريد ذلك لكان في القطع بتحريمه في هذه الآية نظر ؛ فالآية ليس فيها تحريمٌ ، بل فيها إخبار عن فقد الأجر والثواب لمن فعل هذا الفعل ، وهذا كما سبق في قول ابن عباس : «ليس فيه أجر ولا وزر» ، والله أعلم .

وقوله : ﴿لَيْرَبُّوْا فِى أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ : فاعل (يَرْبُو) الربا المذكور في قوله : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ﴾ ، وقُدِّر المضاف فحذفه ، كأنه : في اجتلاب أموال الناس ، أو اجتذابه ، ونحو ذلك ^(١) .

وقرأ نافع : (لِثَرَبُوا) بالتاء وضمها ^(٢) ؛ أي لتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس بما آتيتهم ؛ أي تستدعونها وتجلبونها ، وكأنه من : أربى إذا صار ذا زيادة ، مثل : أقطف وأجذب ^(٣) .

وقوله : ﴿فَلَا يَرْبُؤُا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ؛ أي لأنكم إنما قصدتم إلى زيادة العوض ، ولم تقصدوا وجه البر والقربة ، ولو قصدتم به وجه الله لكان كقوله : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ . وفي (مَا) هذه الوجهان ذكرناهما في (مَا) في أول الآية ؛ فإن جعلتها الموصولة فهي في موضع رفع ، و(ءَاتَيْتُمْ) صلة ، والراجع إلى الموصول محذوف ، على تقدير : آتيتموه .

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٧ ، ولفظه : «وقدر المضاف وحذف كأنه : اجتلاب أموال الناس ، واجتذابها ، ونحو ذلك» .

(٢) قرأ نافع : ﴿لَيْرَبُّوْا﴾ بضم التاء ، وسكون الواو ، وقرأ الباقون : ﴿لَيْرَبُّوْا﴾ بالياء ، وفتح الواو . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٧ ، والحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٩٦ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٤٤ . وقد ضبط محقق كتاب الحجة قراءة نافع على هذا النحو : ﴿لَيْرَبُّوْا﴾ ، وقال بعدها : «بالتاء ساكنة الواو» ، وهذا خطأ من وجهين ؛ الأول : قراءة نافع بالتاء مضمومة ، وليست مفتوحة كما ضبطها المحقق في ٤٤٨ ، الثاني : الواو في قراءة نافع ساكنة ، وليست مفتوحة ، مع أن المحقق قد أحوال في الحاشية على كتاب السبعة .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ٤٤٨ ، وفيه : (أقطف) و(أجرب) بدل (أجذب) ، وكلاهما صحيح ، يعني صار ذا جذب ، أو صار ذا جرب . ورد في تهذيب اللغة (قطف) ١٦/ ٢٨٢ : «أقطف الرجل ؛ إذا كانت دابته قُطُوفاً ، والقِطاف مصدر القُطُوف من الدواب ؛ وهو المقارب الخطو ، البطيء» .

قال : (وَمَا أَتَيْتُمُ) ، ثم قال : (فَأُولَئِكَ) ، فانتقل من الخطاب إلى الغيبة^(١) ، كما جاء في : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَّيْنَهُمَا﴾ [يونس: ٢٢]^(٢) . والفاء دخلت على (فَأُولَئِكَ) لذكر الفعل في الصلة ، والجملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو : ﴿وَمَا أَتَيْتُمُ مِنْ ذَكْوَةٍ تَرِيدُونَ﴾ ، ويقدر راجعاً محذوفاً ، التقدير : فأنتم المضعفون به ؛ أي ذوو الضعف بما آتيتم من زكاة ، فحذفت العائد على حد ما حذفته من قولك : السمن منوان بدرهم^(٣) . هذا كله كلام أبي علي ذكره في مواضع متفرقة ، فرددت كلاً إلى موضعه .

قال أبو إسحاق : «وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة وإنما تقصدون بها ما عند الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ؛ أي فأهلها يضاعف لهم الثواب ؛ يُعطون بالحسنة عشر أمثالها . وقيل ﴿الْمُضْعِفُونَ﴾ كما يقال رجل مقو ؛ أي صاحب قوة ، وموسر ؛ أي صاحب يسار ، وكذلك : مُضعف ، ذو أضعاف من الحسنات»^(٤) .

قال مقاتل : «ثم ذكر ما أصاب الناس من ترك التوحيد في قوله تعالى :

٤١ . ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ : يعني قحط المطر ، وقلة النبات»^(٥) . قال أبو علي : «الفساد جاء في القرآن على ضربين ؛ فساد معاقب عليه

(١) المسائل الحلبات ٨٥ .

(٢) ذكر هذا ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٨٩ .

(٣) ساق هذا المثال للتدليل على حذف العائد المجرور ، وتقديره : السمن منوان منه بدرهم ، فحذف منه لدلالة السياق عليه ، كما قدر في الآية : فأنتم المضعفون به ، والله أعلم . السمن : معيار قديم يكال به أو يوزن . انظر : لسان العرب (منن) ١٣ / ٤١٨ ، والمعجم الوسيط ٢ / ٨٨٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٧٩ ب .

وهو كثير^(١)، وفساد على غير ذلك بمعنى الجُذْب^(٢)، وهو المراد في هذه الآية، وهذا كما قلنا في: الحسنة والسيئة، وقد ذكرنا ذلك في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: ٩٥]^(٣).

وقوله: ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. قال: «يعني حيث لا يجري نهر، وهو لأهل العمود والبحر، ونقص الثمار في الريف، يعني القرى تجري^(٤) فيها الأنهار»^(٥).

قال ابن عباس في رواية عكرمة: «أما البحر فما كان من المدائن والقرى على شاطئ نهر، وأما البر فالبرية التي ليس عندها نهر»^(٦).

(١) مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ١١ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢]. وقد ورد الفساد بهذا المعنى في أكثر من خمسة وأربعين موضعاً في القرآن الكريم. انظر الآيات في: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (فسد) ٥١٨.

(٢) من أمثله قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وهو بهذا المعنى قليل لم أجده إلا في أربعة مواضع: [البقرة: ٢٥١]، [والأنبياء: ٢٢]، [والمؤمنون: ٧١]، وآية الروم هذه، والله أعلم.

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: «قال أهل اللغة: السيئة كل ما يسوء صاحبه، والحسنة ما يحسن عليه أثره»، ثم ذكر قول أبي علي الذي ذكره هنا، ثم قال: «والمعنى: أنه تعالى أخبر أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة، وبالرخاء تارة».

(٤) تجري) مكررة مرتين في (ب).

(٥) كتاب الشعر لأبي علي ٤٥٧/٢ بتصرف. قال مقاتل ٧٩ ب: «ثم أخبرهم أن قحط المطر في البر ونقص الثمار في الريف حيث تجري فيها الأنهار إنما أصابهم بترك التوحيد، فقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعني قحط المطر، وقلة النبات حيث لا تجري فيها الأنهار لأهل العمود، ثم ظهر الفساد يعني قحط المطر، ونقص الثمار في البحر يعني الريف، يعني القرى التي تجري فيها الأنهار». وقال الليث: «يقال لأهل الأخبية الذين لا ينزلون غيرها: هم أهل عُمُود، وأهل عماد». ذكره كتاب العين (عمد) ٥٧/٢، ونقله الأزهر في تهذيب اللغة ٢/٢٥١.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٩٦، وعزاه لابن أبي حاتم.

وقال الشَّدِّي : « الفساد : القحط ، والبر : كلُّ قرية من قرى العرب نائية عن البحر ، مثل : المدينة ومكة . [قال : والعرب تسمي الأمصار بحراً] ^(١) ، وأمَّا البحر فكلُّ قريةٍ مثلُ : البصرة والكوفة والشام » ^(٢) .

وقال عكرمة : « أمَّا إني لا أقول : بحر كم هذا ، ولكن كل قرية على ماء ، قال : والعرب تسمي الأمصار بحراً » ^(٣) .

وقال فضيل بن مرزوق : « قلت لعطية في قوله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ هذا البر ، فالبحر أي فساد فيه ؟ قال : يقال إذا قلَّ المطر قلَّ الغوص » ^(٤) ، يعني أن البحر إذا أمطر تفتح الأصداف أفواهها ، فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ ^(٥) ، وعلى هذا المراد بالبحر : بحر الماء لا القرى ، والقول هو الأول ^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩٧ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن جرير ٤٩/ ٢١ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٤٩/ ٢١ .

فضيل بن مرزوق الأغر ، الرقاشي الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، صدوق بهم ، رمي بالتشيع ، وحَدَّث عن عدي بن ثابت ، وعطية العوفي ، وشقيق بن عقبة ، وغيرهم ، وحَدَّث عنه وكيع ، وأبو نُعيم ، وعلي بن الجعد ، وغيرهم . روى له مسلم في المتابعات ، توفي سنة ١٦٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٤٢ ، وتقريب التهذيب ٧٨٦ .

(٥) ذكره الثعلبي ٨/ ١٦٩ ب عن ابن عباس .

(٦) يعني أن المراد بالبحر القرى التي على شاطئ البحر ، وهذا القول وإن كان له وجه ، لكن إجراء الآية على ظاهرها حيث لا يمنع من ذلك شيء أولى . ولعل الذي حمل الواحدي على ترجيح هذا القول تفسيره الفساد في الآية بالجدب والقحط ، وهو غير متصور في البحر ، وسيأتي توضيح القول الصحيح إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ؛ أي من المعاصي ^(١) ، يعني كفار مكة .
﴿لِيُذِيقَهُمُ﴾ الله بالجوع في السنين السبع ^(٢) ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ ؛ أي جزاء .

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ : لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان ^(٣) . هذا الذي ذكرنا هو الصحيح في تفسير هذه الآية ، وذكر في تفسيرها أقوال لا تليق بالآية ، منها قول قتادة : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ ، فقال : «هو الشرك امتلأت الأرض ظلماً وضلالة قبل أن يبعث الله نبيه» ^(٤) .

قال مجاهد : «قَتَلَ ابْنُ آدَمَ أَخَاهُ فِي الْبَرِّ ، وَأَخَذَ الْمَلِكُ السَّفْنَ غَضَباً فِي الْبَحْرِ» ^(٥) .

قال الحسن : «أفسد هما الله بذنوبهم في بر الأرض وبحرها» ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
يرجع مَنْ بعدهم ^(٦) . وهذه الأقوال مردولة فاسدة ليست تحسن في تفسير هذه الآية ^(٧) .

-
- (١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩٧ ، وعزاه لابن أبي حاتم .
(٢) المراد بذلك ما ورد في الحديث الصحيح في دعاء النبي ﷺ على أهل مكة بسنين كسني يوسف - عليه السلام - ، وقد سبق ذكره وتخريجه في تفسير الآية رقم : ٩٣ من سورة النمل .
(٣) تفسير مقاتل ٧٩ ب بنصه .
(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ١٠٤ ، وابن جرير ٢١/ ٤٩ .
(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٩ .
(٦) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٩ ، ٥٠ ، وأخرج عن ابن زيد : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ، قال : «الذنوب» .
(٧) كان الأولى بالواحد أن يبين ضعف هذه الأقوال من دون الحاجة إلى وصفها بهذا الوصف .

فعلى القول الذي صححه الواحد يكون المراد بالفساد : ما أصاب الناس من القحط والجذب ، وعلى القول الثاني الذي رده الواحد المراد بالفساد : ظهور الشرك والمعاصي في كل مكان ، من البر والبحر ، وانتشار الظلم ، وحصول النقص في الخيرات ، والحروب ، والكوارث ، ونحو ذلك كله ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ؛ أي بذنوب الناس انتشر الشر والظلم والفسق والفجور في البر والبحر . وقد اقتصر على هذا القول ابن جرير ٢١/ ٥٠ ، قال : «فتأويل الكلام إذا كان الأمر كما =

٤٢. قال مقاتل : «ثم خوفهم ، فقال : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية^(١) . وقوله : ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ : فأهلكوا بكفرهم . وإخباره عنهم بالشرك إخبار عن إهلاكهم ، ودلّ عليه قوله : ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ . ومعلوم أن عاقبتهم كان إلى الهلاك» .

وصفت : ظهرت معاصي الله في كل مكان ، من بر وبحر ﴿يَمَّا كَسَبَتْ آيَاتِي النَّاسِ﴾ ؛ أي بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيها» . وقد تأول ابن جرير هذا القول من أقوال قتادة ، ومجاهد ، والحسن ، التي وصفها الواحدي بأنها أقوال مردولة ، والصواب أنها أقوال مناسبة لسياق الآية ، ولظاها كما يدل عليه تمثيل مجاهد للفساد في البحر : بأخذ السفن غصباً ، وهذا هو مقتضى الحكمة ، والقول الذي اختاره الواحدي محمول على التمثيل للفساد بالجذب والقحط ، لا على أنه هو المقصود وحده حتى يتأول البحر بالقرى المحيطة به ، وينبني على القول الذي اختاره الواحدي أن الذنوب والمعاصي كلما زادت قل المطر وانتشر الجذب والقحط ، وهذا غير مسلم ؛ لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه الكريم أنه لا يمنع الناس الرزق بسبب كفرهم ، بل قد يمدهم بالرزق والنعم استدرجاً ، قال تعالى : ﴿يُحْسِبُونَ أَنَّكُمْ مُؤْتَدُونَ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ سُنُوحُهُمْ فِي الْغَيْبِ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون : ٥٥-٥٦] ، وأخير تعالى أنه لو يؤاخذ الناس بذنوبهم لهلكوا ولم يبق منهم أحداً ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ وَلَا كُنَ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [فاطر : ٤٥] ، حتى الدواب تهلك تبعاً لهلاك بني آدم ، بسبب ذنوب بني آدم ، ولا يعترض على هذا بمثل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦] ، فالآية في زيادة الخير والرزق لِمَن حقق الإيمان والتقوى ، بل إن من حكمة الله تضييق الرزق على الأنبياء وأتباعهم ؛ تعظيماً لأجرهم في الآخرة كما لا يخفى ، وخلاصة ذلك أن اعتراض الواحدي ورده لهذه الأقوال لم يبيّن دليلاً عليه ، مع أن القول الذي رده ظاهر جداً من سياق الآية ، وعليه فيحمل الفساد على ما يظهر في البر والبحر من الكفر والظلم والطغيان ، وما يلحق الناس بسبب ذلك من نقص المطر وحصول القحط والجذب ، والعذاب بالزلزال ، والخسف ، والغرق ، والحروب ، والسلب ، والنهب ، والخوف ، وغيره من أنواع الفساد الذي ينتشر بسبب ذنوب الناس من الشرك وغيره ، وما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود : ١١٧] ، والله تعالى أعلم .

٤٣. قوله : ﴿فَاقْرَ وَجْهَكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أقم قصدك ، واجعل جهتك اتباع الدين القيم»^(١) . قال مقاتل : «وهو الإسلام المستقيم . ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم»^(٢) ؛ لأن الله قد قضى بمجيئه ، فإذا جاءكم لا مرد له .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ ؛ أي يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ، قاله مقاتل^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ﴾ ، وقد مر^(٤) . قال الفرّاء : «﴿يَصْدَعُونَ﴾ يتصدعون ؛ أي يتفرقون . تقول العرب : صدعت غنمي صدعتين ؛ أي فرقتهما فرقتين»^(٥) .

٤٤. قوله : ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ . قال ابن عباس : «يجازى بكفره» ، وقال مقاتل : «عليه إثم كفره»^(٦) . ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَمْهَدُونَ﴾ ؛ أي يوطئون لأنفسهم منازلهم^(٧) .

وقال الكلبي : «يفرشون»^(٨) .

وقال مجاهد : «يسوون المضاجع في القبر»^(٩) . يقال : مهّدت لنفسي خيراً ؛ أي هيأته ووطأته .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٨٨/٤ .

(٢) تفسير مقاتل ٨٠ أ .

(٣) تفسير مقاتل ٨٠ أ ، والزجاج ، ومعاني القرآن ١٨٨/٤ .

(٤) الآية رقم : ١٤ من هذه السورة .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٣٢٥/٢ ، وليس فيه : «يتصدعون» .

(٦) تفسير مقاتل ٨٠ أ .

(٧) قال الزجاج ١٨٨/٤ : «أي : لأنفسهم يوطئون» .

(٨) تنوير المقياس ٣٤٢ .

(٩) أخرجه ابن جرير ٥٢/٢١ .

٤٥. قوله : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : اللام متعلقة بقوله : ﴿يَمْهَدُونَ﴾ ؛ أي يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله . ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : «ليشيهم الله أكثر من ثواب أعمالهم» .

٤٦. قوله تعالى : ﴿وَمَنْ ءَايَنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ﴾ . قال ابن عباس : «بالمطر»^(١) . ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ . قال : «يريد الغيث والخضب» . قال صاحب النظم : «هو معطوف على تأويل : ﴿مُبَشِّرَتٍ﴾ على نظم : ﴿وَمَنْ ءَايَنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ لبشركم وليذيقكم من رحمته ، ولتجري الفلك في البحر بتلك الرياح بأمره ، ولتبتغوا في البحر من فضله ، يعني الرزق بالتجارة» . قال مقاتل : «كل هذا بالرياح ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة فتوحدونه» .

٤٧. ثم خَوَّفَ كفار مكة ، وعَزَّى نبيه ﷺ ، فقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآلِهَتِنَا﴾^(٢) ؛ أي بالدلالات الواضحات على صدقهم . وقال ابن عباس : «بالفرائض والحلال والحرام» .

وقال مقاتل : «أخبروهم بالعذاب أنه نازل بهم إن لم يؤمنوا»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ﴾ : كفروا بآياتهم^(٤) .

وقال الكلبي : «جرمهم هاهنا : الكفر»^(٥) .

(١) تنوير المقياس ٣٤٢ ، وأخرجه ابن جرير ٥٣/٢١ عن مجاهد .

(٢) تفسير مقاتل ٨٠ أ .

(٣) تفسير مقاتل ٨٠ أ .

(٤) الضمير يعود على البينات التي جاء بها الرسل ، كما يدل عليه سياق الآية .

(٥) تنوير المقياس ٣٤٢ ، وهو قول مقاتل ٨٠ أ .

﴿وَكَاثَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال الحسن : «نصر المؤمنين : إنجاؤهم مع الرسل من عذاب الأمم» ، وهو قول الكلبي ومقاتل^(١) ، ومعنى : ﴿وَكَاثَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ واجباً ، يعني وجوباً هو أوجبهُ على نفسه من حيث أخبر به ، وإذا أخبر بشيء حق ذلك الشيء ، ووُجِدَ على ما أخبر به ، وقد أخبر أنه ينجي المؤمنين من عذاب المكذبين . ولا يجب على الله شيء ابتداءً بخلاف ما قالت القدرية . وفي هذا تبشير النبي ﷺ بالظفر في العاقبة ، والنصر على مَنْ كَذَبَهُ .

٤٨ . قال مقاتل : «ثم أخبر عن صنعه ليعرفوا توحيدَه فقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾^(٢) يزعجه من حيث هو ﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ الله ﴿فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾» . قال مقاتل : «إن شاء بسطه مسيرة يوم ، أو بعض يوم ، أو مسيرة أيام^(٣) ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ ؛ أي قطعاً^(٤) ، بعد أن بسطه الله يجعله قطعاً متفرقاً يسير بها الريح» . وتفسير الكِسْف قد ذكرناه في أواخر سورة بني إسرائيل^(٥) .

(١) تنوير المقباس ٣٤٢ ، وتفسير مقاتل ٨٠ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٨٠ أ .

(٣) تفسير مقاتل ٨٠ أ ، والمراد بذلك المطر النازل من السحاب تختلف كثرتُه وقلته ، من مسيرة يوم أو أيام ، وهذا مقصود مقاتل ؛ إذ قال : «أو مسيرة أيام يمطرون» . والظاهر من الآية بسطه في السماء قبل نزوله ، بدليل ما ذكر في الآية بعد ذلك من تقطيع السحاب ، ثم نزول المطر ، والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٤ / ٢١ عن قتادة ، والزجاج في معاني القرآن ١٨٩ / ٤ ، ولم ينسبه .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿أَوْ تَشُقُّطُ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء : ٩٢] ، قال الواحدي : «قوله تعالى : ﴿كِسْفًا﴾ فيه وجهان من القراءة : جزم السين ، وفتحها» ، وقال أبو زيد : «يقال كسفت الثوب أكسفته كسفاً ، إذا قطعتَه قطعاً» ، وقال الفرّاء : «وسمعت أعرابياً يقول لبزاز : أعطني كِسْفَةً ، يريد : قطعة كقولك : خِرْقَةٌ . روى عمرو عن أبيه : يقال لخِرْقِ القميص قبل أن يُؤْلَفَ : الكِسْفُ ، واحداً كِسْفَةً» .

وقوله : ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ حِلِّهِ ﴾ مفسّر في سورة النور ^(١) . ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ﴾ بالمطر ﴿ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون بنزول المطر عليهم ^(٢) .

٤٩ . ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ قَبْلِهِ ﴾ : اختلفوا في تفسير ﴿ قَبْلِ ﴾ ؛ فذكر أبو إسحاق وابن الأنباري فيه قولين ؛ أحدهما : أن الأولى داخلة في الإنزال ، والثانية على المطر . والمعنى : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ ﴾ إنزال المطر ، من قبل المطر ، فلمّا دخلت الثانية على غير ما دخلت عليه الأولى صلح الجمع بينهما ، كما تقول : أجيئك من قبل أن تجلس ، من قبل أن تبلغ إلى المجلس ، فلا تُنكر الإعادة إذا اختلف الشيئان . هذا كلام أبي بكر ^(٣) ، وهو قول قطرب ^(٤) .

القول الثاني : إن تكرير ﴿ قَبْلِ ﴾ إطناب بمعنى التوكيد ^(٥) . والمعنى : وإن كانوا من قبل إنزال المطر ﴿ لَمُبْلِسِينَ ﴾ . قال أبو إسحاق : « والقول ما قال ^(٦) ؛ لأن تنزيل المطر بمعنى المطر ؛ لأن المطر لا يكون إلّا تنزيلاً ، كما أن الرياح لا تُعرف إلّا

(١) عند قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ سَحَابًا ﴾ [النور : ٤٣] .

(٢) تفسير مقاتل ٨٠ ب .

(٣) المراد به ابن الأنباري ؛ ولم أقف على قوله .

(٤) نسبه إلى قطرب الزّجاج ١٨٩ / ٤ ، والثعلبي ١٧٠ / ٨ ، وحكاه ابن جرير ٥٤ / ٢١ ، ولم ينسبه ؛ أي لمّا اختلف المضاف إلى الضمير لفظاً صح تكراره ، والمعنى واحد ، فالأول من قبل إنزال المطر ، والثاني من قبل المطر ، والمطر لا يكون إلّا تنزيلاً .

(٥) هذا قول الأخفش في معاني القرآن ٦٥٨ / ٢ ، واختاره ابن جرير ٥٤ / ٢١ .

(٦) هكذا في النسختين : (قال) ، والصواب : (ما قالوا) ، كما هو واضح من سياق الكلام عند الزّجاج ؛ قال : « وقال الأخفش وغيره من البصريين : تكرير قبل على جهة التوكيد . والمعنى : وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لمبلسين ، والقول كما قالوا ؛ لأن تنزيل المطر . . . » .

بمرورها^(١)، يعني أن قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ﴾ بمعنى: من قبل المطر عن الإنزال حتى يقال: إن قبل الأولى للإنزال، والثانية للمطر، كما قال قطرب^(٢).

وقوله: ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾؛ أي آيسين قانطين من المطر، قاله ابن عباس ومقاتل^(٣)، والتقدير: وما كانوا إلا مبلسين، وقد تقدّم لهذا نظائر.

٥٠. قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؛ أي بعد إنزال المطر، فانظر إلى حسن تأثيره في الأرض. وتقرأ: (آثار) على الجمع^(٤)؛ فمن أفرد فلائنه مضاف إلى مفرد، ومن جمع جاز؛ لأن رحمة الله يجوز أن يراد بها الكثرة، كما قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، [النحل: ١٨]^(٥). قال مقاتل: «آثر رحمة الله» يعني النبت، وهو أثر المطر^(٦). والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه.

وقوله: ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي كيف يجعلها تنبت بعد أن لم يكن فيها نبت.

(١) معاني القرآن للزجاج ١٨٩/٤.

(٢) يمكن حمل الضمير في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ على لفظ الاستبشار المفهوم من قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، أو على الحال الموصوف في الآية السابقة إجمالاً المتضمن وصف السحاب وكيفية تكونه وسوقه وبسطه في السماء قبل خروج الودق منه وأثنائه، وهذا - كما يظهر - أحسن وأولى بالسياق من القول بالإطناب، والله أعلم.

(٣) تفسير مقاتل ٨٠ ب، وأخرجه ابن جرير ٥٤/٢١ عن قتادة، وكذا ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٤٢، ولم ينسبه.

(٤) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر: (إلى أثر) واحدة بغير ألف، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم: ﴿آثَرٍ﴾ جماعة. انظر: السبعة في القراءات ٥٠٨، والحجة للقرء السبعة ٤٤٨/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٤٥/٢.

(٥) الحجة للقرء السبعة ٤٤٨/٥ بنصه.

(٦) تفسير مقاتل ٨٠ ب.

(إِنَّ ذَلِكَ) الذي فعل ما ترون ؛ وهو الله تعالى : ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ في الآخرة ، فلا تكذبوا بالبعث^(١) ، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من البعث والموت .

ثم عاب كافر النعمة والجاهل بأن الله تعالى يفعل ما يشاء ، فقال :

٥١ . ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد عذاباً» ، يعني ريحاً هي العذاب كما قال مقاتل : «ريحاً باردة مضرّة»^(٢) . والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريد بها العذاب ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب الرياح : «اللَّهُم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»^(٣) .

قوله تعالى : (فَرَأَوْهُ) : يعني النبت والزرع الذي كان من أثر الريح رحمة الله ﴿مُصْفَرًّا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «متغيراً من البرد بعد الخضرة»^(٤) .

(١) تفسير مقاتل ٨٠ ب .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ٨ / ١٧٠ ب ، ولم ينسبه ، ونحوه تفسير مقاتل ٨٠ ب .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٤ / ٣٤١ ، رقم ٢٤٥٦ من طريق حسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس ، يرفعه ، ومن الطريق نفسه أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١ / ١٧٠ ، رقم ١١٥٣٣ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ١٣٥ : «فيه حسين بن قيس الملقب بحنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير» ، وهذا الحديث له طريق آخر ، قال الشافعي : «أخبرني من لا أتهم ، أنبأنا العلاء بن راشد ، عن عكرمة عن ابن عباس . . . الحديث ، وقال الأصم : «سمعت الربيع بن سليمان يقول : كان الشافعي إذا قال : أخبرني من لا أتهم ، يريد به : إبراهيم بن أبي يحيى السلمي» . تخريج الزيلعي لأحاديث الكشف ٣ / ٥٩ .

قال ابن حجر : «إبراهيم بن يحيى هذا ضعيف» . انظر : الشافعي الكاف بحاشية الكشف ٣ / ٤٦٨ ، وقال الألباني عن إسناده الشافعي : «فيه العلاء بن راشد مجهول ، يروي عنه إبراهيم بن أبي يحيى ، وهو الأسلمي : متهم» . انظر : مشكاة المصابيح ١ / ٤٨٣ ، رقم ١٥١٩ .

(٤) تفسير مقاتل ٨٠ ب .

وقوله : ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ . قال : «معناه : لِيَظْلُنَّ» . معنى الكلام : الشرط والجزاء ^(١) . قال الخليل : «معناه : لِيَظْلُنَّ ، فأوقع الماضي موقع المستقبل ^(٢) ، كقول الحطيئة :

شَهِدَ الحَاطِيئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ

أي : يشهد ^(٣) .

وقوله : ﴿بَعْدِهِ﴾ ؛ أي من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة ، وهذا بيان عن حال الجاهل عند المحنة من كفره ما سلف من النعمة .

قال أبو إسحاق : «يعني فهم يستبشرون بالغيث ، ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث ، وجف النبت» ^(٤) .

قال الكلبي : «يقول الله تعالى : لو فعلت ذلك بهم لفعلوا» ^(٥) ، يعني أنهم يفرحون عند الخصب ، فلو أرسلت عذاباً على زرعهم كفروا سالف نعمتي ، وكفروا ما كانوا يستبشرون به ، وليس كذا حال المؤمن ؛ لأنه لا يستشعر الحيبة والكفران عند الشدة والمحنة .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٨٩ / ٤ .

(٢) قال سيويه في الكتاب ١٠٨ / ٣ : «وسألته عن قوله - عز وجل - : ﴿وَلَمَّا أَرْسَلْنَا بِحَا فَرَاوُهُ مُصَفَّرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ، فقال : هي في معنى : ليفعلن ، كأنه قال : ليظلن ، كما تقول : والله لا فعلت ذلك أبداً ، تريد معنى : لا أفعل . وقد ذكر الواحدي بنصه في سر صناعة الإعراب ٣٩٨ / ١ .

(٣) أنشده كاملاً ابن جني ، ونسبه في سر صناعة الإعراب ٣٩٨ / ١ ، وعجزه :

أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ

والوليد هو : الوليد بن عقبة بن أبي معيط . انظر : ديوان الحطيئة ١٩٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٨٩ / ٤ .

(٥) تنوير المقياس ٣٤٣ .

٥٢-٥٣. قوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ : هذه الآية ، والآية التي بعدها مُفَسِّرَتَانِ فِي سُورَةِ النَّمْلِ ^(١) .

٥٤. قال مقاتل : «ثم أخبر عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث في خلق نفسه ، فقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾» ^(٢) . قال قتادة والكلبي : «يعني من نطفة» ^(٣) .

قال الزَّجَّاج : «تأويله أنه خلقكم من التُّطْفِ في حال ضعف» ^(٤) .

قال أبو علي : «المعنى : خلقكم من ذي ضعف ؛ أي من ماء ذي ضعف ، كما قال : ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات : ٢٠]» ^(٥) . ومعنى ضَعَفَ ذلك الماء أنه قليل .

(١) عند قوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ . [النمل : ٨٠] .

(٢) تفسير مقاتل ٨٠ ب .

(٣) أخرجه ابن جرير ٥٦/٢١ عن قتادة ، ومقاتل في تفسيره ٨٠ ب ، وتنوير المقباس ٣٤٣ ، وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن ٣٤٣ ، ولم ينسبه .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٩٠ .

(٥) الحجة للقرآن السبعة ٥ / ٤٥٠ .

وَقُرِئَ: ﴿زَعَفٍ﴾ بفتح الضاد^(١)، وهما لغتان^(٢). قال الفراء: «الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، والاختيار: الضم لما روي أن ابن عمر قرأ على النبي ﷺ بالفتح، فردَّ عليه بالضم»^(٣).

(١) قرأ عاصم، وحمزة: ﴿مِنْ زَعَفٍ﴾، و﴿مِنْ بَعْدِ زَعَفٍ﴾، و﴿زَعَفًا﴾ بفتح الضاد فيهن كلهن، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي بضم الضاد فيهن كلهن، وقرأ حفص عن نفسه لا عن عاصم بضم الضاد. انظر: السبعة في القراءات ٥٠٨، والحجة للقراء السبعة ٥/٤٥٠. قال ابن الجزري: «وقد صح عن حفص الفتح والضم جميعاً». انظر: النشر في القراءات العشر ٣٤٥/٢.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/٤٥٠.

(٣) لم أجده عند الفراء، ولكن نسبه إليه الثعلبي ٨/١٧٠ ب، واختار هذه القراءة للرواية الرَّجَّاج ١٩١/٤.

والحديث أخرجه الإمام أحمد ٧/١٥٣، تحقيق: أحمد شاكر، والترمذي ٥/١٧٤، كتاب: القراءات: رقم ٢٩٣٦، وأبو داود ٤/٢٨٣، كتاب: الحروف والقراءات، رقم ٣٩٧٨، والحاكم ٢/٢٧٠، كتاب: التفسير، رقم ٢٩٧٤، وأخرجه الثعلبي ٨/١٧٠ ب، كلهم من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي، قال: «قرأت على ابن عمر: ﴿مِنْ زَعَفٍ﴾ فقال: ﴿مِنْ زَعَفٍ﴾ قرأتها على رسول الله ﷺ، كما قرأتها علي، فأخذ علي كما أخذت عليك». وضعَّف هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر لضعف عطية العوفي، راويه عن ابن عمر، مسند الإمام أحمد ٧/١٥٣، تحقيق: أحمد شاكر، والحديث لا يُعرف بهذا اللفظ إلا من طريقه كما قال الترمذي: «لأنعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي». وقال الحاكم: «تفرد به عطية العوفي، ولم يحتج به»، وقد احتج مسلم بالفضيل بن مرزوق. وعطية هذا قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ٦٨٠، رقم ٤٦٤٩: «صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً»، وحسَّن الحديث الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/١٤، رقم ٢٣٣٩، وأحال على كتابه الروض النضير، وهذا الكتاب غير مطبوع؛ فلعل تحسین الألباني له لورود هذا الحديث من طريق آخر. قال الطبراني في المعجم الصغير ٢/٣٩٧، رقم ١١٠٠: «حدثنا هارون بن موسى الأخفش المقرئ الدمشقي، حدثنا سلام بن سليمان المدائني، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، عن نافع عن ابن عمر، قال: «قرأت على رسول الله ﷺ...» الحديث. وسلام بن سليمان ضعيف. انظر: تقريب التهذيب ٤٢٥، رقم ٢٧١٩، لذا قال ابن حجر بعد أن ساق هذا الطريق من رواية ابن مردويه، قال: «في إسناد سلام بن سليمان». انظر: الكافي الشاف بحاشية الزخشمري ٣/٤٧٠. وقد ذكر محققو مسند الإمام أحمد رواية الطبراني، ولم يقووا بها هذا الحديث، بل قالوا: قلنا: سلام متروك. انظر: مسند الإمام أحمد ٩/١٨٦، رقم ٥٢٢٧، طبعة مؤسسة الرسالة. وذكر ابن عدي سلام بن سليمان هذا، وقال: «هو عندي منكر الحديث»، ثم ساق له أحاديث =

وقوله : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يعني : قَوَّاهُمْ في حال الشَّيْبَةِ ، وقوله : ﴿مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ : يعني ضعف الطفولة . ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ . قال ابن عباس : «يريد : عند الكبر أدركه الضعف والهرم» . والشَّيْبَةُ : مصدر كالشَّيْب ، قال المُبَرِّدُ : «يعني من حملة الشَّيْب ، فخرج من حملة الشَّيْب مخرج الواحد ، ويعني به الجمع^(١) ، وكذلك القوة والضعف ، وجاز هذا ؛ لأنها مصادر فهي تحيط بالشيء ، تقول : قوي قوة ، وشاب شَيْبَةً ، وضعف ضعفاً ؛ لأنها هيئات تقع على النوع» .

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ؛ أي من ضعف وقوة وشيئة وشباب ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ ، بتدبير خلقه ، ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يريد يوم القيامة ﴿يُقَسِّمُ الْمَجْرُمُونَ﴾ يحلف المشركون ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ إِلَّا سَاعَةً واحدة»^(٢) .

استنكرها عليه ، منها هذا الحديث ، ثم قال : «وهذه الأحاديث عن أبي عمرو عن نافع عن ابن عمر لا يرونها عن أبي عمرو إلا سلام هذا» . انظر : الكامل في ضعفاء الرجال ١١٥٦/٣ . والصواب – والله أعلم – ضعف هذا الحديث ، وأنه لا يرتقي إلى درجة الحسن ، وأقصى ما يفيد الحديث على فرض صحته أن النبي ﷺ ، أنكر على ابن عمر قراءته : ﴿ضَعْفٍ﴾ بغير القراءة التي أقرأه إياها ، وذكر الواحدي عن الفراء أن الضم لغة قريش ، والفتح لغة تميم ، وعلى ذلك لا يؤخذ من هذا الحديث تفضيل قراءة الضم على قراءة الفتح ، والله تعالى أعلم .

(١) قول المُبَرِّدُ : «من حملة الشَّيْب» ، الظاهر منه أنه جعل لفظ «الشَّيْبَةُ» أحد أفراد الشَّيْب على اعتبار أن لفظ الشَّيْب مصدر فيه عموم وشمول وإحاطة على حد قوله : «فهي تحيط بالشيء» ، وعليه فلفظ «شَيْبَةً» مفرد كما هو ظاهر من لفظه أريد به الجمع ، والله أعلم .

(٢) تفسير مقاتل ٨١ أ ، وتفسير ابن جرير ٥٧/٢١ ، وهو قول الرَّجَّاج ١٩١/٤ ، والثعلبي ١٧٠/٨ .

وقال قتادة : « ما لبثوا في الدنيا غير ساعة »^(١) ، والقول هو الأول ؛ لأن الآية الثانية دلّت عليه^(٢) . قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ . قال الرَّجَّاج : « مثل هذا الكذب كذبهم ؛ لأنهم أقسموا على غير تحقيق »^(٣) .

وقال الكلبي : « كذبوا في قولهم : ﴿ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ كما كذبوا في الدنيا »^(٤) .

وقال مقاتل : « يقول : هكذا كانوا يكذبون بالبعث في الدنيا ، كما كذبوا أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة »^(٥) .

وقال ابن قتيبة : « أي : كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل ، ويقال : أفك فلان ؛ إذا عدل به عن الصدق وعن الخير »^(٦) ، وهذا إخبار عن حال المجرم من إقدامه على الإفك ، عاقبة أمره كإقدامه في ابتدائه .

وذكر مقاتل وغيره في سبب كذبهم : « أنهم استقلوا قدر لبثهم في الدنيا في القبور لما عاينوا الآخرة »^(٧) . والصحيح في معنى الآية أنهم كذبوا من غير عذر ، بل حلفوا كاذبين كذباً صريحاً ؛ لأنهم لو استقصروا مدة لبثهم وخيل إليهم أنهم لم يلبثوا إلا ساعة كانوا معذورين في كذبهم ، وليس الأمر على ذلك ، ولكن الله تعالى أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لأهل الجمع من المؤمنين أنهم كاذبون في ذلك ، ويستدلون بكذبهم هناك على كذبهم في الدنيا بالشرك والكفر ،

(١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٥٠٢/٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وعبد بن حميد .

(٢) وهي قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٦] .

(٣) معاني القرآن للرجَّاج ١٩٢/٤ .

(٤) تنوير المقياس ٣٤٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٨١ أ .

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٣ .

(٧) تفسير مقاتل ٨١ أ .

وكان ذلك من قضاء الله وقدره بدليل قوله : ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ ؛ أي يُصِرُّون ، يعني كما صُرفوا عن الصدق في حلفهم حتى حلفوا كاذبين صُرفوا في الدنيا عن الإيمان ، ولو أراد : كذلك كانوا يكذبون لقال : يَأْفِكُونَ ، فلما قال : ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ دلَّ على إثبات القَدَر . ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم بقوله :

٥٦ . ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ ؛ أي لبثتم في القبور في خبر الكتاب إلى يوم القيامة^(١) ، وهو قوله : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] ، وقيل : المعنى في ما كتب الله لكم من اللبث .

وقال الزَّجَّاج : «في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ»^(٢) .

وقال صاحب النظم : «في حكم الله الذي حكم به في قوله : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾» . وأما المفسرون فإنهم يقولون : «هذا على التقديم ، على تقدير ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾» ؛ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾» ، وهو قول الكلبي و قتادة^(٣) ، وهذا يحتمل تأويلين ؛ أحدهما : الذين يعلمون كتاب الله فلهم فيه علم ، والثاني : الذين حكم لهم في كتاب الله بالعلم ، وأخبر في الكتاب عن علمهم .

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ٣٤٣ بنصه .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ١٩٢ .

(٣) ذكره السيوطي عن قتادة في الدر المنثور ٥٠٢ / ٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد . وقد وقع خطأ في كتابة قول قتادة في تفسير ابن جرير ٥٧ / ٢١ ؛ حيث كتب : «هذا من مقادير الكلام ، وتأويلها : وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم : لقد لبثتم في كتاب الله» . والصواب ما ذكره السيوطي في الدر ، ونسبه أيضاً لابن جرير ، وقال بقول قتادة في تفسيره ٨١ أ ، ونسبه الثعلبي ٨ / ١٧١ إلى قتادة ومقاتل .

قوله تعالى : ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾ ؛ أي اليوم الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ، وتكذبون به ، ﴿ وَلَكِنَّا نَكْنُكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقوعه في الدنيا ، فلا ينفعكم العلم به الآن ؛ يدل على هذا المعنى قوله تعالى :

٥٧. ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد : لا يُقبل من الذين أشركوا عذر ، ولا عتاب ، ولا توبة ذلك اليوم » . وقُري : ﴿ لَا يَنْفَعُ ﴾ بالياء^(١) ؛ لأن التأنيث ليس بحقيقي ، وقد فصل الفعل بين الفاعل وفعله^(٢) . وإذا انضم إلى أن التأنيث ليس بحقيقي ، قوي التذكير^(٣) .

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ؛ أي لا يطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة .

٥٨. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ ﴾ : بَيَّنَّا ووصفنا^(٤) للمشركين ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ احتجاجاً عليهم ، وتنبهاً لهم . ﴿ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد كما أرسل الأولون قبلك ، يعني بآية ؛ كالعصا واليد ، وغير ذلك من آيات الأنبياء ﴾ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ أصحاب أباطيل ، وهذا إخبار عن عنادهم وتكذيبهم ، وأنهم لا يعقلون عن

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عامر : (لَا تَنْفَعُ) بالياء ، وقرأ عاصم ، وحزمة ، والكسائي : ﴿ لَا يَنْفَعُ ﴾ بالياء . انظر : السبعة في القراءات ٥٠٩ ، والحجة للقرءاء السبعة ٥٠٥ / ٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٤٦ / ٢ .

(٢) ورد في النسختين : « وقد فصل الفعل بين الفاعل وفعله » ، وورد في الحجة لأبي علي ٤٥٠ / ٥ : « وقد وقع الفصل بين الفاعل وفعله » ، وهذا هو الصواب ؛ فالمفعول ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ فصل بين الفاعل ﴿ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ والفعل ﴿ يَنْفَعُ ﴾ .

(٣) الحجة للقرءاء السبعة ٥٠٥ / ٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٨١ أ .

شركهم وكفرهم بالآيات الواضحة إن أتوا بها». ثم ذكر سبب ذلك ، فقال :

٥٩. ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتوحيد الله ، وكل من لم يؤمن بالله ويعلم توحيده فذلك لأجل طبع الله على قلبه .

٦٠. ولمّا أخبر عن الطبع على قلوبهم أمر نبيه ﷺ بالصبر إلى وقت النصر فقال : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بنصر دينك ، وإظهارك على عدوك حق^(١) . ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي : لا يستفزونك عن دينك ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ؛ أي هم ضالون شاكون»^(٢) .

وقال الأزهري : «استخف فلان فلاناً إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه ، ومنه قوله : ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٣) ولا يستخفن رأيك وحلمك» ، وهذا هو المعنى ، وهو الذي يليق بالصبر ؛ أمره الله تعالى بالصبر ، وأن يثبت إلى أن يأتي وقت نصره ، وإهلاك من ناوأه . وقال ابن عباس : «﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ما جئت به» .

وقال مقاتل : «لا يوقنون بنزول العذاب عليهم في الدنيا ؛ وهم الذين عذبهم الله ببدر»^(٤) .

وقيل : ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث والحساب .

(١) معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٤ ، وفيه : «يستفزّك» .

(٣) تهذيب اللغة (خف) ٩/٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٨١ أ .

تفسير

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢-١ . ﴿الْعَمَّ﴾ تقدّم تفسيره في سورة البقرة^(١) . ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ تقدّم تفسيره هناك^(٢) ، وفي سورة يونس^(٣) .

(١) الآية رقم ١ وما بعدها . وقد ذكر المؤلف رحمه الله - أقوالاً كثيرة في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور ، ولعل الراجح منها - والله أعلم - هو ما ذهب إليه المحققون من أن هذه الحروف إنما ذكرت بياناً لإعجاز القرآن . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٨ / ١ : « وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكر فيها بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها » . وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن السُّبْرَدِ وجمع من المحققين ، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية ، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي ، وحكاه لي عن ابن تيمية .

(٢) الآية رقم ٢ من سورة البقرة .

(٣) الآية رقم ١ .

٣. [قوله]^(١): ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ : القراءة بالنصب على الحال . المعنى : تلك آيات الكتاب في حال الهداية^(٢) والرحمة ، قاله الزَّجَّاج^(٣) ، وهو معنى قول الكسائي والفرَّاء .

وقرأ حمزة : (هدى ورحمة) بالرفع على إضمار هو ، وعلى معنى : تلك هدى ورحمة ، هذا قول أبي إسحاق ، وهو معنى قول الفرَّاء^(٤) : رفعها حمزة على الاستئناف ؛ لأنها مستأنفة في آية منفصلة من الآية التي قبلها^(٥) .

وقال أبو علي : «وجه النصب أنه انتصب على الاسم المبهم ، وهو من كلام واحد ، والرفع على إضمار المبتدأ ؛ أي هو هدى ورحمة»^(٦) .

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي : «بيان من الضلالة والرحمة من العذاب»^(٧) . ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(٨) : للموحِّدين من أمة محمد ﷺ .

٤. قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ . قال صاحب النظم : «يحتمل أن يكون هذا متصلاً بما قبله على أن يكون نعتاً للمحسنين ، ويحتمل أن يكون منقطعاً مبتدأ ، ويكون :

٥. قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ خبر له ، وعلى القول الأول : ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ مما قبله ، وخبره في قوله : ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) في (أ) : (البداية) ، وهو خطأ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٩٣ / ٤ .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٢٣٦ .

(٥) معاني القرآن ٢ / ٢٣٦ .

(٦) الحجة ٥ / ٤٥٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٨١ أ ، ولم أقف على مَنْ نسبته إلى الكلبي .

(٨) ساقط من (أ) ، وفي (ب) : (للمؤمنين) ، وهو خطأ .

﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ثانٍ معطوف على ما قبله ، وخبره في قوله : ﴿هُمْ أَمُفْلِحُونَ﴾ ، وتفسير هذه الآيات [ماضٍ] ^(١) في ما تقدّم ^(٢) .

٦ . قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَّهُوَ الْحَدِيثُ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «نزلت في النضر بن الحارث الداري وكان يشتري كتباً فيها أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ، ويقول : محمد يحدثكم أحاديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم حديث ^(٣) فارس والروم وملوك الحيرة» ^(٤) .

قال مقاتل : «هو الحديث : باطل الحديث ، يعني باع القرآن بالحديث الباطل حديث رستم وإسفنديار ، فزعم أن القرآن مثل حديث الأولين» ^(٥) ، وهذا القول هو [قول] ^(٦) الفرّاء وابن قتيبة ^(٧) ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء ، قال : «ومن يشتري» ^(٨) هو النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة فاشترى أحاديث الأولين ، وجاء بها إلى مكة ، واجتمع إليه المشركون يقرأها عليهم ، ويقول : أنا اقرأ عليكم كما يقرأ عليكم محمد أساطير الأولين» ، هذا قول معمر ^(٩) ^(١٠) .

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (ب) .

(٢) عند الآية رقم : ٥ من سورة البقرة .

(٣) في (ب) : (أحاديث) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨١/أ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/٣٢٦ ، وتفسير الماوردي ٤/٢٩ ، وزاد المسير

٦/٣١٦ . الحيرة (بالكسر ثم السكون) : مدينة كانت على بُعد ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له : النجف ، زعموا أن بحر فارس كان يتصل بها . انظر : معجم البلدان لياقوت ٢/٣٢٨ .

(٥) تفسير مقاتل ٨١/أ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) ذكره الفرّاء في معاني القرآن ٢/٣٢٦ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٤٤/٣٤٤ .

(٨) في (أ) : زيادة (قال) ، وهو خطأ .

(٩) ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٥٢ ، وذكره الفرّاء في معاني القرآن ٢/٣٢٦ من دون نسبة .

(١٠) الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي ، مولا هم البصري نزيل اليمن ، صاحب الزهري كهلاً ، وأقدم شيوخه موتاً قتادة ، وُلِدَ سنة خمس وتسعين أو ست وتسعين هجرية ، ارتحل في طلب الحديث إلى اليمن ، فلقني بها همام بن منبه صاحب أبي هريرة . حدّث عن قتادة والزهري =

وأكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث : الغناء ، وهو رواية سعيد بن جبير ومقسم عن ابن عباس^(١) ، وأبي الصهباء^(٢) عن ابن مسعود^(٣) ، وهو قول مجاهد وعكرمة^(٤) .

وروى ابن أبي [. . .]^(٥) عن أبيه عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : « اشتراء الجارية تغنيه ليلاً ونهاراً »^(٦) .

وعمر بن دينار وهمام بن منبه وغيرهم كثير ، وحَدَّث عنه أيوب وأبو إسحاق وعمر بن دينار وغيرهم ، توفي سنة ١٥٣ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٥ / ٧ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٣٥ ، وطبقات ابن سعد ٥ / ٥٤٦ .

(١) انظر : تفسير الطبري ٦١ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٣٢٨ ، ومجمع البيان ٨ / ٤٩٠ ، وزاد المسير ٣١٦ / ٦ ، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠ / ٢٢٣ .

(٢) صهيب أبو الصهباء البكري البصري ، ويقال : المدني ، مولى ابن عباس ، روى عن مولاة ابن عباس وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وابن مسعود ، وروى عنه سعيد بن جبير وطاوس بن كيسان وجماعة . قال عنه أبو زرعة : « مدني ثقة » ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له مسلم وأبو داود والنسائي ، وقد ضَعَفَه النسائي . انظر : تهذيب الكمال ١٣ / ٢٤١ ، والكاشف ١ / ٥٠٥ ، والتاريخ الكبير ٤ / ٣١٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٦١ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٣٢٨ ، ومجمع البيان ٨ / ٤٩٠ ، وزاد المسير ٣١٦ / ٦ . وأخرجه الحاكم في المستدرک : كتاب : التفسير (سورة لقمان) ٢ / ٤١١ ، وقال عنه : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٢٢٣ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٠٥ ، وتفسير الطبري ٦١ / ٢١ وما بعدها ، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٨١ ب ، وتفسير الماوردي ٤ / ٣٢٨ ، وزاد المسير ٦ / ٣١٦ .

(٥) ما بين المعقوفين بقدر كلمة غير واضحة .

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٢٢٣ عن ابن عباس ، قال : « هو الغناء وأشباهه » ، وكذا في معرفة السنن والآثار ١٤ / ٣٢٧ ، رقم ٢٠١٥٧ .

روى ابن أبي نجيب عن مجاهد في هذه الآية ، قال : « اشترى المغني والمغنية بالمال الكثير والاستماع إليه وإلى مثله من الباطل »^(١) ، وهو قول مكحول^(٢) .

وروي ذلك مرفوعاً ، روى القاسم عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ، وأثمانهن حرام » ، وفي مثل هذا نزلت الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾^(٣) ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق ، قال : « أكثر ما جاء في التفسير أن لهو الحديث هاهنا الغناء ؛ لأنه يلهي عن ذكر الله »^(٤) .

قال أهل المعاني : « ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعاذف على القرآن »^(٥) . وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء ، ولفظ الشراء يذكر في الاستبدال والاختيار ، وهو كثير في القرآن ، ويدل على هذا ما قال قتادة في هذه الآية : « أما والله لعله ألا يكون^(٦) أنفق مالا ، وبحسب المرء من الضلالة أن يختار

(١) ورد في تفسير مجاهد ٥٠٣ ، وتفسير الطبري ٦٢ / ٢١ ، وذكره السيوطي في الدر ٥٧٠ / ٦ ، وعزاه إلى آدم وابن جرير والبيهقي في سننه .

(٢) ذكر قول مكحول البغوي في تفسيره بهامش تفسير الخازن ٢١٤ / ٥ ، والخازن في تفسيره ٢١٤ / ٥ . قال مكحول : « من اشترى جارية ضاربة ليمسكها لغنائها وضر بها مقيماً عليه حتى يموت لم أصل عليه ، وإن الله يقول : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ الآية » .

(٣) رواه أحمد ٢٦٤ / ٥ ، والترمذي ٢٦ / ٥ ، وقال : « هذا حديث غريب » ، وابن ماجه في التجارات ، باب : ما لا يحل بيعه ، رقم ٢١٦٨ ، والطبري في تفسيره ٦٠ / ٢١ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٣ ، ٢١٢ / ٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٤ / ٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للقرءاء ٣٢٧ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٤ / ٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٧٧ / ٥ وما بعدها .

يقصد بأهل المعاني من كتبوا في معاني القرآن من جهة اللغة والنحو ، كالقرءاء والزجاج وابن الأنباري والأخفش . قال في البرهان ١٩٢ / ١ : « قال ابن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني ، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله » .

(٦) في (ب) : (إلا أن يكون) .

حديث الباطل على حديث الحق»^(١). وهذه الآية -على هذا التفسير- تدل على تحريم الغناء ، وفيه تفصيل يحتاج إلى ذكره هاهنا .

قال الشافعي رحمه الله : «وإن كان يديم الغناء ، ويغشاه المغنون معلناً فهذا سفه يرد به معنى الشهادة ، وإن كان ذلك بقل لم يرد ، فأما استماع الحداء ونشيد الأعراب والرجز فلا بأس به»^(٢) . هذا كلامه .

قال أصحابنا : «نشيد الأعراب يجوز استماعه ، وإن أنشد في الألمان في الحداء وغيره ، وأما الغناء المحض فالقليل منه لا يُعَدُّ سفهاً ، والمداومة عليه من جملة السفه لاسيما مع الإعلان ، وأما الأوتار والمزامير والمعازف فكلها حرام ، وكذلك طبل اللهو ، أما الراعي فمكروه استماعه مع تخفيف فيه ؛ لما روي عن نافع عن^(٣) ابن عمر سمع صوت زمارة راع ، فجعل إصبعيه في أذنيه ، وعدا عن الطريق ، وجعل يقول : يا نافع ، أسمع ؟ فأقول : نعم ، فلمّا قلت : لا ، راجع الطريق ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل»^(٤) . فلمّا اقتصر رسول الله ﷺ على وضع الإصبع في الأذن ولم يصرح بالنهي عنه ، دلّ على ما ذكرنا . وأما غناء الفساق فذلك أشد ما في الباب ؛ وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه ، وهو ما روي أن النبي ﷺ قال : «من استمع إلى قينة صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة»^(٥) .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٠٥ ، وتفسير الطبري ٢١/ ٦١ ، والمحزر الوجيز ١١/ ٤٨٤ .

(٢) الأم ٦/ ٢١٤ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (أن) .

(٤) ذكره صاحب كنز العمال ١٥/ ٢٢٧ ، رقم الحديث ٤٠٦٩٢ ، وقال : «أخرجه ابن عساکر» ، وأورده

السيوطي في الدر ٦/ ٥٠٧ ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن نافع .

(٥) ذكره صاحب كنز العمال ٣/ ٦٦٢ ، وقال : «أخرجه ابن عساکر عن أنس» .

وأما الدف فمباح ، ضُرب بين يدي رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة ، فهَمَّ أبو بكر بالزجر ، فقال رسول الله ﷺ : «دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح» ، فكن يضربن ويقلن :

نَحْنُ بَنَاتُ النَّجَارِ حَبْذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ^(١)

وأما الحركة التي تعتري الإنسان عند السماع ، فما حصل منه والإنسان فيه كالمغلوب فذلك لا يُعَدُّ سفهاً ؛ فقد روي أن زيد بن حارثة لَمَّا نزل اسمه في القرآن حجل^(٢) . وأما حالة الاختيار فذلك غير حميد ، فمعناه :

قوله تعالى : ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال مقاتل : «يعني لكي يشترك بحديث الباطل عن دين الله^(٤) ﴿يَغْيِرَ عِلْمِهِ﴾ يعلمه» ، وقال أبو إسحاق : «مَنْ قرأ : ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء ليضل غيره إذا أضل غيره فقد ضل هو أيضاً ، وَمَنْ قرأ ﴿لِيُضِلَّ﴾ فمعناه : ليصير أمره إلى الضلال ، وهو إن لم يقدر أن يضل فإنه يصير أمره إلى أن يضل»^(٥) .

ومعنى قوله : ﴿يَغْيِرَ عِلْمِهِ﴾ ؛ أي جاهل في ما يفعله عن علم .

(١) ذكر هذا الأثر في البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢١٩ ، وفي السيرة النبوية ٢/ ٢٧٤ ، وقال عنه : «هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لم يروه أحد من أصحاب السنن» ، وقد خرجه الحاكم في مستدركه كما يروي ، وذكره الحلبي في السيرة الحلبية ٢/ ٢٤٦ ، وأورده كذلك الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣/ ٢٧٤ .

(٢) قال الأزهري : «الإنسان إذا رفع رجلاً وترث في مشيه على رجل فقد حجل» . قلت : «ومثل هذه الحالة تكون من الإنسان حينما يفرح» . انظر : اللسان ١١/ ١٤٤ .

(٣) هذا الأثر ذكره ابن منظور في اللسان ١١/ ١٤٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨١ ب ، قال : «يعني لكي يستزل بحديث الباطل عن سبيل الله الإسلام» .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٤ .

وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالرفع عطف على يشترى، وبالنصب على ليضل^(١).
واختلفوا في الكناية، فقال مجاهد: «الكناية للسبيل»^(٢)، [ويتخذ سبيل الله هزواً].
قال مقاتل: «آيات القرآن هزواً»^(٣). وذكر الفراء والزجاج وأبو علي القولين،
فقالوا: «قد جرى ذكر الآيات في قوله: ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾ فيجوز الضمير
للآيات، ويجوز أن يكون للسبيل»^(٤). والسبيل يؤنث، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨]^(٥)، وما بعد هذا من الآيات مفسر في مواضع مما تقدم.

١٠. قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ مفسر في ابتداء سورة
الرعد^(٦)، وقوله: ﴿رَوَّسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ مفسر في سورة النحل^(٧).

١٢. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾. قال سعيد بن المسيب: «كان
لقمان أسود من أهل مصر خياطاً»^(٨).

(١) انظر: القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٥٢٣، والحجة ٥/ ٤٥٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢١/ ٦٤.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٨١ ب، قال: «ويتخذ آيات القرآن استهزاء به».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٢٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٩٤، والحجة لأبي علي ٥/ ٤٥٣.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

(٧) عند قوله تعالى: ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَّسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

(٨) انظر: تفسير الماوردي ٤/ ٣٣١.

وقال مجاهد : «كان لقمان الحديث^(١) رجلاً أسود عظيم المشافر»^(٢)^(٣) . وأكثر العلماء على أنه لم يكن نبياً^(٤) .

وروي ذلك عن النبي ﷺ أنه قال : «لم يكن لقمان نبياً ، ولكن كان عبداً كثير التفكير ، حسن اليقين ، أحب الله فأحبه»^(٥) .

وقال عكرمة والسُّدِّي : «كان نبياً»^(٦) . وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٧) . وهؤلاء فسّروا الحكمة في هذه الآية بالنبوة .

وقال مجاهد في تفسير الحكمة هاهنا : «الفقه والعقل وإصابة في القول في غير نبوة»^(٨) .

وقال قتادة : «الفقه في الإسلام ولم يكن يوحى إليه»^(٩) .

وقال مقاتل : «أعطيناه العلم في غير نبوة»^(١٠) .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (الحكيم) .

(٢) المشافر : جمع مشفر ، وهي الشفاه الغليظة .

(٣) ذكر الثعلبي في تفسيره ١٧٢ / ٣ أقول مجاهداً ، فقال : «كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين متشقق القدمين» ، وذكره القرطبي في تفسيره ٥٩ / ١٤ .

(٤) حكى الثعلبي في تفسيره ١٧٢ / ٣ الإجماع على أن لقمان كان حكيماً ولم يكن نبياً ، إلا عكرمة ؛ فإنه قال : «كان نبياً» ، تفرّد بهذا القول .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٢ / ٢ ب عن ابن عمر ، وذكره القرطبي في تفسيره ٥٩ / ١٤ عن ابن عمر أيضاً .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٦٨ / ٢١ ، وبحر العلوم ٢٠ / ٣ .

(٧) لم أجد في ما عندي من مراجع من نسب القول بنبوة لقمان إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - .

(٨) انظر : بحر العلوم ٢١ / ٣ .

(٩) ورد في تفسير الطبري ٦٧ / ٢١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥١١ / ٦ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ٨١ ب .

وقال الكلبي : «العلم والفهم»^(١) .

قوله تعالى : ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾ . قال المُبرِّد : «أي اشكر الله ، وكان هذا تأويل الحكمة ، كقولك : قد تقدمت إلى أن رأيت عمر ، أي أنت عمر»^(٢) ، ومثله قوله : ﴿قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا إِلَهًا﴾ [المائدة: ١١٧] ، وكذلك ما كان مثله .

قال سيبويه : «معناه : أي اعبد الله ، وكذلك ما كان مثله ، قال : ويجوز أن يكون أن التي هي والفعل مصدر» ، تقول : كتبت إليك أن قم ، فتصل أن بلا كما تصل بفعل ، وهذا جائز وليس بالوجه عند سيبويه^(٣) .

وذكر أبو إسحاق القول الأول ، فقال : «يجوز أن يكون أن مُفسّرة فيكون المعنى : أي اشكر الله»^(٤) .

وقال صاحب النظم : «هذا على تأويل أن مَنْ أوتي الحكمة شكر الله ، فكأنه لمّا قال : ﴿ءَايِنَا لِقَمْنِ الْحِكْمَةِ﴾ أعلم أنه قد أمره بالشكر له ، بقوله^(٥) : ﴿وَأَنْطَلَقَ أَلْمَأْمُتُهُمْ أَنْ أَمْشُوا﴾ [ص: ٦٠] . قال ابن عباس : «أن اشكر الله يريد على ما أعطاك الله من الحكمة»^(٦) .

(١) لم أعثر عليه .

(٢) لم أقف على قول المُبرِّد .

(٣) الكتاب ٣/ ١٥٣ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٦١ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٤/ ١٩٥ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (كقوله) .

(٦) لم أقف عليه في ما لدي من مراجع .

وقال مقاتل : «فقلنا له أن اشكر الله في ما أعطاك من الحكمة»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ : يريد من يطع الله فإنما يعمل لنفسه ، قاله ابن عباس^(٢) ، وقال مقاتل : «ومن يشكر الله في نعمه فيوحّد الله فإنما يعمل الخير لنفسه»^(٣) . ومن كفر النعم فلم يوحّد ربه فإن الله لغني^(٤) عن عباده وخلقه . قال عطاء عن ابن عباس : «حميد إلى خلقه»^(٥) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ : قال أبو إسحاق : «موضع إذ نصب بقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾ ؛ أي ولقد آتيناه الحكمة إذ قال لابنه ؛ لأن هذه الموعدة حكمة»^(٦) . ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ . قال ابن عباس : «في الله»^(٧) . قال مقاتل : «كان ابنه وامرأته كفاراً فما زال بهم حتى أسلموا»^(٨) .

قوله : ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ : ذكرنا القراءات ووجوهها في ﴿يَبْنِي﴾ عند قوله : ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ [هود : ٤٢] . وقرأ ابن كثير : (يا بني) مخففة ساكنة الياء ، وكذلك : ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ في رواية الحواس . ووجه ذلك أن الأصل : يا بني ثلاث ياءات ، ثم تحذف ياء الإضافة كما يقال : يا غلام أقبل ، وذكرنا ذلك

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨١ ب .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١٤ / ٦٢ من دون نسبة .

(٣) تفسير مقاتل ٨٢ ب .

(٤) في (ب) : (لغني) .

(٥) لم أقف عليه في ما لدي من مراجع .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٩٦ .

(٧) لم أعثر عليه .

(٨) تفسير مقاتل ٨٢ ب .

في سورة هود^(١)، فلمّا حذف ياء الإضافة بقيت ياء مشدّدة، فخفّفها في الوقف كما تخفّف سر وضر، وكقولك عمران^(٢) :

قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا لَا يَرُوْعَنِي فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَلَا جَانٍ^(٣)

فخفّف النون للوقف وأطلقها [كما شدّدها للوقف وأطلقها في]^(٤) نحو :
سبباً ويمهل، فلمّا حذفت الياء المدغم فيها للوقف بقيت الياء الساكنة، وهي ياء التصغير [هذا إذ وقفها، وإن وصلها هذا]^(٥) إذا وقف، فإن وصلها ساكنة فقد أجرى الوصل مجرى الوقف، وهو قياس «من إنس ولا جان» فإنه خفّف وأدرجه بحرف الإطلاق وهذا يعلمه جاء في الكلام، وغير هذا الوجه في القراءة أولى، ولو كان هذا في فاصلة كان أحسن؛ لأن الفاصلة في حكم القافية. فإن قيل: ياء التصغير لا يوقف عليها ولا تلحق آخر الكلمة، قيل: إنها ليست في حكم الآخرة وإن كان اللفظ على ذلك من حيث كان الحرف المحذوف للتخفيف في الوقف في حكم المثبت؛ لأن الحذف ليس بلازم، له ويدل على ذلك قول الشاعر:

ارهنُ بنيكَ عندهمُ أرهنُ بني^(٦)

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِيْنَ﴾ [هود: ٤٢].

(٢) هكذا في النسخ جميعها، والصواب: (كقول عمران).

(٣) البيت من الكامل، وهو لعمران بن حطان الحروري يمدح به عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاله السُّمَيْرُ في الكامل ٨٩٨/٣، وهو في الحجة ٤/٣٣٦، ٥/٤٥٤، وفي اللسان (جنن) ٩٦/١٣، والمحاسب ٧٦/٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) هكذا وردت العبارة في النسخ جميعها، والذي يظهر أن ما بين المعقوفين خطأ؛ إذ وجوده في النص يجعل الأسلوب ركيكاً ومضطرباً.

(٦) شطربيت من الرجز، لم أقف على تمامه وقائله. وقد ذكر ابن جني في المحاسب ١٠٨/١ أنه جاهلي، وذكر في الخصائص ٣/٣٢٧، واللسان ١٣/١٨٨ من دون نسبة.

فالياء^(١) من بني مخففة للوقف ، والتقدير : بني يا هذا ، فلمّا وقف عليه أسكن وخفّف ، والياء المحذوفة في نية^(٢) الثبات ، وحكمه يدلّك على ذلك أنه كان على خلاف هذا الرد^(٣) النون في بنين ، فلمّا لم يرد النون في بنين علمت أنها في حكم الثبات^(٤) ، وقد ذكرنا مثل هذا في أول الكتاب عند قوله في اسم الله .

وقوله : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ليس من الذنوب شيء أعظم من الشرك بالله»^(٥) .

قال أبو إسحاق : «يعني أن الله هو المحي المميت الرازق المنعم وحده لا شريك له ، فإذا أشرك به أحداً غيره فذلك أعظم الظلم ؛ لأنه جعل النعمة لغير ربها ، وأصل الظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه»^(٦) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ : نزلت في سعد بن أبي وقاص لمّا أسلم ، وذكرنا القصة في أول سورة العنكبوت .

وقوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ﴾ : ذكرنا تفسير الوهن عند قوله : ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾^(٧) . قال ابن عباس والكلبي والسُّدِّي : «ضعفاً على ضعف»^(٨) . قال أبو

(١) في (أ) : (فالهاء) ، وهو خطأ .

(٢) في (ب) : (بنية) ، وهو خطأ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (لرد) من دون ألف قبلها . انظر : الحجة ٣٣٨ / ٤ .

(٤) إلى هنا من قوله : «عمران قد كنت جارك . . . » منقول من الحجة ٣٣٦ / ٤ وما بعدها بتصرف يسير جداً .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٦ / ٤ .

(٧) قوله : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

(٨) لم أقف على من نسبته إلى ابن عباس أو الكلبي أو السُّدِّي ، وإن كان أكثر المفسرين ذكروا هذا القول ، إلا أن الطبري نسبته إلى الضحاك ٦٧ / ٢١ ، ونسبه الماوردي إلى الحسن وعطاء ٣٣٤ / ٤ .

إسحاق : «أي لزمها لحملها إياه أن^(١) تضعف مرة بعد مرة»^(٢) . وانتصب هاهنا وهنّاً على المصدر ، ودلّ قوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ على أن المعنى وهنت بحملها إياه وهنّاً على وهن ، وهذا غير متصل بالكلام الأول في الآية . قال صاحب النظم : «قوله : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ﴾ مبتدأ يقتضي جواباً فلم [يأت به]^(٣) وابتدأ في وصف الإنسان فقال : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ﴾ ، ونظم [به وصفاً]^(٤) آخر ، فقال : ﴿وَفِصْلُهُ، فِي عَامَيْنِ﴾ ، فإنما عدّد الله - عز وجل - ذلك ليعين وجوب حق الولادة بما لزمها من التعب والنصب في الولادة ، فلمّا فرغ من ذلك رجع إلى خبر الابتداء فقال : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ﴾ على تأويل : ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكروا لي ولوالديك .

قوله تعالى : ﴿وَفِصْلُهُ، فِي عَامَيْنِ﴾ : الفصال : الفطام ، وهو أن يفصل الولد عن الأم كي لا يرضع ، والتقدير : وفصّاله في انقضاء عامين ، قاله الأخفش^(٥) .

وجعله من باب حذف المضاف . والمعنى لانقضاء عامين ؛ وهو أنه إذا تم للولد حولان فطم ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] الآية .

فقوله : ﴿وَفِصْلُهُ، فِي عَامَيْنِ﴾ مبتدأ ، وخبره في الظرف على تقدير : وفصّاله يقع في انقضاء عامين . والمعنى : ذكر مشقة الولادة بإرضاع الولد بعد الوضع عامين .

(١) (أن) ساقطة من (ب) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٤ .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٥) انظر : معاني القرآن ٤٧٨/٢ .

قوله تعالى : ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أطعني وأطع والديك»^(١) .

قال مقاتل : «أن اشكر لي إذ^(٢) هديتك للإسلام ، ولو الديق بما أوليك من النعم»^(٣) .

وقوله : ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي﴾ تفسير لمعنى الوصية ، وجاز ذلك ؛ لأن الوصية قوله ، فكأنه قال : قلنا للإنسان أن اشكر لي ولو الديق . قال صاحب النظم [وقال صاحب^(٤)] المغني : «ووصينا الإنسان أن اشكر لي ولو الديق ؛ أي وصيناه شكرنا وشكر والديه» . وقوله : ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «إلى المرجع والمنقلب فأجزيك بعملك»^(٥) .

١٥ . ﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ﴾ مُفسَّر في سورة العنكبوت^(٦) إلى قوله : ﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد اصحبهما في الدنيا بالمعروف»^(٧) ، وقال مقاتل : «يعني بإحسان»^(٨) ، وقال أبو

(١) لم أعثر عليه في ما لدي من مراجع .

(٢) في (ب) : (أن) .

(٣) تفسير مقاتل ٨٢ أ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة ، ولعلها وهم من النساخ .

(٥) لم أعثر في ما لدي من مراجع على من نسب هذا التفسير إلى ابن عباس ، وفي تفسير مقاتل ٢٦٦/٢ ، قال : ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فأجزيك بعملك» .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرَكَ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت : ٨] .

(٧) لم أقف عليه في ما لدي من مراجع .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ أ .

إسحاق : «أي مصاحباً معروفاً ، يقول : صاحبتَه مصاحباً ومصاحبةً ، ومعنى المعروف : ما يستحسن من الأفعال»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ . قال السُّدِّي : «يعني محمداً ﷺ»^(٢) ، ونحوه قال مقاتل : «يعني دين من أقبل إلى طاعتي ، وهو النبي ﷺ»^(٣) .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد أبا بكر رضي الله عنه ؛ وذلك أنه حين أسلم أتاه»^(٤) عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان ، وطلحة بن [. . .]^(٥) والزيبر فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه : آمنت وصدقت محمداً ؟ فقال أبو بكر : نعم ، فاتوا رسول الله ﷺ فأمنوا وصدقوا ، فأنزل الله تعالى لسعد : ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني أبا بكر رضي الله عنه»^(٦) .

وهذه تدل على وجوب مصاحبة الوالدين بالمعروف وإن كانا كافرين مع ملازمة الإيثار ، ومن مصاحبتهم بالمعروف نفقتهم عند فقرهما ، وهي واجبة على الابن المسلم وإن^(٧) كانا كافرين كما تجب إذا كانا مسلمين .

قال عطاء عن ابن عباس : «نزلت الآيتان في سعد بن أبي وقاص ؛ وذلك أنه أسلم في أول ما ظهر رسول الله ﷺ بمكة ، وأسلم أخواه عامر وعويمر ، فلم يبقَ منهم مشرك إلا عتبة ، فمشى بنو زهرة إلى أم سعد ، فقالوا لها : إن بنيك سفهوا

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٧ / ٤ .

(٢) لم أقف في ما لدي من مراجع على من نسبه إلى السُّدِّي ، وذكر مقاتل ٨٢ أ .

(٣) تفسير مقاتل ٨٢ أ .

(٤) في (ب) : (أباه) ، وهو خطأ .

(٥) في النسخ جميعها ترك بياض بمقدار كلمة ، وعند المفسرين وطلحة : من دون (ابن) .

(٦) انظر : أسباب النزول ٣٦٣ ، وتفسير القرطبي ٦٦ / ١٤ ، وتفسير البغوي ٤٩٢ / ٣ .

(٧) في (ب) : (ولو) .

ديننا وغمصوا على آبائنا - ولم يكن أحد بمكة [فذلك] ^(١) أبر بأمه من سعد - فقالت لهم : إن سعداً ما عصاني قط ، فسأرده إلى ما تحبون ، وأما عامر فلم يزل ^(٢) لي عاصياً ، وأما عويمر فهو صبي صغير السن ، فلمّا أتاها سعد قالت له أمه : يا سعد ، إن الأشراف من قومك مشوا إليّ يذكرون أنك سفهت أخلاقهم وطغيت على آلهتهم ، فوعدهم أن أردك إلى ما يحبون . فقال لها سعد : قد علمت برّي بك وأني لم أعصك ، وأنا لا أعصيك إلّا أن تأمريني بمعصية الله ، فإن أمرتيني بمعصية الله فلم أطعك ، فأنزل الله ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الآية ^(٣) .

١٦ . قوله تعالى : ﴿يَبْنُىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ الآية . قال السُّدِّي : «ابن ^(٤) لقمان لأبيه : يا أبتاه ، لو كانت حبة من خردل الآية في البحر أكان الله يعلمها ؟ فقال له : يا بني ، إنها إن تك» ^(٥) .

وقال مقاتل : «قال ابن لقمان لأبيه : يا أبت ، إن عملت ^(٦) بالخطيئة حيث لا يراني أحد ، كيف يعلمه الله ؟ فرد عليه لقمان : يا بني ، إنها إن تك مثقال حبة من خردل» ^(٧) .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) : (زال) ، وهو خطأ .

(٣) لم أقف على هذه القصة بطولها ، وإن كان أكثر المفسرين ذكروا أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه . انظر : تفسير الطبري ٧٠ / ٢١ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٩ / ٥ ، وزاد المسير ٢٥٧ / ٦ . وأورده السيوطي في الدر ٥٢١ / ٦ وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني وابن مردويه وابن عساكر . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص ٤ / ١٨٧٧ ، والترمذي في سننه : كتاب : التفسير (سورة العنكبوت) ٢٢ / ٥ ، حديث رقم ٣٢٤٢ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، والذي يظهر وجود كلمة ساقطة هي : (قال) .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ٦٦ / ١٤ من دون نسبة ، وذكر نحوه الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٩٧ .

(٦) في (ب) : (علمت) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ أ .

[قال أبو إسحاق : «المعنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من خردل»^(١)]. قال : ويجوز أن يكون المعنى إن فعله الإنسان وإن صغرت يأتي بها الله . قال : ويجوز أن يكون الكناية للقصة على أن القصة كذا كما تقول : إنها هند قائمة ، وإنها زيد قائمة»^(٢) ، وهذا من الضمير على شريطة التفسير ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج : ٤٦] ، وفي مواضع .

وقوله : ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾^(٣) : قُري : (مثقال) بالرفع والنصب ؛ فمن نصب باسم كان لينبغي أن يكون مضمراً على تقدير : إن تكن الخطيئة أو المظلمة أو السيئة مثقال حبة من خردل راجع إلى معنى خردلة ، فهو بمنزلة إن تك حبة من خردل ، أو يقال : المراد بمثقال حبة من خردل هو السيئة والحسنة ، [فأنت]^(٤) تَكُ على المعنى كما قال : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأَنْعَام : ١٦٠] فأنت وإن كان المثل مذكراً ، فإنه يراد به الحسنات ، فحمل^(٥) على المعنى ، وكذلك المثقال^{(٦)(٧)} . و﴿تَكُ﴾ هاهنا بمعنى تقع ، ولا خبر له .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٩٧-١٩٨ ، بيد أن نقل المؤلف - رحمه الله - لم يكن دقيقاً ، فأبو إسحاق يقول : «فعلى معنى إن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة ، وعلى معنى إن فعله الإنسان وإن صغرت يأتي الله بها ، ويجوز إنها إن تك بالتاء مثقال حبة من خردل ، على معنى أن القصة كما تقول : إنها هند قائمة ، ولو قلت : إنها زائد قائم لجاز» .

قلت : أمّا قول المؤلف : «إنها زيد قائمة» فهذا وجه لا يجوز في اللغة العربية بحال .

(٣) في (أ) : (وإن تك) ، زيادة واو ، وهو خطأ .

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٥) في (ب) : (تحمل) .

(٦) في (ب) : (للمثقال) .

(٧) انظر : الحجة ٥ / ٤٥٦ .

قوله تعالى: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس في رواية: «يعني الصخرة التي تحت الأرضين السبع ، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار»^(١) .

ونحو هذا قال مقاتل ، قال : «وهي صخرة خضراء مجوفة»^(٢) .

وقال عبدالله بن الحارث : «هي صخرة خضراء على ظهر الحوت»^(٣) .

قال الكلبي : «هي الصخر التي الأرض عليها»^(٤) ، ونحو هذا قال السُّدِّي : «هذه ليست في السماوات ولا في الأرض ، إنما هي تحت سبعة أرضين عليها ملك قائم»^{(٥)(٦)} .

وقال قتادة : «فتكن في صخرة ؛ أي جبل»^(٧) ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ إن قيل : هذه الصخرة لا يخلو من أن تكون في الأرض ، وإذا حصل بكونه في الأرض أغنى ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ عن قوله : ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ ، قيل : قد صرح السُّدِّي بأن

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٤٦/٣ ، وقال : «ذكره السُّدِّي بإسناده ذلك المطروح عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة» ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٣٧/٤ ، وعزاه إلى الربيع بن أنس والسُّدِّي ، وذكره القرطبي في تفسيره ٦٨/١٦ لكنه والماوردي لم يذكر آخر القول ، وهو أنها التي يكتب فيها أعمال الفجار ، وذكر القول بأكمله منسوباً إلى ابن عباس الثعلبي في تفسيره ١٧٣/٣ أ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٦٦/٢ .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٦٨/١٤ من دون نسبة ، وذكره الثعلبي منسوباً إلى السُّدِّي ١٧٣/٥ أ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٣٧/٦ ، ونسبه إلى عبدالله بن الحارث .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٠٥/٢ - ١٠٦ .

(٥) ذكره القرطبي ٦٨/١٤ ، والثعلبي ١٧٣/٥ أ ، ونسبه إلى السُّدِّي .

(٦) كل هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في معنى الصخرة - والله أعلم - من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب . قال ابن عطية في تفسيره ٣٥٠/٤ بعد أن ذكر بعض تلك الأقوال : «وهذا كله ضعيف لا يثبت سند ، وإنما معنى الكلام المبالغة والانتها في التفهيم ؛ أي إن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء وفي الأرض» .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٣٣٨/٤ ، وجمع البيان ٤٩٩/٨ .

هذه الصخرة ليست في الأرض ؛ على أن هذا النحو من التأكيد والتكرير لا ينكر ، وعلى هذا قوله : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] ، ثم قال : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ٢] .

قوله : ﴿ يَأْتِيَهَا اللَّهُ ﴾ . قال ابن عباس : « يقول يعلمها الله »^(١) ، وهذا قول السُّدِّي^(٢) ، وهو معنى وليس بتفسير . قال أبو إسحاق : « وهذا مثل لأعمال البلاد »^(٣) إن الله - عز وجل - يأتي بأعمالهم يوم القيامة ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال شريراً يره^(٤) . قال أبو علي : « هذا يثبت أن المظالم لا تخفى عليه ، وأن الله تعالى يأتي بها ، ولن يدع أن يثيب أو يعاقب عليها إن لم تكن قد كفر عنها أو أحبط »^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل والزجاج : « لطيف باستخراجها ، خبير بمكانها »^(٦) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْ أَقْفِرِ الضَّكَّوَّةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : « يريد الإيمان بالله والتوحيد »^(٧) ، وقال غيرهما : « وأمر بطاعة الله واتباع أمره » .

(١) لم أعر عليه في ما لدي من مصادر .

(٢) تفسير الطبري ٧٣/٢١ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، والصحيح : (العباد) . انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٨/٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٨/٤ .

(٥) انظر : الحجة ٤/٤٥٦ ، وهذا من المواضع التي نقل فيها المؤلف - رحمه الله - عن أبي علي ، ولكنه لم ينقل نقلاً صحيحاً ، بل نقل واختصر وقدم وأخر ، ولم يبين ذلك رحمه الله ؛ فعبارة أبي علي بعيدة عن عبارة المؤلف ، وعبارة أبي علي الأخيرة : « إن لم يكن كفر أو أحبط » .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٧/٤ ، وتفسير مقاتل ٨٢ ب ، ولم أقف على من نسب إلى ابن عباس .

(٧) لم أقف على من نسب هذا القول إلى ابن عباس . وفي تفسير مقاتل ٨٢ ب قال : « التوحيد » .

﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد عن الشرك لنفسه»^(١) .

قال مقاتل : «يعني الشرك الذي لا يعرف»^(٢) .

وقال الكلبي : «يقول أنكر الظلم وأظهر العدل»^(٣) ، وقال غيره : «المنكر معاصي الله ومخالفة أمره»^(٤) .

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ فيهما من الأذى ، يريد : واصبر على ما أصابك من الأذى في طاعة الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا قول ابن عباس ومقاتل^(٥) .

﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من حقيقة الإيمان»^(٦) .

وقال مقاتل : «إن ذلك الصبر على الأذى فيهما من حق الأمور التي أمر الله بها»^(٧) .

وقال الكلبي : «إن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور»^(٨) . فعلى قول ابن عباس ومقاتل : «ذلك ، إشارة إلى الصبر» ، وعلى

(١) لم أقف عليه .

(٢) تفسير مقاتل ٨٢ ب .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أعثر على من نسبته إلى ابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ٢/٢٦٦ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٤/٣٣٨ من دون نسبة ، وذكره السيوطي في الدر ٦/٥٢٣ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨/٥٠٠ عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٤/٦٩ .

(٧) تفسير مقاتل ٢/٢٦٦ .

(٨) لم أقف عليه .

القول [قول] ^(١) الكلبي : «إشارة إلى الأمر والنهي» . والصحيح أن ذلك إشارة إلى جميع ما ذكره قبله من الأمر والنهي والصبر ، وذكرنا بيان هذه المسألة عند قوله : ﴿عَوَانُ يَبْتَكَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] . وهذه الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على المكروه وإن أصابه فيهما ، وفي هذا دليل أن خوف المكروه لا ينبغي أن يمنع من الأمر بالمعروف ، إلا أن يخاف مكروهاً لا يطيقه ولا يحتمله .

١٨ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ ، وقُرئ : (تصاعر) ^(٢) . قال أبو الحسن : « [لا تصاعر لغة أهل الحجاز ، ولا تصعر لغة بني تميم . والمعنى فيه : لا تتكبر على الناس ، ولا تعرض عنهم تكبراً عليهم] » .

قال أبو عبيدة : «أصل هذا من الصعر الذي يأخذ الإبل في رءوسها وأعناقها» ، فكأنه يقول : لا تعرض عنهم ، ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء ، الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه ، ومثل ذلك قوله :

يهدي إلى حياةٍ ثاني الجيد ^(٣) ^(٤) .

وقال أبو علي : «يشبه أن يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى ، كما قال سيبويه في ضعف وضاعف» ^(٥) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) انظر : النشر ١٨٨/٢ .

(٣) انظر الكلام بنصه في : الحجة لأبي علي الفارسي ٤٥٥/٥ من قوله : «قال أبو الحسن . . .» ، وانظر قول أبي عبيدة في : مجاز القرآن ١٢٧/٢ . ولعل المؤلف - رحمه الله - وهم عندما قال : «قال أبو الحسن . . .» ، فالقول لأبي علي بنصه .

(٤) جزء من بيت لم أعثر له على تتمته ، ولا على قائله ، وقد ذكره أبو علي في الحجة من دون نسبة .

(٥) انظر : الحجة ٤٥٥/٥ .

قال أبو إسحاق : «أَمَّا تصعر فَعَلَى وجه المبالغة ، وتصاعر على تفاعل كأنك تعارضه بوجهك»^(١) .

وقال المفضل^(٢) : «يقال للذي يفعل ذلك وَمَنْ صعر خده وصاعر»^(٣) ، وأنشد للمتملمس :

وكنّا إذا الجبار صاعرٌ خدُهُ أقمّنالهُ مَنْ درأهُ فيقومَا

قال ابن عباس : «يريد ولا تتعظم على خلق الله»^(٤) .

وقال مقاتل : «لا تعرض بوجهك تكبراً عن فقراء المسلمين إذا كلموك»^(٥) .

وروى ابن أبي نجيح ومنصور عن مجاهد ، قال : «هو الصدود والإعراض بالوجه عن الناس ، كالرجل بينه وبين أخيه إحنة فيراه فيعرض عنه»^(٦) .

وقال أبو الجوزاء في هذه الآية : «إذا ذكر الرجل عندك تلوي شذك كأنك تحقره»^(٧) ، وهذا معنى ما روي عن إبراهيم أنه قال : «هو التشديق»^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٩٨ / ٤ . ونص كلام أبي إسحاق : «فأَمَّا تصعر فَعَلَى وجه المبالغة ، ويصاعر جاء على معنى يفاعل ، كأنك تعارضهم بوجهك» .

(٢) أبو محمد المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الكوفي ، إمام مُقرئ نحوي ، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم والأعمش والطاردي وسماك بن حرب ، وأخذها عنه الكسائي وجبله بن مالك وأبو زيد الأنصاري وغيرهم ، توفي سنة ١٦٨ هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٢١ / ٣ ، ومعرفة القراء الكبار ١٠٨ / ١ ، وغاية النهاية ٣٠٧ / ٢ .

(٣) لم أقف على قول المفضل ، إلا أن الماوردي قال في النكت ٣٣٩ / ٤ عن المفضل : «الصعر هو الميل» .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٧٣ / ٣ ب ، وتفسير الطبري ٧٤ / ٢١ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ ب .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١٧٣ / ٣ ب ، وتفسير الطبري ٧٥ / ٢١ .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٣٣٩ / ٤ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٥ / ٥ .

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ١٧٣ / ٣ ب ، وتفسير الطبري ٧٥ / ٢١ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٥ / ٥ .

وقال يزيد [بن الأصم]^(١): «هو الرجل يكلم الرجل ، فيلوي وجهه عنه محقرة له»^(٢).

وقال قتادة: «هو الإعراض عن الناس ، يكلمك أخوك وأنت معرض عنه تتكبر»^(٣).

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ مُفسَّر في سورة سبحان^(٤).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ مُفسَّر في سورة النساء^(٥).

١٩. قوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾. قال الليث: «يقال قصد فلان في مشيه ، إذا مشي مستويًا»^(٦).

وقال المفضل: «القصد: ما بين الإسراف والتقصير»^(٧).

قال مقاتل: «لا تختل في مشيك»^(٨).

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٧٥/٢١ ، وتفسير ابن كثير ٣٨٥/٥.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق ١٠٥/٢.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

(٥) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال المؤلف -رحمه الله- هناك: «المختال ذو الخيلاء والكبر»، وقال ابن عباس: «يريد بالمختال العظيم في نفسه ، الذي لا يقوم بحقوق الله». ومعنى الفخر في اللغة: البذخ والتطاول ، والفخور الذي يعدد مناقبه كبراً وتطاولاً.

(٦) لم أقف عليه. انظر: تهذيب اللغة ٣٥٥/٨ ، واللسان ٣٥٣/٣.

(٧) لم أقف عليه للمفضل ، وذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٣٥٢/٨ عن الليث ، وانظر: اللسان (قصد) ٣٥٤/٣.

(٨) ورد في تفسير مقاتل ٨٢ ب ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٠/٤ ، وعزاه إلى سعيد بن جبیر.

وقال الكلبي : «تواضع لله فلا تختل»^(١) ، وعلى هذا أمر بالقصد في المشي ، والمراد به النهي عن الخيلاء .

وقال آخرون : «المراد به النهي عن الإسراع في المشي»^(٢) ، فدل عليه ما روي أن النبي ﷺ قال : «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن»^(٣) .

وقوله : ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «معنى اغضض : انقص ، ومن ذلك : غضضت ، وفلان يغض من فلان ، أي يقصر به»^(٤) . وذكرنا تفسير الغض في ما تقدم^(٥) . والصوت : مصدر صات يصوت [صوتاً]^(٦) فهو صائت ، وصوت تصويئاً فهو مصوت ، وهو عام غير مختص ، يقال : سمعت صوت الرجل ، وصوت الحمار ، وصوت كل شيء^(٧) . قال ذو الرمة وهو من أبيات الكتاب :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ يُبْغَاهُنَّ^(٨) بَنَّا
أَوْ آخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ^(٩)

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٠٠ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢١ / ٧٦ ، ونسبه إلى قتادة وابن زيد ، والماوردي في تفسيره ٤ / ٣٤٠ ، وقال : «حكاة النقاش» .

(٣) الحديث منكر جداً قاله العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٧٠ ، رقم ٥٥ ، وقال الحافظ في تحريج أحاديث الكشف ١٣٠ : «وإسناده ضعيف» .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وهو في معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٩٩ : «... وفلان يغض بصره من فلان ؛ أي ينتقصه» .

(٥) عند قوله تعالى في سورة النور : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْعَوْنَ﴾ [النور : ٣٠] . قال في هذا الموضع : «يقال غض بصره يغضه غضاً ، ومثله أغضاً» ، وقال ابن عباس : «أي لا ينظروا إلى ما لا يحل لهم» .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (صوت) ١٢ / ٢٢٣ ، واللسان ٢ / ٥٧ ، وتاج العروس ٤ / ٥٩٧ .

(٨) في (ب) : (لمن) ، وهو خطأ .

(٩) البيت من البسيط ، وهو لذي الرمة في ديوانه ٩٩٦ ، والإنصاف ٤٣٣ ، وخزانة الأدب ٤ / ١٠٨ ، ٤١٣ ، ٤١٩ ، والخصائص ٢ / ٤٠٤ ، والكتاب ١ / ١٧٩ ، ٢ / ١٦٦ ، ٢٨٠ .

إبغاهن : إبعادهن ، يقال : أوغل في الأرض إذا أبعد فيها ، والأواخر : جمع آخره الرحل ، وهي العود =

ويقال : رجل صات ؛ أي^(١) شديد الصوت بمعنى صائت ، كما يقال : رجل مال كثير المال ، ونال كثير النوال^(٢) . قال الكلبي : «يقول أكفف من صوتك لا تكن سليطاً على الناس»^(٣) .

وقال مقاتل : «اخفض من صوتك ، يعني من كلامك ، يأمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق»^(٤) ، وروى عطاء عن ابن عباس ، قال : «يريد إذا ناجيت ربك فخفض [صوتك]»^{(٥)(٦)} .

وخفض الصوت المأمور به هاهنا بالدعاء ، وذكر قوله^(٧) : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] ، والقول هو الأول العام . قال المبرد : «والمحمود من المشي والصوت ومن جملة الأشياء ما كان قصداً»^(٨) .

قال مقاتل : «ثم ضرب للصوت الرفيع مثلاً ، فقال : ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾»^(٩) ، قال : وأنت تقول : له وجه منكر ، إذا كان قبيحاً .

في آخره يستند إليه الراكب ، والميس : شجر يتخذ منه الرحال والأقتاب ، والفرايج : جمع فروج ، وهي صغار الدجاج .

(١) (أي) ساقط من (أ) .

(٢) انظر : تاج العروس (صوت) ٥٩٧/٠٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ ب .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٦) ذكره المؤلف في الوسيط ٤٤٤/٣ .

(٧) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾) ، فهذا هو منهج المؤلف - رحمه الله - في الإحالة .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ ب .

وقال ابن قتيبة : «أنكر الأصوات أقبحها»^(١) .

واختلفوا : لِمَ جُعِلَ أقبح الأصوات ؟ صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق^(٢) . وقال قتادة : «لشدة صوتها»^(٣) ، وهو المختار .

قال المبرّد : «تأويله الجهر بالصوت ليس بمحمود ، وأنه داخل في باب الصوت المنكر»^(٤) .

وقال ابن قتيبة : «عرفه أن قبح رفع الصوت في المخاطب وفي الملاحظة كقبح أصوات الحمير ؛ لأنها عالية»^(٥) .

ووحده الصوت وهو مضاف إلى الجماعة ؛ لأنه مصدر ، والمصادر تدل على الكثرة ، وإذا كانت منفردة الألفاظ ، وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿وَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَوْمِيذٍ﴾ [النمل : ٨٩] ، وفي مواضع .

٢٠ . قوله : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المطر ، ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يريد : الأنعام لتركبوها»^(٦) .

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٤٤ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٨٤ / ٣ ب ، ونسبه إلى مجاهد والضحاك ، وذكره أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٠٠ ، والمؤلف في الوسيط ٣٤٤٤ ، ونسبه إلى قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة ٣١٠٠ / ٩ ، وقال : «أوله زفير وآخره شهيق» .

(٤) انظر قول المبرّد في : الوسيط ٤٤٤ / ٣ ، وزاد المسير ٣٢٣ / ٦ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٤٤ .

(٦) لم أقف عليه .

وقال مقاتل : «يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ، وما في الأرض : يعني : الجبال والأنهار والبحار والأشجار والنبت عام»^(١) . قال أبو إسحاق : «ومعنى تسخيرها للآدميين : الانتفاع بها»^(٢) .

وقوله : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ أي أوسع وأكمل من قولهم : سبغت النعمة إذا تمت ، ويقال : شعر سابغ ، ودرع سابغة .

وقوله : (نعمة) ، وقُرئ : (نعمة) جمعاً ، ومعنى القراءتين واحد ؛ لأن المفرد أيضاً يدل على الكثرة كقوله : ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل : ١٨] ، وهذا يدل على أنه يراد به الكثرة .

وقوله : ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لا يدل على ترجيح إحدى القراءتين ، ألا ترى أن النعم توصف بالباطنة والظاهرة كما توصف النعمة بذلك^(٣) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد شهادة ألا إله إلا الله ظاهرة باللسان باطنة في القلب»^(٤) .

وروى عكرمة عنه ، قال : «الظاهرة : القرآن والإسلام ، والباطنة : ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة»^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ ب .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٩ / ٤ .

(٣) انظر : الحجة ٤٥٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧٨ / ٢١ . وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٢٦ / ٦ عن مجاهد ، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٥) ورد في مجمع البيان ٥٠١ / ٨ ، وذكره السيوطي في الدر ٥٢٥ / ٦ ، وعزاه إلى البيهقي في الشعب ، وأورده الماوردي ٣٤٢ / ٤ ، ونسبه إلى مقاتل .

وقال مقاتل : «الظاهرة : تسوية الخلق والرزق والإسلام ، والباطنة : ما ستر من الذنوب فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب فيها»^(١) ، وهذا معنى ما روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ في هذه الآية^(٢) .

قال الضحاك : «الظاهرة : حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء ، والباطنة : المعرفة»^(٣) .

وقال محمد بن كعب : «الظاهرة : محمد ﷺ ، والباطنة : المعرفة»^(٤) .

وقال المحاسبي^(٥) : «الظاهرة : نعيم الدنيا ، والباطنة : نعيم العقبى» .

قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ مُفسَّر إلى آخر الآية في سورة الحج^(٦) .

٢١ . قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا﴾ مُفسَّر في سورة البقرة^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٢ ب .

(٢) أورده السيوطي في الدر ٥٢٥ / ٦ ، وقال : «أخرجه ابن مردويه والبيهقي والديلمي وابن النجار عن ابن عباس» .

(٣) انظر : مجمع البيان للطبرسي ٥٠١ / ٨ ، وزاد المسير ٣٢٤ / ٦ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) أبو عبدالله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي الزاهد ، روى عن يزيد بن هارون قليلاً وعن طبقته ، وروى عنه ابن مسروق الطوسي وإسحاق السراج وغيرهما ، له كتب في الزهد وأصول الديانة ، توفي سنة ٢٤٣ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٢١١ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء ١١٠ / ١٢ ، وطبقات الشافعية لابن السبكي ٢ / ٢٧٨ . وكلامه في تفسير القرطبي ٧٣ / ١٤ ، وذكره من دون نسبة الماوردي ٣٤٢ / ٤ ، والطبرسي ٥٠١ / ٨ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج : ٣] .

(٧) عند قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [البقرة : ١٧٠] ، وذكر في هذا الموضوع سبب نزولها ، وأنها نزلت في اليهود .

٢٢. ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ مُفسَّر في تلك السورة أيضاً^(١).

٢٤. قوله تعالى: ﴿نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا﴾: يعني أيام حياتهم إلى انقضاء آجالهم، قاله ابن عباس ومقاتل^(٢).

٢٧. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ قُرًى رُفْعًا وَنُصْبًا؛ فَمَنْ نَصَبَهُ عَظْفَهُ عَلَى مَا، وَمَنْ رَفَعَ اسْتَأْنَفَ كَأَنَّهُ قَالَ: وَالْبَحْرُ هَذِهِ حَالُهُ﴾^(٣).

﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾؛ أي ينصب فيه ويزيده سبعة أبحر. ﴿مَا نَفِذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ ولا نفذ علمه. قال السُّدِّي: «لو كان ما في الأرض من شجر فبريت أقلاماً، وكان البحر مداداً ومعه سبعة أبحر مداداً مثله، فكتب بتلك الأقلام، نفذ ذلك المداد قبل أن ينفذ علم الله»^(٤).

وقال الحسن: «لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، لأملئ الله من كلامه حتى ينفذ البحر وتتكرر الأقلام»^(٥)، وقال مقاتل: «يقول لو أن كل شجرة على

(١) عند قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. قال: «استمسك بالشيء إذا تمسك به، والعروة: جمع عرى، وهي نحو عروة الدلو، وإنما سميت؛ لأنه يتعلق بها، والعروة: شجر يبقى على الجذب؛ لأن الإبل تتعلق به إلى وقت الخصب»، والعروة الوثقى قال عطاء عن ابن عباس: «شهادة ألا إله إلا الله، وأن ما جاء به محمد حق وصدق»، وقال مجاهد: «هي الإيذان».

(٢) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس، وانظر: تفسير مقاتل ٨٢ ب.

(٣) انظر: الحجة ٤٥٧/٤٥٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٥٢٧/٢.

(٤) لم أقف عليه منسوباً إلى السُّدِّي، وقد ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٥٠٤/٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٦/٦ من دون نسبة، وأورده السيوطي في الدرر ٥٢٨/٦، وعزاه إلى عبدالرزاق وأبي نصر السجزي في الإبانة عن أبي الجوزاء.

(٥) انظر: الحجة ٤٥٨/٥.

وجه الأرض بریت أقلاماً ، وكانت البحور مداداً وكتبت تلك من البحور ،
لنفدت تلك الأقلام وتلك البحور ولم ينفد علم الله»^(١) .

فالمفسرون قالوا في كلمات الله : «إنها علم الله» . والمعنى : الكلمات التي هي
عبارات عن معلوم الله ، ولمّا كان معلومه لا يتناهى له ، فكذلك الكلمات التي
تقع عبارة عن معلومه لا تتناهى^(٢) .

قال أبو علي : «والمراد بذلك - والله أعلم - ما في المقدور دون ما خرج منه إلى
الوجود»^(٣) .

قال قتادة : «إن المشركين قالوا في القرآن : يوشك أن ينفد ، يوشك أن ينقطع ،
فزلت هذه الآية . يقول : لو كان شجر الأرض أقلاماً ، ومع البحر سبعة أبحر ،
إذاً لانكسرت الأقلام ونفد ماء البحر قبل أن تنفذ كلمات الله وحكمه وخلقه
وعلمه»^(٤) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ أ .

(٢) هذا تفسير الأشاعرة ، وفيه خلط بين صفتي العلم والكلام ، وأهل السنة والجماعة يقررون صفة العلم
ويثبتونها ، وكذلك صفة الكلام ، حيث إن علم الله متعلق بالأشياء قبل كونها ، وهو غير متجدد . أمّا
الكلام فصفة غير صفة العلم ، فالله - جل وعلا - متكلم بمشيئته وقدرته كيف شاء متى شاء بما شاء ،
وهي صفة قديمة النوع حادثة الأحاد . انظر : رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ١٠٦ ، ورده على
الجهمية ٦٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ١ / ١٧٥ .

(٣) انظر : الحجة ٤٥٨ / ٥ .

(٤) ورد في تفسير عبدالرزاق ١٠٦ / ٢ ، وتفسير الطبري ٨١ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٤٤ / ٤ ، وذكره
السيوطي في الدر ٥٢٨ / ٦ ، وعزاه إلى عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ
في العظمة ، وأبي نصر السجزي في الإبانة عن قتادة .

قال أبو عبيدة : «هذا مختصر ، تقديره : فكتب هذه الأقلام والبحور ما نفذ كلام الله»^(١) .

والمعنى^(٢) : فكتب ما في مقدور الله لنفذ ذلك قبل أن ينفذ المقدور ، ونحو هذا من الجمل قد تحذف لدلالة الكلام عليه كقوله : ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٢٨] ، ثم قالت : ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْئُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل: ٣٢] . والمعنى : فذهب ، فألقى الكتاب ، فقرأته ، وقالت : ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾ . ونظير هذه الآية قوله : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ . قال مقاتل : «نزلت في كفار قريش ، قالوا للنبي ﷺ : إن الله خلقنا أطواراً ، نطفة علقه مضغة عظماً لحماً ، ثم يزعم أننا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة ، فقال الله : ﴿مَا خَلَقْكُمْ﴾ أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة ، ما بعثكم جميعاً إلا كبعث نفس واحدة»^(٣) .

قال أبو إسحاق : «أي قدرة الله على بعث الخلق أجمعين ، وعلى خلق الخلق أجمعين ، كقدرته على خلق نفس واحدة ، وبعث نفس واحدة»^(٤) . والآية من باب حذف المضاف في قول جميع المفسرين ، وأهل المعاني كلهم ذكروا ذلك^(٥) .

(١) انظر : مجاز القرآن ١٢٨/٢ ، وعبارة أبي عبيدة جاءت هكذا : «ومجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير ، سبيله : فكتب كتاب الله هذه الأقلام وبهذه البحور ، ما نفذ كتاب الله» .

(٢) في (ب) : زيادة (ما نفذ) ، وهو خطأ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ أ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٤ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٧٦/٣ ب ، ومعاني القرآن للفراء ٣٢٩/٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٩١/٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٠/٤ .

قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) . قال ابن عباس : «سميع لقولكم ، بصير بكم»^(٢) .

قال مقاتل : «سميع لما قالوا من الخلق والبعث ، بصير به»^(٣) .

٣١ . قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن ذلك من نعمة الله عليكم»^(٤) . قال الكلبي : «منة الله»^(٥) ، وقال مقاتل : «برحمة الله»^(٦) .

﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ : من صنعه وعجائبه في البحر ، وابتغاؤكم الرزق . وقال الكلبي : «ليرىكم من عجائبه بتيسيرها»^(٧) .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ . قال مقاتل : «يعني المؤمن ، يقول : لكل صبار على أمر الله عند البلاء في البحر ، شكور لله في نعمه حين أنجاه من أهوال البحر»^(٨) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد صبر عن معاصي الله»^(٩) .

(١) في (أ) : (عليم) ، وهو خطأ .

(٢) ذكره الماوردي ٣٤٥ / ٤ من دون نسبة .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ أ .

(٤) ورد في زاد المسير ٣٣٧ / ٦ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٧ / ٤ من دون نسبة .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٧ / ٤ من دون نسبة .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ ب .

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٧ / ٤ ، ونسبه إلى يحيى بن سلام ، وكذا القرطبي ٧٩ / ١٤ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ ب .

(٩) لم أقف عليه .

٣٢. قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾: يعني الكفار، يقول: إذا علاهم ﴿مَوْجٌ﴾ وهو ما ارتفع من الأرض.

﴿كَالْظَّلَلِ﴾. قال مقاتل: «كالجبال»^(١)، وقال الكلبي: «كالسحاب، يزيد في عظمها وارتفاعها يكون كالجبال والسحاب التي تظل من تحتها»^(٢)، وقال ابن عباس: «يريد مثل السعائف»^{(٣)(٤)}.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْبَرْ﴾؛ أي من هول ما هم فيه، نجاهم حين أفضوا وانتهوا إلى البر. قال صاحب النظم: «المراد من قوله: فَلَمَّا نَجَاهُمْ: الاستقبال، وإن كان لفظه لفظ الماضي، بدليل قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾. ولمَّا لا يقتضي جواباً بالفاء، وأراد فمنهم مقتصد ومنهم جائر، ودلَّ على هذا المضمحل قوله: ﴿وَمَا يَجْعَلُ بَيْنَنَا وَلَا كُلُّ خَتَارٍ كُفُورٍ﴾، فأوماً بهذا إلى هذا، نقيض قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾. ونقيض الاقتصاد: الجور، والجور هاهنا: الجحد بآيات الله، وإذا كان معنى الجور هاهنا الجحد وجب أن يكون الاقتصاد الذي هو عند الإقرار بآيات الله، وهذا كله معنى قول مقاتل، فإنه يقول في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾: «عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني المؤمن»، ثم ذكر المشرك الذي ترك التوحيد في البر بعد أن دعاه مخلصاً في البحر»^(٥)، بقوله: ﴿وَمَا يَجْعَلُ بَيْنَنَا وَلَا كُلُّ خَتَارٍ﴾ غدار ﴿كُفُورٍ﴾ لله نعمه حين ترك التوحيد في البر.

(١) تفسير مقاتل ٢/٢٦٧، وبه قال يحيى بن سلام. انظر: تفسير الماوردي ٤/٣٤٧.

(٢) ذكره الماوردي ٤/٣٤٧، ونسبه إلى قتادة، وكذا الطبرسي في مجمع البيان ٨/٥٠٦.

(٣) في (ب): (السقايل)، وهو خطأ.

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، ولم أقف على معنى (السعائف) بهذه الصيغة، وقد ذكر الأزهري في تهذيب اللغة (سعف) ٢/١١٠، قال: «... السعف: ورق جريد النخل الذي يسف منه الزبلان والجلال والمراوح وما أشبهها، ويجوز السعف».

(٥) تفسير مقاتل ٨٣ ب.

وقال الكلبي في قوله : ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾ : «هم المؤمنون»^(١) ، وقال ابن عباس : «مقتصد موفٍ بما عاهد عليه الله في البحر»^(٢) ، وقال مجاهد : «مقتصد في القول ، وهو كافر مضمحل للكفر»^(٣) . والوجه هو الأول . وقوله : ﴿كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ . قالوا : «كلهم : كل غدار بعهد الله»^(٤) ، وقال أهل اللغة : «الختار أسوأ الغدر وأقبحه»^(٥) ، وأنشدوا^(٦) للأعشى^(٧) :

بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير ختار
يقال : [ختر]^(٨) ويختَرُ ويختَرُ بالكسر والضم [لغتَان]^(٩) ختراً وختوراً .

ثم خاطب كفار مكة ، فقال :

٣٣ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْفُؤَ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ . قال ابن عباس : «كل امرئ تهمته نفسه»^(١٠) .

-
- (١) ذكره الماوردي ٣٤٨/٤ ، وأبو حيان في البحر ٤٢٣/٨ ، والطبرسي في مجمع البيان ٥٠٦/٨ عن الحسن .
(٢) ورد في مجمع البيان ٥٠٧/٨ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٨/٤ ، ونسبه إلى النقاش .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٨٥/٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٤٨/٤ ، ومجمع البيان ٥٠٧/٨ .
(٤) ورد في تفسير الطبري ٨٥/٢١ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٤٨/٤ ، ونسبه إلى الجمهور .
(٥) انظر : تهذيب اللغة (ختر) ٢٩٤/٧ ، والصحاح (ختر) ٦٤٢/٢ ، ومقاييس اللغة (باب الخاء والتاء وما يثلثهما) ٢/٢٤٤ .
(٦) في (ب) : (وأنشد) .
(٧) البيت من البسيط . انظر : ديوانه ٢٢٩ ، ولسان العرب ٢٦/١٠ ، وجمهرة اللغة ٣٧١ .
(٨) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .
(٩) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .
(١٠) انظر : الوسيط ٣/٤٤٧ .

وقال مقاتل : «يعني لا تغني والدته عن ولدها شيئاً من المنفعة يعني الكفار»^(١). وهذه الآية كقوله : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] ، وقد مرّ تفسيره ، والكلام في الرجوع إلى اليوم في سورة البقرة .

قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ ؛ أي بالبعث .

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام . ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ ؛ أي حلم^(٢) الله وإمهاله . ﴿الْغُرُورُ﴾ : يعني الشيطان ، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما^(٣) .

قال مقاتل : «هو إبليس»^(٤) . والغرور : الذي من شأنه أن يغر ويخدع .

٣٤ . وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ . قال مجاهد ومقاتل : «نزلت في رجل من أهل البادية اسمه : الوارث بن عمرو المجازي»^(٥) أتى النبي ﷺ فقال : إن أرضنا أجذبت فمتى الغيث ؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد ؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت ؟ وقد علمت ماذا عملت اليوم فما أعمل غداً ؟ ومتى الساعة ؟ فأنزل الله في مسألة المجازي : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ ب .

(٢) في (ب) : (يحمل) .

(٣) قال به غيرهما قتادة والضحاك . انظر : الطبري ٨٧ / ٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢٩٣ / ٥ ، وتفسير الماوردي ٣٤٩ / ٤ ، وجمع البيان ٥٠٧ / ٨ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٣ ب .

(٥) اختلف في اسم السائل ؛ ففي أسباب النزول ١٩٩ ، الطبعة الأولى ، قال : «نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفص من أهل البادية» ، وفي الدر المنثور ٥٣٠ / ٦ : «الوارث ، من بني مازن بن حفص بن قيس بن عيلان» ، وفي البحر المحيط ١٩٤ / ٧ : «الحارث بن عمارة المحاربي» ، وفي تفسير الطبري ٥٥ / ٢١ عن مجاهد : «رجل» غير مسمى .

(٦) ورد في تفسير الطبري ٨٧ / ٢١ ، وتفسير ابن كثير ٤٠١ / ٥ ، وزاد المسير ٣٣٠ / ٦ ، وذكره السيوطي =

وروي عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، متى الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل ، ولكن خمس لا يعلمهن إلا الله » ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(١) .

روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم ذكر ما في الآية »^(٢) .

وقال ابن عباس في هذه الآية : « الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى ، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن ؛ لأنه خالفه »^(٣) . قال مقاتل : « فلمّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : « أين السائل عن الساعة ؟ » فقال المجازي : ها أنا ، فقرأ عليه النبي ﷺ هذه الآية »^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ بَايَ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ . قال الفرّاء : « اجتزأ بتأنيث أرض من أن يظهر في أي تأنيث آخر »^(٥) .

- في الدر ٦ / ٥٣٠ ، وعزاه إلى الفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وإلى ابن المنذر عن عكرمة ، وذكره مقاتل في تفسيره ٨٣ ب ، وذكره المؤلف في أسباب النزول ٤٠٢ ، تحقيق : السيد أحمد صقر .
- (١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب : التفسير (سورة لقمان) : باب ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ ١٧٩٣ / ٤ ، حديث رقم ٤٤٩٩ ، ومسلم في صحيحه : كتاب : الإيمان ، باب : بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ٣٧ / ١ ، حديث رقم ١ ، وهو جزء من حديث طويل مشهور ، حينما جاء جبريل - عليه السلام - بصورة رجل إلى الرسول ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان إلى آخر الحديث .
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، وهو رواية أخرى للحديث السابق ، وكذلك الإمام مسلم في صحيحه ، وهو رواية أخرى للحديث السابق .
- (٣) قول ابن عباس هذا جزء من حديث طويل يرويه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٨ / ١ عن ابن عباس ، وقال : « جلس رسول الله ﷺ مجلساً له ، فأثاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعاً كفيه على ركبتي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، حدثني ما الإسلام . . . إلى آخر الحديث » .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .
- (٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٣٠ .

قال الأخفش : «وتقول : مررت بجارية أي جارية ، وأية جارية»^(١) ، وجئتك
بملاة أي ملاة وأية ملاة ، كلُّ جائز .

* * *

(١) انظر : القرطبي ٨٣ / ١٤ . وذكر الأخفش في معاني القرآن ٤٧٨ / ٢ كلاماً نحوه . أمّا آخر كلام
الأخفش فلم أقف عليه .

تفسير

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣-١ . ﴿الْم﴾ مضى تفسيره في مواضع . وقال ابن عباس : «ألف الله ، واللام [لام]»^(١) جبريل ، والميم محمد ﷺ»^(٢) .

قوله : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ذكر أبو إسحاق فيه ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أنه خبر ابتداء ، على إضمار الذي نتلو^(٣) تنزيل الكتاب ، قال : «ويجوز أن يكون خبر عن ألم ؛ أي ألم من تنزيل الكتاب» ، قال : «ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء ، ويكون خبره الابتداء» . ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤) . قال مقاتل : «يعني لا شك فيه أنه تنزيل»^(٥) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) لم أقف على قوله ، وقد سبق في أول سورة لقمان ذكر القول الراجح في تفسير مثل هذه الحروف .

(٣) في (ب) : (نتلوه) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٣/٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٨٤ أ .

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) أَم يَقُولُونَ ﴿. قَالَ الرَّجَّاجُ : «معناه بل أيقولون»^(١) .
وذكرنا تفسير (بل) إذا لم يتقدمه استفهام عند قوله : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا﴾
[البقرة: ١٠٨] ، وفي مواضع .

وقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : «تقوله»^(٢) .

وقال مقاتل : «افتراه محمد من تلقاء نفسه فكذبهم الله»^(٣) ، فقال : ﴿بَلْ
هُوَ﴾ ؛ أي القرآن .

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ . قال الكلبي : «يعني
العرب»^(٤) . قال قتادة : «كانوا أمة أمية»^(٥) ، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ^(٦) .

قال أبو إسحاق : «هذا كقوله : ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ ؛ أي لم يشاهدوا
هم ولا آبائهم نبياً» ، قال : «والحجة ثابتة عليهم بإنذار من تقدم من الرسل وإن
لم يأتهم نذير»^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ . قال مقاتل وابن عباس : «لكي يرشدوا
من الضلالة»^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٣/٤ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ أ .

(٤) أورده المؤلف في الوسيط ٤٤٩/٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/٣٣٣ غير منسوب لأحد .

(٥) في (أ) : (آمنة) ، وهو خطأ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩٠/٢١ ، وتفسير الماوردي ٤/٣٥٣ ، ومجمع البيان ٨/٥٠٩ .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٤/٤ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ أ . وقد أورده المؤلف في الوسيط ٣/٤٤٩ غير منسوب لأحد .

٤. قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ^(١) مُفسَّر في سورة الأعراف ^(٢) ويونس ^(٣) .

وقوله : ﴿مَا لَكُمْ﴾ : يعني كفار مكة . ﴿مِّن دُونِهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد غيره» ^(٤) . ﴿مِّن وَلِيٍّ﴾ : قريب ينفعكم في الآخرة ، ويرد سخطه عنكم ، قاله ابن عباس ومقاتل ^(٥) . ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾ : من الملائكة وغيرهم يشفع لكم . ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ : أفلا تتعظون .

٥. قوله تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ فيه قولان للمفسرين وأصحاب المعاني ؛ أحدهما : قول ابن عباس في رواية عطاء ، قال : «ينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض» ^(٦) ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ : يريد يرجع إليه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من أيام الدنيا ، وهذا القول اختيار صاحب النظم ، وقد شرحه وبيّنه ، فقال : «قوله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يعني به ^(٧) أمر الدنيا إلى آخره ، يدبره الله - عز وجل - مدة أيام الدنيا ، ثم يعرج إليه ذلك الأمر والتدبير بعد انقضاء الدنيا وفنائها ، ومعنى يعرج يرتفع ، ومعنى يرتفع يصير ، كقولك : ارتفع أمرنا إلى الأمير ؛ أي صار إليه» ^(٨) .

(١) قوله : (وما بينهما) ساقط من (أ) ، وهو خطأ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس : ٣] .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير ابن عباس ٣٤٧ بهامش المصحف ، وتفسير مقاتل ٨٤ أ .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٧) في (ب) : زيادة (إلا) ، وهو خطأ .

(٨) في كلام المؤلف - رحمه الله - هنا نظر ؛ فإنه يؤول صفة العلو والفوقية التي يؤولها الأشاعرة ، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة ويقولون : إن الله سبحانه عال بذاته فوق مخلوقاته بائن منهم ، وهو معهم بعلمه . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢ / ٣٨١ ، وشرح حديث النزول ٣٨٨ .

قوله تعالى : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : وهو يوم القيامة ، مقداره ألف سنة . هذا كلامه . وأمّا قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فسندكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . القول الثاني : إن معنى الآية تنزل الوحي والقضاء مع جبريل من السماء إلى الأرض ، ثم يصعد جبريل إلى السماء في يوم واحد من أيام الدنيا - وقدره مسيرة ألف سنة - خمسمائة نزول وخمسمائة صعود ؛ لأنه ينزل مسيرة خمسمائة عام ويصعد مثله ، فذلك ألف سنة ، كل ذلك في يوم واحد من أيام الدنيا ، وهذا قول مقاتل والسُّدِّي وقتادة^(١) .

وذكره مقاتل ، فقال : « يقضي الأمر في السماء وينزله مع الملائكة إلى الأرض ، فيوقفه ثم يصعد إلى السماء ، فيكون نزولها به ورجوعها في يوم واحد مقداره ألف سنة مما تعدون ، يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعددنا ألف سنة ؛ لأن بُعد ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم ، إذا^(٢) قطعت الملائكة بادية وعائدة في يوم واحد فقد قطعت مسيرة ألف سنة في يوم » .

فعلى القول الأول (يعرج) خبر (الأمر) ، والهاء في (إليه) كناية عن الله ، والمراد باليوم يوم القيامة .

وعلى القول الثاني (يعرج) خبر عن (الملك) ولم يجز له ذكر ، والهاء في (إليه) كناية عن (السماء) على لغة من يذكره .

وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ ﴾ ؛ أي مقدار المسير فيه ، يعني مسير الملك ، والأول أليق بظاهر اللفظ ، وهذه الآية مما ترك ابن عباس الكلام فيه ؛ فقد روي أن عبدالله بن فيروز سأله عن هذه الآية وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب ، وتفسير الطبري ٩١ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٥٣ / ٤ ، ومجمع البيان ٥١٠ / ٨ .

(٢) في (ب) : (إذ) ، وهو خطأ .

فقال ابن عباس : «أياماً سَمَّاهَا الله ، وما أدري ما هي ، وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم» ، ثم سأل سعيد^(١) بن المسيب عن هذه الآية فلم يدرِ ما يقول فيها حتى أخبر بها قال ابن عباس ، فقال للسائل : «هذا ابن عباس فقد اتقى أن يقول فيها ، وهو أعلم مني»^(٢) .

٦. وقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ . قال مقاتل : «يعني الذي صنع ما ذكر من هذه الأشياء»^(٣) . ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ . قال ابن عباس : «عالم ما غاب عن خلقي ، وعالم ما حصره خلقي»^(٤) . ﴿الْعَزِيزُ﴾ : المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ : بأوليائه وأهل طاعته .

٧. قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ، وقُرئ : (خَلَقَهُ) بفتح اللام على الفعل ؛ فَمَنْ قرأ : (خَلَقَهُ) بسكون اللام ، ففيه وجهان ؛ أحدهما^(٥) : أن التقدير الذي أحسن خلق كل شيء ، وهو قول قتادة^(٦) ، واختيار الأخفش^(٧) وصاحب النظم ، وذكره أبو إسحاق وأبو علي^(٨) .

(١) في (أ) : (ابن سعيد) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٠٨/٢ ، والمستدرک للحاكم ٦١٠/٤ ، وقال : «حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه» ، إلا أن الحاكم لم يذكر آخر الحديث ، وهو سؤال ابن المسيب . وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٣٧/٦ ، وعزاه إلى عبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم ، وصحَّحه عن عبدالله بن أبي مليكة .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ أ .

(٤) ذكره المؤلف في الوسيط ٤٥٠/٣ ، والطبرسي في مجمع البيان ٥١٢/٨ ، وأبو حيان في البحر ٤٣٢/٨ غير منسوب إلى أحد ، ولم أقف على مَنْ نسبته إلى ابن عباس .

(٥) في (أ) : (أحدها) .

(٦) ورد في تفسير عبدالرزاق ١٠٩/٢ ، وزاد المسير ٣٣٤/٦ ، وذكره الماوردي ٣٥٥/٤ ، والطبرسي ٥١٢/٨ عن ابن عباس .

(٧) لم أقف على اختيار الأخفش له .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٢٠٤/٤ ، والحجة ٤٦٠/٥-٤٦١ .

قال الأخفش في قوله : (خَلَقَهُ) : «على البذل ، يعني أنه أبدل خلقه من كل شيء»^(١).

وقال صاحب النظم : «مَنْ سَكَنَ اللام فيه تقديم وتأخير على تأويل : أحسن خلق كل شيء ، إِلَّا أَنَّهُ - عز وجل - لَمَّا قَدِمَ كل شيء ، والمراد خلق كل شيء ، أبدل منه دلالة عليه بالكناية عنه» . وقال أبو علي : «فجعل (خلقه) بدلاً من (كل) ، فيصير التقدير الذي أحسن خلق كل شيء»^(٢).

وأما معنى ﴿أَحْسَنَ﴾ فقال^(٣) ابن عباس في رواية عطاء : «أتقن ما خلق» ، وهو لفظ مجاهد^(٤) . ومعنى الإحسان هاهنا الإتقان والإحكام . وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : «أَمَّا أَنْ اسْتَ القرد ليست بحسنة ولكن أحكم خلقه»^(٥).

وقال مقاتل : «علم كيف يخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد»^(٦) . قال السُّدِّي : «أحسنه لم يتعلمه من أحد»^(٧) . ومعنى الإحسان على هذا القول العلم ، قال : «فلان يحسن كذا ، إذا كان يعلمه» .

وقال صاحب النظم : «معنى الخلق التقدير ، ومعنى ذلك أنه - عز وجل - لَمَّا طَوَّلَ رجل البهيمة ، والطائر طَوَّلَ عنقه ؛ لئلا يتعذر عليه ما لا بدَّ به من

(١) لم أقف على قول الأخفش .

(٢) انظر : الحجة ٤٦١ / ٥ .

(٣) في (ب) : (وقال) .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٣٥ ، وتفسير الطبري ٩٣ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٥٥ / ٤ ، ومجمع البيان ٥١٢ / ٨ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٣ / ٢١ ، وتفسير القرطبي ٩٠ / ١٤ ، والبحر المحيط ٤٣٣ / ٨ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٣٥٥ / ٤ ، ومجمع البيان ٥١٢ / ٨ ، وزاد المسير ٣٣٤ / ٦ .

قوته ، [ولو] ^(١) تفاوت ذلك لم يكن له معاش ، وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدّر لما يصلح له معاشه . وقال أبو إسحاق : « تأويل الإحسان في هذا أنه خلقه على إرادته ، فخلق الإنسان في أحسن تقويم ، وخلق القرد على ما أحب ، وخلق إياه على ذلك من أبلغ الحكمة » ^(٢) .

الوجه الثاني في هذه القراءة أن قوله : ﴿ خَلَقَهُ ﴾ انتصب على المصدر الذي دلّ عليه أحسن ، والمعنى الذي خلق كل خلقه ، قاله الزّجاج ^(٣) .

وشرحه أبو علي ، فقال : « خلقه ينتصب على أنه مصدر دل عليه ما تقدّم من قوله : ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ؛ لأن قوله أحسن كل شيء [يدل على خلقه كل شيء] » ^{(٤)(٥)} . والضمير في خلقه كناية عن اسم الله تعالى ، والذي يدل على ذلك أنه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر ، وما كان من هذا النحو أضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو : صنع الله ، ووعد الله ، وكتاب الله ، فكما أضيفت هذه المصادر إلى الفاعل كذلك يكون خلقه مضافاً إلى ضمير الفاعل ، وهذا الذي ذكرنا مذهب سيبويه ^(٦) ، وعلى هذا التقدير معنى الآية : الذي خلق كل شيء . ومن قرأ : (خلق) بفتح اللام كان صفة للنكرة المتقدمة ، وموضع الجملة يحتمل وجهين :

- (١) في النسخ جميعها : (وهو) ، وهذا خطأ ، والصواب في الوسيط ٣ / ٤٥٠ .
- (٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٠٤ .
- (٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٠٤ . قال الزّجاج : « الذي خلق كل شيء خلقه » ، فكلية (شيء) ساقطة .
- (٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٥) الحجة ٥ / ٤٦١ .
- (٦) الكتاب ١ / ٣٨٠ - ٣٨١ ، وانظر : مجمع البيان ٨ / ٥١١ .

أحدهما : إن جعلتها صفة لكل كانت في موضع نصب ، وإن جعلتها وصفاً لشيء كانت في موضع جر ، ومثل وصف النكرة بالجملة قوله : ﴿ كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام : ٩٢] ، فقوله : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ وصف لكتاب ، وموضع الجملة رفع ، والدليل على ذلك رفع مبارك بعده فتعلم بارتفاع المفرد أن الجملة قبله في موضع رفع^(١) . ومعنى الإحسان على هذه القراءة يحتمل العلم ويحتمل الإحكام . قال الكلبي : « أحكم كل شيء عمله ، فلم يُعنه عليه أحد »^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ قال مقاتل : « يعني آدم ، كان أوله طيناً فلَمَّا نفخ فيه الروح صار لحماً »^(٣) .

٨ . ﴿ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : « ولده وذريته »^(٤) . ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾ تقدم تفسيرها^(٥) . ﴿ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ . قال ابن عباس والكلبي ومجاهد ومقاتل : « من ماء ضعيف ، وهو النطفة » ، كل هؤلاء قالوا : « المهين : الضعيف »^(٦) .

(١) انظر الكلام بنصه في : الحجة ٤٦٢ / ٥ .

(٢) ذكر نحوه الماوردي ٣٥٥ / ٤ ، ولم ينسبه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩٥ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٥٦ / ٤ ، والبحر المحيط ٤٣٣ / ٨ ، ومجمع البيان ٥١٢ / ٨ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢] ، قال : « السلالة : فعالة من السل ، وهو استخراج الشيء من الشيء ، يقال : سللت الشعر من العجين فانسل ، وسللت السيف من غمده فانسل ، ومن هذا يقال للنطفة : سلالة ، وللولد : سليل وسلالة » .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٩٥ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٥٦ / ٤ ، ومجمع البيان ٥١٢ / ٨ ، وتفسير مجاهد ٥٠٩ ، وتفسير مقاتل ٨٤ ب .

قال الزَّجَّاجُ : «هو فاعيل من المهانة ، وهي القلة»^(١) ، وذكر ذلك في قوله : ﴿كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم : ١٠] .

وقال الليث : «رجل مهين حقير ، وقد مهن مهانة»^(٢) .

قال أبو زيد : «رجل مهين للضعيف من قوم مهناء»^(٣) .

٩ . قال مقاتل : «ثم رجع إلى آدم فقال : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ يعني سَوَّى خلقه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ ، ثم رجع إلى ذرية آدم فقال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ يعني بعد أن كنتم [نطفاً]^(٤) السمع والأبصار والأفئدة»^(٥) . وهذه نعم فلم يشكروا ربهم ، فذلك قوله : ﴿فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ يعني بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعمة في حسن خلقه فتوحدونه»^(٦) . هذا كلامه^(٧) . وبعض المفسرين يجعل^(٨) قوله : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ من صفة قوله : ﴿جَعَلَ نَسْلَهُ﴾^(٩) ، ثم نزل في منكري البعث .

(١) انظر قول الزَّجَّاجِ في : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٥ / ٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (مهن) ٣٣٠ / ٦ ، واللسان ٣٢٤ / ١٣ ، والصحاح ٢٢٠٩ / ٦ .

(٣) تهذيب اللغة (مهن) ٣٣٠ / ٦ ، واللسان ٣٢٤ / ٣ ، والصحاح ٢٢٠٩ / ٦ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٦) في (ب) : (فيوحدونه) .

(٧) تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٨) في (ب) : (يجعل هذا) ، وهو خطأ .

(٩) انظر : مشكل إعراب القرآن للقيسي ١٨٦ / ٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٥٨ / ٢ ، وتفسير الفخر الرازي ١٧٤ / ٢٥ .

١٠ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أنذا صرنا»^(١) تراباً ورفاتاً»^(٢) .

وقال مجاهد ومقاتل : «هلكنا في الأرض وصرنا تراباً»^(٣) .

وقال السُّدِّي : «بليت أجسادنا في التراب»^(٤) . وقال أبو عبيدة : «همدنا»^(٥) في الأرض»^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «صرنا تراباً»^(٧) فلم يبين شيئاً من خلقنا»^(٨) .

وقال ابن قتيبة : «بطلنا»^(٩) [الأرض]»^(١٠) . وأصل هذا من الضلال بمعنى الغيبوبة ، يقال : ضل اللبن في الماء إذا غاب ، وأضل الميت في القبر إذا غيَّبته في التراب»^(١١) .

(١) في (أ) : (وصرنا) .

(٢) لم أقف على مَنْ نسبته إلى ابن عباس ، وقد ذكره الطبري ٩٧ / ٢١ ، والنحاس في معاني القرآن ٣٠٢ / ٥ ، والماوردي ٣٥٦ / ٤ عن مجاهد وقتادة .

(٣) انظر : المراجع السابقة ، وتفسير مجاهد ٥١٠ ، وتفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٤) لم أقف على مَنْ نسبته إلى السُّدِّي ، وقد ذكره الفراء في معاني القرآن ٣٣١ / ٢ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ١٣١ / ٢ .

(٦) في (ب) : (همدنا في التراب الأرض) ، وهو خطأ .

(٧) في (ب) : (التراب) .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٥ / ٤ .

(٩) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٤٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٥٧ .

(١٠) وردت هذه الكلمة في النسخ جميعها ، والذي يظهر أنها خطأ ؛ إذ لا معنى لها هنا حسب فهمي ، والله أعلم .

(١١) انظر : تهذيب اللغة (ضل) ٤٦٢ / ١١ وما بعدها ، واللسان (ضلل) ٣٩٠ / ١١ ، والاعتقاد في نظائر الظاء والضاد ٢٥ .

قال المخبِّل^(١) :

أضَلْتُ بنو قيس^(٢) بن سعدٍ عميدَها

وفارسَها في الدهرِ قيسَ بنِ عاصمٍ^(٣)

يعني دفتته . وقال النابغة :

فأَب مَضْلُوهُ بعينٍ جلية^(٤)

يريد مضليه : دافنيه .

وقوله تعالى : ﴿أَيُّ نَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام بمعنى الإنكار ، أنكروا أن يعاد خلقهم جديداً بعد الموت . قال ابن عباس : «أنكروا قدرة سيدهم جل جلاله»^(٥) .

(١) أبو يزيد بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي ، من بني أنف الناقة من تميم ، ذكره ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول شعراء الجاهلية ، وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، توفي في خلافة عمر أو عثمان - رضي الله عنهما - . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٣ ، وشرح اختيار المفضل ١/ ٥٣٣ ، ومعجم الشعراء ١٧٧ .

(٢) في (ب) : (بنو) .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للمخبِّل في ديوانه ٣١٨ ، وتهذيب اللغة ١١/ ٤٦٥ ، واللسان ١١/ ٣٩٥ .

(٤) صدر بيت من الطويل ، وعجزه :

وغودرَ بالجلولان حَزْمٌ ونائلٌ

وهو في الديوان وفي المراجع التي ورد فيها : (فأَب) ، وفي نسخ المخطوط : (فتاه) . انظر : ديوانه ١٢١ ، وتهذيب اللغة ١١/ ٤٦٥ ، واللسان ١١/ ٣٩٥ ، والدر المصون ٥/ ٣٩٦ . يريد بقوله : «بعين جلية» ؛ أي بخبر صادق أنه مات ، انظر : اللسان ١١/ ٣٩٥ .

(٥) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد ذكر نحوه الطبري ٢١/ ٩٧ عن قتادة ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٥١٣ ، والثعالبي في جواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/ ٢١٣ غير منسوب إلى أحد .

قال أبو علي : « موضع إذا نصب بما دل عليه قوله : ﴿ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ؛ وذلك أن هذا الكلام يدل على : تعاد ، والتقدير : أتعاد [أئذا ضللنا] ^(١) في الأرض » ، وقد تقدّم ذكر ذلك ^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ كَغَفُورٍ ﴾ : يعني بالبعث [كافرون] ^(٣) لا يؤمنون به ، قاله ابن عباس ومقاتل ^(٤) .

١١ . ﴿ قُلْ يَنفُخُنَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ . قال أبو إسحاق : « تأويله أنه يقبض أرواحكم أجمعين ، فلا ينقص واحد منكم ، كما تقول : قد استوفي فلان ، وتوفيت مالي عنده ، تأويله أنه لم يبق لي عليه شيء » ^(٥) .

قوله : ﴿ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد وُكِّلَ بقبض أرواحكم » ^(٦) . ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ . قال مقاتل : « يريد بعد الموت تصيرون إليه أحياء ، فيجزىكم بأعمالكم » ^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٢) انظر : الحجة ٥ / ٤٦٢ ، والكلام فيها : موضع إذا نصب بما دل عليه قوله : أئنا لفي خلق جديد ؟ وكأن هذا الكلام يدل على : تعاد ، والتقدير : تعاد إذا ضللنا .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٠٥ .

(٦) انظر : الوسيط ٣ / ٤٥٠ ، ومجمع البيان ٨ / ٥١٤ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .

١٢. قوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ : إذ تكون للماضي ، وهذا إخبار عما هو آتٍ بعد ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] . قال مقاتل : «يعني كفار مكة»^(١) .

قوله : ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ ؛ أي مطأطئوها . وقال [ابن عباس]^(٢) : «من الندامة»^(٣) ؛ وذلك أن النادم من شأنه أن يطأطي رأسه متفكراً متحيراً ، فالإضافة في قوله : ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ في تقدير الانفصال ؛ لأنه لم يأت بعد لا^(٤) للماضي ، وقد مضى مثل هذا كثير ، كقوله : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [الحج: ٩] ، و ﴿هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] . وذكرنا استقصاء هذه الآية عند قوله : ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] .

وقوله : ﴿رَبَّنَا﴾ ؛ أي يقولون ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نجهل ، وسمعنا ما كنا ننكر ، ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ نقول : لا إله إلا الله . ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ : يريد : أيقنوا ذلك اليوم ما كانوا ينكرون^(٥) ، قاله ابن عباس^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٢) مكرر في (أ) .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الطبري ٩٨ / ٢١ عن ابن زيد ، والماوردي ٣٥٩ / ٤ عن يحيى بن سلام ، والقرطبي ٩٥ / ١٤ من دون نسبة .

(٤) الكلام هنا غير واضح ، ويظهر - والله أعلم - أن قوله : (بعد لا) زيادة لا معنى لها .

(٥) هكذا في النسخ جميعها ، والصواب : (ينكرون) .

(٦) ورد في الوسيط ٤٥١ / ٣ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٥٩ / ٤ عن يحيى بن سلام ، وأبو حيان في البحر ٤٣٥ / ٨ عن النقاش .

قال أبو إسحاق : « وهذا متروك الجواب ، والجواب : لرأيت ما يعتبر به غاية الاعتبار »^(١) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾^(٢) . قال ابن عباس ومقاتل : « رشدھا وبيانھا »^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ [الأنعام : ٣٥] . ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد هذا قضائي وقدري في ملكي وربوبيتي »^(٤) .

وقال مقاتل : « يعني من كفار الإنس والجن جميعاً »^(٥) . والقول الذي وجب من الله ، قوله لإبليس يوم عصاه : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٥] . والآية صريح^(٦) في تكذيب القدرية^(٧) ؛ لأن الله تعالى قد أخبر بهذه الآية أن مَنْ لم يؤمن فإنما ذلك لأنه لم يشأ أن يؤتیه هداة .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٦ / ٤ .

(٢) في النسخ جميعها : (ولقد آتينا) ، وهو خطأ .

(٣) انظر : الوسيط ٤٥١ / ٣ ، وتفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٤) الوسيط ٤٥١ / ٣ .

(٥) تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٦) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب : (صريحة) .

(٧) فرقة سميت بذلك لقول أتباعها في القدر ، فهم يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه استقلالاً ، فأثبتوا — بسبب قولهم — خالقاً مع الله ، ولذا فهم مجوس هذه الأمة كما سَمَّاهم بذلك الرسول ﷺ ؛ لأن لمجوس يثبتون خالقين : خالقاً للنور ، وخالقاً للظلمة ، وهم ينفون العلم السابق ، والمشية السابقة . انظر : الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل ٦٥ / ١ .

١٤ . ﴿ فَذُوقُوا ﴾ . قال مقاتل : «إذا دخلوا النار ، قالت لهم الخزنة : فذوقوا العذاب»^(١) . ويجوز أن يكون المعنى : ويقال لهم : فذوقوا ، فيكون القائل هو الله تعالى .

قال أبو علي : «المعنى : فذوقوا العذاب بما نسيتم ، فحذف واستغني عن ذكره للعلم به وكثرة ترده» ، في نحو : [ذوقوا العذاب]^(٢) ، و﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ [السجدة : ١٤] ، و﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ [السجدة : ٢٠] ، [سبأ : ٤٢] . ومثل ذلك في الشعر [قوله]^(٣) :

كَأَنَّهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصُهُ
عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبْلَتْ^(٤)
أي : تقطع الحديث^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد تركتم لقاء يومكم ، يريد حيث لم تعملوا لله بما يجب [ويرضى]^{(٦)(٧)}» ، وقال مقاتل : «بما تركتم الإيمان بيومكم هذا»^(٨) .

(١) تفسير مقاتل ٨٤ ب .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من كلام أبي علي .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للشنفرى في ديوانه ٣٣ ، وتهذيب اللغة ١٣ / ٨١ ، ١٤ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، والخصائص ١ / ٢٨ ، واللسان ٢ / ١١ ، ١٥ / ٣٢٤ . وفي شرح المفصليات ٢٠١ ، يقول : «كأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئاً ضاع منها» . فالنسي : هو الفقد ، وأمها : قصدها ، وتبليت : تنقطع في كلامها لا تطيله .

(٥) الحجة ١ / ٣٥ - ٣٦ .

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) تفسير مقاتل ٨٥ أ .

وقال السُّدِّي : « بما تركتم أن تعملوا للقاء يومكم هذا »^(١) .

﴿ إِنَّا نَسِينَكُمْ ﴾ : تركناكم في العذاب ومن الرحمة ، قاله مقاتل
والسُّدِّي^(٢) . وتأويل النسيان هاهنا الترك في قول المفسرين وأهل المعاني^(٣) .

﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ . قال مقاتل : « الذي لا ينقطع »^(٤) .

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب .

ثم ذكر المؤمنين ، فقال :

١٥ . ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ . قال ابن عباس
ومقاتل : « وعظوا بآيات القرآن »^(٥) . ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ : سقطوا على
وجوههم ساجدين . ﴿ وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ : قالوا : سبحان الله
وبحمده ، وسبحان ربي الأعلى ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] . ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن السجود كفعل كفار
مكة .

(١) الوسيط ٣/ ٤٥٢ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٦٠ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٨٥ أ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٣٦٠ ، ونسبه إلى مجاهد ، ولم أقف عليه عن
السُّدِّي .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩٩/ ٢١ ، وتفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم ٣/ ٣٤٦ ، وتفسير الماوردي
٤/ ٣٦٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٦ .

(٤) تفسير مقاتل ٨٥ أ .

(٥) تفسير مقاتل ٨٥ أ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾ . قال الليث : « يقال : جفا الشيء يجفو جفاءً ممدوداً ، إذا سال السرج ^(١) ، يجفو عن الظهر إذا لم يلزمه وكالجنب يجفو عن الفراش » ، وأنشد :

إِنَّ جَنْبِي عَنِ الْفَرَاشِ لِنَائِي ^(٢) كَتَجَافِي الْأَسْرِ فَوْقَ الظَّرَابِ ^(٣) ^(٤)

ومن هذا يقال : جفت عيني فلان عن الغمض ، إذا نبت عنه لم ينم ، ومنه قوله :

جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا عَنْهَا قِصَارُ ^(٥)

قال أبو عبيدة والزجاج وابن قتيبة : « تتجافى : ترتفع » ^(٦) .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب كما في تهذيب اللغة : (كالسراج) .

(٢) هكذا في (أ) ، وفي (ب) : (نائي) ، وهو في تهذيب اللغة : (لناب) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جفا) ٢٠٦ / ١١ .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لمعد يكرب في اللسان ١ / ٥٦٩ ، ٤ / ٣٦٠ ، والتنبيه والإيضاح ١ / ١١٢ ، ٢ / ١٣٢ ، وكتاب العين ٦ / ١٩٠ ، ٧ / ١٨٨ . ولعمرو بن الحارث أخى معد يكرب في معجم الشعراء ٤٦٧ . السرر : داء يأخذ البعير في كركرته ، والكركرة هي رحي زور البعير فتسيل ماء ، فإذا برك على موضع خشن تجافى عنه لشدة الوجد ، والضارب : الجبال الصغار . انظر : معجم الشعراء ٤٦٧ .

(٥) البيت من الوافر ، وهو لبشار بن برد في ديوانه ٣ / ٢٤٩ ، والكامل للمبرّد ٢ / ٧٦٠ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٢٠ .

(٦) مجاز القرآن ٢ / ١٣٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٠٧ ، وتفسير غريب القرآن ٣٤٦ .

وقال الفرّاء : «تقلق»^(١) .

وقوله : ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ : المضجع : الموضع الذي يضطجع عليه ، وجمعه المضاجع ، وَقَلَّ مَا يُسْتَعْمَلُ ضَجْعٌ يَضْجَعُ مِنْ بَابِ الثَّلَاثِي ، إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ مَضْجَعٌ وَاضْطَجَعَ .

قال ابن عباس في تفسير المضاجع : «هي الأوطية»^(٢) .

واختلفوا في الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، مَنْ هم ؟

فقال الحسن ومجاهد وأبو العالية : «هم المجتهدون بالليل»^(٣) ، وهو بمعنى قول ابن عباس في رواية عطاء .

وروي ذلك مرفوعاً في حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال في قوله : ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ : «هو قيام العبد بالليل»^(٤) .

وقال آخرون : «هم الذين كانوا لا ينامون حتى يصلون العشاء الآخرة» ، وهو قول أنس بن مالك ومجاهد وعطاء^(٥) .

قال أنس : «نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة» .

(١) معاني القرآن ٣٣١ / ٢ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٠١ / ٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠٤ / ٥ ، وتفسير الماوردي ٣٦٣ / ٤ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣٢ / ٥ ، وذكره السيوطي في الدر ٥٤٧ / ٦ ، وعزاه إلى أحمد وابن جرير وابن مردويه وابن أبي حاتم .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٠١ / ٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠٤ / ٥ ، وتفسير الماوردي ٣٦٣ / ٤ .

وقال مجاهد : «نزلت في ناس من الأنصار ، كانوا لا ينامون حتى يصلون العشاء الآخرة» .

وقال عطاء : «هي العتمة ، يعني يصلونها ولا ينامون عنها»^(١) .

وقال آخرون : «هم الذين يصلون بين صلاة المغرب إلى صلاة العشاء»^(٢) الآخرة ، فأنزل الله هذه الآية»^(٣) . روى قتادة عنه قال : «نزلت فينا معاشر الأنصار ، كنّا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ . قال ابن عباس : «خوفاً من النار ، وطمعاً في الجنة»^(٥) .

وقال مقاتل : «خوفاً من عذابه ، ورجاء في جنته»^(٦) .

قال أبو إسحاق : «وانتصاب»^(٧) خوفاً وطمعاً ؛ لأنه مفعول له ، وحقيقته أنه في موضع مصدر ؛ لأن ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ في هذا الموضع يدل على أنهم يخافون ويرجون ، فهو في تأويل : يخافون خوفاً ويطمعون طمعاً»^(٨) .

(١) انظر : أقوال الثلاثة في المصادر السابقة .

(٢) في (أ) : (عشاء) .

(٣) قال بهذا القول أنس و قتادة وعكرمة . انظر : تفسير الطبري ١٠١/٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٦٣/٤ .

(٤) أورده السيوطي في الدر ٥٤٦/٦ ، وعزاه إلى ابن مردويه عن أنس ، وأورده الطبرسي في مجمع البيان ٥١٨/٨ .

(٥) أورده الطبري في تفسيره ١٠٣/٢١ ونسبه إلى قتادة ، وذكره من دون نسبة الماوردي في تفسيره ٣٦٣/٤ ، والطبرسي في تفسيره ٥١٨/٨ ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٨٥ أ .

(٧) في (ب) : (وانتصب) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٧/٤ .

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . قال الكلبي: «في الواجب عليهم والتطوع»^(١).

١٧. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: [أو]^(٢) لا يعلم أحد ما خبيء لهؤلاء الذين ذكرهم مما تقر به أعينهم . وتفسير هذه الآية ما رواه الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، بله ما أطلعكم عليه ، اقرأوا إن شئتم : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»^(٣).

قال ابن عباس في هذه الآية : «هذا مما لا تفسير له ، الأمر أعظم وأجل مما يعرف تفسيره»^(٤).

وقال أبو إسحاق : «هذه الآية دليل على أنه يجازي عليه أخفي لهم»^(٥) ، وهذا الذي ذكره أبو إسحاق جيد موافق لما ذكره القرطبي^(٦) في هذه ، قالوا : «إنهم [أخفي]^(٧) أخفوا الله عملاً فأخفي لهم ثواباً ، فقدموا على الله فقرت تلك الأعين» .

وقال الحسن : «أخفوا أعمالاً في الدنيا فأثابهم الله بعملهم»^(٨).

(١) ورد في الوسيط ٣/ ٤٥٣ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٣٩ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٢) (أو) يظهر أنها زائدة ، وقد تكون خطأ من النساخ ؛ لأنها لا تفيد شيئاً .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ، باب : قوله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ، رقم ٤٥٠١ ، ومسلم ، واللفظ له ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، رقم ٢٨٢٤ .

(٤) انظر : الوسيط ٣/ ٤٥٣ ، وجمع البيان ٨/ ٥١٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٠٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٧ ، وكلام أبي إسحاق هو : «نجعل لفظ ما يجازي به (أخفي)» .

(٦) لم أقف على قول القرطبي .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة في (ب) ، ولا معنى لها .

(٨) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٣٦٤ ، وزاد المسير ٦/ ٣٣٩ ، والقرطبي ١٤/ ١٠٤ .

وروى ابن عباس في هذه الآية أنه دخل على بعضهم وذكر له هذه الآية فقال: «العبد يعمل سراً أسره إلى الله لم يعلم به الناس، فأسر الله له يوم القيامة قرّة أعين»^(١).

وقرأ العامة: (أخفى) على الفعل الماضي فعل ذلك، اختاره أبو عبيدة، قال: «لأن الله تعالى قد فرغ منه هو كائن». وقرأ حمزة: (أخفى) بإسكان الياء؛ أي ما أخفى لهم أنار حجته، قراءة عبدالله: (نخفي) بالنون^(٢).

قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. قال أبو إسحاق: «انتصب جزاء؛ لأنه مفعول له»^(٣).

١٨. قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾. قال السُّدِّي: «نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة»^(٤) بن أبي معيط؛ وذلك أنه جرى بينهما تنازع وسباب، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لساناً^(٥)، فقال له علي: اسكت، فإنك فاسق تقول الكذب، فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لما قاله علي^(٦). وقال ابن عباس في رواية عطاء: «الفاسق عقبة بن أبي معيط».

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٥٣٠، والحجة ٥/ ٤٦٣.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٠٨.

(٤) الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أمه أروى بنت كرز أم عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، فهو أخو عثمان لأمه، كنيته أبو وهب، أسلم يوم الفتح، وولاه عثمان الكوفة ثم عزله، وكان شاعراً كريماً - رضي الله عنه -، توفي في خلافة معاوية. انظر: الإصابة ٦/ ٣٢١، وأسد الغابة ٥/ ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤١٢.

(٥) في (ب) : (لسانك)، وهو خطأ.

(٦) أورده المؤلف في أسباب النزول ٢٠٠ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، والسيوطي في لباب النقول في أسباب النزول ١٧٠، وعزاه إلى الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، =

واختار الزَّجَّاج هذا^(١)، والباقون قالوا: «هو الوليد بن عقبة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾. قال الفرَّاء: «ولم يقل: يستويان؛ لأن الاثنين إذا كان^(٣) غير مصمود^(٤) لهما، ذهباً مذهب الجمع. تقول في الكلام: ما جعل الله المسلم كالكافر، فلا تسوين بينهما وبينهم، وكل صواب»^(٥). وقال أبو إسحاق: «من لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الجماعة فجاء لا يستوون على معنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، قال: ويجوز أن يكون لا يستوون للاثنين؛ لأن معنى الاثنين جماعة»^(٦).

١٩. ثم أخبر عن منازل الفريقين، فقال: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا﴾؛ أي الموضع الذي يأوي إليه المؤمنون، وأضاف الجنات إليه؛ لأن ذلك الموضع الذي يأوي إليه المؤمنون يتضمن جنات وبساتين.

قال أبو إسحاق: «فشهد الله - عز وجل - لعلي بالإيمان، وأنه في الجنة بهذه الآية»^(٧). وقوله: ﴿نُزُلًا﴾: النزول؛ ما تهياً، ويقام للنازل والضيف^(٨)، وقد مرَّ

وأخرجه الطبري ١٠٧/٢١ عن عطاء بن يسار. قال السيوطي في لباب النقول: «وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله، وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله».

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٤.

(٢) وبه قال عطاء أيضاً وعبدالرحمن بن أبي ليلى ومقاتل. انظر: تفسير الطبري ١٠٧/٢١، وزاد المسير ٣٤٠/٦.

(٣) في (أ): (كانا).

(٤) أي غير مقصودين، تقول: صمده وصمد إليه؛ أي قصده. انظر: اللسان ٢٥٨/٣.

(٥) معاني القرآن ٣٣٢/٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٤.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٤.

(٨) انظر: تهذيب اللغة (نزل) ٢١١/١٣.

تفسيره^(١). وانتصب (نزلاً) على الحال من الجنات كأنه قيل: لهم الجنات مُعَدَّة، ويجوز أن يكون مفعولاً له.

٢٠. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: الآية مُفسَّرة في سورة الحج.

٢١. وقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ الآية. العذاب الأكبر: هو عذاب يوم القيامة، والعذاب الأدنى هو ما يعذبون به قبل يوم القيامة، واختلفوا فيه:

قال^(٢): «هو الجوع الذي ابتلوا به بمكة سبع سنين حتى أكلوا الجيف»، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، وابن مسعود في رواية أبي عبيد، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٣).

وقال أبي بن كعب: «هو مصائب الدنيا»، وهو قول إبراهيم، قال: «أشياء يصابون بها في الدنيا ويبتلون في أموالهم لعلمهم يقبلون إلى الله»، وهو قول الحسن، ورواية الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس^(٤).

القول [الثالث]^(٥) في العذاب الأدنى: إن القتل يوم بدر، وهو قول عبدالله في رواية مسروق عنه، وقول قتادة والسُّدي، قال: «العذاب الأدنى: يوم بدر

(١) عند قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

(٢) لم يرد ذكر للقائل في النسخ، وقال المؤلف في الوسيط: «قال مقاتل».

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٨٥ ب، وتفسير الطبري ١١٠/٢١، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠٩/٥، وتفسير مجاهد ٥١١، وزاد المسير ٣٤١/٦.

(٤) انظر: المراجع السابقة، وتفسير الماوردي ٣٦٥/٤.

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

[بالسيف]^(١)، لم يبق بيت من بيوت قريش إلا دخله غرم أو قتل^(٢). وقال عبدالله بن الحارث بن نوفل: «كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنها هو السيف»^(٣).

القول الرابع: إن العذاب الأدنى عذاب القبر، وهو قول البراء ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح عنه^(٤). وأما العذاب الأكبر فلا خلاف أنه في الآخرة، إلا ما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: «يريد القتل يوم بدر»^(٥).

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تفسيره - على قول من يقول: العذاب الأدنى: القتل ببدر - ما ذكره ابن مسعود، قال: «من بقي منهم أن يتوب فيرجع»^(٦).

٢٢. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] مفسر في سورة الكهف.

وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾. قال مقاتل: «نزلت في المطعنين»^(٧) والمستهزئين من قريش، انتقم الله منهم بالقتل ببدر، وتعجيل أرواحهم إلى النار»^(٨).

(١) ما بين المعوفين طمس في (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠٩/٢١، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠٨/٥، ومجمع البيان ٥٢٠/٨، وزاد المسير ٣٤١/٦.

(٣) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس، وقد ذكره الماوردي ٣٦٥/٤ عن ابن مسعود.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١١٠/٢١، ومعاني القرآن للنحاس ٣٠٩/٥، وتفسير الماوردي ٣٦٥/٤، وزاد المسير ٣٤١/٦.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) وبه قال أيضاً أبو العالية وقتادة وإبراهيم. انظر: تفسير الطبري ١١١/٢١، وتفسير الماوردي ٣٦٥/٤.

(٧) هكذا في النسخ، وفي تفسير مقاتل ٨٥ ب: (المطعمين).

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٨٥ ب.

٢٣. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ : يعني التوراة . ﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ﴾ . قال مجاهد : « من أن تلقى موسى »^(١) ، وقال الكلبي : « من لقاء موسى ، فلقية حين أسري به من بيت المقدس » ، ونحو هذا قال السُّدِّي ، قال : « من لقاء موسى ثم لقيه في السماء »^(٢) ، وعلى هذا الكناية عن موسى ، وقد أضيف المصدر إلى المفعول وكأنه ﷺ وعد أنه سيلقى موسى قبل أن يموت فلقية ، وروى^(٣) أسباط عن السُّدِّي^(٤) .

﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ﴾^(٥) : من لقاء ربك ، وعلى هذا القول قال صاحب النظم : « هو كلام اعترض من بين قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ وَحَعَلْنَاهُ هُدًى ﴾ . والخطاب للنبي ﷺ ، والمراد به غيره ممن ينكر البعث ، وهم الذين ذكروا في قوله : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴾ ، والمعنى : فلا تكن في مرية من البعث .

في الآية قولان آخران أشبه بالنفس وأليق بظاهر الآية . قال ابن عباس في رواية عطاء : « فلا تكن في مرية في شك من لقائه ، يريد الكتاب ، يريد تصديق التوراة »^(٧) .

-
- (١) تفسير مجاهد ٥١١ ، وزاد المسير ٦ / ٣٤٣ .
 (٢) انظر : تفسير الطبري ١١٢ / ٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٠٨ / ٥ ، وزاد المسير ٦ / ٣٤٣ .
 (٣) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (ورواه) .
 (٤) انظر : مجمع البيان ٨ / ٥٢٠ . ونسبه إلى السُّدِّي مباشرة .
 (٥) قوله : (من لقائه) ساقط من (أ) .
 (٦) قوله : (ولقد) ساقط من (أ) .
 (٧) أورد الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٢٠ عن الزَّجَّاج ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٣٤٣ عن السُّدِّي والزَّجَّاج ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس .

وقال مقاتل : «فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب ، فإن الله ألقى الكتاب إليه» . وذكر أبو إسحاق أيضاً هذا القول^(١) ، وشرحه أبو علي فقال : «هو على إضافة المصدر إلى المفعول ، مثل : ﴿سُؤَالَ نَجِيكَ﴾ [ص: ٢٤] ، ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ﴾ [الروم: ٣] كأنه لَمَّا قِيلَ لموسى : ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أعلمنا أنه أخذ ما أمر به وتلقاه بالقبول ، فالمعنى من لقاء موسى الكتاب ، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب ، وفي ذلك مدح لموسى على امتثال ما أمر به ، وتنبية على الأخذ بمثل هذا الفعل كقوله : ﴿أَنْبِئْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، وقوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَأَنْبِئْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]»^(٢) .

القول الثاني : قال أبو إسحاق : «يجوز أن تكون الهاء لموسى والكاف محذوف ؛ لأن ذكر الكتاب قد جرى^(٣) كما جرى ذكر موسى»^(٤) .

قال أبو علي : «يجوز أن يكون الضمير لموسى والمفعول به محذوف ، كقوله : ﴿إِنْ نَدَعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] ؛ فالدعاء مضاف إلى الفاعل ، والمفعولون محذوفون . ومثل ذلك في إضافة المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول به قوله : ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠] ، فلم يذكر مفعول مقت الله»^(٥) .

وقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ : الضمير للكتاب في قول الجميع ، قالوا : «جعلنا التوراة هدى لبني إسرائيل من الضلالة» . قال قتادة : «وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل ؛ أي هادياً ، وجعلنا من بني إسرائيل أئمة قادة في

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٥ ب ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٠٩ / ٤ .

(٢) انظر : الحجة ٢٨ / ٢ .

(٣) في (ب) : (جر) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩ / ٤ .

(٥) انظر : الحجة ٢٩ / ٢ .

الخير^(١). ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون الناس إلى طاعة الله بأمر الله ، وهؤلاء يجوز أن يكونوا أنبياء» .

وقال قتادة : «هم سوى الأنبياء»^(٢) .

٢٤ . ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ : وتُقرأ : (لما صبروا) أي لصبرهم . ومن قرأ : (لما صبروا) ، فالمعنى معنى حكاية المجازاة ؛ أي لَمَّا صبروا جعلناهم أئمة . قال أبو علي : «من قرأ : (لَمَّا) جعله كالمجازاة ، إلا أن الفعل المتقدم أغنى عن الجواب ، كما أنك إذا قلت : أجيك إن جئت ، تقديره : إن جئت أجئك ، فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم . ومن قال : (لما) علق الجار بجعلنا ، التقدير : جعلنا منهم أئمة لصبرهم»^(٣) .

قال ابن عباس : «لَمَّا صبروا على دينهم»^(٤) .

قال مقاتل : «لَمَّا صبروا على البلاء حين كانوا بمصر ما لا يطيقون»^(٥) .

وقال ابن المبارك : «لَمَّا صبروا على الدنيا»^(٦) .

قوله تعالى : ﴿وَكَاْنُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ماتوا على يقين من أمرنا»^(٧) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٢/٢١-١١٣ ، وتفسير الماوردي ٣٦٦/٤ ، وزاد المسير ٣٤٤/٤ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٣٦٦/٤ ، والوسيط ٤٥٥/٣ .

(٣) الحجة ٤٦٤/٥ ، وانظر : علل القراءات ٥٣١/٢ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير مقاتل ٨٥ ب .

(٦) أورده الطبري ١١٣/٢١ عن أبي ، والماوردي ٣٦٦/٤ عن سفيان ، ولم أقف عليه عن ابن المبارك .

(٧) لم أقف عليه .

وقال مقاتل : «يعني الآيات التسع أنها من الله»^(١).

٢٥. قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾ ؛ أي يقضي ويحكم . ﴿بَيْنَهُمْ﴾ .
قال ابن عباس : «يريد الذين كذبوا النبي ﷺ من بني إسرائيل»^(٢) .
﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ﴾ من الدين . ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ ؛ وذلك أنهم اختلفوا ،
فأمن بعضهم ، وكفر بعضهم .

ثم خَوَّف كفار مكة ، فقال :

٢٦. ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «أو لم نبين لهم»^(٣) .

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ . قال الفرّاء : «(كم) في موضع رفع بـ ﴿يَهْدِ﴾ ، كأنك
قلت : أو لم تهدم القرون الهالكة»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «وهذا لا يجوز عند البصريين»^(٥) ؛ لأن لم لا تعمل ما قبل كم
في كم لا يجوز في قولك : كم رجل جاءني أن تقول : جاءني كم رجل ؛ لأن كم لا
تزال عن الابتداء ، وحقيقة هذا أن كم في موضع نصب بأهلكنا^(٦) . وفيه تأويل
الرفع كما تقول : قد تبين لي أقام زيد أم عمرو فتكون^(٧) الجملة مرفوعة في المعنى ،

(١) تفسير مقاتل ٨٥ ب .

(٢) أورده المؤلف في الوسيط ٣/ ٤٥٥ غير منسوب ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢١/ ١١٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣١٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز
لهود بن محكم ٣/ ٣٤٩ ، وجمع البيان ٨/ ٥٢٢ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٣٣ .

(٥) في (أ) : (المصريين) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٠ .

(٧) في (أ) : (فيكون) .

كأنك قلت : تبين لي ذلك»^(١) ، وهذا القول قيل في مثل هذه الآية في آخر سورة طه ، الآية ١٢٨ ، وقد ذكرنا تفسير الآية هناك .

قال أبو علي : «قوله : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ يجوز أن يكون الجملة في موضع نصب بما دلَّ عليه قوله : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ ؛ لأنه بمنزلة أو لم يعلموا فحملة على ذلك»^(٢) .

٢٧ . قال مقاتل : «ثم وعظهم ليحذروا»^(٣) ، فقال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ آلَمَاءَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد السيل»^(٤) .

﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ . قال الفرّاء والزّجاج : «هي التي لا تنبت ، وفيه أربع لغات : جرز وجرز وجرز وجرز ، ومثله الشغل والبخل ، يأتي فيه اللغات الأربع»^(٥) .

وذكرنا تفسير الجرز واشتقاقه في سورة الكهف^(٦) . قال ابن عباس : «يريد أرضاً باليمن ليس فيها بحار ولا أنهار ، يأتيها السيل من حيث لا يعلمون ، فيزرعون عليه كلما أحبوا من الحبوب»^(٧) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٣٣ .

(٢) المسائل الحلبيات ٢٣٩ .

(٣) تفسير مقاتل ٨٥ ب .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٣٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١١ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] . قال في هذا الموضع : «وأما الجرز فقال الفرّاء : الأرض لا نبات فيها ، يقال : جرزت الأرض فهي مجروزة ، وجرزها الجراد ما عليها» .

(٧) ذكره نحوه الطبري ٢١/ ١١٥ ، والماوردي ٤/ ٣٦٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٢٣ .

وقال مجاهد: «هي أرض^(١) التي لا تنبت بالمطر إلّا بما يأتيها من السيل»^(٢)، وهذا قول أبي عبيدة، قال: «إنها بناحية عدن»^(٣)، وعلى هذا القول هي أرض بعينها.

قال المبرّد^(٤): «على هذا القول إنها أرض بعينها، يساق إليها الماء من غير مطر يصيبها، فيأتيها السيل من نواح فسمى جرزاً بأن المطر لا يقع فيها. قال: وهذا القول بعيد في العربية؛ لأن حقّ مثل هذا لا يدخل عليه الألف واللام، لأنه معرفة كمكة ودمشق، وجوازه إن سميت باسم مشترك كقولك: المدينة والبصرة والكوفة فمجازها مجاز نظيرها من الأسماء، كالفعل والعباس والحارث، وسبب دخول اللام على هذه الأسماء مع كونها معارف أنها أوصاف نقلت فصارت أعلاماً، وأضمرت فيها لام التعريف على ضرب من توهم روائح الصفة فيها».

وقال السّدي في هذه الآية: «هي الأرض الميتة التي لا نبات لها، حتى إذا جاء الماء أنبت ما يأكل الناس والدواب»، ونحو هذا قال مقاتل^(٥)، وهذا القول كان أجود؛ لأنه أشبه بنظائر هذه الآية من الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة، ولم يأت شيء منها في أرض بعينها. وعلى هذا القول قوله: ﴿نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يجوز أن يكون المطر، ويجوز أن يكون يريد السيل.

(١) هكذا في النسخ جميعها، والصواب: (الأرض).

(٢) تفسير مجاهد ٥١١.

(٣) لم أقف عليه عن أبي عبيدة، وقد ذكر الطبري ١١٥/٢١ عن ابن عباس أنها أرض باليمن، وأخرج أيضاً عن مجاهد أنها آيين، وهي من بلاد اليمن، وذكرها الألوسي في روح المعاني ١٤٠/٢١، قال: «أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنها قرى بين اليمن والشام، قال: وأخرج هو وابن جرير وابن المنذر وابن أبي شيبه عن ابن عباس أنها أرض باليمن».

(٤) انظر قول المبرّد في: تفسير القرطبي ١٤/١١٠.

(٥) أورده الطبري ١١٥/٢١ عن ابن زيد، ولم أقف عليه عن السّدي، وانظر: تفسير مقاتل ٨٥ ب.

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ : يعني القضي ، وهو يوم البعث ، يقضي الله فيه بين المؤمنين والكافرين ، وهذا قول قتادة ومجاهد ومقاتل ، قالوا : «إن المؤمنين قالوا للكافرين : إن لنا يوماً ننعيم فيه ونستريح ، فقالوا : متى هذا^(١)؟» ، وقال السُّدِّي : «هو يوم بدر ، وذلك أن المسلمين قالوا لهم : لنا يوم يفتح فيه بيننا وبينكم ، ينصرنا الله ويظهرنا عليكم ، فقالوا : متى هذا^(٢)؟» .

وقال الكلبي : «يعني فتح مكة»^(٣) .

٢٩. قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَتُهُمْ﴾ ؛ أي الإيمان لا ينفع يوم القضاء بين الخلق . ومن قال : إنه يوم بدر أراد لا ينفعهم الإيمان إذا جاءهم العذاب وقتلوا ، ومن قال : إنه فتح مكة قال : هذا لمن قبله^(٤) خالد بن الوليد من بني كنانة ، وهو قول الكلبي . وأضعف الأقوال هذا القول . قوله : ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ؛ أي لا يؤخر العذاب عنهم .

٣٠. قوله : ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ . قال ابن عباس : «نسخه السيف»^(٥) . ﴿وَأَنْتَظِرْ﴾ . قال : «يريد انتظر مواعيدي لك» .

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٦/٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٦٨/٤ ، وزاد المسير ٣٤٤/٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣١٣/٥ ، وتفسير مقاتل ٨٥ ب .

(٢) ورد في مجمع البيان ٥٢٣/٨ ، وذكره ابن الجوزي ٣٤٥/٦ عن السُّدِّي ، قال : «إنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا» .

(٣) ورد في زاد المسير ٣٤٥/٦ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٦٨/٤ عن الفراء .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (من قابله) .

(٥) انظر : مجمع البيان ٥٢٣/٨ ، وتفسير القرطبي ١١٢/١٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣١٤/٥ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٨١ ، والناسخ والمنسوخ من كتاب الله العزيز ١٤٣ .

قال مقاتل : «يعني القتل بيدر»^(١) . ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ . قال ابن عباس : «ينتظرون بك حوادث الأزمان»^(٢) ، والله أعلم بالصواب .

تم بحمد الله [وعونه]^(٣) .

(١) تفسير مقاتل ٨٦ أ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

تفسير

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ أَمَّا اللَّهُ﴾ الآية . قال مقاتل ^(١) : «إن أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور الأسلمي ^(٢) قدموا ^(٣) على رسول الله ﷺ في المدينة بعد قتال أحد ، ونزلوا على عبدالله بن أبي وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه ومعهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي عليه السلام : ارفض ذكر آلهتنا ، وقل : إن لها شفاعة لمن عبدها ، فشق ذلك عليه وأمر عمر - رحمه الله - بإخراجهم من المدينة ،

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٦ أ ، وقد ذكر القصة بطولها .

(٢) عمرو بن سفيان بن عبدشمس ، أبو الأعور الأسلمي مشهور بكنيته . قال مسلم وأبو أحمد الحاكم في الكنى : «له صحبة» ، وبه قال جماعة ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : «أدرك الجاهلية ولا صحبة له وحديثه مرسل» . ذكره البخاري في من اسمه عمرو ، ولم يذكر له صحبة . كان أميراً لجيش الشام في عمورية سنة ٢٣ هـ ، ولم يذكر العلماء تاريخ وفاته - رضي الله عنه - . انظر : أسد الغابة ٤ / ١٠٩ ، والإصابة ٤ / ٣٠٢ .

(٣) في (ب) : (مرا) .

فأنزل الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ، وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح^(١).

قال الفرّاء : «اتق الله في نقض العهد ؛ لأنه كانت بينهم موادة فأمر بأن لا ينقض العهد ، وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أشياء فكرهها ، فهم بهم المسلمون»^(٢).

وقال أبو إسحاق : «معناه اثبت على تقوى الله ودم عليه»^(٣). ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ : يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين عبد الله بن أبي وابن سعد وطعمة .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه . ﴿حَكِيمًا﴾ في ما يخلقه .

٢ . قال الزّجاج : «قوله : ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني القرآن»^(٤). ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ : بالياء للكافرين والمنافقين ، وبالتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب .

٤ . قوله تعالى : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ . قال^(٥) الأخفش : «إنما هو ما جعل الله لرجل قلبين في جوفه ، وجاءت (من) توكيداً ، [كما تقول : رأيت زيدا نفسه فأدخل (من) توكيداً]»^{(٦)(٧)} . واختلفوا

(١) تفسير ابن عباس ٣٥٠ .

(٢) معاني القرآن ٢ / ٣٣٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٣ .

(٥) في (أ) : (قَالَه) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٧) معاني القرآن ٢ / ٤٧٨٠ .

في سبب نزول هذا ، فقال السُّدِّي وقَتادة ومجاهد : «نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب بن عبدالله الفهري»^(١) ، وكان ظريفاً لبيباً حافظاً لما يسمع ، وكان يقول : إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، وكانت قريش تقول : إن لجميل قلبين في جوفه ، وكان يسمى ذا القلبين ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء^(٢) .

وقال في رواية أبي طيبان : «إن المنافقين قالوا : [إن]^(٣) لمحمد قلبين : قلباً معكم ، وقلباً مع أصحابه»^(٤) .

قال الزهري : «هذا مثل ضربه الله في شأن زيد بن حارثة تبناه النبي ﷺ يقول : فكما لا يكون لرجل قلبان ، فكذلك لا يكون رجل واحد ابن رجلين»^(٥) .

(١) أبو معمر جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي ، شهد حرب الفجار مع والده ، أسلم عام الفتح مُسَنّاً ، وكان يلقب بذي القلبين ؛ لأنهم كانوا يقولون : «له قلبان في جوفه من شدة حفظه» ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ ، شهد مع الرسول ﷺ حينئذٍ . انظر : الاستيعاب ٢٣٧/١ ، والإصابة ٢٤٥/١ ، وأسد الغابة ١/٢٩٥ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٨٢/٣ ب ، وتفسير الطبري . أورده السيوطي في الدر ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة ، وإلى ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس ، وإلى ابن أبي حاتم عن السُّدِّي . انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٠ .

(٣) زيادة لا يستقيم المعنى من دونها ، وهي موافقة لما في سنن الترمذي .

(٤) رواه الترمذي في سنننه : كتاب : التفسير (سورة الأحزاب) ٢٧/٥ ، وقال : «هذا حديث حسن» ، ورواه الحاكم في المستدرک : كتاب : التفسير (سورة الأحزاب) ٤١٥/٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٨٢/٣ ب ، وتفسير السمرقندي ٣/٣٦ .

وقال مقاتل بن حيان : «هذا مثل ضربه الله للمظاهر ؛ أي فكما لا يكون لواحد قلبان كذلك لا يكون المرأة المظاهرة أمه^(١) حتى يكون له أمان»^(٢) .

والقول الأول عليه أهل التفسير^(٣) ، والآية تكذيب للمشركين الذين قالوا : «إن له قلبين» ، ثم قرن الله تعالى هذا الكلام بما يقوله المشركون وغيرهم مما لا حقيقة له ، فقال : ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ﴾ . قال أبو علي الفارسي : «وزنه فاعل مثل شائي ونائي ، والقياس إثبات الياء [فيه]^(٤) بعد الهمزة كما ثبتت في الشائي والنائي ونحوه ، ويجوز حذف الياء منه» ، وحكى ذلك سيبويه ، فقال : «من قال : اللاء بغير ياء ، قال : إذا سُمِّي به لاء ؛ لأنه يصير بمنزلة باب ، وصار حرف الإعراب غير الفعل التي هي الهمزة»^(٥) . ويجوز أيضاً تخفيف الهمزة عد حذف الياء فيجعلها بين بين ، وعلى هذا أنشد^{(٦)(٧)} :

من اللائي لم يحججنَ بيغنَ حسنةً ولكن ليقتلنَ البريء المغفلا
وقد قرأ الفراء بالأوجه الثلاثة^(٨) .

قوله تعالى : ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ ؛ أي تتظاهرون على وزن تنفعلون فأدغم التاء في الظاء . وقرأ عاصم : (تظاهرون) من المظاهرة ، وقرأ حمزة : (تظاهرون) أراد

-
- (١) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب : (لا تكون امرأة المظاهر أمه) .
(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٥٠٦ ، وعزاه إلى الزهري ومقاتل ، وذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٣٧٧ ، وعزاه إلى مقاتل بن حيان ، وذكره الثعلبي ٣/ ١٨٢ ب ، وعزاه إلى الزهري ومقاتل .
(٣) انظر : تفسير الطبري ١١/ ١١٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣١٨ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٧٠ .
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
(٥) الحجة ٥/ ٤٦٦ .
(٦) في (ب) : (ينشد) .
(٧) البيت من الطويل ، وهو لعائشة بنت طلحة في العقد الفريد ٧/ ١٠٢ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٤/ ٣٤٦ ، ١٥/ ٣٨ ، والأغاني ١٧/ ١٢١ ، والأزهية ٣٠٦ .
(٨) معاني القرآن ٢/ ٣٣٤ .

تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون ، وأدغم ابن عامر هذه التاء التي حذفها حمزة ، فقرأ بفتح التاء وتشديد الظاء ؛ كل هذا لغات^(١) . يقال : ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر ، وهو أن يقول لها : أنت عليّ كظهر أمي ، وكانت العرب تُطلق نساءها في الجاهلية بهذه الكلمة ، فلمّا جاء الإسلام نهوا عنها ، أوجب الكفارة على من ظاهر امرأته في سورة المجادلة . واشتقاق هذا اللفظ والقصة والحكم يذكر هناك . ومعنى الآية : ما جعل الله نساءكم التي تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون . قال أبو إسحاق : «أعلم الله أن الزوجة لا تكون أماً»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ : الأدعياء جمع الدعي ، وهو الذي يدّعي ابناً لغير أبيه ، ويدّعيه غير أبيه ، ومصدره : الدعوة . يقال : دعيّ بين الدعوة ؛ أي ما جعل من تدعونه ابناً وليس بولد في الحقيقة ابناً^(٣) .

قال المفسرون : «نزلت في زيد بن حارثة تبناه رسول الله ﷺ كالعادة التي كانت في العرب في الجاهلية ، فلمّا تزوج زينب بنت جحش - وكانت امرأة زيد- قالت اليهود والمنافقون : تزوج محمد امرأة ابنه ، فأنزل الله هذه الآية إبطالاً لما قالوا وتكذيباً لهم أنه ابنه» ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهم^(٤) . وقوله : ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ : المفسرون على أن هذا خطاب للذين ينسبون الدعي إلى من تبناه كقولهم : زيد بن محمد ، يقول الله : هذا قول تقولونه بألسنتكم ولا حقيقة وراءه ، فهو قول بالفم من غير إسناد إلى أصل^(٥) كما

(١) انظر : القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٥٣٤ ، والحجة ٥/ ٤٦٧ ، والحجة في القراءات السبع ٢٨٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٤ .

(٣) انظر : الصحاح ٦/ ٢٣٣٦ ، وتهذيب اللغة ٣/ ١١٩ ، واللسان ١٤/ ٢٥٧ .

(٤) انظر : الثعلبي ٣/ ١٨٣ ب ، والطبري ٢١/ ١١٩ ، وزاد المسير ٦/ ٣٥١ ، والدر المنثور ٦/ ٥٦٢ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٣ ب ، وبحر العلوم ٣/ ٣٧ .

قال : ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة : ٣٠] . وقال أبو إسحاق : «ادّعاؤكم نسب من لا حقيقة لنسبه ، قول بالفم لا حقيقة له»^(١) ، وعلى هذا الخطاب للمتبنين . ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ : يعني قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ؛ أي لا يجعل غير الابن ابناً . ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ . قال ابن عباس : «يرشده إلى سبيله»^(٢) ، وقال مقاتل : «وهو يدل على طريق الحق»^(٣) .

٥ . قوله تعالى : ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «انسابوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم»^(٤) ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ .

قوله : ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلِاخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؛ أي فهم إخوانكم في الدين . قال ابن عباس : «يريد من أسلم [منكم]»^{(٥)(٦)} . ﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾ ؛ أي بنو عمكم ، وهو قول ابن عباس^(٧) ، واختيار المبرّد^(٨) والزجاج^(٩) . وأنشد المبرّد :

مهلاً بنو عمنا^(١٠) مهلاً موالينا^(١١)

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢١٤ / ٤ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير مقاتل ٨٧ ب .

(٤) تفسير ابن عباس ٣٥٠ ، والوسيط ٤٥٨ / ٣ .

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٦) لم أقف على من نسب هذا القول إلى ابن عباس .

(٧) لم أقف على هذا القول منسوباً إلى ابن عباس .

(٨) الكامل ١٢١٢ / ٣ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٢١٥ / ٤ .

(١٠) في (أ) : (عمياً) .

(١١) هكذا ورد في النسخ : (بنو) ، وهو خطأ ، والصواب : (بنی) ؛ لأنه منادى مضاف ، وهذا صدر بيت ، وعجزه :

قال الزَّجَّاج : «يجوز أن يكون ومواليكم أولياءكم في الدين»^(١)، وقال آخرون : «يعني بالموالي المعتقين ؛ أي إن كان عبداً وأعتقه فهو مولاك ، كما كان زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ» ، وعلى هذا دلّ كلام مقاتل^(٢) . وقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ . قال مجاهد ومقاتل : «يعني في ما قلمتموه قبل النهي»^(٣) .

وقال قتادة : «لو دعوت رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس»^(٤) .

فعلى هذا الخطاب أن يخطئ في نسبه من غير تعمد . وذكر أبو إسحاق قولاً ثالثاً ، فقال : «ويجوز أن يكون : ولا جناح عليكم في أن تقولوا بما هي»^(٥) على غير أن يتعمد أن يجريه مجرى الولد في الإرث»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ : لما كان من قولكم^(٧) قبل النهي رحيماً بكم .

-
- = البيت من البسيط ، وهو للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في الكامل ٣ / ١٢١٢ ، والأضداد ٤٨ ، والحجاسة ١ / ١٢٩ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ١٢٥ .
- (١) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٥ .
- (٢) ورد في تفسير مقاتل ٨٧ ب ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٢٨ ، ولم ينسبه إلى أحد .
- (٣) انظر : تفسير الطبري ٢١ / ١٢١ ، وزاد المسير ٦ / ٧٠٦ ، وتفسير مقاتل ٨٧ ب .
- (٤) انظر : المرجعين السابقين .
- (٥) هكذا في النسخ جميعها ، والظاهر أنه خطأ ، وعبارة الزَّجَّاج : «في أن تقولوا له : يا بني على غير أن تتعمد أنه تجريه مجرى الولد» .
- (٦) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٥ .
- (٧) في (ب) : (لما كان لقوم من قولكم) ، وهو خطأ .

٦. قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ . قال المفسرون : «أي إذا حكم بشيء نفذ^(١) حكمه ، ووجبت طاعته عليهم»^(٢) ، وهذا معنى قول ابن عباس وعطاء : إذا دعاهم النبي -عليه السلام- إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي أولى بهم من طاعة^(٣) أنفسهم^(٤) ، ونحو هذا قال ابن زيد : «أي ما قضى فيهم من أمر جاز كما أن كل ما قضيت على عبدك جاز»^(٥) ، وعلى هذا النبي ﷺ أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسها ، وله أن يتصرف في كل حق من حقوق المؤمنين وينفذ ذلك التصرف شاء أو أبوا ، حتى لو زوج امرأة استغنى عن رضاها ورضا أوليائها ؛ لأنه أحق بها منها بنفسها ؛ لقوله : ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ، وروى ابن جريج عن مجاهد في تفسير قوله : ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال : «هو أبو المؤمن»^(٦) ، وهذا راجع إلى ما ذكرنا ، يعني أنه كالأب للمؤمنين في وجوب طاعته وترك المخالفة عليه . ويؤكد هذا التفسير أن في مصحف أبي : «النبي -عليه السلام- أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»^(٧) .

ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرؤه^(٨) ، وعلى هذا يجوز أن يكون يقال النبي ﷺ أب المؤمنين ؛ أي في الحرمة ووجوب الطاعة كما أن أزواجه

(١) في (ب) : (فقد) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٨٣/٣ ب ، وتفسير الطبري ١٢٢/٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٢٤/٥ .

(٣) في (ب) : (طاعتهم أنفسهم) .

(٤) المراجع السابقة .

(٥) تفسير الطبري ١٢٢/٢١ ، وتفسير الثعلبي ١٨٣/٣ ب .

(٦) ورد في تفسير الطبري ١٢٢/٢١ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٧٣/٤ ، وقال : «حكاه النقاش» ،

وتفسير مجاهد ٤١٥ .

(٧) انظر : تفسير السمرقندي ٣٨/٣ ، وتفسير البغوي ٢٠٨/٧ .

(٨) ذكره السيوطي في الدر ٥٦٧/٦ ، وعزاه إلى الفريابي وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه .

أمهات المؤمنين . ومن أصحابنا مَنْ قال : « لا يجوز أن يقال : هو ابن ^(١) المؤمنين ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، ولكن يقال : هو مثل الأب للمؤمنين ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾ يقال : هو مثل الأب للمؤمنين كما قال ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد » ^(٢) . ونص الشافعي - رحمه الله - على أنه يجوز أن يقال : « هو أب المؤمنين ؛ أي في الحرمة » ^(٣) . والذي في قوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ؛ أي في النسب ، يعني ليس أحد من رجالكم ولد صلبه .

وقال الشَّدي : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في دينهم » ^(٤) .

وعلى هذا هو أولى بهم من أنفسهم في ما يأمرهم به من أمور دينهم . وهذه الولاية تختص بأمر الدين كما روي عنه ﷺ أنه قال : « أنا أعلم بأمور آخرتكم ، وأنتم أعلم بأمور دنياكم » ^(٥) ؛ على أن جميع ما يأمر به ﷺ فيه المصلحة وامتناله من الدين ، غير أن أكثر أوامره في أمور الدين . وقال المقاتل : « إن طاعة النبي أولى من

(١) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب : (أبو) .

(٢) هذا جزء من حديث رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - ، ونص الحديث : قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه » الحديث . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الطهارة ، باب : ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ٣ / ١ ، رقم الحديث ٨ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الطهارة ، باب : النهي عن الاستطابة بالروث ٣٨ / ١ ، وابن ماجه في سننه ، كتاب : الطهارة ، باب : الاستنجاء بالحجارة ١ / ١١٤ ، رقم الحديث ٣١٣ ، والإمام أحمد في مسنده ٢ / ٢٤٧ ، ٢٥٠ .

(٣) انظر : الأم ١٢٦ / ٥ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الفضائل ، باب : وجوب ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي ٤ / ١٨٣٦ ، رقم الحديث ٦٢٦٣ عن عائشة - رضي الله عنها - .

طاعة بعضكم لبعض»^(١)، وعلى هذا قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢) يريد من غيرهم من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]: يعني على إخوانكم من المؤمنين، وكقوله: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقد مرَّ.

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهَاتُهُمْ﴾^(٣) قال جميع المفسرين: «أي في حرمة نكاحهن، فلا يحل لأحد الزوج»^(٤) بواحدة منهن كما لا يحل للزوج بالأم»^(٥). وهذه الأمومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير؛ لأنه لم يثبت شيء من أحكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة، ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن، ولهذا قال الشافعي: «وأزواجه أمهاتهم في معنى دون معنى، وهو أنهن محرمات على التأييد، وما كن محرمات في الخلوة والمسافرة وغير ذلك»^(٦).

وهذا ما روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت لها: يا أمه. فقالت: لست لك بأم، وإنما أنا أم رجالكم^(٧). فبان بهذا أن معنى الأمومة تحريم نكاحهن فقط. وعلى هذا لا يجوز أن يقال لبناتهن أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين. قال أصحابنا: «أزواجه اللاتي توفي عنهن رسول الله في حياته، فمنهم من قال: كانت محرمة بهذه الآية»^(٨)، ومنهم من قال: لم تكن محرمة؛ لقوله تعالى في آية التخيير: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨] الآية،

(١) تفسير مقاتل ٨٧ ب.

(٢) في (أ): (أنفسكم)، وهو خطأ.

(٣) في (أ): (أمهاته)، وهو خطأ.

(٤) في (أ): (المزوج)، وهو خطأ.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢٢/٢١، وتفسير السمرقندي ٣٨/٣، وتفسير الثعلبي ٣/١٨٤ أ.

(٦) انظر: الأم ٥/١٢٥.

(٧) ورد في تفسير الماوردي ٤/٣٧٥، وتفسير القرطبي ١٤/١٢٣، وذكره السيوطي في الدر ٦/٦٧٥، ونسبه إلى ابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه.

(٨) في (أ) زيادة (على أنهم لو اخترن)، وهو خطأ.

فدلت هذه الآية على أنهم لو اخترن الطلاق وطلقهن حل ؛ لأنهن إنما ينلن زينة الحياة الدنيا بأن يتزوجن الأغنياء بعد النبي ﷺ .

ومن أصحابنا من فصل وقال : « كل مطلقة كانت ممسوسة لم يحل نكاحها ، وإن كانت غير ممسوسة حل نكاحها ، يدل عليه ما روي أن الأشعث بن قيس تزوج بعد رسول الله ﷺ المستعيذة^(١) ، وهي التي قالت لرسول الله ﷺ : أعوذ بالله منك لمّا دخل عليها ، فقال : « الحقي بأهلك » . ولمّا بلغ عمر - رضي الله عنه - أن الأشعث نكحها همّ برجمه ، فأخبر أن رسول الله ﷺ لم يمسه فتركه » .

قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ . قال قتادة : « وكان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وكان لا يرث الأعراي المسلم من المهاجر شيئاً فأنزل الله هذه الآية فصارت الموارث بالملك والقرابات^(٢) » ، وقال الكلبي : « كان النبي ﷺ يؤاخي بين الرجلين ، فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته وأهله حتى نزلت هذه الآية ، فصارت الموارث للأدنى فالأدنى من القرابات^(٣) » ، وذكرنا الكلام في هذا في آخر سورة الأنفال : ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ مذكور هناك^(٤) .

(١) لم أستطع الوقوف على اسم المستعيذة بعد طول بحث ؛ وذلك لكثرة ما ورد من روايات وأقوال ، حصل في أكثر الروايات التي وردت فيها هذه القصة اضطراب ، فقيل : هي الكلبيّة ، وقيل : الجونية ، ثم الاختلاف في اسمها واسم أبيها جاء على أكثر من سبعة أقوال ، وقيل أيضاً : إنها ماتت كمدّاً بعد فراق الرسول ﷺ لها ، وقيل : بل عاشت وتزوجت ، ثم هناك خلاف في من تزوجها ، وهل تزوجها ، أو همّ ثم لم يفعل ، أقوال كثيرة ذكرها ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٤٤٥-٤٥٢ ، وكذا ذكرها القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ١٢/ ١٠-١٤ .

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٤ ب ، وتفسير الطبري ٢١/ ١٢٣ .

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ١٨٤ ب ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٣٨ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٥] .

قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ذو الرحم أولى بذوي رحمه منه بالمؤمنين^(١) والمهاجرين إذا لم يكن من ذوي رحمه^(٢)» ، والمعنى : أن ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان دون رحم . و﴿مِنْ﴾ في قوله : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صلة أولى كما تقول : أنا أولى منك بهذا الأمر . والمعنى : أولى الأرحام أولى بالميراث من المهاجرين . وقد ذكر الفراء وجهاً آخر ، فقال : «وإن شئت جعلت مَنْ يراد بها أولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض»^(٣) . قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا استثناء ليس من الأول ، المعنى : لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز»^(٤) .

واختلفوا في معنى الأولياء هاهنا ، فقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : «إِلَّا أَنْ تَوْصُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمُ الَّذِينَ عَاقَدْتُمُوهُمْ وَصِيَّةً»^(٥) .

وقال مجاهد : «خلفاؤكم الذين والى بينهم النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار»^(٦) .

قال الكلبي : «إِلَّا أَنْ يَوْصِيَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ الَّذِي آخَى بَيْنَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بوصية فيجعل ذلك من ثلث الميت»^(٧) .

(١) في (ب) : (منه من المؤمنين) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢١٦/٤ .

(٣) معاني القرآن ٣٣٦/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢١٦/٤ .

(٥) ذكر هذا القول الطبري ١٢٤/٢١ ، ونسبه إلى ابن زيد ثم رجّحه ، ولم أعثر على مَنْ نسبته إلى ابن عباس .

(٦) ورد في تفسير الطبري ١٢٤/٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٧٦/٤ ، وذكره السيوطي في الدر ٥٦٧/٦ عن مجاهد ، وقال : «أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم» .

(٧) تفسير عبدالرزاق ١١٣/٢ .

وعلى هذا معنى الآية هو أن الله تعالى لَمَّا نسخ التوارث بالحلف والهجرة والمعاقدة أباح^(١) الوصية للحليف والمعاهد والولي والمهاجر ، وهذا قول ابن زيد وابن حبان^(٢) .

قال أبو إسحاق : « هو أن يوصي الرجل لِمَن يتولاه بما أحب من ثلثه إذا لم يكن وارثاً »^(٣) . وذهب قوم إلى أن المراد بالأولياء هاهنا القربات من المشركين . قال الحسن : « إلا أن يكون ذا قرابة ليس على دينك فتوصي له بالشيء ، هو وليك في النسب وليس وليك في الدين »^(٤) .

قال عطاء : « هو إعطاء المسلم الكافر بينهما قرابة وصية له »^(٥) .

وقال قتادة : « أولياؤكم من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم »^(٦) ، وهذا قول ابن الحنفية : « لذي الرحم الكافر »^(٧) . وهذا معنى الآية : إن الله تعالى لَمَّا رَدَّ التوارث إلى الرحم والملك^(٨) أباح الوصية لذي الرحم الكافر . واختار بعضهم القول الأول ، وقال : « لا يجوز أن يكون المراد بالأولياء القرابة من أهل الشرك ؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك بقوله : ﴿ لَا تَنَخُّذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المتحنة : ١] ،

(١) في (ب) : (أبلغ) ، وهو خطأ .

(٢) تفسير الطبري ١٢٤ / ٢١ ، وتفسير الثعلبي ١٨٤ / ٣ ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢١٦ / ٤ .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٦٨ / ٦ ، وقال : « أخرجه عبدالرزاق عن قتادة والحسن » ، وانظر : تفسير عبدالرزاق ١١٢ / ٢ .

(٥) تفسير عبدالرزاق ١١٣ / ٢ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٣٢٥ / ٥ .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٢٤ / ٢١ ، والماوردي في تفسيره ٣٧٦ / ٤ ، وأورده السيوطي في الدر ٥٦٧ / ٦ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ١٢٤ / ٢١ ، والسيوطي في الدر ٥٦٧ / ٦ ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن الحنفية .

(٨) في (أ) : (الملة) ، وهو خطأ .

وعدو الله والمؤمنين لا يكونون أولياء المؤمنين»^(١) ، وعلى ما ذكره الحسن لا يبعد أن يكونوا أولياء في النسب .

قوله تعالى : ﴿مَعْرُوفًا﴾ : كلهم قالوا : «وصية» ، وفيه دليل على أن الوصية من باب المعروف لا من باب الواجبات ، ولو كان واجباً لكان أولى [الناس]^(٢) بها من كان يرث ثم نزع عنه الميراث ، فلمّا كان الوصية له في هذه الآية من المعروف دلّ أنه لا يجب لأحد .

قوله : ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ يعني : التوارث بالهجرة والإيمان الذي كان في ابتداء الإسلام في قول مقاتل^(٣) . وقال ابن زيد : «(كان ذلك) يعني الذي ذكر من أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض»^(٤) .

وقال قتادة : «(كان ذلك) يعني أن المشرك لا يرث المسلم»^{(٥)(٦)} .

وقال الكلبي : «كان ذلك يعني الوصية ، وأن يعود الفقير على الغني ، وهو فعل معروف»^(٧) .

قوله : ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في اللوح المحفوظ»^(٨) . قال القرطبي : «في التوراة» ، وهو قول الكلبي ، قال : «كان في التوراة مكتوباً :

(١) اختار هذا القول الطبري ١٢٤/٢١ ، ورّجّحه .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٣) تفسير مقاتل ٨٨ أ .

(٤) تفسير الطبري ١٢٥/٢١ .

(٥) في (ب) : (أن المسلم لا يرث المشرك) .

(٦) معاني القرآن الكريم للنحاس ٣٢٦/٥ ، وتفسير القرطبي ١٢٦/١٤ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) تفسير ابن عباس ٣٥٠ ، ولم أجد من نسبته إلى ابن عباس من المفسرين حسب علمي .

عليهم أن يصنع بنو إسرائيل بعضهم على بعض معروفاً»^(١)، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في آخر سورة الأنفال .

قوله : ﴿مَسْطُورًا﴾ . قال ابن عباس : «مكتوباً»^(٢) .

٧ . قوله تعالى : ﴿وَلِإِذْ أَخَذْنَا﴾ . قال أبو إسحاق : «موضع إذ نصب .

المعنى : واذكر إذ أخذنا»^(٣) ، وهذا يجوز أن يكون تذكيراً للنبي ﷺ ذلك الميثاق ، ويجوز أن يكون المعنى : واذكر لقومك ذلك .

قوله : ﴿مِنَ اللَّيْلِ مِثْقَهُمْ﴾ . قال مجاهد : «في ظهر آدم»^(٤) .

قال الزَّجَّاج : «وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صُلب آدم كالذر»^(٥) .

قال ابن عباس : «أخذ الميثاق على النبيين خصوصاً ، يصدق بعضهم بعضاً ، ويتبع بعضهم بعضاً»^(٦) . قال مقاتل : «أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن ينصحوهم لقومهم»^(٧) ، وقال الكلبي : «أن [. . .] بعضهم بعضاً» .

(١) ذكر هذا القول وعزاه إلى القرظي كل من الطبري ١٤/١٢٦ ، والبغوي ٣/٥٠٨ ، ولم أجد من نسبته إلى الكلبي .

(٢) تفسير ابن عباس ٣٥٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢١٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢١/١٢٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٣٢٧ ، وتفسير مجاهد ٥١٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢١٦ .

(٦) ورد في تفسير ابن عباس ٣٥١ ، مع اختلاف في العبارة ، وذكر هذا القول بعبارته الطبري ٢١/١٢٥ ، ونسبه إلى قتادة .

(٧) تفسير مقاتل ٨٨ أ .

(٨) مقدار كلمة مطموسة في النسخ جميعها ، ولعلها [يصدق] ، ولم أعثر على من نسب هذا القول إلى الكلبي ، وذكره الطبري منسوباً إلى قتادة ٢١/١٢٥ .

وقوله : ﴿ وَمِنْكَ ﴾ أخرجه ، والأربعة الذين ذكرهم من جملة النبيين ؛ تخصيصاً بالذكر ، وتفضيلاً على غيرهم ؛ لأنهم أصحاب الكتب والشرائع ، كقوله : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة : ٩٨] ، وقوله : ﴿ فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَخُلٌّ وَرَمَانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] . وقدم النبي ﷺ في الذكر لما روى قتادة عن الحسين^(١) عن أنس أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : « كنت أول المؤمنين في الخلق وآخرهم في البعث » .

قال أبو إسحاق : « فعلى هذا لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير . هو على ما نسقه ، قال : ومذهب أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع ، وليس فيها دليل أن المذكور أولاً لا يستقيم أن يكون معناه التأخير »^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ . قال المفسرون : « أي عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا ، وذلك العهد الشديد هو اليمين^(٣) بالله عز وجل »^(٤) .

٨ . قوله تعالى : ﴿ لَيْسَتَكَ الْأَصْدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ . قال مقاتل : « يقول أخذ ميثاقهم لكي يسأل الله الصادقين ، يعني به النبيين ، هل بلغوا الرسالة ؟ »^(٥) ، وقال مجاهد : « المبلغين [المؤدين]^(٦) من الرسل »^(٧) .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، والصحيح أنه الحسن كما جاء في كتب السنة ، فقد ذكره السيوطي في الدر ٥٧٠ / ٦ ، وعزاه إلى الحسن بن سفيان وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل ، والدليمي وابن عساكر من طريق قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وبهذا أوردته المؤلف في الوسيط ٤٦٠ / ٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢١٦ / ٤ مع اختلاف يسير في العبارة .

(٣) في (ب) : (الإيمان) .

(٤) انظر : الوسيط ٤٦٠ / ٣ ، وزاد المسير ٣٥٥ / ٦ .

(٥) تفسير مقاتل ٨٨ أ .

(٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٧) تفسير الطبري ١٢٦ / ٢١ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣١٩ / ٨ .

وقال الكلبي : «يعني النبيين عن صدقهم بالبلاغ»^(١).

وقال أبو إسحاق : «معناه ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في تبليغهم ، وتأويل مسألة الرسل - والله يعلم أنهم صادقين - التبييت للذين كفروا بهم ، كما قال عز وجل : ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية»^(٢).

واللام من قوله : ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ متعلقة بالأخذ المذكور قبلها ، والتقدير : وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً لنسألهم عن تبليغ ما حملناهم من أداء الرسالة ، وإنما قال : ليسأل بالياء ؛ لكون الخطاب كما يرجع من المخاطبة إلى الكناية ، وتم الكلام عند قوله : ﴿صَدَقِهِمْ﴾ ، ثم أخبر عما أعد للكفار ، فقال : ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ . قال الزَّجَّاج : «أي للكافرين بالرسول»^(٣) . ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

٩. قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ . قال مقاتل وغيره من المفسرين : «إن أبا سفيان بن حرب ومن معه من المشركين واليهود من قريظة والنضير تحزبوا على رسول الله ﷺ أيام^(٤) الخندق ، فبعث الله عليهم بالليل ريحاً باردةً وبعث الملائكة ، فقلعت الريح الأوتاد وأطفأت النيران ، وجالت الخيل بعضها في بعض ، وكبرت الملائكة في جانب عسكرهم ، فانهزم المشركون من غير قتال ، فأنزل الله يذكرهم إنعامه عليهم في الرفع عنهم ، وهو قوله :

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٦٠ من دون نسبة ، وذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٣٧٨ ، وقال :

«حكاه النقاش مع اختلاف في العبارة» .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٧ .

(٤) في (ب) : (يوم) .

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾^(١). قال مجاهد والمفسرون :
«هم الأحزاب عيينة بن بدر وأبو سفيان وقريظة»^(٢).

قوله تعالى : ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ . قال مجاهد : «هي الصبا ، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى أكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم حتى أظعتهم»^(٣).

قوله تعالى : ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ . قال : «الملائكة ، ولم يقاتل يومئذ»^(٤). قال مقاتل : «ألف ملك عليهم جبريل»^(٥).

وقال ابن عباس : ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يريد الملائكة تهلل وتكبر وتدعو للنبي ﷺ وللمؤمنين بالنصر»^(٦) ، ثم أخبر عن حالهم من أين جاءوا .

١٠ . قوله تعالى : ﴿إِذْ جَاءَكُمْ﴾ : إذ بدل من قوله : ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ ، وإذ ظرف لإنعام الله عليهم ، كأنه قيل : اذكروا إنعام الله عليكم بالكفاية حين جاء تكم جنود ، حين جاءوكم ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ . قال المفسرون : «يعني من فوق الوادي من قبل المشرق ، قريظة وعليهم حيي بن أخطب ،

(١) تفسير مقاتل ٨٨ أ ، وتفسير الطبري ١٢٧/٢١ ، والدر المنثور ٥٧١/٦ .

(٢) ذكره عن مجاهد كل من الطبري في تفسيره ١٢٨/٢١ ، والماوردي في تفسيره ٣٧٨/٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٣/٦ ، وزاد السيوطي فعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٣٢٨/٥ ، وذكره الطبري ١٢٩/٢١ من دون نسبة ، وذكره السيوطي في الدر ٥٧٣/٦ ، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي عن مجاهد .

(٤) تفسير مجاهد ٥١٥ .

(٥) تفسير مقاتل ٨٨ ب .

(٦) لم أقف عليه .

والنضير وعليهم مالك بن عوف^(١)، وغطفان وعليهم عيينة بن حصن ومعهم طليحة بن خويلد^(٢) في بني أسد». وقوله: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: يعني من بطن الوادي من قبل المغرب من ناحية مكة، أبو سفيان في قریش ومن اتبعه^(٣).

وقال الكلبي على الضد مما ذكرنا، فقال: «من فوقكم يريد من مكة، ومن أسفل منكم يريد أسد وغطفان»^(٤)، ونحو ذلك قال الفراء: «من فوقكم مما يلي مكة، ومن أسفل منكم مما يلي المدينة»^(٥).

قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ﴾: ومعنى زاغت في اللغة: عدلت ومالت، يقال: زاغت الشمس تزيغ زيوغاً وزيغاناً^(٦). قال قتادة ومقاتل: «شخصت فرقاً»^(٧). والشخوص غير الزيغ؛ لأن الشخصوص هو أن يفتح [عينه]^(٨) ينظر إلى

(١) لم تذكر كتب المغازي والسير هذا الاسم ضمن قواد هذه الغزوة، ولكنه ذكر في غزوة حنين (مالك بن عوف النصري) كان رئيس المشركين، ثم أسلم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وحسن إسلامه، واستعمله النبي ﷺ على من أسلم من قومه.

(٢) طليحة بن خويلد الأسدي، يقال له طليحة الكذاب؛ لأنه ارتد بعد وفاة النبي ﷺ وأدعى النبوة، كان من فصحاء العرب وشجعانهم، أسلم بعد رده في زمن عمر رضي الله عنه، وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح، واستشهد بنهاوند. انظر: الاستيعاب بحاشية الإصابة ١/ ٢٢٩، والإصابة ١/ ٢٢٦، والأعلام ٣/ ٢٣٠.

(٣) تفسير الثعلبي ١٨٦/٣ وما بعدها، وتفسير الطبري ١٢٩/٢١ وما بعدها، وتفسير القرطبي ١٤٤/١٤.

(٤) ذكره ابن كثير ٣/ ٤٧٤، ولم ينسبه إلى الكلبي، وإنما هو من رواية حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - في حديثه الطويل المشهور بشأن تلك الغزوة.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٣٦.

(٦) انظر: اللسان (زيغ) ٨/ ٤٣٢، والصاح (زيغ) ٤/ ١٣٢٠.

(٧) ورد في تفسير مقاتل ٢/ ٢٣٢، وذكره الطبري ٢١/ ١٣١، وعبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١١٣ منسوباً إلى قتادة.

(٨) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

الشيء فلا يطرف ، يقال : شخص بصر الميت^(١) . وإنما فسروا الزيف بالشخص ها هنا ؛ لأن المعنى أن الأبصار مالت عن كل شيء فلم تنظر إلّا إلى هؤلاء الذين أقبلوا من كل جانب ، كأنها اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر ، فمالت ، عنه وشخصت بالنظر إلى الأحزاب .

قال الكلبي : «مالت أبصارهم إلّا من النظر إليهم»^(٢) .

وقال الفرّاء : «زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلّا إلى عدوها»^(٣) . متحيرة تنظر إلى عدوها ، وهذا الذي ذكره شرح شافٍ .

قوله تعالى : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ : الحنجرة : جوف الحلقوم ، وكذلك الحنجور . قال قتادة : «شخصت من مكانها فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت»^(٤) . قال عكرمة : «لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه ، ولكن إنما هو الفزع»^(٥) .

قال ابن قتيبة : «معناه : وكادت القلوب تبلغ الحناجر»^(٦) . و (كاد) مضمر في الآية .

(١) انظر : تهذيب اللغة (شخص) ٧ / ٧١ ، واللسان (شخص) ٧ / ٤٥ .

(٢) لم أجد من نسب هذا القول إلى الكلبي ، وذكر نحوه الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٣٢ ، ولم ينسبه إلى أحد ، كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٣٥٨ من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن ٢ / ٣٣٦ .

(٤) ورد في تفسير عبدالرزاق ٢ / ١١٣ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٥٧٦ عنه ، وقال : «أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم» .

(٥) ورد في تفسير الطبري ٢١ / ١٣١ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٥٧٦ عنه ، وقال : «أخرجه ابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر» .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٤٨ .

قال ابن الأنباري : «وهو غلط ؛ لأن كاد لا يضمّر ولا يعرف معناه إذا لم يوجد مظهر»^(١) . فإنه ولو جاز هذا لجاز : قام عبدالله بمعنى كاد عبدالله يقوم ، فيكون تأويل قام عبدالله لم يقم عبدالله ، والمعنى ما ذهب إليه الفرّاء ، وهو أنهم جبنوا وجزع أكثرهم . وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته ، فإذا انتفخت دفعت القلب إلى الحنجرة ، ولهذا يقال للجبان : انتفخ سحره^(٢) ، وهذا الذي ذكره الفرّاء هو قول الكلبي ، قال : «رفعت الرثة القلب وانتفخت حتى صارت عند الحنجرة فلم ترجع»^(٣) ولم تخرج .

قال أبو سعيد : «قلنا يوم الخندق : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر . قال : فقولوا : «اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا» . قال : فقلناها ، فضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا»^(٤) .

وقوله : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد خفتم كثرتهم حتى قنطتم ، وكان الله لكم ناصراً»^(٥) .

وقال مقاتل : «يعني الإيأس من النصر واختلاف الأمر والنهي^(٦) أن ظنونكم اختلفت ، فظن بعضكم بالله النصر ورجاء الظفر والكفاية ، وبعض يئس وقنط» . وقال الكلبي : «ظن به يومئذ ناس من المنافقين ظنوناً مختلفةً ، يقولون : هلك محمد وأصحابه»^(٧) . فعلى القول الأول (تظنون) خطاب للمؤمنين ، وعلى قول

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٣٥٨ عن ابن الأنباري .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٣ / ٥١٧ ، ونسبه إلى الفرّاء ، وذكره الواحدي في الوسيط ٣ / ٤٦١ .

(٣) ورد في معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٣٦ مع اختلاف في العبارة .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ٣ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٥٧٣ ، وعزاه إلى أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) تفسير مقاتل ٨٨ ب .

(٧) ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ٣ / ٥١٦ من دون نسبة ، والطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٣٢ من دون نسبة .

الكلبي خطاب للمنافقين ، والمؤمنون كانوا واثقين بنصر الله ووعدته بالنصر لدينه ورسوله .

وقال الحسن : «ظنوناً مختلفة ، ظن المنافقون أنه يستأصل ، وظن المؤمنون أنه ينصر»^(١) .

الظنون والرسول والسيلا : ثلاثة أوجه من القراءة ؛ إثبات ألفاتها وقفاً ووصلاً ، وحذفها في الحالين ، وإثباتها في حال الوقف وحذفها في الوصل . قال أبو الحسن الأخفش : «العرب تلحق الواو والياء والألف في أواخر القوافي ، فشبهت أواخر الآي بالقوافي»^(٢) .

وقال أبو علي : «أواخر الآي تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع ، كما كانت القوافي مقاطع ، فكما ثبتت قوله : ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ [الفجر : ١٥] ، و﴿أَهْنِي﴾ [الفجر : ١٦] في حذف الياء بنحو :

مَنْ حَذَرَ^(٣) الْمَوْتَ أَنْ يَأْتِيَنَّ

و :

إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنَّ^(٤)

(١) ورد في تفسير الطبري : (١٣٢/٢١) ، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٨٠ ، وذكره السيوطي في الدر ٥٧٧/٦ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٨٠ ، وانظر : علل القراءات ٢/ ٥٣٥ ، والحجة في القراءات السبع ٢٨٩ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب : (حذر) .

(٤) عجزا بيتين من المتقارب للأعشى ، والبيتان هما :

فَهَلْ يَمْنَعُنِي ارْتِيَادِي الْبَلَادَ مَنْ حَذَرَ الْمَوْتَ أَنْ يَأْتِيَنَّ
وَمَنْ شَأْنِي كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنَّ =

كذلك تشبه في إثبات الألف بالقوافي»^(١)، نحو قوله :

أَقْلِي اللومَ عاذِلَ والعِتابا وقولي إنْ أصبْتُ لقدْ أصابا^(٢)

قال أبو الفتح الموصلي : «هذه الألف لإشباع الفتحة للقافية ، وكذلك الواو لإشباع الضمة في القافية ، والياء لإشباع الكسرة»^(٣) .

فَمَنْ أثبت في الوقف دون الوصل ، وهو اختيار أبي عبيد^(٤) ، قال : «العرب تثبت هذه الألفات في قوافي أشعارهم ومصاريدها ؛ لأنها مواضع قطع وسكت ، فتعتمد الوقوف على هذه الألفات موافقة للخط ، وإذا وصلت حذفت كما تحذف»^(٥) غيرها مما يثبت في الوقف ، نحو التشديد الذي يلحق الحرف الموقوف عليه . قال أبو عبيد : «وأكره أن يثبتها مع إدماج القراءة ؛ لأنه خروج من العربية»^(٦) لما يعد هذا عندهم جائزاً في اضطرار ولا غيره ، وأما مَنْ أثبت في الوصل فوجهه أنها في المصحف ثابتة ، وإذا أثبتت^(٧) في الخط فينبغي^(٨) ألا تحذف كما لا تحذف هاء

وهما من قصيدة طويلة يمدح بها قيس بن معد يكرب الكندي في ديوانه ١٥ ، والحجة لأبي علي =
٢٩٠/٣ ، والكتاب ١٥١/٢ .

(١) الحجة ٤٦٩/٥ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو مطلع قصيدة لجرير في ديوانه ٨١٣/٢ ، وخزانة الأدب ٦٩/١ ، والخصائص ١٠٦/٢ ، والكتاب ٢٠٥/٤ .

والشاهد فيه : إجراء المنصوب المقرون بالألف واللام مجرى غير المقرون بها في ثبات الألف لوصل القافية ؛ لأن المنون وغير المنون في القوافي سواء .

(٣) انظر : سر صناعة الإعراب ٤٧١/٢ ، ٦٧٧ ، ٧٢٦ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٤٥٩/٨ ، وتفسير القرطبي ١٤٥/١٤ . تقدّم في سورة الأنفال .

(٥) في (أ) جاء الكلام هكذا : «كما تحذف [الكسر ، فَمَنْ أثبت في الوقف دون الوصل دون الوصل] غيرها مما يثبت» ، وهي زيادة خطأ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٤٥/١٤ .

(٧) في (ب) : (أثبت) .

(٨) في (ب) : (ينبغي) .

الوقف من (حسابيه) (وكتابه) وأن يجري مجرى الموقوف عليها كما يثبت ذلك في القوافي في الوصل ، وهي لغة أهل الحجاز في ما حكاها أبو الحسن^(١) ، قال^(٢) : «إنهم يثبتون الألف والواو والياء التي تلحق القوافي في الوصل ، ولا يننون كما يننون من وصل : أَقْلِي اللومَ عاذلي والعتابن .

وإذا كان كذلك فثبتها في الفواصل كما ثبتت في القوافي حسن ، وأما من طرحها في الحاليين فإنه لم يعتد بها ولم يشبهه [المتنور بالمنظوم]^(٣) ، وفيه مخالفة لخط المصحف^(٤) .

١١ . قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ﴾ : يقال : هنا للقريب من المكان ، وهناك للبعيد ، وهناك للوسيط بين القريب والبعيد ، وسيله سبيل ذا وذلك وذاك ، وذكرنا في ما تقدّم^(٥) أن هنالك يجوز أن يشار به إلى المكان وإلى الوقت ، والمراد بقوله (هنالك) في هذا الموضع الإشارة إلى الوقت الذي تقدّم ذكره ، وهو قوله : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ ﴾ ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ . قال مقاتل : «يعني عند ذلك»^(٦) ، وقال أبو إسحاق : «أي في ذلك المكان»^(٧) .

(١) إلى هنا انتهى النقل من الحجة ٥ / ٤٧٠ .

(٢) ذكره الأخفش في الخصائص ٩٧ / ٢ ، ولم أقف عليه في معانيه .

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣٢ / ٢١ ، والحجة ٥ / ٤٦٨ ، والحجة في القراءات السبع ٢٨٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٥٨ ، والدر المصون ٩ / ٩٨ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ . قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

(٦) تفسير مقاتل ٨٨ ب .

(٧) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٩ مع اختلاف في العبارة .

وقوله : ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ . قال الفرّاء والزّجاج : «اختبروا»^(١) ، وقال مجاهد : «محسوا»^(٢) ؛ أي ليتبين المخلص من المنافق ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران : ١٤١] ، وقد مرّ . قال مقاتل : «ابتلي المؤمنون بالقتال والحصر»^(٣) .

وقال عطاء : «بالجزع»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ؛ أي أزعجوا وحركوا ، يقال : زل فلان عن مكانه وزلّله غيره . ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ . قال أبو إسحاق : «ويجوز فتح الزاي والمصدر من المضاعف يجيء على فَعْلَال وفِعْلَال نحو : قلقلته قلقالاً وقلقالاً والكسر أجود ؛ لأن غير المضاعف من هذا البناء مكسور الأول نحو : دحرجته دِحْرجاً ، لا يجوز فيه غير الكسر»^(٥) .

وقال الفرّاء : «الزّلزال بالكسر المصدر وبالفتح الاسم ، وكذلك الوسواس والوسواس»^(٦) . قال الكلبي ومقاتل : «جهدوا جهداً شديداً»^(٧) .

وقال عبدالله بن مسلم : «أي شدّد عليهم وهوّل»^(٨) . والزّلزال : الشدة ، والزّلزال : الشدائد ، وأصلها من التحريك .

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٣٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج ٤/ ٢١٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢١/ ١٣٢ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٥/ ٣٣٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٨٨ ب .

(٤) لم أعثّر على من ذكر هذا القول من المفسرين .

(٥) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٨ مع اختلاف في العبارة .

(٦) معاني القرآن ٣/ ٢٨٣ .

(٧) ورد في تفسير مقاتل ٨٨ ب ، ولم أجد من نسب القول إلى الكلبي .

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٤٨ .

وقال أبو إسحاق : «أزعجوا إزعاجاً شديداً»^(١) . والمعنى : أن من كان بصدد ما يخاف ويحذر لم يستقر على مكانة ، بل يكون منزعاً مضطرباً متحركاً ، وهذه الآية إخبار عن ابتلائهم بالشدة والخوف ليظهر الصابر من الجازع والمؤمن من الشاك ، ألا ترى كيف ظهر نفاق المنافقين ، حيث أخبر عنهم بقوله :

١٢ . ﴿وَلِذَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ . قال الرَّجَّاج : «موضع (إذ) نصب . المعنى : واذكر إذ يقول المنافقون»^(٢) .

قال ابن عباس : «يعني أوس بن قبطي»^(٣) ومعتب بن بشير^(٤) وطعمة بن أبيرق وسهل بن الحارث^(٥) ووداعة^(٦) وعبدالله بن أبي ، وعدة نحواً من سبعين رجلاً ، قالوا يوم الخندق : إن محمداً يعدنا أن يفتح مدائن كسرى وقصر واليمن ، ونحن لا نأمن أن نذهب^(٧) إلى الخلاء»^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢١٩

(٢) المرجع السابق .

(٣) أوس بن قبطي بن عمرو بن زيد بن جشم الأنصاري الأوسي ، شهد أحداً مع الرسول ﷺ ، يقال إنه كان منافقاً ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ١/٥٥ ، والإصابة ١/٩٨ ، وأسد الغابة ١/١٤٨ .

(٤) معتب بن بشير ، (ويقال : بن قشير) الأوسي الأنصاري ، شهد العقبة ويدرأ وأحداً ، وقال ابن هشام إنه ليس من المنافقين ، وقيل إنه تاب مما قاله يوم أحد . انظر : الاستيعاب ٣/٤٤٢ ، والإصابة ٣/٤٢٢ ، وأسد الغابة ٤/٣٩٤ .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

(٦) لم أقف له على ترجمة .

(٧) في (ب) : (يذهب) ، وهو خطأ .

(٨) ذكره المؤلف في الوسيط ٣/٤٦٢ من دون تسمية المنافقين .

وقوله تعالى : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . قال قتادة : « قال أناس من المنافقين : يعدنا محمداً^(١) أن يفتح^(٢) قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله^(٣) » .

وقال مقاتل : « قال معتب : يعدنا محمد قصور اليمن وفارس والروم ، ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى الخلاء ، هذا والله هو الغرور^(٤) » .

وقال محمد بن إسحاق عن أشياخه : « قال معتب أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن يأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يقدر يذهب إلى الغائط^(٥) » .

١٣ . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ : يعني من المنافقين ، قال بعضهم لبعض : ﴿ يَتَأَهَّلَ يَرْبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ في عسكر رسول الله ﷺ ، ليس لكم به موضع إقامة . قال مقاتل : « هم بنو سالم من المنافقين^(٦) » ، وقال السُّدِّي : « يعني عبدالله بن أبي وأصحابه^(٧) » .

-
- (١) هكذا في النسخ جميعها ، والصواب : (محمد) ؛ لأنها فاعل .
- (٢) في (أ) : زيادة (يعدنا محمد) قصور اليمن وفارس والروم ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى [ثم وضع نقط هكذا] أن يفتح قصور الشام وفارس ، وهو خطأ .
- (٣) انظر : تفسير ابن جرير ١٣٣ / ٢١ ، وذكره السيوطي في الدر ٥٧٧ / ٦ وقال : أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .
- (٤) تفسير مقاتل ٨٨ ب .
- (٥) أورده الطبري في تفسيره ١٣٣ / ٢١ ، ونسب القول إلى قتادة ومجاهد ، وذكره السيوطي في الدر ٥٧٧ / ٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة والسُّدِّي .
- (٦) تفسير مقاتل ٨٩ أ .
- (٧) انظر : الكشف ٣ / ٢٣٠ ، وزاد المسير ٦ / ٣٥٩ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٣٨١ .

وقال ابن عباس : « قالت اليهود للمنافقين : ﴿يَتَأَهَّلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ ^(١) . قال أبو عبيدة : « يثرب اسم أرض المدينة ، ومدينة الرسول - عليه السلام - في ناصية منها » ، وأنشد لحسان مما قاله في الجاهلية ^(٢) :

سأهدي لها في كلِّ عامٍ قصيدةً وأقعدُ مكفياً ييثربَ مكرماً

وروي أن النبي ﷺ نهى أن يقال للمدينة : يثرب ، وسَمَّها طيبة ^(٣) كأنه كره ذكر الثرب ؛ لأنه فساد في كلام العرب ، يقال : ثرب وأثرِبَ وثرِبَ إذا وسخ وأفسد ^(٤) ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ﴾ [يوسف : ٩٢] .

قوله : ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : « لا مكان لكم تقيمون فيه » ^(٥) . والمقام اسم الموضع ، يقال : مقام إبراهيم ، ومنه قيل للمجلس والمشهد : مقام ومقامة . قال الله تعالى : ﴿وَمَقَامِ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء : ٥٨] ، [الدخان : ٢٦] . قال الشاعر :

فأيُّ ما وأيُّكَ ^(٦) كانَ شراً فقيداً إلى المقامة لا يراها ^(٧)

ودخلت التاء كما دخلت على المنزلة والمقامة ، والمقامة موضع ثواء ولبث .

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ١٤٨ .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لحسان في ديوانه ٣٦٩ ، ومجاز القرآن ٢ / ١٣٤ .

(٣) أخرج الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٢٨٥ عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من سَمَى المدينة يثرب فليستغفر الله ، هي طابة ، هي طابة ، هي طابة » ، وذكره ابن كثير في التفسير ٥ / ٣٤٣ ، وقال : « تفرد به الإمام أحمد ، وهو ضعيف » .

(٤) انظر : اللسان (ثرب) ١ / ٢٣٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٩ .

(٦) في (ب) : (ما والك) .

(٧) البيت من الوافر ، وهو للعباس بن مرداس في ديوانه ١٤٨ ، وخزانة الأدب ٤ / ٣٦٧ ، والكتاب ٢ / ٢٠٤ ، ولسان العرب ١٢ / ٥٠٦ ، والحجة ٥ / ٤٧١ . المُقامة (بالضم) : المجلس وجماعة الناس ، والمراد : أعماء الله حتى صار يقاد إلى مجلسه .

وقرأ عاصم : « لا مقام لكم بضم الميم »^(١) .

قال الفرّاء^(٢) والرّجّاج^(٣) : « مَنْ ضم الميم كان المعنى : لا إقامة لكم ، يقال : أقمّت إقامةً ومقاماً » .

وقال أبو علي : « يجوز في قول مَنْ ضم الميم أن يكون المعنى : لا موضع إقامة لكم ، وهذا أشبه ؛ لأنه في معنى مَنْ فتح ، يقال : لا مقام لكم »^(٤) . والمقام بضم الميم يكون^(٥) مصدراً ويكون اسماً لموضع الإقامة » .

وقوله : ﴿ فَارْجِعُوا ﴾ . قال المفسرون : « أي إلى المدينة ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع والخندق بينه وبين القوم ، فقال هؤلاء الذين يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ : ليس لكم هاهنا موضع إقامة ؛ لكثرة العدد وغلبة الأحزاب ، فارجعوا إلى المدينة »^(٦) .

قوله عز وجل : ﴿ وَيَسْتَنْزِلُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّارَ ﴾ ؛ أي في الرجوع إلى المدينة . قال مقاتل : « وهم بنو حارثة وبنو سلمة قالوا للنبي ﷺ : إن بيوتنا عورة »^(٧) .

قال الليث : « العورة سواة الإنسان وكل أمر يستحي^(٨) منه فهو عورة ، والنساء عورة ، والعورة في التفود وفي الحروب : خلل تخوف منه القتل » .

(١) الحجة ٥ / ٤٧١ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢ / ١٩٥ .

(٢) معاني القرآن ٢ / ٣٣٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١٩ .

(٤) الحجة ٥ / ٤٧١ .

(٥) في (ب) : زيادة (يكون المعنى لا موضع) ، وهو خطأ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢١ / ١٣٥ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٣٨٢ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٤٥ ، وزاد المسير

٦ / ٣٦٠ .

(٧) تفسير مقاتل ٨٩ أ .

(٨) في (أ) : (يستحق) ، وعلّق في الهامش : (يستحي) .

قوله : ﴿إِنَّ يَبُوتَا عَوْرَةً﴾ ؛ أي ليست بحريزة . ويقال في التذكير^(١) والتأنيث والجمع عورة كالمصدر^(٢) . قال الزَّجَّاج : «يقال : عور المكان يعور عوراً وعورةً فهو عور ، ويوت عورة ، وعورة على ضربين ؛ فَمَنْ سَكَّنَ كان المعنى : ذات عورة»^(٣) .

قال الفراء : «يقال : أعور منزلك إذا بدت منه عورة ، وأعور الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب» ، وأنشد :

لَهُ الشَّدَّةُ الْأُولَى إِذَا الْقِرْنُ^(٤) أَعُورَا^(٥)

وقال ابن قتيبة : «أصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ ، وكأن الرجال ستر وحفظ للبيوت ، فإذا ذهبوا عنها أعورت البيوت ، تقول العرب : أعور منزلك إذا ذهب ستره وسقط جداره ، وأعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب والطعن»^(٦) .

قال مجاهد والحسن ومقاتل : «قالوا : ييوتنا ضائعة»^(٧) نخشى عليها السرقة»^(٨) .

(١) في (ب) : (بالتذكير) .

(٢) تهذيب اللغة (عار) ١٧٣ / ٣ .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٢٢٠ / ٤ مع اختلاف يسير .

(٤) في (ب) : (القرآن) ، وهو خطأ .

(٥) معاني القرآن ٣٣٧ / ٢ .

هذا شطر بيت لم أهتدِ إلى تمامه وقائله ، وقال الفراء : «أنشدني أبو ثروان» . انظر : تهذيب اللغة ١٧٢ / ٣ ، واللسان (عور) ٦١٧ / ٤ ، وقال : «إنه في وصف أسد» .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٤٨ .

(٧) طمس في (ب) .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١١ / ١٣٦ ، وتفسير مقاتل ٢ / ٢٧٢ ، ومجمع البيان للطبرسي ٨ / ٥٤٥ .

وقال قتادة : «قالوا : بيوتنا مما يلي العدو ، ولا نأمن على أهلينا»^(١) .

وقال الكلبي : «بيوتنا عورة أي خلاء»^(٢) يعني من الرجال»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الهرب والفرار»^(٤) ، فقال : ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ . قال مقاتل : «ما يريدون إلا فراراً من القتال ونصرة النبي ﷺ»^(٥) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ . قال مقاتل والفرّاء : «لو دخلت عليهم المدينة»^(٦) .

وقال الزّجاج : «لو دخلت البيوت»^(٧) ، يعني لو دخلها عليهم هؤلاء الذين يريدون القتال - وهم الأحزاب - من أقطارها ؛ من نواحيها ، واحدها قطر ، والقطر : والفتر الجانب الواحد والناحية .

قوله : ﴿ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ﴾ : يعني الشرك في قول جميع المفسرين^(٨) .

وقال الزّجاج : «أي قيل لهم : كونوا على المسلمين مظهرين الفتنة لفعلوا ذلك»^(٩) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١١/ ١٣٦ ، ومجمع البيان للطبرسي ٨/ ٥٤٥ .

(٢) في (أ) : (خال) ، وهو خطأ .

(٣) تفسير الماوردي ٤/ ٣٨٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١٩ .

(٥) تفسير مقاتل ٨٩ أ .

(٦) تفسير مقاتل ٨٩ أ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٣٧ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٠ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢١/ ١٣٦ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٣٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٣٣ ،

وزاد المسير ٦/ ٣٦١ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٠ .

قال ابن عباس ومقاتل : «يقول الله لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمرهم بالشرك لأشركوا»^(١).

وقال الكلبي^(٢) : «يقول لو دخل عليهم من أطراف المدينة الخيل والرجال ، ثم دعوهم إلى الشرك بالله لأعطوا ذلك ، وهو قوله : ﴿لَا تَوَهَا﴾ ؛ أي لما امتنعوا منها» . وقرأ الحجازيون : (لأتوها) قصراً ؛ أي لفعلوها^(٣).

قال الفرّاء : «من قولك : أتيت الشيء إذا فعلته ، تقول : أتيت الخير ؛ أي فعلت الخير . والمعنى : ثم سُئلوا فعل الفتنة لفعلوها»^(٤).

وقال الزّجاج : «مَن قرأ بالقصر كان المعنى لقصدها»^(٥) . والاختيار المد ؛ لقوله : سُئلوا ، فالإعطاء مع السؤال حسن ، قاله الفرّاء وأبو علي^(٦).

وقال أبو عبيد^(٧) : «قد جاءت الآثار في الذين كانوا يفتنون بالتعذيب في الله أنهم أعطوا ما سألهم المشركون غير بلال ، وليس في شيء من الحديث أنهم جاءوا ما سألوهم ، ففي هذا اعتبار للمد» .

قال أهل المعاني : «هذا إخبار عن ظهور فضيحتهم وعدم نصرتهم عند وقوع الشدة بإبداء المكتوم وإعطاء الفتنة وإظهار الردة»^(٨).

(١) انظر : مجمع البيان للطبرسي ٥٤٥ / ٨ ، وتفسير ابن عباس ٣٥١ ، وتفسير مقاتل ٨٩ أ .

(٢) لم أقف على قول الكلبي .

(٣) انظر : كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١٩٦ / ٢ .

(٤) لم أقف على قول الفرّاء في معاني القرآن له ، ولا في ما لدي من مراجع .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٠ / ٤ .

(٦) معاني القرآن ٣٣٧ / ٢ ، والحجة للفرّاء السبعة ٤٧٢ / ٥ .

(٧) لم أقف على قول أبي عبيد .

(٨) انظر : معاني القرآن للنحاس ٣٣٤ / ٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٣٧ / ٢ ، ومعاني القرآن للزّجاج

٢٢٠ / ٤ .

قوله : ﴿وَمَا تَلْبَثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «لم يلبثوا بإعطاء الشرك إِلَّا يسيراً»^(١) .

وقال مقاتل : «وما أحسوا من الشرك إِلَّا قليلاً حتى يعطوها طائعين»^(٢) .

وقال قتادة : «وما أحبسوا من الإجابة إلى الكفر إِلَّا قليلاً» ، وهذا قول أكثر المفسرين^(٣) .

وقال الشَّدي : «وما تلبثوا بها ؛ أي بالمدينة إِلَّا يسيراً بعد إعطاء الكفر حتى يهلكوا»^(٤) .

وقال الحسن : «وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إِلَّا قليلاً حتى يعذبوا» ، وهذا القول اختيار الفراء^(٥) وابن قتبية^(٦) . والكناية في (بها) على القول الأول تعود إلى الفتنة ، يقال : تلبث بالشيء تربص به إذا أخره ومنعه . وعلى القول الثاني يعود إلى المدينة ، وهي مذكورة في قوله : ﴿يَتَأَهَّلَ يَرْبَ﴾ . وروى عطاء عن ابن عباس قولاً ثالثاً ، فقال : «يريد لم يقيموا مع النبي ﷺ في حرب ولا دين»^(٧) ، وعلى هذا قوله : ﴿وَمَا تَلْبَثُوا﴾ ابتداء إخبار عنهم أنهم لم يقيموا هناك ، ورجعوا إلى بيوتهم وليس عطفاً على ما قبله ، والكناية في (بها) تعود إلى غير مذكور ، على تقدير : وما تلبثوا بالمعركة ، وبالمقامة^(٨) ، وهذا أضعف الأقوال .

(١) انظر : مجمع البيان ٨ / ٥٤٥ ، وتفسير ابن عباس ٣٥١ .

(٢) تفسير مقاتل ٨٩ أ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١١ / ١٣٦ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٤٥ ، وزاد المسير ٦ / ٣٦١ .

(٤) انظر : زاد المسير ٦ / ٣٦٢ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ١٥٠ .

(٥) معاني القرآن ٢ / ٣٣٧ .

(٦) غريب القرآن ٣٤٩ ، وانظر : مجمع البيان ٨ / ٥٤٥ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ١٥٠ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) في (ب) : (ولا بالمقامة) .

وذكر أبو علي هذه الآية في المسائل الحلبية ، فقال : «مَنْ قرأ : (لَا تَوْهَا) بالمد فلمكان المسألة ، كأنه لو سُئِلُوا لَأَعْطَوْهَا وَلَا تَوْهَا من الإتيان حسن ؛ لأن قوله : ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ دليل على أنهم يسألون النبي ﷺ ترك الإتيان والوقوف معه ، فكان المعنى : ويستأذن فريق منهم النبي في أن لا يأتوه لاشتغالهم بحفظ بيوتهم المعورة في زعمهم .

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ ؛ أي لو بلغت البيوت في أعوارها أن دخل عليهم من جوانبها كلها لفرط عوارها ، ثم سُئِلُوا معونة العدو على المسلمين ، لَا تَوْهَا وأسرعوا إليها ولم يعتلوا عليهم بأن بيوتهم معورة كما اعتلوا به في تأخرهم عن النبي ﷺ والمسلمين ونصرهم . فالمعنى : يستأذنون النبي في أن يقعدوا عنه ولم يأتوه ، وهم يأتون العدو لينصروهم ويعينوهم على المسلمين لو سألوهم ، فالقراءة بالقصر أشكل بما قبله وما بعده^(١) ، ألا ترى أن بعدها : ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . وَمَنْ قرأ بالمد فهو راجع إلى هذا ؛ لأن إعطاء الفتنة هو راجع إلى هذا ؛ لأن إعطاءهم الفتنة معوتتهم على المسلمين وإتيانهم العدو ناصرين^(٢) . فأتوها بالقصر أشد إبانة للمعنى المراد بهذه الآية ، فالمعنى قريب من قوله : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ ؛ أي في نصرتهم ، وهذا مثل قوله : ﴿ثُمَّ سِئِلُوا أَلْفِتْنَةً لَّا تَوْهَا﴾ ؛ لأن في الموضعين دلالة على المعونة على المسلمين ، وعلى أنهم غير مسافلين^(٣) .

وقوله : ﴿نَخَشْيُ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يقرب من قوله : ﴿إِذْ يَكُولُ الْمُنْفَقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ الآية ، إلا أنهم في هذه الآية كأنهم أشد بأساً من^(٤)

(١) (ما) ساقطة من (أ) .

(٢) في (ب) : (قاصدين) .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب : (مشتاقين) .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المسائل الحلبيات : (في) .

النصر ؛ لقطعهم على أن ما وعد الله والرسول به غرور ، ويجتمعان في الإخبار عنهم بأن قلوبهم لم تتلج بالإيمان ، ولم تسكن إلى قول الرسول والإيمان والقرآن وما اجترعوا^(١) به من الظفر ووعدوا به من الفتح والنصر في قوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة : ٣٣] ، [الفتح : ٢٨] ، [الصف : ٩] ^(٢) ، وقوله : ﴿فَإِنْ حَرَبَ اللَّهُ هُمْ أَفْغَلِيُونَ﴾ [المائدة : ٥٦] ، وقوله : ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ ؛ أي تلبثوا بدورهم إلا زماناً قليلاً حتى يأتوا العدو ناصرين لهم عليكم ، ويجوز أن يكون المعنى : لو أتوا العدو ناصرين لهم ومظهرين ما هم مبطنون لاستؤصلوا بالسيوف ويغلبوا كما غلب العدو ، ونزل بهم من العذاب ما يهلكهم إذا باينوكم في الدار . ثم ذكّرهم الله تعالى عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن ، فقال :

١٥ . ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي من قبل الخندق أن لا ينهزموا ولا يولون العدو ظهورهم . وقوله : ﴿لَا يُؤْلَوْنَ﴾ : أراد عاهدوا أن لا يولون فلمّا حذف (أن) عاد الفعل إلى الرفع كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى^(٣)

البيت .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المسائل الحلبيات : (ما أخبروا به) ، وهو الصواب .

(٢) ورد في المسائل الحلبيات ٣٦٠-٣٦٢ مع اختلاف يسير في العبارة .

(٣) صدر بيت من الطويل ، وعجزه :

وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي

وهو لطرفة في ديوانه ٣٢ ، وخزانة الأدب ١/ ١١٩ ، والإنصاف ٢/ ٥٦٠ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٨٥ .

والشاهد فيه قوله : أحضر ؛ حيث روي بالرفع على حذف أن الناصبة وارتفاع الفعل بعدها ، وروي بالنصب بإضمار أن .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ ؛ أي عنه ، فحذف للعلم به ، كقوله في سورة بني إسرائيل : ﴿إِنَّ أَلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء : ٣٤] ، وقد مرّ .

وقال صاحب النظم : «معنى (مسئولاً) هاهنا مطلوباً بمعنى مطالباً به ممن صنعه ، كما تقول : أسألك حقي ؛ أي أطالبك حقي ، أخبر الله تعالى أنهم يسألون في الآخرة عن عهدهم» .

١٦ . ثم أخبر أنهم إن جبنوا عن الحرب وخذلوا النبي ﷺ وأصحابه حرصاً على الحياة ، وخوفاً من الموت لم ينفعهم ذلك ، فقال قوله : ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ . قال ابن عباس : «لأن المراد إذا حضر أجله مات أو قُتل»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ؛ أي لا يمتعون في الدنيا بعد الفرار إن فررتم إلا مدة آجالكم . قال الربيع بن خيثم^(٢) : «القليل ما بينهم وبين الأجل»^(٣) ، وقال الكلبي : «تمتعون إلى آجالكم ، وهو القليل ؛ لأن كل ما هو آت قريب»^(٤) .

١٧ . ثم أخبر أن ما قدر عليهم وأراد بهم لم يدفع عنهم بقوله : ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ؛ أي يحيركم ويمنعكم منه . ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

(١) ورد في الوسيط ٣/ ٤٦٣ ، ولم أجد من نسب هذا القول إلى ابن عباس غير الواحدي .

(٢) الإمام العابد أبو يزيد الربيع بن خيثم الثوري الكوفي ، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه ، وكان يُعدُّ من عقلاء الرجال ، روى عن عبدالله بن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما ، وعنه روى الشعبي والنخعي ومنذر الثوري وغيرهم ، توفي -رحمه الله- قبل سنة ٦٥ هـ . انظر : الطبقات الكبرى ٦/ ١٨٢ ، وحلية الأولياء ٢/ ١٠٥ ، والسير ٤/ ٢٥٨ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢١/ ١٣٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٣١٢١ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٥٦٠ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي ، وأورده القرطبي ١٤/ ١٥١ ، ولم ينسبه .

سوءاً ﴿٢﴾ . قال الكلبي : «هلاكا»^(١) ، وقال مقاتل : «يعني الهزيمة»^(٢) .
﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ . قال : يعني خيراً ، وهو النصر^(٣) ، وقال الكلبي :
«هي العافية»^(٤) . هذا كله أمر للنبي ﷺ أن يخاطبهم بهذه الأشياء ،
ثم يخبر عنهم مؤكداً لما سبق بقوله : ﴿وَلَا يَحْذَرُ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني قريباً ينفعهم ولا ناصرًا
ينصرهم»^(٥) .

١٨ . قوله : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ : العوق والاعتياق والتعويق
بمعنى ، يقال : عاقه واعتاقه وعوقه إذا صرفه عن الوجه الذي يريده ،
والتعويق : ترغيب الناس عن الخير ، ورجل عoque : يعوق الناس عن
الخير . قال المفسرون : «هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار
النبي ﷺ ؛ وذلك أنهم قالوا : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو
كانوا لحماً لأهلته»^(٦) أبو سفيان وحزبه ، فخلوهم وتعالوا إلينا ، وهذا
قول ابن عباس وقتادة^(٧) . [والقائلين في هذا القول هم المعوقون .

وقال مقاتل : «(المعوقين) هم المنافقون ، عبدالله بن أبي وأصحابه»^(٨) ،
و(القائلين) هم اليهود ؛ وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين أيام الخندق فقالوا :

-
- (١) لم أقف على هذا القول .
(٢) تفسير مقاتل ٨٩ ب .
(٣) المرجع السابق .
(٤) انظر : تنوير المقياس بهامش المصحف ٤٢٠ .
(٥) ورد في تفسير مقاتل ٨٩ ب ، ولم أقف على من نسبته إلى ابن عباس .
(٦) هكذا في النسخ جميعها ، والصواب : (لالتقمهم) .
(٧) انظر : تفسير مقاتل ٨٩ ب ، وتفسير البغوي ٥١٧/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٥١ ، وقد
نسبه إلى مقاتل وقتادة وغيرهما ، ولم أجد من نسبته إلى ابن عباس .
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) ، وكتب في الهامش .

ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بأيدي أبي سفيان ومن معه ، فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة ما استبقوا منكم أحداً ، وإننا نشفق عليكم ؛ فإنكم إخواننا ونحن جيرانكم هلم إلينا ، فأقبل المنافقون على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه ، فذلك قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ ﴾ : يعني المنافقين ، ويعلم (القائلين لإخوانهم) : يعني اليهود حين دعوا إخوانهم المنافقين : (هلم إلينا) ^(١) . وذكرنا الكلام في (هلم) في سورة الأنعام ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ أي لا يحضرون القتال في سبيل الله ، قاله ابن عباس وغيره ^(٣) . (إِلَّا قَلِيلًا) . قال الكلبي ومقاتل : «إلا رياء وسمعة من غير احتساب ، ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً» ^(٤) ، وهذا كقوله في صفتهم أيضاً : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

وقال أبو إسحاق : «لا يأتون الحرب مع أصحاب النبي ﷺ إلا تعذيراً يوهمونهم أنهم معهم» .

١٩ . قوله : ﴿ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ ﴾ منصوب على الحال . المعنى : يأتون الحرب بخلاً عليكم ، قاله الزجاج ^(٥) . وأشحة : جمع شحيح ، مثل دليل وأدلة ، وعزيز وأعزة . قال الفراء : «ويجوز أن يكون حالاً من ﴿ الْمَعُوقِينَ ﴾ . المعنى : يعوقون أشحة ، وإن شئت من ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ ؛ أي وهم هكذا ، قال : ويجوز أن يكون نصباً على الذم كما ينصب على المدح ،

(١) تفسير مقاتل ٨٩ ب .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُهِدَاءٍ لَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ [الأنعام : ١٥٠] .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس ٣٥١ ، وبه قال قتادة . انظر أيضاً : تفسير الطبري ١٣٩ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٨٥ / ٤ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٩٠ أ ، ولم أجد من نسبه إلى الكلبي ، ونسبه الماوردي إلى السدي ٣٨٥ / ٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٠ / ٤ .

مثل قوله : ﴿مَلْعُونَيْكَ أَتَيْنَا نَقْفُوا﴾ [الأحزاب: ٦١]»^(١) . قال مجاهد وقتادة والكلبي : ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ بالغنيمة والخير والمنفعة في سبيل الله»^(٢) .

قال ابن عباس : «يريد بالنصر»^(٣) . والمعنى : لا ينصرونكم ، ثم أخبر عن حالهم^(٤) عند الخوف ، فقال : ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ . قال مقاتل : «يعني القتال»^(٥) . ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد نظر المعشي عليه من الموت ، يريد كما تدور عين الذي في السياق»^(٦) . هذا كلامه .

ولقوله : ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾^(٧) تأويلان : أحدهما أنهم يلوذون بك من الخوف فلا يرفعون بصرهم عنك ، والثاني أن معناه : بيان حالتهم عند الخوف ، يقال : ينظرون إليك بالصفة التي ذكر تدور أعينهم ، ليس معنى الدوران هاهنا الاضطراب والحركة ؛ لأن عين الخائف لا توصف بذلك ، وإنما توصف بالشخص والحيرة ، يؤكد هذا أنه شبه أعينهم بعين الذي يغشى عليه من الموت ، وعينه تشخص فلا تطرف ، ويقال للميت : دارت عينه ودارت حماليق عينه إذا

(١) ورد في معاني القرآن للفرأء ٢/ ٣٣٨ مع اختلاف في العبارة .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٨١ ، وقال : «أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وابن أبي حاتم عن السدي ، وابن أبي حاتم عن قتادة» . انظر : تفسير مقاتل ٩٠ أ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٤٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣١٢١ أ .

(٣) لم أجد من نسبته إلى ابن عباس في ما لدي من مصادر .

(٤) في (أ) : (حيهم) ، وهو خطأ .

(٥) تفسير مقاتل ٩٠ أ .

(٦) تفسير ابن عباس ٣٥٢ .

(٧) في (أ) : زيادة (إليك بالصفة التي ذكر تدور أعينهم) ، وهو خطأ .

شخص بصره فلم يطرف ، وكذلك فعل الفزع الواحد ينظر إلى الشيء شاخص البصر لذهوله بالخوف .

قوله تعالى : ﴿ كَأَلَدَىٰ يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ : يعني كعين الذي يغشى عليه من الموت ، وهو الذي قرب من حالة الخوف وغشيته أسباب الموت ، يقال : غشي عليه فهو مغشي عليه ، وهو الغشية ، وكذلك غشيه الموت ، والذي يغشى عليه من الموت هو الذي يذهل ويذهب عقله ^(١) .

وقوله : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْمَوْفُ ﴾ ؛ أي زال وجاء الأمن والغنيمة . ﴿ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ . قال الليث : « يقال : سلقته باللسان ؛ أي أسمعته فأكثر ، ولسان مسلق : حديد ذلق » ^(٢) . قال أبو عبيدة : « ويقال : سلق ؛ أي رفع صوته ، ومنه قوله ﷺ : « ليس منا من حلق أو سلق » ^(٣) ؛ أي رفع صوته عند المصيبة ، ومنه قيل : خطيب مسلق ومسلاق وسلاق » .

(١) انظر : اللسان (شخص) ٤٥ / ٧ ، والصحاح (شخص) ١٠٤٢ / ٣ .

(٢) تهذيب اللغة (سلق) ٤٠٣ / ٨ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : تحريم ضرب الحدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ١ / ١٠٠ ، عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق » ، والإمام أحمد في مسنده ٣٩٦ / ٤ ، وأبو داود في سننه ، كتاب : الجنائز ، باب : في النوح ١٩٤ / ٣ ؛ كلهم عن أبي موسى .

قال في المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود ٨ / ٢٨٥ : « ومعنى قوله : « ليس منا » ؛ أي ليس من أهل سُنَّتِنَا وطريقَتِنَا الكاملة ، وقوله : « مَنْ حلق » ؛ أي حلق شعره عند المصيبة ، « وسلق » بالسین المهملة ؛ ويروى بالصاد المهملة ، أي رفع صوته بالبكاء ، « وخرق » ؛ أي شق ثوبه ، وكان ذلك من صنيع أهل الجاهلية » . أهـ .

قال الأعشى :

فيهمُ الحزْمُ والسباحَةُ والنجدَةُ فيهمُ والخاطبُ السلاقُ^{(١)(٢)}

ويروى : المسلاق . وقال الفرّاء : «معناه : عصوكم وأذوكم بالكلام في الأمن بالسنة سليطة ذرية»^(٣) .

وقال المُبرّد^(٤) : «يقال : سلق فلان بلسانه ، إذا غلّظ له في القول مجاهراً ، وخطيب سلاق إذا كان ماضياً في خطبته معلناً ، ويقال للمرأة البدنة : قد سلقت ، إذا رفعت صوتها ، وأنشد قول الأعشى . قال أبو إسحاق : «معنى سلقوكم : خاطبوكم أشد مخاطبة وأبلغها»^(٥) .

وقال ابن قتيبة مثل قول الفرّاء ، ثم قال : «وأصل السلق الضرب»^(٦) .

قال ابن عباس : «أي : استقبلوكم بالأذى»^(٧) .

وقال ابن زيد : «كلموكم بالسنة ذرية ؛ أي أذوكم بالكلام»^(٨) .

(١) ورد في مجاز القرآن ٢/ ١٣٥ مع اختلاف في العبارة . انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٩٧ .

(٢) البيت من الخفيف ، وهو للأعشى في ديوانه ٢٦٥ ، وتهذيب اللغة ٨/ ٤٠٢ ، واللسان (سلق) ١٠/ ١٦٠ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٣٩ . انظر : تهذيب اللغة ٨/ ٤٠٣ .

(٤) لم أقف على قول المُبرّد ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤/ ١٥٣ ، وزاد المسير ٦/ ٣٦٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢١ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٤٩ .

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٢١/ ١٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٣١٢٢ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٥٨١ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢١/ ١٤١ .

وقال قتادة : «يعني بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ، يقولون : أعطونا أعطونا فلستم بأحق فيها منّا ، فأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ قوم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذهم للحق» ، وهذا قول المفسرين^(١) .

وروى عطاء عن ابن عباس ، قال : «يريد يتناولونكم بألسنة حداد ، يريد ينعون فيكم وينتقصونكم ويغتابونكم»^(٢) . فعلى القول الأول : سلقهم^(٣) خصومتهم ورفعهم الصوت في طلب الغنيمة ، وعلى القول الثاني : سلقهم تنقصهم وبسطهم^(٤) اللسان بالغيبة .

وقوله : ﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ ؛ أي بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند القسمة ، هذا قول المفسرين .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿عَلَى الْخَيْرِ﴾ يريد على المال ، لا ينفقون في سبيل الله»^(٥) . وانتصب (أشحة) على الحال من قوله : سلقوكم ؛ أي خاطبوكم ، وهم أشحة على المال والغنيمة ، ثم أخبر أنهم غير مؤمنين وإن أظهروا كلمة الإيمان .

قوله : ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُولُوا﴾ . قال أبو إسحاق : «أي : هم وإن أظهروا كلمة الإيمان وناققوا فليسوا بمؤمنين»^(٦) ، وقال مقاتل : «﴿أُولَئِكَ لَمْ يُولُوا﴾ ؛ أي

(١) ذكره الطبري في تفسيره ١٤١ / ٢١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٢٢ / ٩ عن قتادة ، والطبرسي في مجمع البيان ٥٤٦ / ٨ .

(٢) تفسير ابن عباس ٣٥٢ ، وتفسير البغوي ٥١٨ / ٣ .

(٣) في (أ) : (سلقتم) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (بسطهم) .

(٥) ذكر هذا القول الماوردي ٣٨٦ / ٤ ، ونسبه إلى السُّدِّي ، والقرطبي ١٥٤ / ١٤ ، ونسبه إلى السُّدِّي .

انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٢١ / ٤ .

لم يصدقوا بتوحيد الله»^(١). ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ . قال مقاتل : «أبطل الله جهادهم ؛ لأن أعمالهم الحسنة وجهادهم لم يكن في إيمان»^(٢) .

﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ : يعني إحباط أعمالهم . ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد سهلاً أن يحبط أعمالهم ويعذبهم على النفاق»^(٣) .

٢٠ . ثم أخبر بما دل عليه جنبهم بقوله : ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ . الأحزاب : الجماعات ، واحداً حزب ، وهم كل طائفة هواهم واحد ، فالمؤمنون حزب الله ، والكافرون حزب الشيطان ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ، وإن لم يلق بعضهم بعضاً بمنزلة عاد وثمود وفرعون أولئك الأحزاب ، وتحزب القوم : إذا تجمعوا فصاروا أحزاباً ، وحزب فلان أحزاباً ؛ أي جمعهم .

قال ابن عباس : «يقول بحسب هؤلاء المنافقين أن الأحزاب»^(٤) معسكرون مقيمون»^(٥) .

وقال مقاتل : «من الخوف والرعب الذي نزل بهم يحسبون الأحزاب لم يذهبوا إلى مكة»^(٦) . قال أبو إسحاق : «أي : يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا ، لجنبهم وخوفهم منهم»^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ٩٠ أ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) تفسير ابن عباس ٣٥٢ .

(٤) في (ب) : (الآخرة) ، وهو خطأ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٢٢/٩ عن مجاهد ، قال : «يحسبونهم قريباً لم يبعدوا» .

(٦) تفسير مقاتل ٢/٢٧٣ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٢١/٤ .

وقوله: ﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ . يقول: «وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال» .

﴿يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْا فِي الْأَعْرَابِ﴾ . قال ابن عباس: «يريد: يتمنى المنافقون لو كانوا في البادية»^(١) .

وقال الكلبي: «يقول: خارجون في الأعراب من الرهبة»^(٢) . والبادون خلاف الحاضرين ، ويقال: بدا يبدو إذا خرج إلى البادية ، وهي البداوة والبدَاوة ، ويقال للقوم البادين: بادية ، وللموضع الذي بدوا إليه: بادية ، وأصل هذا من البدو الذي هو الظهور والبروز . ومعنى الآية: ودوا أنهم خارجون إلى البدو في جملة الأعراب خوفاً من الأحزاب .

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ : الأظهر أن قوله: (يَسْأَلُونَ) صفة للنكرة التي هي (بَادُونَ) بتقدير: بادون سائلون عن أنباءكم ؛ أي ودوا أنهم بالبُعد منكم وهم يسألون عن أخباركم يقولون: ما فعل محمد وأصحابه فيعرفون حالهم^(٣) وما أنتم فيه بالاستخبار لا بالمشاهدة ، وهذا معنى قول المفسرين^(٤) .

وقال الكلبي: «يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة ، فزعاً وفرقاً من القتال»^(٥) ، وعلى هذا القول (يَسْأَلُونَ) ابتداء كلام وخبر عنهم . والمعنى: أنهم لجبنهم أبدأ يسألون عن أخبار المؤمنين ، هل قصدهم عدو وأضلتهم حرب ؟ وذلك أنهم يحتاجون أن يشاهدوا معهم القتال ، وإن كرهوا ذلك فلذلك يكثر سؤالهم عن حالهم حتى إن لم يقصدهم عدو ولم يعرض لهم حرب فرحوا ، هذا معنى ما ذكره

(١) لم أفق عليه عن ابن عباس . انظر: تفسير هود بن محكم ٣/ ٣٦١ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥٤ .

(٢) لم أفق عليه عن الكلبي ، وانظر: المرجعين السابقين .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب: (حالكهم) ؛ حتى يستقيم السياق .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢١/ ١٤٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٤٧ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥٥ .

(٥) لم أفق عليه عن الكلبي ، وانظر: تفسير القرطبي ١٤/ ١٥٥ .

الكلبي . ويجوز أن يكون سؤالهم عن أنبيائهم ؛ لأنهم يتربصون بهم الدوائر فيهم^(١) أبداً يفحصون عن حالهم شماتة بهم إذا أصابتهم نكاية ، أو عرض لهم عارض شر . والصحيح ما ذكرنا أولاً ، وهو أن قوله : ﴿يَسْتَلُوكَ﴾ متصل بما قبله ؛ لقوله : ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، وهذا يدل على أن الكلام متصل .

قال الكلبي : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رمياً بالحجارة^(٢) . ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً .

وقال مقاتل : «يعني ما قاتلوا إلا رياء وسمعة من غير خشية»^(٣) .

٢١ . ثم عاتب مَنْ تَخَلَّفَ بالمدينة عن رسول الله ﷺ بقوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ . قال المفسرون^(٤) : «قدوة صالحة» . يقال : فلان أسوتك في هذا الأمر ؛ أي مثلك^(٥) ، وفلان يأتي فلان^(٦) ؛ أي يرضى لنفسه ما رضى ، ويقتدي به وكان في مثل حاله ، والقوم أسوة في هذا الأمر ؛ أي حالتهم^(٧) فيه واحدة .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (فهم) .

(٢) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٣٦٧ ، ونسبه إلى ابن السائب .

(٣) تفسير مقاتل ٩٠ أ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/١٩١ أ ، وتفسير الطبري ٢١/١٤٣ .

(٥) في (أ) زيادة : (أي [حللتهم فيه] مثلك) ، وهو خطأ .

(٦) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (يأتي بفلان) .

(٧) في (ب) : (حاللتهم) .

قال الليث : « والتأسي في ^(١) الأمور من الأسوة ^(٢) ، وفيها لغتان : أسوة وإسوة ، ويقال : لي في فلان أسوة ؛ أي لي به اقتداء ، والأسوة من الاتساء كالقدوة من الاقتداء ، اسم يوضع موضع المصدر » .

قال ابن عباس : « يريد يقتدون به حيث خرج بنفسه » ^(٣) .

ومعنى الآية على ما ذكره أهل التفسير : أن الله يقول : كان لكم رسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته ومؤازرته ، والشد على يده بالصبر معه في مواطن القتال ، كما فعل هو بيوم أحد ؛ إذ كسرت رباعيته ، وشج فوق حاجبه ، وقتل عمه ، وأوذى بضروب الأذى ، فواساكم مع ذلك بنفسه ، فهلاً فعلتم مثل ما فعل واستنيتم بسنته ^(٤) .

قوله : ﴿ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . قال الفراء : « خص الله بها المؤمنين » ^(٥) ، يعني قوله بمن ^(٦) بدل من قوله لكم ، وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين بالأسوة .

قال ابن عباس : « يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم » ^(٧) . ﴿ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ؛ أي ذكراً كثيراً باللسان ^(٨) ؛ وذلك أن ذاكر الله هو الذي يأتمر لأوامره بخلاف الغافل عن ذكر الله .

(١) في (ب) : (من) .

(٢) تهذيب اللغة (أسي) ١٣ / ١٤٠ .

(٣) لم أجد من نسب هذا القول إلى ابن عباس .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٣ / ١٩١ أ ، وذكر السمرقندي في بحر العلوم ٣ / ٤٤ قريباً من هذا المعنى .

(٥) معاني القرآن ٢ / ٣٣٩ .

(٦) في (ب) : (من) ، وكلاهما لا يتضح به الكلام ، وإنما هي كما جاءت في القرآن : (لمن) .

(٧) انظر : تفسير البغوي ٣ / ٥١٩ ، زاد المسير ٦ / ٣٦٨ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٤٨ .

(٨) في (أ) : (ذكر) ، أسقط الألف ، وهو خطأ .

٢٢. ثم ذكر المؤمنين ووصف حالهم بقوله : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ : يعني أبا سفيان وأصحابه . ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ . قال قتادة ومقاتل : «كان الله وعدهم في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ إلى قوله : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، فأخبرهم بما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم ، فلمّا رأوا يوم الأحزاب ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ وتصديقاً بوعده الله وتسليماً لأمره»^(١) . ومعنى التسليم هاهنا أن يسلم الأمر للملكه من غير إعراض فيه ، وهو أن يدعه له سالماً لا يدّعي لنفسه فيه شيئاً ، ولعل هذا في ما سبق البيان فيه .

قال أبو إسحاق في هذه الآية : «وصف الله تعالى حال المنافقين في حرب الكافرين وحال المؤمنين ، وصف المنافقين بالفشل والجبن والروغان والمسارة إلى الفتنة ، ووصف المؤمنين بالثبوت عند الخوف»^(٢) . والتصديق بما وعد الله ورسوله من النصر عند شدة الأمر ؛ وذلك أنهم لمّا^(٣) زلزلوا زلزلاً شديداً أعلموا أن النصر وجب له^(٤) ؛ لأن الله كان قد أنزل عليهم في الآية التي وصف بها ما أصاب أصحاب الأنبياء قبلهم من الشدة قوله : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، هذا معنى ما ذكره وبعض لفظه .

قال الفراء : «كان النبي ﷺ أخبر أصحابه بمسير الأحزاب إليهم فذلك قوله : ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ ؛ أي ما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيماناً ، قال :

(١) ورد في تفسير مقاتل ٩٠ ب ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٨٨ / ٤ ، والطبري في تفسيره ١٤٤ / ٢١

عن قتادة ، وزاد الطبري نسبة هذا القول إلى ابن عباس .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٢ / ٤ .

(٣) في (ب) : (ك) .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : (لهم) .

ولو كان ما زادوهم إلا إيماناً يريد الأحزاب كان جائزاً كما قال في سورة أخرى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧] ، ولو كانت ما زادكم إلا خبالاً كان^(١) صواباً ، يريد ما أذاكم خروجهم ، وهذا من سعة العربية^(٢) .

وهذا الذي ذكره الفرّاء هو قول الكلبي ، قال : «إن النبي ﷺ قال لأصحابه : إن الأحزاب قد خرجوا إليكم وهم سائرون إليكم تسعاً تسعاً أو عشراً ، فلمّا رأوهم قد قدموا للميعاد قال المؤمنون : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ للميعاد ؛ وذلك لعدة الأيام التي قال لهم^(٣) .

وقال المبرّد^(٤) : «وفي قوله : ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ ؛ أي ما زادهم رؤيتهم إلا إيماناً لدلالة الفعل عليه» ، وهو قول أي المؤمنين ومثله كثير : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ؛ أي البخل ، يكنى عن المصدر لدلالة الفعل عليه .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ . قال مقاتل : «المعنى ليلة العقبة»^(٥) . قال أبو إسحاق : «موضع (ما) نصب بصدقوا كما تقول صدقتك الحديث . والمعنى : عاهدوا على الإسلام فأقاموا على عهدهم^(٦) بخلاف من كذب في عهده ، وخان الرسول بقلبه وهم

(١) في (ب) : (لكان) ، وهو خطأ .

(٢) ورد في معاني القرآن ٣٤٠ / ٢ مع اختلاف في العبارة .

(٣) لم أجد من نسب هذا القول إلى الكلبي ، وقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٢١٦ / ٧ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وهو في تفسير ابن عباس ٣٥٢ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٩٠ ب .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٢ / ٤ .

المنافقون». ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ : النَّحْبُ في اللغة هو : النذر^(١) ،
والنحب : الموت ، والنحب : الخطر العظيم . قال جرير^(٢) :

بطفخة جالذنا الملوک وخيلنا عشيّة بسطام جرین علی نحبٍ

أي : على خطر عظيم ، ويقال : سافر فلان على نحب ؛ أي سار واجتهد في
السير ، ومنه يقال^(٣) : نحب القوم إذا جدوا في عملهم ، وسار سيراً منحباً قاصداً
لا يريد غيره ، كأنه جعل ذلك نذراً على نفسه لا يريد غيره . قال الكميّ :

يحدن لها عرض الفلاة وطولها كما سار عن يميني يديه المنحب^(٤)
أي يقول : إن لم أبلغ مكان كذا فلك يميني ، وقال لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضي أم ضلال وباطل^(٥)
يقول : عليه نذر في طول سيره ، هذا كلام الأزهري في تفسير النحب^(٦) .

(١) في النسخ : (البدر) ، وهو خطأ ؛ إذ الصواب : (النذر) فليس من معاني (نحب) بدر كما ذكر أهل اللغة .

(٢) في النسخ : (حرب) ، وهو خطأ ، والصواب : (جرير) . انظر : ديوانه ٦٣٢ ، وتهذيب اللغة ١١٥ / ٥ ، واللسان (نحب) ٧٥٠ / ١ ، ومجاز القرآن ١٣٥ / ٢ .

(٣) في (ب) : (قول) .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للكميت بن زيد في ديوانه ٩٦ / ١ ، وتهذيب اللغة ١١٦ / ٥ ، واللسان ٧٥١ / ١ ، وتاج العروس ٢٤٥ / ٤ . ومعنى البيت كما فسره ثعلب كما في تاج العروس ٢٤٥ / ٤ : «هذا الرجل حلف إن لم أغلب قطعت يدي ، كأنه ذهب به إلى معنى النذر ، يعني النحب» .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ٢٥٤ ، وخزانة الأدب ٢٥٢ / ٢ - ٢٥٣ ، ١٤٥ / ٦ ، والكتاب ٤١٧ / ٢ ، واللسان (نحب) ٧٥١ / ١ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نحب) ١١٥ / ٥ مع اختلاف يسير في العبارة .

وقال الفرّاء : «قضى نحبه أي أجله»^(١) ، ونحو ذلك قال الزّجاج^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «قضى نحبه أي مات ، والنحب النفس» ، وأنشد قول ذي الرمة :

عشية فرّ الحارثيون بعد ما قضى نحبهُ في مُلتقى الخيل هَوْبُ^(٣)(٤)

قال المفسرون : «هذا في حمزة وأصحابه الذين قُتلوا بأحد»^(٥) . قال ابن عباس : «ممن قضى نحبه حمزة بن عبدالمطلب ومَن قُتل معه ، وأنس بن النضر»^(٦) وأصحابه .

روى حميد عن أنس ، قال : «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، وشق عليه لمّا قدم ، وقال [غبت]^(٧)» عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، والله لئن أشهدني قتالاً ليرين ما أصنع ، فلمّا كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، ومشى بسيفه فقاتل حتى قُتل .

(١) معاني القرآن ٢ / ٣٤٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٢٢ .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٣٥ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في ديوانه ٢ / ٦٤٧ ، وخزانة الأدب ٤ / ٣٧١ ، ولسان العرب (هير) ٥ / ٢٤٨ ، وأراد بهوهر ابن هوبر ، وهو رجل .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٠ ب ، والبغوي ٣ / ٥١٩ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٤٩ .

(٦) أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن النجار الخزرجي الأنصاري ، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، غاب عن قتال بدر ، فأقسم إن شهد قتالاً لا يفر منه ، فحضر أحداً ، فلمّا انهزم المسلمون قال : «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء» ، فقاتل حتى قُتل شهيداً رضي الله عنه . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ١ / ٤٣ ، والإصابة ١ / ٨٦ ، وأسد الغابة ١ / ١٣١ .

(٧) طمس في النسخ كلها ، والتصحيح من تفسير الثعلبي ٣ / ١٩١ ب .

قال أنس : «فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة ، فما عرفناه حتى عرفته أخته بثناياه ، ونزلت هذه الآية : ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾ . قال : وكُنَّا نقول : أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه»^(١) .

وقال مقاتل : ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ : يعني أجله مات أو قُتل على الوفاء ، يعني حمزة وأصحابه»^(٢) .

وقال الليث : ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ قتلوا في سبيل الله فأدركوا ما تمنوا فذلك قضاء النحب»^(٣) .

وقال محمد بن إسحاق : «فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، يعني مَن استشهد يوم أحد»^(٤) .

وقال الحسن : «قضى أجله على الوفاء والصدق»^(٥) .

وقال مجاهد : «قضى عهده بقتل أو بصدق في لقاءه»^(٦) .

وروى عكرمة عن ابن عباس : ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ . قال : «الموت»^(٧) .

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٩١/٣ ب ، وتفسير الطبري ١٤٧/٢١ ، وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ ١٧٩٥/٤ ، رقم ٤٥٠٥ ، والترمذي في كتاب : التفسير (سورة الأحزاب) ٢٨/٥ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٢) تفسير مقاتل ٩٠ ب .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (نحب) ١١٥/٥ ، وذكره صاحب تاج العروس ٢٤٣/٤ من دون نسبة .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٤٥/٢١ ، وتهذيب اللغة (نحب) ١١٦/٥ ، واللسان (نحب) ٧٥٠/١ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ١١٤/٢ ، ومجمع البيان ٥٤٩/٨ .

(٦) انظر : الطبري ١٤٦/٢١ ، والبحر المحيط ٢١٧/٧ ، وتفسير مجاهد ٥١٧ .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٣٨٩/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٣٨/٥ .

وقال المُبرِّد : «النحب في كلامهم الخطر الذي يخطر به ، فيقال على ذلك للذي عزم عزمًا فمضى عليه حتى مات قضى نحبه ؛ أي أخطر به»^(١) .

وقال ابن قتبية : «قضى نحبه ؛ أي قُتل ، وأصل النحب النذر ، كان قومًا نذروا أن يلقوا^(٢) العدو وأن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله ، فقتلوا ، فقيل : فلان قضى نحبه إذا قُتل»^(٣) .

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ أجله على الوفاء . قال مجاهد : «ينتظر يوماً في جهاد فيقضى عهده فيقتل»^(٤) ، وقال مقاتل : «من المؤمنين من ينتظر أجله بالوفاء بالعهد»^(٥) .

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ العهد ﴿بَدِيلًا﴾ كما بدل المنافقون . والمعنى : ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون .

٢٤ . قوله : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ : فهذه اللام تتعلق بما فيها قبل من فعل المنافقين والمؤمنين عند رؤية الأحزاب ، كأنه قيل : صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم ويعذب المنافقين بنقض العهد إن شاء .

قال السُّدِّي : «يمتهم على نفاقهم إن شاء فيوجب لهم العذاب أو يتوب عليهم ؛ أي وأن ينقلهم من النفاق إلى الإيمان»^(٦) .

(١) لم أقف عليه ، وانظر : الدر المصون ٥ / ٤١١ .

(٢) هكذا في النسخ ، وفي تفسير غريب القرآن : «إن لقوا» ، وهو المناسب للسياق .

(٣) تفسير غريب للقرآن ٣٤٩ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٣٩٠ ، وتفسير الطبري ٢١ / ١٤٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٠ ب .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٣٩٠ ، والوسيط ٣ / ٤٦٦ .

وقال قتادة : «يعذبهم إن شاء لا يخرجهم من النفاق إلى الإيمان»^(١) .

فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين إماتتهم على النفاق إن شاء ثم يعذبهم أو يتوب عليهم [ليس أنه]^(٢) فيغفر لهم ، ليس أنه يجوز أن لا يشاء تعذيبهم إذا ماتوا على النفاق .

وقال بعضهم : «الله تعالى إذا عَذَّبَ عَذَّبَ بمشيئته»^(٣) ، وإذا عفا عفا بمشيئته ، ليس لأحد عليه حكم ولا يجب عليه أن يعاقب الكفار ولا أن يرحم المؤمنين بخلاف ما زعمت القدرية ، لكنه إذا وعد لم يخلف الميعاد ، فعلى قوله : (إن شاء) بيان أنه يعذب بمشيئته لا بأن ذلك واجب عليه . قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ . قال ابن عباس : «غفوراً لِمَن تاب رحيماً به»^(٤) .

٢٥ . قوله : ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ ؛ أي صدَّهم ومنعهم عن المسلمين وعن الظفر بهم ، يعني الأحزاب بغیظهم ؛ أي لم يشف صدورهم بنيل المراد وردهم فيهم غيظهم على المسلمين . والباء في (بِغَيْظِهِمْ) بمعنى مع ، كما يقال : خرج بشيابه ، وركب الأمير بسلاحه .

قوله تعالى : ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما كانوا يؤمنون»^(٥) من الظفر والمال»^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤٨/٢١ ، والدر المنثور ٥٨٩/٦ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ب) .

(٣) في (ب) : (لمشيئته) .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٢ .

(٥) هكذا في النسخ ، ولعل الأصوب : (يؤمنون) .

(٦) لم أقف عليه .

قال أبو إسحاق : «أي لم يظفروا بالمسلمين ، وذلك عندهم خير فخطبوا على استعمالهم»^(١) .

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة التي أرسلت إليهم^(٢) عليهم .
﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ في ملكه . ﴿عَزِيزًا﴾ في قدرته ، قاله ابن عباس^(٣) ، ثم ذكر ما ليهود^(٤) بني قريظة بقوله :

٢٦ . ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ ؛ أي وازروا الأحزاب وأعانواهم على رسول الله ﷺ ، يعني قريظة ؛ وذلك أنهم نقضوا العهد ، وصاروا يداً واحدة مع المشركين على رسول الله ﷺ والمؤمنين ، فلمّا هزم الله المشركين بالريح والملائكة أمر رسول الله بالمسير إلى قريظة ، فسار إليهم وحاصروهم عشرين ليلة ، ثم نزلوا^(٥) على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم سعد أن يقتل مقاتليهم ، ويسبي ذراريهم^(٦) ، فذلك قوله : ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَّاصِيهِمْ﴾ . قال ابن عباس وعكرمة ومقاتل : «من حصونهم»^(٧) .

وقال مجاهد : «من قصورهم»^(٨) .

-
- (١) لم أقف عليه عن أبي إسحاق ، وقد ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٥٠ ، ولم ينسبه إلى أحد .
(٢) هكذا في النسخ ، والظاهر أن (إليهم) زائدة .
(٣) لم أقف عليه .
(٤) في (ب) : (باليهود) .
(٥) في (ب) : (ثم حاصروهم) ، وهو خطأ .
(٦) ذكره الطبري ٢١ / ١٥١ ، والماوردي ٤ / ٣٩٢ .
(٧) انظر : تفسير الطبري ٢١ / ١٥١ ، وزاد المسير ٦ / ٣٧٤ ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٥ / ٣٤٠ ، وتفسير مقاتل ٩٠ ب .
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٢١ / ١٥٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦ / ٥٩١ ، وقال : «أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد» .

قال أبو إسحاق : «معنى (الصياصي) كل ما يمتنع به ، و(الصياصي) هاهنا الحصون ، وقيل : القصور ؛ لأنه يتحصن فيها ، والصياصي قرون البقر والظباء ، وكل قرن صيصة ؛ لأن ذوات القرون تتحصن بقرونها وتمتنع بها ، وصيصة الديك شوكتة ؛ لأنه يتحصن بها أيضاً»^(١) .

وقال أبو عبيدة : «الصيصة القرون»^(٢) ، وأنشد :

وسادة قومي حتى بقيتُ فريداً كصيصةِ الأعصبِ^(٣)

ثم تسمى شوكة الديك وشوكة الحائك : صيصة ؛ تشبيهاً بالقرن ، ومنه قول دريد^(٤) :

كوقع الصياصي في النسيج الممدد^(٥)

ثم يسمى كل ما يمنع به حصن وقصر : صيصة ؛ لامتناع ذوات القرون بقرونها^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٣/٤ .

(٢) مجاز القرآن ١٣٦/٢ .

(٣) لم أقف على تمام البيت وقائله ، وهكذا ورد في النسخ ، والذي يظهر لي - والله أعلم - أنه خطأ ، فقد بحثت وكررت البحث - حسب طاقتي وجهدي - فلم أقف على هذا الشعر ، والله أعلم .

(٤) دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية بن جداعة ، فارس مشهور ، شاعر جاهلي ، كان سيد قومه وفارسهم وقائدهم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، قُتل في حنين سنة ٨ هـ . انظر : الشعر والشعراء ٥٠٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١/١٨٥ ، ومعجم الشعراء ١١٤ .

(٥) عجز بيت ، وصدره :

فجئتُ إليه والرماحُ تنوشهُ

وهو من الطويل لدريد بن الصمة في ديوانه ٦٣ ، وتهذيب اللغة (صيص) ٢٦٦/١٢ ، ولسان العرب (نوش) ٣٦١/٦ ، و(صيص) ٥٢/٧ ، و(شيق) ١٩٣/١٠ ، و(صيا) ٤٧٣/١٤ ، وكتاب العين ١٧٦/٧ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ٢٦٦/١٢ ، ولسان ٥٢/٧ ، والتاج ٢٧/١٨ .

قوله تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ . قال ابن عباس : «ألقي في قلوبهم الخوف»^(١) . ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ : يعني : المقاتلة . قال مقاتل : «منهم أربعمئة وخمسون رجلاً» . ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ : وتسبون طائفة ، يعني الذراري . قال مقاتل : «سبعمئة وخمسين»^(٢) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿وَأَوْزَكْنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدْرُحَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ . قال المفسرون : «عقارهم ونخلهم ومنازلهم وأموالهم من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء» . قال : «فجعل النبي ﷺ أرضهم وديارهم للمهاجرين ؛ لأنهم لم يكونوا ذوي عقار»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْهَرُوا﴾ . قال الكلبي : «لم تملوكها ، والمعنى لم تطهروها بعد بأقدامكم ، وهي مما سيفتحها الله عليكم»^(٤) .

قال مقاتل والكلبي وابن زيد : «يعني خيبر فتحها الله عليهم بعد»^(٥) بني قريظة»^(٦) ، واختار الفراء هذا القول ، وقال : «عنى خيبر ، ولم يكونوا نالوها ، فوعدهم الله إياها»^(٧) .

(١) ورد في تفسير ابن عباس ٣٥٢ مع اختلاف في العبارة .

(٢) تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٥٠ / ٢١ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥٩١ / ٦ ، وقال : «أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة» .

(٤) ذكر هذا القول أكثر المفسرين ، ولم أجد من نسبته إلى الكلبي . انظر : تفسير الطبري ١٥٠ / ٢١ وما بعدها ، وزاد المسير ٣٧٥ / ٦ .

(٥) في (ب) : (يعني) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩١ أ ، وتفسير الطبري ١٥٥ / ٢١ ، وتفسير الماوردي ٣٩٣ / ٤ .

(٧) معاني القرآن ٣٤١ / ٢ .

وقال قتادة : «مكة»^(١) ، وقال الحسن : «هي الروم وفارس»^(٢) .

وقال عكرمة : «كل أرض لم يظهر عليها المسلمون إلى يوم القيامة»^(٣) .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من العفو والانتقام (قديراً) . وقال مقاتل : «من القرى يفتحها»^(٤) على المسلمين»^(٥) .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتِعْكُمْ﴾^(٦) . قال المفسرون : «إن أزواج النبي ﷺ سأله شيئاً من عرض الدنيا وطلب من زيادة النفقة وأذنيه بغيرة بعضهم على بعض ، فألى رسول الله ﷺ منهن شهراً . وأنزل الله آية التخيير ، وهو قوله : ﴿قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ ، وكنَّ يومئذ تسعاً : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة»^(٧) ، وأم سلمة»^(٨) ، وهؤلاء من قریش ، وصفية الخيرية»^(٩) ،

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٣ ، وزاد المسير ٦/ ٣٧٥ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٣ ، وتفسير الطبري ٢١/ ١٥٥ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٣ ، وزاد المسير ٦/ ٣٧٥ .

(٤) في (ب) : (وافتحها) .

(٥) تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٦) قوله : «وزينتها فتعالين أمتعكن» ساقط من (أ) .

(٧) أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية ، وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة ، وكان ذلك برمضان في السنة العاشرة من البعثة ، وهبت يومها لعائشة بعدما كبرت ، توفيت - رضي الله عنها - في آخر خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ٤/ ٣١٧ ، والإصابة ٤/ ٣٣٠ ، وأسد الغابة ٥/ ٤٨٤ .

(٨) أم المؤمنين هند بنت أمية بن المغيرة القرشية المخزومية ، أم سلمة زوج النبي ﷺ ، وهي ممن أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة رضي الله عنهن جميعاً ، توفيت سنة ٦١ هـ ، وقيل ٦٢ هـ . انظر : الاستيعاب ٤/ ٤٠٥ ، والإصابة ٤/ ٤٠٧ ، وأسد الغابة ٥/ ٥٦٠ .

(٩) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب ، تزوجها قبل إسلامها سلام بن أبي الحقيق ، ثم أخوه كنانة ، فقتل عنها يوم خيبر ، وسُبيت وصارت في سهم دحية الكلبي ، ثم أخذها النبي ﷺ وعَوَّضه عنها ، ثم إن النبي ﷺ تزوجها وجعل عتقها صداقها ، وكانت شريفة عاقلة ذات حسب وجمال ودين ، =

وميمونة الهلالية^(١)، وزينب بنت جحش الأسدية^(٢)، وجويرية بنت الحارث^(٣) المصطلقية^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ : يعني متعة الطلاق ، وقد ذكرنا أحكامها في سورة البقرة^(٥). ﴿وَأَسْرَحَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الطلاق»^(٦).

توفيت -رضي الله عنها- سنة ٣٦هـ، وقيل ٥٠هـ بالمدينة . انظر : الاستيعاب ٤/ ٣٩١، والإصابة ٤/ ٣٩٧، وأسد الغابة ٥/ ٥٥٠ .

(١) أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن صمصمة الهلالي ، زوج النبي ﷺ وخالة خالد بن الوليد وابن عباس ، تزوجها أولاً مسعود بن عمرو الثقفي قبيل الإسلام ففارقتها ، وتزوجها أبو رهم بن عبد العزى فمات ، فتزوجها النبي ﷺ حينما فرغ من عمره القضاء سنة ٧هـ ، وهي من سادات النساء ، توفيت -رضي الله عنها- سنة ٦١هـ في خلافة يزيد ولها ٨٠ سنة ، وقيل توفيت سنة ٥١هـ . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ٤/ ٣٠٦ ، والإصابة ٤/ ٣٠٧ ، وأسد الغابة ٥/ ٤٦٣ .

(٢) أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رباب ، ابنة عمة النبي ﷺ ، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، كانت عند زيد مولى النبي ﷺ فطلقها ثم تزوجها النبي ﷺ ، وزوجها إياه ربه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد ، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين ، وكانت من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً ، توفيت -رضي الله عنها- سنة ٢٠هـ ، وصلى عليها عمر . انظر : الاستيعاب ٤/ ٢٥١ ، والإصابة ٤/ ٢٥٧ ، وأسد الغابة ٥/ ٤١٩ .

(٣) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية ، سُبِّت يوم غزوة المريسيع في السنة الخامسة من الهجرة ، وكانت من أجل النساء ، وأسلمت فتزوجها النبي ﷺ وأطلق الأسارى من قومها ، وكان أبوها سيداً مطاعاً في قومه ، وقد قدم على النبي ﷺ فأسلم ، توفيت -رضي الله عنها- سنة ٥٠هـ . انظر : الاستيعاب ٤/ ٢٠١ ، والإصابة ٤/ ٢٥٧ ، وأسد الغابة ٥/ ٤١٩ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٥ أ ، وتفسير الطبري ٢١/ ١٥٦ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٩٥ .

(٥) عند تفسير قوله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرِهِ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٣ .

﴿سَرَلًا جَمِيلًا﴾ . قال مقاتل : «يعني حسناً في غير ضرار»^(١) ، وهذا كقوله :
﴿أَوْتَرِيحٌ يُّحَسِّنُ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ، وقد مرَّ . والتسريح صريح في الطلاق ،
وصريح الطلاق عند الشافعي ثلاثة : الطلاق والفراق والسراح ، وسائر الألفاظ
كنايات ، وهي غير محصورة^(٢) .

والسراح اسم من التسريح يقام مقام المصدر كما يقال : أدَّى أداءً .

٢٩ . قال الحسن وقتادة : «أمر الله رسوله أن يخير الرسول^(٣) أزواجه بين الدنيا
والآخرة والجنة والنار ، فأنزل قوله^(٤) : ﴿وَلِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾ ، وقوله :
﴿وَلِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ﴾ يعني الجنة . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥) ؛ أي اللاتي آثرن منكن الآخرة أجراً
عظيماً» . قال مقاتل : «يعني الجنة»^(٦) .

قال المفسرون : «فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة وخيرها ،
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم فعلت سائر أزواجه مثل ما فعلت
عائشة ، وقلن : ما لنا وللدنيا ، إنما خلقت الدنيا دار فناء والآخرة هي الباقية ،
وبالباقية أحب إلينا من الفانية»^(٧) . فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٢) انظر : الأم للشافعي ٥/٢٤٠ ، والمغني ١٠/٣٥٥ .

(٣) في النسخ جميعها : (أن يخير الله) ، وهو خطأ .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢١/١٥٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٣١٢٨ ، وأورده السيوطي في الدر
٦/٥٩٦ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٥) في النسخ جميعها : (المحصنات) ، وهو خطأ .

(٦) تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب ﴿وَلِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ
أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٤/١٧٩٦ ، رقم ٤٥٠٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : الطلاق ،
باب : بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنية ٢/١١٠٣ ، رقم ١٤٧٥ ، والطبري ٢١/١٥٧ ،
وابن كثير ٣/٤٨٠ .

ذلك ، فأنزل : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية ، فقصره الله عليهن ورفع منزلتهن على سائر النساء بالتميز عنهن في العقوبة على المعصية والأجر على الطاعة ، وهو قوله ^(١) :

٣٠ . ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ . قال مقاتل : «يعني العصيان البين» ^(٢) ، وقال ابن عباس : «يعني النشوز وسوء الخلق» ^(٣) .
﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ . قال مقاتل : «يضاعف لها العذاب في الآخرة» ^(٤) .

وقال أبو عبيدة في تفسيره : «تضعف العذاب : يجعل الواحد ثلاثة ؛ أي يعذب ثلاثة أعذبة ، قال : وكان عليها أن تعذب مرة فإذا ضوعف ضعفين صار العذاب ثلاثة أعذبة ؛ لأن ضعف الشيء مثله وضعفيه مثلاً واحده» ^(٥) .

قال الزجاج : «وليس هذا بشيء ؛ لأن معنى يضاعف يجعل عذاب جرمها كعذاب جرمين ، الدليل عليه قوله : ﴿تُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ ، فلا يكون أن تعطى على الطاعة أجرين ، وعلى المعصية ثلاثة أعذبة» ^(٦) .

وقال الأزهري : «الذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وما يتعارفونه في خطابهم ، وقد قال الشافعي ما يقارب قوله في رجل أوصى ، فقال : أعطوا فلاناً ضعف ما يصيب ولدي ، قال : يعطى مثله مرتين ، ولو قال : ضعفي ما يصيب ولدي نظرت ؛ فإن أصابه مائة أعطيته ثلاثمائة» .

(١) في (ب) : زيادة (وهو قوله : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) .

(٢) تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٣٩٧ ، وزاد المسير ٦ / ٣٧٩ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٢٧ .

(٤) تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٥) ورد في مجاز القرآن ٢ / ١٣٦ مع اختلاف في العبارة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٢٦ .

قال : « وقد قال الفرّاء ^(١) شبيهاً بقولهما في قول الله تعالى : ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْغَيْنِ﴾ [آل عمران : ١٣] . قال الأزهري : « والوصايا يستعمل العرف ^(٢) الذي يتعارفه المخاطب والمخاطب ، وما يسبق إلى الأفهام في ما يذهب الوهم إليه ، فأما كلام الله - عز وجل - فهو عربي مبين ، ويرد تفسيره إلى موضع كلام العرب ، ولا يستعمل فيه العرف إذا خالف اللغة ، والضعف في كلام العرب : المثل ما زاد ^(٣) وليس مقصوراً على مثلين فيكون ما قاله ^(٤) صواباً ، يقال : هذا ضعف هذا ؛ أي مثله ، وهذا ضعفاه ، أي مثلاه وثلاثة أمثاله ؛ لأن الضعف في الأصل ثلاثة ^(٥) غير محصورة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ ﴾ [سبأ : ٣٧] ، ولم يرد به مثلاً ولا مثلين ، ولكنه أراد بالضعف الأضعاف ، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] . فأقل الضعف محصور ، وهو المثل ، وأكثره غير محصور . وأما قوله تعالى : ﴿ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ فإن سياق الآية التي بعدها دلّ على أن المراد من قوله ضعفين مثلين ، ألا تراه يقول بعد ذكر العذاب : ﴿ نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ ﴾ ، فإذا جعل الله لأمهات المؤمنين من الأجر مثلي ما لغيرهن تفضيلاً لهن على سائر نساء الأمة ، فكذلك إذا أتت إحداهن بفاحشة عذبت مثلي ما يعذب غيرها ، ولا يجوز أن تعطى على الطاعة أجرين ، وتعذب على المعصية ثلاثة أعذبة ، وإذا قال الرجل

(١) في النسخ جميعها : (القرأة) ، والصواب : (الفرّاء) ، كما في تهذيب اللغة ١ / ٤٨٠ .

(٢) في النسخ جميعها : (العرب) ، والصواب : (العرف) ، كما في تهذيب اللغة ، وهنا سقط حرف ؛ ولذلك فالكلام موهوم ، وهو في تهذيب اللغة : « يستعمل فيها العرف » .

(٣) في تهذيب اللغة : « المثل إلى ما زاد » ، سقطت كلمة (إلى) . انظر : تهذيب اللغة ١ / ٤٨٠ .

(٤) المقصود به أبو عبيدة ، كذا قال الأزهري .

(٥) في تهذيب اللغة زيادة بدل (ثلاثة) .

لصاحبه : إن أعطيتني درهماً كافأتك بضعفين فمعناه بدرهمين^(١) ، ونحو هذا قال ابن قتبية في الإنكار على أبي عبيدة^(٢) .

وقال أبو علي الفارسي : «معنى ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ زيد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله : ﴿تُؤْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ ، فكما ضوعف الأجر ، كذلك ضوعف العقوبة والعذاب . ووجه تضعيف العذاب لمن على الفاحشة هو أنهم لمّا شاهدن من الزواجر وما يروع الذنوب ينبغي أن يمتنعن منها أكثر مما يمتنع مما لا يشاهد ذلك ولا يحضره ، فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب ، والضمير في قوله : ﴿لَهَا﴾ يعود على معنى من دون لفظه ، ولو عاد على لفظ من الذكر^(٣)»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ . يقول : «كان عذابها على الله هيناً» . وقال الربيع بن أنس : «في هذه الآية أن الحجة على الأنبياء أشد منها على الأتباع في الخطيئة ، وأن الحجة على العلماء أشد منها على غيرهم ، وأن الحجة على نساء النبي ﷺ أشد منها على غيرهن»^(٥) .

٣١ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ . قال ابن عباس : «يعني الذين كانوا فيه من طاعة الله»^(٦) . ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ . قال ابن عباس : «[ولم]^(٧) يختلف القراء في يأت ويقنت أنهما بالياء ، واختلفوا في (تعمل صالحاً) ، فقرأ حمزة والكسائي بالياء وكذلك

(١) ورد في تهذيب اللغة (ضعف) ١ / ٤٨٠ مع اختلاف في العبارة واختصار .

(٢) تفسير غريب القرآن ٣٥٠ .

(٣) الألف زائدة للكلام في الحجة : «على لفظ من الذكر» ، وهو الصواب .

(٤) الحجة ٥ / ٤٧٣ .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٣١٢٩ .

(٦) لم أعثر عليه .

(٧) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(نَوْتَهَا) ، وقرأ الباقون بالتاء ، (نَوْتَهَا) بالنون ، فَمَنْ قرأ بالياء فلاُن الفعل مسند إلى (مَنْ) ولفظ مذكر ، وَمَنْ قرأ بالتاء حمل على المعنى وترك اللفظ فأنث ، ومما يقوي الحمل على المعنى تأنيث الضمير في قوله : (نَوْتَهَا) ، وكان ينبغي على هذا القياس أن يحمل هذه الأفعال على التأنيث ، ويجعل الكلام على المعنى^(١) .

وقوله : ﴿نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : «ضعفين في الآخرة»^(٢) . قال مقاتل : «مكان كل حسنة يشب عشرين حسنة»^(٣) . ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ . قالوا : حسناً وهو في الجنة ، ثم رفع منزلتهن ، وأظهر فضيلتهن على سائر النسوان .

٣٢ . قوله تعالى : ﴿يَنْسَاءَ اللَّيِّى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ . قال أبو عبيدة : «(أحد) يقع على الأنثى والمذكر وعلى ما ليس من الآدميين ، يقال : ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «لم يقل كواحدة من النساء ؛ لأن أحداً نفى عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة»^(٥) . قال الله تعالى : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] .

قال قتادة : «لستن كأحد من نساء هذه الأمة»^(٦) .

(١) انظر : الحجة ٥/ ٤٧٤ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ١٩٦ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩١ ب .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢/ ١٣٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٤/ ٢٢٤ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١١٦ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٣٩٨ .

قال عطاء عن ابن عباس : «يريد ليس قدر كنّ عندي مثل قدر الصالحات من النساء ، أنتنّ أكرم عليّ وأنا^(١) بكنّ أرحم ، وثوابكنّ أعظم من ثواب جميع الخلائق^(٢) لأنكنّ أزواج حببي ﷺ ﴿إِنْ أَتَقَيْنَنَّ﴾ يريد إن خفتن الله ، وشرط عليهن التقوى في كونهن أفضل النساء بياناً أن فضلهن عند الله إنما يكون بالتقوى لا باتصال أنسابهن بالنبي ﷺ كي لا يعتمدن على ذلك» .

قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لا تلن الكلام لغير رسول الله»^(٣) ، وقال السّدي : «لا ترققن القول»^(٤) . ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ . قال ابن عباس والسّدي : «يريد زنا»^(٥) ، وقال مقاتل : «يعني^(٦) الفجور في أمر الزنا»^(٧) ، وقال قتادة : «نفاق»^(٨) .

والمعنى : لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى أن يطمع في موافقتك له ، ولهذا قال أصحابنا : المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة ؛ لأن ذلك أبعد من الطمع في الزينة ، وكذلك إذا خاطبت محرماً عليها بالمصاهرة ، ألا ترى أن الله تعالى أوصى أمهات المؤمنين وهن محرمات على التأييد بهذه الوصية .

(١) في (ب) : (فأنا) .

(٢) انظر : الوسيط ٣/ ٤٦٩ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٢٧ ، وزاد المسير ٦/ ٣٧٨ .

(٣) ورد في تفسير ابن عباس ٣٥٣ ، والبحر المحيط ٧/ ٢٢٢ ، وذكره الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٢٢ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٤) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣١٣٠ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٢ ، وزاد المسير ٦/ ٥٩٩ .

(٥) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٩ ، وتفسير ابن عباس ٣٥٣ .

(٦) في (ب) : (يريد) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩١ ب .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٣ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٧ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٥٨ .

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ . قال ابن عباس: «يكلمن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١)، وقال الكلبي: «صحيحاً جميلاً لا يطمع فاجر»^(٢)، وقال أبو إسحاق: «أي قلن ما يوجب [الدين]»^(٣) والإسلام بغير خضوع فيه، بل بتصريح وبيان»^(٤).

٣٣. قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ . قال: «يقرنن وقاراً إذا سكنن، والأمر منه: قر، وللنساء: قرن، مثل عدن وزن، ونحو ذلك مما حذف منه الفاء وهي واو، فتبقى من الكلمة علن. ومعناه: الأمر لهن بالتوقير والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن، ويجوز أن يكون أمراً لهن من قر في مكانه يقر، فإذا أمرتهن قال: أقرن، فتبدل من العين الياء كراهية التضعيف كما أبدل في قيراط ودينار، ويصير لها حركة الحرف المبدل، فيكون في التقدير: أقرن، ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهية لتحرك ما بعدها، فتصير الياء بالكسر، [فتسقط التاء]»^(٥) لاجتماع الساكنين، وتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها، فتصير قرن. وقرأ أهل المدينة وعاصم: (وقرن) بفتح القاف»^(٦).

وقال أبو إسحاق: «هو من قررت بالمكان أقر، والمعنى واقرن، فإذا خففت صار: وقرن، حذف العين لثقل التضعيف، وألغيت حركتها على القاف»^(٧).

(١) أورده القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٧٨، ولم أجد من ذكر هذا القول غيره.

(٢) ورد في تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٩، وذكر القول ابن الجوزي ٦/ ٣٧٩ من دون نسبة.

(٣) (الدين) غير واضح في النسخ جميعها، والتصحيح من معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٢٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٤.

(٥) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٦) انظر: الحجة ٥/ ٤٧٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ١٩٧.

(٧) الحجة ٥/ ٤٧٥.

قال الفرّاء : «وهو كما قال : هل أحسست^(١) صاحبك ؟ يريد : وإن أحسست ، وكما قال : ﴿فَظَلُّنَا﴾ [الواقعة : ٦٥] ، وقد قال أعرابي من بني نمير : ينحطن من الجبل يريد ينحططن»^(٢) .

وقال أبو علي : «الوجه في القراءة الكسر ؛ لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه ، وهما من القرار والوقار ، وفتح القاف فيه خلاف ؛ لأن قررن ثبت في المكان أقر ، لا يجوزّه كثير من أهل اللغة ، وأبو عثمان يزعم أن قررت في المكان لا يجوز إنما يكون الكسر في قولهم : قررت به عيناً»^(٣) .

وقال أبو عبيد : «كان أشياخنا من أهل العربية ينكرون القراءة بالفتح»^(٤) . وأجاز الفرّاء والزّجاج وأبو عبيدة وأبو الهيثم : قررت في المكان أقر ، وجعلوا وجه هذه القراءة من قررت بالكسر على تخفيف المضاعف^(٥) كما بيّنّا^(٦) .

وقال ابن قتيبة : «لم تسمع يقر بفتح القاف إلّا في قرّة العين ، فأما^(٧) في الاستقرار فإنما يتوقر بالمكان يقر مكسورة القاف ، ولعل الفتح لغة»^(٨) .

-
- (١) هكذا هي في (أ) ، وفي (ب) جاءت على هذا النحو : «هل أحسم أحسب صاحبك» ، وهو خطأ ، والصواب : (هل أحست) ، كما في معاني القرآن للفرّاء ٣٤٢ / ٢ .
- (٢) ورد في معاني القرآن ٣٤٢ / ٢ باختصار شديد .
- (٣) ورد في الحجة ٤٧٥ / ٥ مع اختلاف شديد في العبارة .
- (٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣١٣ / ٣ .
- (٥) في (ب) : (المضعف) .
- (٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣٤٢ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج ٢٢٥ / ٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٧ / ٢ ، وتهذيب اللغة (قر) ٢٧٨ / ٨ .
- (٧) في (ب) : (وأما) .
- (٨) تفسير غريب القرآن ٣٥١ . انظر : علل القراءات ٥٤٠ / ٢ ، والحجة ٤٧٥ / ٥ ، والدر المصون ١٢٠ / ٩ .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ : «يريد الحجاب ، يعني الستر بلزوم البيت»^(١) .

وقال مقاتل بن سليمان : «ولا يخرجن»^(٢) .

وقال مقاتل بن حيان : «أن يستقررن في بيوتهن»^(٣)^(٤) .

قوله : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ . قال أبو عبيدة : «التبرج أن تخرج محاسنها»^(٥) ، وقال أبو إسحاق : «التبرج إظهار الزينة مما يستدعي به شهوة الرجل»^(٦) .

وقال المبرّد : «التبرج أن تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره ، وأصله من البرج ، يقال : في عينه برج ؛ أي سعة ، وكذلك في أسنانه برج إذا تفرّق ما بينهما ، وجملته إظهار ما ينبغي أن يخفى»^(٧) .

وقال الليث : «تبرجت المرأة إذا أبدت محاسنها من وجهها وجسدها ، وترى مع ذلك من عينيها حسن نظر»^(٨) . ومعنى ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ الأمر بالعفة ولزوم البيت ، قاله مقاتل^(٩) .

(١) ورد في تفسير ابن عباس ٣٥٣ مع اختلاف في العبارة ، وذكره ابن كثير ٤٨٢ / ٣ ولم ينسبه ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٩ / ٦ ، ولم ينسبه .

(٢) تفسير مقاتل ٩١ ب .

(٣) في (ب) : (بيوتكن) .

(٤) لم أعثر عليه .

(٥) مجاز القرآن ١٣٨ / ٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٢٥ / ٤ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١٧٩ / ١٤ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (برج) ٥٥ / ١١ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٩١ ب .

وقال مجاهد : «التبرج التبخر»^(١) .

وقال قتادة : «كانت لنساء الجاهلية الأولى تكسر وتغنج ، فنهين هؤلاء عن ذلك»^(٢) ، وهذا الذي ذكره معنى التبرج لا تفسيره . وتفسيره : إظهار الزينة ، وكنَّ يظهرن محاسنهنَّ عند التبخر في مشيهنَّ ، ذلك فسَّر التبرج بالتبخر .

قوله : ﴿ تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى ﴾ : معناه تبرج^(٣) أهل الجاهلية ، فحذف المضاف . واختلفوا في الجاهلية الأولى ، متى كانت ؟ فقال الحكم : «هي ما بين آدم ونوح ثمانمائة سنة كانت نساؤهم قباحاً ورجالهم حساناً ، وكانت المرأة تتكلف في إظهار محاسنها للرجل»^(٤) .

وروى عكرمة عن ابن عباس : «الجاهلية الأولى في ما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وكان في ذلك الزمان بطنان من ولد آدم ؛ أحدهما يسكن الجبل وكانت نساؤهم قباحاً ورجالهم صباحاً ، والآخر كان يسكن السهل ونساؤهم صباحاً وكان في رجالهم ذمامة ، فاتخذ إبليس شيئاً مثل الذي يزمر فيه الرعاء ، وجاء بصوت لم يسمع الناس مثله ، فانتابوه واجتمعوا عليه ، فرأى رجال الجبال نساء السهل وصباحتهن فتحولوا إليهن ونزلوا مع أهل السهل ، وتبرجت النساء للرجال الصباح من أهل الجبل ، وظهرت فيهم الفاحشة»^(٥) .

وقال الكلبي : «الجاهلية الأولى هي الزمان الذي وُلِد فيه إبراهيم عليه السلام ، كانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي بين يدي الرجال ليس عليها شيء غيره ، وكان ذلك في زمان نمرود الجبار

(١) تفسير الثعلبي ١٩٧/٣ أ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٤ ، وتفسير الماوردي ٣٣٩/٤ .

(٣) في (أ) : (التبرج) .

(٤) انظر : الثعلبي ١٩٧/٣ أ ، وتفسير الطبري ٢٢/٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/١٧٩ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٧/٣ ب ، وتفسير الطبري ٢٢/٤ ، وتفسير السمرقندي ٣/٤٩ .

والناس كلهم كفار»^(١)، وهذا قول مقاتل بن حيان، قال: «الجاهلية الأولى زمان إبراهيم، والثانية زمان محمد ﷺ قبل أن يبعث»^(٢).

قال الشعبي: «هي ما بين عيسى ومحمد»^(٣)، وهو قول مقاتل بن سليمان، قال: «هو قبل أن يبعث محمد رسولا»^(٤)، ونحوه قال ابن عباس^(٥)، وقال قتادة: «هي ما قبل الإسلام»^(٦).

وقال أبو إسحاق: «والأشبه أن تكون زمان عيسى إلى زمان محمد - عليه السلام -؛ لأنهم هم الجاهلية المعروفون، وكانوا يتخذون البغايا يغللن لهم، قال: ومعنى الأولى هاهنا التقدم، يقال لكل شيء متقدم ومتقدمة: أولى وأول، وتأويله أنهم تقدموا أمة محمد عليه السلام»^(٧).

وقال المبرّد: «معنى الأولى القديمة، وكانوا يبدلون أموراً بحسب الظن بها، من ذلك أن المرأة تجتمع مع زوجها وخلصها^(٨) فيكون للزوج نصفها الأسفل، والأعلى للخلع لا يمنع من ترشفها وتقيلها، ولهذا يقول أحد الخلوم لزوج صاحبه:

فهل لك في البدالِ أبا خبيبٍ فأرضى بالأكارعِ والعجوزِ»^(٩)

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١٩٧/٣ ب، وتفسير السمرقندي ٤٩/٣، وزاد المسير ٣٨٠/٦.

(٢) انظر: البحر المحيط ٢٢٣/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٤/٢٢، وتفسير الماوردي ٤٠٠/٤، وزاد المسير ٣٨٠/٦.

(٤) تفسير مقاتل ٢٧٥/٢.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٦٠٢، وقال: «أخرج ابن مردويه عن ابن عباس».

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ١٩٧/٣ ب، وتفسير البغوي ٥٢٨/٣، ومجمع البيان ٥٥٨/٨.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٤.

(٨) الخلع هو الصديق، يسمى خلعاً لألفته. انظر: تهذيب اللغة (خلع) ٤٣٢/٧.

(٩) هذا البيت من الوافر، ولم أقف على قائله. انظر: البحر المحيط ٤٧٧/٨، فقد ذكر قول المبرّد ونسبه إليه، ولم يذكر البيت الذي استشهد به، وكذا القرطبي ١٨٠/١٤، وذكر الماوردي القول ٤٠٠/٤، واستشهد به من دون نسبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ . قال ابن عباس: «يريد عند مواقيتها»^(١) .
 ﴿وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ﴾ : يريد عند محلها . ﴿وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ . قال عطاء :
 «طاعتها اتباع الكتاب والسنة»^(٢) .

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ : يقال :
 أردت لأفعل كذا ، وأن أفعل كذا ، قال الله تعالى بها أوصاكن من الطاعة ولزوم
 البيت .

﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ . قال ابن عباس: «يريد عمل الشيطان
 وما ليس لله فيه رضا»^(٣) ، وقال مقاتل : «يعني الإثم الذي يحصل مما نهاهن عنه
 وأمرهن بتركه»^(٤) ، وقال قتادة : «يعني السوء»^(٥) ، وقال أبو عمرو بن العلاء :
 «القدر الرجس»^(٦) ، وهذا مما سبق الكلام في تفسيره^(٧) .

واختلفوا في المراد بأهل البيت هاهنا ، من هم ؟ فقال ابن عباس في رواية
 سعيد بن جبیر : «هذا في نساء النبي ﷺ»^(٨) .

وقال عكرمة : «إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة»^(٩) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٥٢٨/٣ ، ومجمع البيان ٥٥٨/٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٩١ ب .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٧/٣ ب ، وتفسير الطبري ٥/٢٢ ، وتفسير البغوي ٢٧٥/٣ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لعله عند قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْيَيْسُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة : ٩٠] .

(٨) ذكر في تفسير الثعلبي ١٩٧/٣ ب ، وتفسير القرطبي ١٨٢/١٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٣٢/٩ ،

وأورده السيوطي في الدر ٦٠٢/٦ ، وزاد نسبته إلى ابن عساكر .

(٩) ذكره الطبري في تفسيره ٨/٢٢ ، والقرطبي في تفسيره ١٨٢/١٤ ، والسيوطي في الدر المنثور

٦/٦٠٣ ، وقال : «أخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة» ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٣٢/٩ .

وقال مقاتل : «يعني بها نساء النبي كلهن ؛ لأنهن في بيته»^(١) .

وقال الكلبي : «يعني بذلك نساء النبي ﷺ»^(٢) .

وهؤلاء احتجوا بها تقدّم من الخطاب وما تأخّر ، وهو قوله : ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُمْسِكُنَّ﴾ الآية . وكل ذلك خطاب لأزواج رسول الله ﷺ خاصة ، قالوا : «وإنما ذكر الخطاب في قوله : عنكم ويظهركم ؛ لأن رسول الله ﷺ كان فيهم ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر»^(٣) .

وقال آخرون : «هذا خاص في النبي -عليه السلام- وفاطمة وعلي والحسن والحسين» .

وهو قول أبي سعيد الخدري^(٤) ، ورووا في هذا روايات عن أم سلمة وعائشة وواثلة بن الأسقع^(٥) وأنس بن مالك أن النبي ﷺ غشا هؤلاء بكساء ، وقال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً»^(٦) . وهذا لا يدل على أن هذه الآية خاصة فيهم ؛ لأن هذه الرواية تدل على أن النبي ﷺ دعا لهم بهذا الدعاء ، وسأل الله أن يطهرهم ، لا جرم أنه استجيب

(١) تفسير مقاتل ٩١ ب .

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧ / ٢٢٤ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ١٩٧ ب .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣ / ١٩٧ ب ، والطبري في تفسيره ٢٢ / ٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٠٤ ، وقال : «أخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري» .

(٥) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي من أصحاب الصفة ، أسلم سنة ٩ هـ ، وشهد غزوة تبوك ، وكان من فقراء المسلمين رضي الله عنه ، وقد اعتمده البخاري وغيره ، توفي -رضي الله عنه- سنة ٨٣ هـ ، وقيل ٨٥ هـ ، وكان آخر من توفي من الصحابة بدمشق . انظر : الاستيعاب ٤ / ٦٠٦ ، والإصابة ٤ / ٥٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٨٣ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ١٩٧ ب ، وتفسير الطبري ٢٢ / ٦ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٤ وما بعدها ، وذكر هذه الروايات السيوطي في الدر ٦ / ٦٠٢ وما بعدها ، وتفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٣١٣٣ .

له فيهم بالتطهير ، ولقد أحسن أبو إسحاق في تفسير هذه الآية ، فقال : «اللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعاً ؛ لقوله : ﴿عَنْكُمْ﴾ و﴿وَيُطَهَّرُكُمْ﴾ بالميم ، ولو كان للنساء لم يجز إلا عنكنّ ويطهركنّ ، ودليله : ﴿وَأَذْكُرْتُ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب^(١) ، وعلى هذا هو خطاب لأزواج النبي ﷺ ورجال بيته ، قال : وانتصب (أهل البيت) على معنى : أعني أهل البيت ، وهو منصوب على المدح ، قال : ويكون على النداء على معنى : يا أهل البيت»^(٢) .

قوله : ﴿وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ . قال مقاتل : «من أثم ما ذكر في هذه الآيات»^(٣) . والمعنى : من نجاسات الجاهلية ؛ لأن ما أمرن به كله مضاد لأهل معاني الجاهلية ، ثم وعظهنّ ليتفكرن وامتحن عليهنّ [بقوله]^(٤) .

٣٤ . قوله : ﴿وَأَذْكُرْتُ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ : يعني القرآن . ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ . قال مقاتل : «يعني أمره ونهيه في القرآن»^(٥) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «آيات الله ، ما ذكر من الثواب لأولياءه والعقاب لأعدائه ، والحكمة حدود الله ومفترضاته»^(٦) .

وقال غيره : «آيات الله القرآن ، والحكمة النبوة ، وهي في بيوتهن» ، ونحو هذا قال قتادة في قوله : ﴿آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ ، قال : «القرآن والسنة»^(٧) . وهذا حث لهنّ على حفظ القرآن ومذاكرتها^(٨) ؛ للإحاطة بحدود الشريعة .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٦/٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) لعل الكلام هنا خطأ ، والصواب كما في تفسير مقاتل ٩٢ أ : (من الإثم الذي ذكر في هذه الآيات) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) تفسير مقاتل ٩٢ أ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٩/٢٢ ، وتفسير البغوي ٣/٥٢٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٣٤٩ .

(٨) لعل مراد المؤلف أن الضمير يعود إلى القرآن والسنة .

والخطاب وإن اختص نساء النبي ﷺ فغيرهنّ داخل فيه ؛ فإن كثيراً من الخطاب يختص لفظه ويعم معناه . قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ ؛ أي بأوليائه . ﴿ خَيْرًا ﴾ بجميع خلقه ، قاله ابن عباس ، وقال مقاتل : « لطف علمه إن خضعن بالقول خيراً به »^(١) .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ : اختلفوا في سبب نزول هذه الآية ؛ فروى قابوس عن ابن عباس ، قال : « قالت النساء للنبي ﷺ : ما له ليس يذكر النساء ، [فأنزل الله إلا المؤمنين وليس يذكر المؤمنات^(٢) بشيء^(٣)] ، فأنزل الله هذه الآية »^(٤) .

وقال مجاهد : « قالت أم سلمة : يا رسول الله ، يُذكر الرجال ولا يُذكر النساء ، فأنزل الله هذه الآية »^(٥) .

وقال الكلبي ومقاتل : « إن أم سلمة وأنيسة بنت كعب^(٦) أتيا رسول الله ﷺ فقالتا : يا رسول الله ، ما نرى ربنا يذكر النساء في شيء من كتابه ، إنما يذكر الرجال

(١) تفسير مقاتل ٩١ أ .

(٢) في (ب) : (المؤمنين منات) ، وهو خطأ .

(٣) ما بين المعقوفين يظهر أنه زيادة .

(٤) ورد في تفسير الطبري ١٠ / ٢٢ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٦٠٨ ، وزاد نسبته إلى الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس .

(٥) ورد في تفسير الطبري ١٠ / ٢٢ ، ورواه الحاكم في المستدرک : كتاب التفسير (سورة الأحزاب) ٤١٦ / ٢ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٦٠٨ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبدالرزاق والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني .

(٦) أنيسة ، ويقال نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، هي التي قالت للنبي ﷺ : « ما لنا لا نذكر بخير » ، فأنزل الله هذه الآية . انظر : الإصابة ٤ / ٢٤١ ، وأسد الغابة ٥ / ٤٠٧ .

بالفضيلة والجزاء ، نخشى أن لا يكون فيهن خير ولا لله فيهن حاجة ، فنزلت هذه الآية^(١) .

وقال عكرمة : «أتت أم عمارة الأنصارية للنبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى للنساء^(٢) يُذكرن بشيء ، فنزلت هذه الآية^(٣) .

وقال مقاتل بن حيان : «لَمَّا رجعت أسماء^(٤) بنت جحش من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول الله ﷺ ، فقالت : هل نزل فينا شيء من القرآن ؟ قلن : لا . فأتت رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن النساء لفي خسة وخسار . قال رسول الله ﷺ : «ومِمَّ ذاك ؟» قالت : لأنهن لا يُذكرن بخير كما تُذكر الرجال ، فأنزل الله هذه الآية^(٥) .

وقال قتادة : «لَمَّا ذكر الله نساء النبي دخل نساء من المسلمات عليهن ، فقلن : ذُكرتم ولم تُذكر ، فأنزل الله هذه الآية^(٦) .

(١) ورد في تفسير مقاتل ٩٢ أ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٩٩ / ٣ أ عن مقاتل أيضاً ، ولم أقف على من نسبته إلى الكلبي .

(٢) هكذا في النسخ ، والصواب : (النساء) .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ١٨٥ / ١٤ ، ونسبه إلى الترمذي عن أم عمارة .

(٤) هكذا في المخطوط ، والصحيح أنها بنت عميس ، وهي : أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث الخثعمية من خثعم ، كانت - رضي الله عنها - من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ، ثم هاجرت إلى المدينة ، فلمَّا قُتل جعفر تزوجها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم مات عنها ، فتزوجها علي بن أبي طالب ، وقد ولدت منهم جميعاً . انظر : الاستيعاب ٢٣٠ / ٤ ، والإصابة ٢٢٥ / ٤ ، وأسد الغابة ٣٩٥ / ٥ .

(٥) أورده الثعلبي في تفسيره ١٩٩ / ٣ أ ، إلا أنه قال : أسماء بنت عمير ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٧٥ من دون سند ، وذكره البغوي في تفسيره ٥٢٩ / ٣ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٦) انظر : تفسير السمرقندي ٥٠ / ٣ ، وتفسير الطبري ١٠ / ٢٢ ، وزاد المسير ٣٨٤ / ٦ .

وقال الفرّاء : «الخطاب إذا ورد بلفظ التذكير اشتمل على الذكور والإناث جميعاً ، فإذا قيل المسلمون والمؤمنون كانت الإناث في جملتهم» ، غير أنهم أردن أن يخصصن بالذكر ويذكرن باللفظ الخاص لهن فذكرهن لذلك ، هذا معنى كلام الفرّاء^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الذين أسلموا في الظاهر والباطن ولم يعدلوا به شيئاً ، وسلم جميع الخلق من غشهم ، وأحبوا للناس ما أحبوا لأنفسهم ، وكانوا لليتيم مثل الأب ، وللأرملة مثل الزوج ، ونصحوا الله في أنفسهم وفي خلقه»^(٢) .

وقال مقاتل : «يعني المخلصين بالتوحيد»^(٣) .

وقال عطاء : «[مَنْ]^(٤) فَوَضَّ أمره إلى الله فهو داخل في قوله : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾»^(٥) .

قال ابن عباس : «يريد الذين صدقوا بتوحيد الله وبما جاء به محمد ﷺ ، وصدقوا بالبعث والثواب والعقاب»^(٦) .

وقال مقاتل : «يعني المصدقين بالتوحيد والمصدقات»^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٤٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ أ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٩ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٣٠ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ أ .

وقال عطاء : «مَنْ أَقْرَبُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَمُحَمَّدًا رَسُولُهُ ، وَلَمْ يَخَالَفْ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ، فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ»^(١) .

وقوله : ﴿وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَتِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «المطيعين لله في ما افترض وأمر ونهى والمطيعات»^(٢) .

وقال عطاء : «مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي الْفَرَضِ وَالرَّسُولِ فِي السُّنَّةِ فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ»^(٣) . ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «في المواطن ، وفي ما نذروا الله ، وفي ما ساءهم وسرهم»^(٤) .

وقال مقاتل : «﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ فِي إِيمَانِهِمْ»^(٥) .

وقال عطاء : «مَنْ صَانَ قَوْلَهُ عَنِ الْكَذْبِ فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ»^(٦) .

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الضَّرِّ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ وَجَمِيعِ الْمَصَائِبِ ﴿وَالصَّابِرَاتِ﴾ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٧) ، وَقَالَ مُقَاتِلُ : «وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ وَالصَّابِرَاتِ»^(٨) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩/٣ أ ، وتفسير البغوي ٥٣٠/٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس ٤٢٢ ، وتفسير مقاتل ٩٢ أ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩/٣ ب ، وتفسير البغوي ٥٣٠/٣ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : تفسير هود بن محكم ٣٦٩/٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ أ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩/٣ ب ، وتفسير البغوي ٥٣٠/٣ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ أ .

وقال عطاء : «مَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَلَى الرِّزْيَةِ فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد والذين خشعت قلوبهم من خوف الله»^(٢) . ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ من خشية الله وازدادوا لله يقيناً وللدنيا بغضاً ، وقال مقاتل : «يعني المتواضعين والمتواضعات»^(٣) . قال عطاء : «مَنْ صَلَّى فَلَمْ يَعْرِفْ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٤) .

وقوله : ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يتصدقون بالأموال ومما رزقهم الله من الثمار والمواشي وكل ما ملكوا يطلبون ما عند الله موقنين بالخلف والثواب»^(٥) .

قال عطاء : «مَنْ صَدَّقَ»^(٦) في كل أسبوع بدرهم فهو من هذه الجملة»^(٧) .

[قوله]^(٨) : ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «الصائمين لله بنية صادقة ، لا يغتابون أحداً ، ولا يتحدثون بكذب ، ولا يتأملون خلق امرأة ،

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩ / ٣ ب ، وتفسير البغوي ٥٣٠ / ٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ أ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩ / ٣ ب ، وتفسير البغوي ٥٣٠ / ٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (تصدق) ، وهكذا ذكره الثعلبي ١٩٩ / ٣ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩ / ٣ ب ، وتفسير البغوي ٥٣٠ / ٣ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (أ) .

ولا يحدون النظر إليها ، فإن هذه الخصال تفطر الصائم ، ويكون فطرهم من حلال»^(١) .

وقال عطاء : «مَن صام من كل شهر الأيام البيض فهو من هذه الجملة»^(٢) .

قوله : ﴿وَالْحَفِظِيكَ فَرْوَجَهُمْ وَالْحَفِظَتِ﴾ : واستغنى عن ذكر الهاء بما تقدّم ، ومثله : (ونخلع ونترك من يفجرك) . المعنى : ونخلع مَن يفجرك ونتركه ، وأنشد :

وَكُمْتَا مُدْمَاءَ كَأَنَّ مَتَوْنَهَا

جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشَعَرْتُ لَوْنَ مُذْهَبٍ^(٣)

على رفع لون . المعنى : جرى فوقها لون مذهب واستشعرته^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله عز وجل»^(٥) ، وقال مجاهد : «لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً»^(٦) ، وقال

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٩ ب ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٣٠ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لكُميت الغنوي في ديوانه ٢٣ ، وتهذيب اللغة (كمت) ١٤/ ٢١٧ ، واللسان (كمت) ٨١/ ٢ ، والكتاب ١/ ٧٧ .

وكمتا جمع أكمت ، والكمّة : لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل وغيرهما ، ومدماء : أي مشوبة بلون الدم . انظر : اللسان (كمت) ٨١/ ٢ ، و(دمى) ١٤/ ٢٧٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٢٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٥٠ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣١٣٤ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٩٩ ب ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ١١٧ .

رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَيْقِظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقِظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا^(١) جَمِيعاً رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ^(٢)» .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : والذاكراته ، وحذف الهاء ، على ما ذكرناه^(٣) في الحافظات^(٤)» .

وقال عطاء : «مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِحَقِّهَا فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾^(٥)» .

وقوله : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «مغفرة لذنوبهم»^(٦) . ﴿وَأَجْرًا عَظِيماً﴾ : ثواباً جزيلاً ، وهو الجنة .

٣٦ . قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ . قال المفسرون^(٧) : «نزلت في عبدالله بن جحش وأخته زينب ، وكانا ابني عمه النبي ﷺ ، فخطب النبي ﷺ زينب وزيد بن حارثة مولاه ، وهي تظن أنه يخطبها لنفسه ، فلمّا علمت أنه

(١) في (ب) : (وصلياً) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الصلاة ، باب : قيام الليل ٣٣ / ٢ ، رقم الحديث ١٣٠٩ عن أبي هريرة ، وابن ماجه في سننه ، أبواب : إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في من أيقظ أهله من الليل ٢٤٢ / ١ ، رقم الحديث ١٣٢٩ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، والحاكم في المستدرک ، كتاب : صلاة التطوع ، باب : توديع المنزل بركعتين ٣١٦ / ١ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه» .

(٣) الضمير (الهاء) ساقط من (ب) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٩٩ / ٣ ب ، وتفسير البغوي ٥٣٠ / ٣ .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٤ ، وتفسير مقاتل ٩٢ ب .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٢٠٠ / ٣ أ ، وتفسير الطبري ١١ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٠٤ / ٤ ، وتفسير السمرقندي ٥١ / ٣ .

يخطبها لزيد كرهت ذلك وكذلك أخوها ، فلمَّا نزلت الآية رضا
وسلماً ، فزَوَّجها رسول الله ﷺ من زيد .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ : يعني عبدالله بن جحش . ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ : يعني
أخته زينب . ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ : حكماً بذلك . ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمْ﴾ : جمعت
الكناية ؛ لأن المراد بقوله : ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا .
والخيرة : الاختيار ، وذكرنا تفسيرهما [في ما تقدّم] ^(١) في سورة القصص ^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أعلم الله أنه لا اختيار على ما قضى الله ورسوله ^(٣) . وهذه
الآية دليل على أن كل امرأة أراد رسول الله أن يزوجه من رجل ، لم يكن لها أن
تمتنع ولا لوليها ، وأن رسول الله أولى بتزويجها من وليها كما ذكر في قوله : ﴿أَلَنْتِي
أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب : ٦] الآية ؛ ولأنه أيضاً دليل على أن كل حكم ثبت عن
رسول الله ﷺ فهو كما ثبت عن الله ، فليس لأحد اختيار ولا استحسان مع قضاء
الله ورسوله ، وليس إلّا الاقتداء والتسليم» .

قال أبو علي : «وهذه الآية تدل على أن (ما) في قوله : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص : ٦٨] (ما) فيها نفي ، وليست بموصولة ،
ألا ترى أنه نفى الاختيار على العباد في هذه الآية ، كذلك في تلك» ^(٤) .

قال مقاتل : «فلمَّا زَوَّجها رسول الله ﷺ زيدا مكثت عنده حيناً ، ثم إن
النبي ﷺ أتى زيدا فأبصر زينب قائمة ، وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش ،
فهواها النبي ﷺ فقال : «سبحان الله مقلب القلوب» ، ففطن زيد ، فقال : يا

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) عند الآية رقم : ٦٨ ، قال : «والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر ، والخيرة اسم للمختار ،

يقال : محمد خيرة الله من خلقه» .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٢٨ .

(٤) الحجة ٥ / ٤٧٦ .

رسول الله ائذن لي في طلاقها ، فإن فيها كبراً يعظم عليّ ، وتؤذيني بلسانها ، فقال له النبي ﷺ : «أمسك عليك زوجك ، واتق الله»^(١) .

وقال ابن عباس : «إن زيدا حين تزوج زينب أقامت عنده ما شاء الله أن تقيم ، فأتى رسول الله ﷺ إلى منزل زيد يطلبه ، فبعث الله ريحاً حتى رفعت الستر وزينب منفصلة على منزلها ، فرأى رسول الله ﷺ ، زينب فوقعت في نفس النبي ﷺ ، فأتى زيد فأخبرته ، فوقع في نفس زيد أن يطلقها ، وأقام زيد لا ينشر عليها من يومئذ ، وكان زيد يرى رسول الله ﷺ ، فيقول : إني أريد أن أطلق زينب ، والنبي ﷺ يقول : «أمسك عليك زوجك واتق الله»^(٢) .

وقال مقاتل بن حيان : «قالت زينب لَمَّا نزل قوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية : أمري بيدك يا رسول الله ، فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا ودخل بها ، فلم تمكث إلا يسيراً حتى شكى إلى النبي ﷺ ما يلقي منها ، وكانت امرأة لسنة ، فدخل عليها النبي ﷺ وأمرها بتقوى الله والسمع والطاعة لزيد فلمّا كلمها أعجبه حسننها وجمالها وظرفها لأمر أراده الله عز وجل ، وخرج من عندها وفي نفسه ما شاء الله منها ، وجاء زيد إلى النبي ﷺ يشكوها ، فقال له : «اتق الله ، وأمسك عليك زوجك» . ويقول زيد : إني أريد أن أطلقها وأستريح منها ، وأكره أن تكون معي في بيت مما ألقى منها من البلاء والشدة ، ويقول النبي : «اتق الله لا تطلقها» ، وفي قلبه غير ذلك»^(٣) ، فأنزل الله تعالى قوله تعالى :

٣٧. ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿١﴾ ؛ أَيِ الْهُدَايَةِ لِلْإِسْلَامِ .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ ب .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٠٠ ب ، وتفسير السمرقندي ٣ / ٥١ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٣٠ .

(٣) لم أقف على قول مقاتل بن حيان .

﴿وَأَنعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بأن أعتقته من الرق ، قاله جميع المفسرين ، قالوا : «وكان زيد من سبي الجاهلية ، فاشتراه رسول الله ﷺ بعكاظ في الجاهلية وأعتقه وتبناه»^(١) .
﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمرها ؛ فلا تطلقها .

قال أبو إسحاق : «أمره بالتمسك بزینب ، وكان يجب أن يتزوجها ، إلا أنه أمره بما يجب من الأمر بالمعروف ، فقال : «أمسك عليك زوجك ، واتق الله»^(٢) . ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ﴾ : وتستر وتضمّر في قلبك من إرادة تزوجها ، قاله الكلبي^(٣) ، وقال قتادة : «ود أنه طلقها»^(٤) . ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ . قال ابن عباس : «مُظْهِرُهُ لِأَصْحَابِكَ وَغَيْرِهِمْ»^(٥) .

وقال مقاتل : «مُظْهِرُهُ عَلَيْكَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِ قَرَأْنَا»^(٦) . والمعنى : أن النبي ﷺ كتم حبها ، وأراد تزوجها ، وأمر زيدا بإمساکها وفي قلبه خلاف ذلك ، فأظهر الله عليه ما أخفاه بأن قضى طلاقها وزوجها منه ، وأنزل في ذلك القرآن ، ولهذا قال عمر وابن مسعود وعائشة والحسن : «ما نزلت على رسول الله آية هي أشد عليه من هذه الآية» .

-
- (١) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠٠ ب ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٥٢ ، والدر المنثور ٦/ ٦١٦ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٩ .
(٣) انظر : تفسير هود بن محكم ٣/ ٣٧٠ .
(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٥١ ، وزاد المسير ٦/ ٣٨٨ .
(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره هود بن محكم في تفسيره ٣/ ٣٧٠ من دون نسبة .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ ب .

قالت عائشة : «لو كنتم النبي ﷺ شيئاً من الوحي لكنتم هذه الآية»^(١) ؛
﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ .

وقوله : ﴿وَتُخْفَى النَّاسَ﴾ . قال مقاتل : «تكره قالة الناس في أمر زينب»^(٢) ،
يعني تخاف لائمهم أن يقولوا : أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها ،
وكان النبي ﷺ يريد أن يصوب رأي زيد في طلاقها من حيث ميل النفس وهوى
القلب ، ولكنه خاف قالة الناس ، فذلك قوله : ﴿وَتُخْفَى النَّاسَ﴾ ، وقيل : الخشية
ها هنا بمعنى الاستحياء ، يعني تستحي من الناس أن تأمر رجلاً بطلاق زوجته
ثم تتزوجها . والاستحياء قول ابن عباس والحسن والفراء^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «المراد بالناس ها هنا اليهود ، وكانوا يعيرون
المؤمنين فحشي النبي ﷺ في تزوجها أن يقولوا تزوج محمد امرأة ابنه»^(٤) .

وقوله : ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد []»^(٥) وتخافه»^(٦) .

وروي عن علي بن الحسين أنه قال في هذه الآية : «كان الله - عز وجل - قد
أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه ، وأن زيدا سيطلقها»^(٧) ، وعلى هذا يجوز
أن يكون النبي ﷺ معاتباً^(٨) على قوله : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ مع علمه بأنها

(١) أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : وكان عرشه على الماء ٢٦٩٩ / ٦ ، رقم الحديث ٦٩٨٥
عن أنس ، ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ١٦٠ / ١ ، رقم
الحديث ٢٨٨ عن عائشة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ ب .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٣ / ٥٣١ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٣٤٣ .

(٤) انظر : زاد المسير ٦ / ٣٨٧ .

(٥) في النسخ جميعها قدر كلمة غير واضحة ، ولعلها : (تخشاه) .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٠١ أ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٣٢ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٦٤ .

(٨) في (أ) : (بناها) .

ستكون زوجته ، وكتمانه ما أخبره الله به ، ويكون قوله : ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴾ في كتمان ما أخبرك به ، وإنما كتم النبي ﷺ ذلك ؛ لأنه استحيا واستبشع أن يقول : إن زوجتك ستكون امرأتي ^(١) .

(١) هذه الروايات التي أوردها المؤلف - رحمه الله - من أن زينب - رضي الله عنها - وقعت في قلب النبي ﷺ ، وأنه أحبها وتمنى تطبيق زيد لها ، أو أنه قال حين رآها : « سبحان مصرف القلوب » ؛ أقول : « كل ذلك مما ينبغي أن يُنزّه عنه المصطفى ﷺ ، فزينب ابنة عمته ، وكان يعرفها قبل أن يزوجه من زيد » .

يقول القشيري في ما نقله عنه القاضي عياض في الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ٢ / ٨٨٠ : « وهذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله » .

ثم قال القاضي عياض : « وكيف يقال : رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ؟ ولا كان النساء يحتجن منه ﷺ وهو زوجها لزيد ، وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي ﷺ إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ لَيْكُمَا لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ » . اهـ . انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ١٩٩ ب ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٣٠ ، ٦٧٢ ب .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح بعد أن ذكر هذه الأقوال : « وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السُّدِّي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ، ولفظه : بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أئمة بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ، ثم إنها رضيت بها صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه ، ثم أعلم الله نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجته ، وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا : تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيداً . قال : بعد أن ذكر بعض الروايات التي استحسناها بعض العلماء ، قال عن هذه الرواية وسندها : وهو أوضح سياقاً وأصح إسناداً ، ثم قال : وقد وردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها ، والذي أورده منها هو المعتمد ، والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه ، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا يبلغ في الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ، ووقع ذلك من إمام المسلمين ؛ ليكون أدعى لقبولهم ، وإنما وقع الخطب في تأويل متعلق الخشية ، والله أعلم » . اهـ .

وللوقوف على كلام أهل العلم أكثر مما أثبتوه بخصوص هذه القصة ، انظر : الشفا لعياض ٢ / ٨٨٠ وما بعدها ، وفتح الباري ٨ / ٦٧١ وما بعدها ، ومحاسن التأويل للقاسمي ٨ / ٢٦٦ وما بعدها ، وأضواء البيان ٦ / ٥٨٠ وما بعدها .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ . قال الليث : «الوتر : كل حاجة كان لصاحبها فيها همة ، ولم أسمع لها فعلاً ، وجمعه أوطار»^(١) .

وقال أبو عبيدة : «الوتر كالأرب» ، وأنشد للربيع بن ضبع :^(٢)

وَدَّعْنِي قَبْلَ أَنْ أُودَّعَهُ لَمَّا قَضَىٰ مِنْ شَبَابِهَا الْوَطْرَا^(٣)

وقال المبرِّد^(٤) : «الوتر الشهوة والمحبة ، يقال : ما قضيت من لقاءك وطرًا ؛ أي ما استمتعت بك حتى تنتهي» ، وأنشد :

وَكَيْفَ ثَوَائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَضَىٰ وَطْرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ^(٥)

قال ابن عباس في قوله : ﴿ قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ : «أي لذته ونهمته»^(٦) ، وقال مقاتل : «يعني الجماع»^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (وتر) ١٠ / ١٤ .

(٢) الربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض الفزاري الذباني ، شاعر جاهلي معمر من الفرسان ، أدرك النبي ﷺ ولم يلقه ، كان أحكم العرب في زمانه ومن أشعرهم وأخطبهم ، قيل إنه عاش أكثر من مائتي عام . انظر : سمط اللآلئ ٨٠٢ ، والخزانة ، وتفسير ابن عباس ٣٨٣ ، والأعلام ١٥ / ٣ .

(٣) البيت من المنسرح ، وهو للربيع بن ضبع في الكتاب ٨٩ / ١ ، ولسان العرب ٢٥٩ / ١٣ ضمن أمالي المرتضى ٢٥٥ / ١ .

(٤) انظر : الدر المصون ١٢٦ / ٩ ، وروح المعاني ٢٥ / ٢٢ .

(٥) البيت من الطويل ، ولم أهدد إلى قائله ، وهو في الكامل ٣٩٧ / ١ ، والدر المصون ، والبحر المحيط ٢١١ / ٣ من دون نسبة .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ أ .

وقال مقاتل : «يعني حاجة وطلقها»^(١) ، وقال قتادة : «طلقها»^(٢) .

ومعنى قضى الوطر في اللغة : بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء ، فمعنى قضى وطراً منها بلغ ما أراد من حاجته فيها . ويجوز أن يكون عبارة عن الطلاق ؛ فإن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبقَ له فيها حاجة ، فيقول : قضيت وطري منها ؛ أي خليتها حيث لم يبقَ له فيها مراد ، فيجوز أن يكون المراد بهذا اللفظ الطلاق مع بلوغ المراد منها ، ويجوز أن يكون عبارة عن بلوغ المراد من نكاحها ثم يضمن الطلاق ، ودلَّ عليه^(٣) قوله : ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ ؛ لأن تزويجها من النبي ﷺ يوجب طلاق زيد إياها ، وقد قال المفسرون^(٤) : «طلقها زيد ، فلمَّا انقضت عدتها تزوّجها النبي ﷺ» .

وروى ثابت عن أنس ، قال : «لَمَّا انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ : «اذهب فاذكرها علي» ، قال : فانطلقت ، فقلت : يا زينب أبشري ، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن»^(٥) .

(١) لم أقف عليه عن مقاتل ، وانظر : تفسير هود بن محكم ٣ / ٣٧١ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٠٦ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ١٩٤ .

(٣) في (أ) : (وقوله) ، زيادة واو ، وهو خطأ .

(٤) ذكر في تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٣١٣٥ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٣٢ ، وأورده السيوطي في الدر ٦ / ٦١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن سعد وأحمد وأبي يعلى والطبراني وابن مردويه عن أنس .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في كتاب : النكاح ، باب : زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ٢ / ١٠٤٨ ، رقم ١٤٢٨ ، وأخرجه الإمام أحمد ٣ / ١٩٥ عن ثابت عن أنس ، والنسائي في سننه ، كتاب : النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارها ٦ / ٧٩ عن ثابت عن أنس ، وأورده السيوطي في الدر ٦ / ٦١٢ ، وعزاه إلى ابن سعد وأحمد والنسائي وأبي يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أنس .

قال أصحابنا : « وهذه الآية دليل على أن كل امرأة أراد رسول الله نكاحها فهو مستغن عن الولي والشهود ؛ وذلك أنه لما نزل قوله : ﴿ زَوَّجْنَاهَا ﴾ دخل عليها رسول الله ﷺ ، ولهذا كانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول : زوجكن أقاربكن وزوجني الله عز وجل »^(١) .

وذكر قضاء الوطر هنا بياناً أن امرأة المتبني تحل وإن وطئها المتبني ، وهو قوله^(٢) : ﴿ لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ ؛ أي زوّجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته لكي^(٣) تظن أنه من بُنِي لم تحل امرأته للمتبني ، قاله الزّجاج^(٤) ، وهو قول جميع المفسرين^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْراً ﴾ ؛ أي جامعوهن وطلقوهن . قال الحسن : « كانت العرب تظن أن حرمة المتبني مشتبكة كاشتباك الرحم ، فينّ الله تعالى أن حلائل الأدعياء غير محرمة على المتبين وإن أصابوهن ، بخلاف ابن الصّلب ؛ فإن امرأته تحرم بنفس العقد ، وامرأة المتبني لا تحرم وإن وطئها »^(٦) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : وكان عرشه على الماء ٦ / ٢٦٩٩ ، رقم الحديث ٦٩٨٤ ، و٦٩٨٥ ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : التفسير (سورة الأحزاب) ٥ / ٣٣ ، رقم الحديث ٣٢٦٥ ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) (يقوله) مكررة في (أ) .

(٣) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لكيلا) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٢٩ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٠١ أ ، وتفسير الطبري ٢٢ / ١٤ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٠٧ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٣٣ .

(٦) لم أقف عليه .

قوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ . قال مقاتل : «يقول تزوج النبي زينب كائناً لا بدَّ»^(١) ، وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضياً مفعولاً .

٣٨ . قال مقاتل : «ثم بين أنه لم يكن عليه حرج في هذا النكاح»^(٢) في قوله : ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «أحل الله له ؛ أي لا حرج عليه في ما أحل الله له»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها : سَنَّ الله لمحمد - عليه السلام - في التوسعة عليه في إباحة النكاح كسنته في الأنبياء الماضين ، وهذا قول ابن عباس^(٤) .

واختار الفرَّاء والزَّجَّاج قالوا : «عنى كثرة أزواج داود وسليمان»^(٥) .

وقال مقاتل : «يعني داود النبي حين هوى المرأة التي فتن بها ، فجمع الله بينه وبينها ، يقول : كذلك أجمع بين محمد وزينب إذ هويها كما فعلت بداود» ، ونحو هذا مقاتل بن حيان سواء^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ أ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ أ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠١ أ ، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٠٧ .

(٤) ذكره القرطبي ١٤/ ١٩٥ بمعناه من دون نسبة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٩٢ ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٤٧٤ عن ابن عباس والكلبي والمقاتلين .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٤٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٠ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ أ ، وانظر أيضاً : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٠١ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٣٣ . ولعل هذه الأقوال التي أوردها المؤلف لا تصح ، بل هي فاسدة ؛ لأنها منافية لمقام النبوة .

وقال عبد الله بن مسلم : «أي لا حرج على أحد في ما لم يحرم عليه»^(١) ، وعلى هذا ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) كان مَنْ تقدّمه ممن قد مضى ولا يختص بالنبين ، وهو الأليق بظاهر الآية لولا الآية الثانية ؛ فإنها دلّت على أن المراد بالذين خلوا : الأنبياء ، قال أبو إسحاق : «سُنَّة الله منصوب على المصدر ؛ لأن معنى ما كان على النبي من حرج سُنَّة^(٣) الله له سُنَّة واسعة لا حرج فيها»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ . قال الكلبي : «قضاء مقضياً ، وكان من قدره أن يولد سليمان من تلك المرأة التي هويها داود ، ويملك من بعده»^(٥) .

وقال مقاتل : «قدر الله لداود ولمحمد تزويجها»^{(٦)(٧)} .

وقال ابن حيان : «أخبر الله أن امرأة^(٨) زينب كان من حكم الله وقدره وفرضه»^(٩) .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ﴾ . قال أبو إسحاق : «يجوز أن يكون (الذين) في موضع خفض نعت ؛ لقوله : ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ ، ويجوز أن يكون نعتاً على المدح . المعنى : هم الذين ، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أعني الذين»^(١٠) .

(١) انظر : غريب القرآن ٣٥١ .

(٢) كذا في المخطوط ، ولعل الصواب : (كل) .

(٣) كذا في المخطوط ، والذي في معاني القرآن للزجاج : (سن الله له) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٠ / ٤ .

(٥) ذكر هذا القول الثعلبي ٢٠١ / ٣ ب ، ونسبه إلى ابن عباس ، ولم أقف على مَنْ نسبه إلى الكلبي .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ أ .

(٧) هكذا في النسخ ، والذي في تفسير مقاتل : (تزويعها) .

(٨) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (أن نكاح زينب) .

(٩) لم أقف عليه .

(١٠) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٠ / ٤ .

﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ . قال سعيد بن جبير : «الخشية من الله أن تخشاه حتى تكون خشيتك^(١) وبينه وبين معصيته»^(٢) . والمعنى على هذا : ولا تعصونه . ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ ؛ أي لا يخشون قالة الناس ولا ثمتهم في ما أحل لهم . ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ؛ أي مجازياً لمن يخشاه ، قاله ابن عباس^(٣) .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ . قالت عائشة رضي الله عنها : «لَمَّا تزوج رسول الله ﷺ زينب قال الناس : إن محمداً تزوج امرأة ابنه ، فأنزل الله هذه الآية^(٤) ، يعني أنه ليس بأب لزيد فتحرم^(٥) عليه زوجته» . قال ابن عباس : «يريد لم يكن في قضائي وقدري أن له ابناً يعيش حتى يصير رجلاً»^(٦) .

وقال المفسرون : «لم يكن أباً أحد لم يلده ، وقد وُلِدَ له ذكور : إبراهيم ، والقاسم ، والطيب ، والمطهر»^(٧) ، وقال مقاتل : «لَمَّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ لزيد : لست لك بأب ، فقال زيد : يا رسول الله ، أنا زيد بن حارثة بن مروة بن شراحيل الكلبي معروف نسبي»^(٨) .

(١) هكذا في المخطوط ، ولعل الصواب : (حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيته) .

(٢) لم أقف على قول سعيد بن جبير .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) رواه الترمذي عن عائشة وابن أبي حاتم ، حديث رقم ٣٢٦٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/٦١٣ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد والترمذي ، وصححه ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن عائشة .

(٥) في (أ) : (فيحرم) .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٣/٥٣٤ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٣/٢٠١ ب ، وتفسير الطبري ٢٢/١٦ ، ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج ٤/٢٢٩ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب .

قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ : يعني آخر النبيين فلا نبي بعده . قال : «يريد لو لم أختم به لجعلت له ولداً يكون بعده نبياً» . قال مقاتل : «لو كان لمحمد ولد لكان نبياً رسولاً ، فمن ثم قال : ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [لم يسمع أحداً]»^(١) . والمعنى : أنه لَمْ يَخْتَمِ النبيين دلّ على أنه لم يبقَ ولداً بعده . وقراءة العامة بكسر التاء ، وقرأ عاصم بفتح التاء^(٢)^(٣) .

قال أبو عبيد : «الوجه الكسر ؛ لأن التأويل أنه ختمهم ، فهو خاتمهم»^(٤) .

وكذلك روي عنه في صفة نفسه أنه قال : «أنا خاتم النبيين»^(٥) . لم يسمع أحد من فقهاءنا يرويه إلا بكسر التاء . قال الفرّاء : «ويدل عليه قراءة عبد الله : ختم النبيين ، ومن قرأ بفتح التاء فمعناه : آخر النبيين ، وخاتم النبيين»^(٦) آخره ، ومنه قوله : ﴿خَتَمُهُ مِسْكٌ﴾^(٧) .

وقال الحسن : «الخاتم الذي ختم به»^(٨) .

(١) هكذا في النسخ ، ولعله زيادة من الناسخ خطأ .

(٢) في (أ) : (الماء) .

(٣) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ١٩٩ ، والنشر ٢/ ٣٤٨ .

(٤) لم أقف على اختيار أبي عبيد .

(٥) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة ، وهو جزء من حديث أخرجه البخاري في المناقب ، باب : خاتم النبيين ﷺ ٣/ ١٣٠٠ ، رقم ٣٣٤٢ ، ومسلم في الفضائل ، باب : كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ ، رقم ٢٢٨٦ .

(٦) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (آخرهم) .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٤٤ .

(٨) انظر : الوسيط ٣/ ٤٧٤ ، والحجة ٥/ ٤٧٧ .

وقال أهل اللغة: «الخاتم بالكسر الفاعل، والخاتم بالفتح ما يوضع على الطينة، وهو اسم مثل العالم، يدل على هذا قولهم عند زيادة الحرف: خاتام، فدلّت زيادة الألف على أن التاء مفتوح في الخاتم»^(١).

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. قال ابن عباس: «يريد علم ما يكون قبل أن يكون»^(٢).

٤١. وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾. قال الكلبي ومقاتل: «ذكرًا كثيرًا باللسان»^(٣)، وقال مجاهد: «هو ألا ينساه أبداً»^(٤)، وقال الكلبي: «ويعني ذكرًا كثيرًا بالصلوات الخمس»^(٥)، وقال ابن حيان: «هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال، وهو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(٦). وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنبات والغائط والحدث»^(٧).

٤٢. وقوله: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي صلوا لله صلاة الفجر والعصر، قاله مقاتل وقتادة^(٨)، وقال ابن حيان: «صلوا لله بالغداة والعشي»^(٩). قال الكلبي: «فصلاة الفجر، وأما أصيلاً فصلاة الظهر والعصر

(١) انظر: تهذيب اللغة (ختم)، واللسان (ختم) ١٦٣/١٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٩٣ ب، ولم أقف على من نسبته إلى الكلبي.

(٤) انظر: تفسير البغوي ٥٣٤/٣، ومجمع البيان ٥٦٨/٨.

(٥) انظر: الوسيط ٤٧٥/٣، وزاد المسير ٣٩٦/٦.

(٦) انظر: مجمع البيان ٥٦٨/٨، وزاد المسير ٣٩٦/٦.

(٧) ذكر ابن قدامة في المغني ١٣٤/١ أنه لا خلاف في أن للحائض والجنب ومن في حكمهما ذكر الله، وهذه الألفاظ من الذكر.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٩٣ ب، وتفسير الماوردي ٤٠٩/٤، وتفسير الطبري ١٧/٢٢.

(٩) لم أقف عليه عن ابن حيان، وانظر: تفسير القرطبي ١٩٨/٠١٤، وتفسير هود ٣٧٢/٣.

والمغرب والعشاء»^(١). ومضى الكلام في تفسير الأصيل عند قوله : ﴿بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾^(٢).

٤٣. قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ . قال ابن عباس : «لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ جاء المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ﷺ يهنئونه ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أهذا لك خاصة ليس لنا فيه شيء ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ»^(٣). قال المفسرون وأهل المعاني كلهم : ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾^(٤) : يرحمكم ويغفر لكم»^(٥). ومضى الكلام في تفسير الصلاة من الله عند قوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

قوله : ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ . قال ابن عباس : «وملائكته تدعو الله لكم»^(٦) ، وقال المقاتلان : «ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم»^(٧) .

قال الكلبي : «صلاة الله على العباد مغفرته ، فإذا رضي على العبد قال للملائكة : إني قد غفرت لعبدي فلان فاستغفروا له ، وصلاة الملائكة : الاستغفار»^(٨) .

-
- (١) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٠٩ ، ومجمع البيان ٨ / ٣٩٧ ، وزاد المسير ٦ / ٥٦٨ .
 (٢) عند قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .
 (٣) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٢٢ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد ، وذكره البغوي في تفسيره ٣ / ٥٣٤ عن أنس ، وذكره القرطبي في تفسيره ١٤ / ١٩٨ عن ابن عباس .
 (٤) في (أ) : (ويصلي عليكم) ، زيادة واو .
 (٥) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٠٢ أ ، وتفسير الطبري ٢٢ / ١٧ ، ومعاني القرآن للقرآن ٢ / ٣٤٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ / ٢٣١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ٣٥٧ .
 (٦) انظر : مجمع البيان ٨ / ٥٦٨ .
 (٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب ، وتفسير الماوردي ٤ / ٣٩٨ ، وزاد المسير ٦ / ٤١٠ .
 (٨) لم أقف عليه .

قوله عز وجل : ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ . قالوا : «من الشرك إلى الإيمان» ، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجوكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بسبب توحيدكم وتصديقكم رحمته ودعاء ملائكته^(١) .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ . قال مقاتل : «يعني تسليم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب»^(٢) ، وقال الكلبي : «تحية الملائكة على أبواب الجنة»^(٣) ، فإذا دخلوها حيّاً بعضهم بعضاً بالسلام ، وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام»^(٤) . والكناية في قوله : ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ يجوز أن تكون عن الملائكة ، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، ويجوز أن تكون عن المؤمنين ، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعلين ؛ لأن المؤمنين يحيون بالسلام ، ويحيي بعضهم بعضاً . قال ابن عباس في قوله : ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ : «يريد عندما يدخلهم الجنة»^(٥) .

ومعنى الكلام في معنى لقاء الله في مواضع . وروي عن البراء بن عازب أنه قال في هذه الآية قال : «يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سَلَّمَ عليه»^(٦) . والكناية على هذا في قوله : ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ للمؤمنين ؛ أي تحيتهم من ملك الموت يوم يلقونه . والكناية في يلقونه لملك الموت ، وقد سبق ذكره في قوله : ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٧/٢٢ ، و بحر العلوم ٥٤/٣ ، وتفسير البغوي ٥٣٧/٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب .

(٣) في (ب) : (باب) .

(٤) انظر : بحر العلوم ٥٤/٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب : التفسير (سورة إبراهيم - عليه السلام) - ٣٥١/٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ، وأورده السيوطي في الدرر ٦٢٣/٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت ، وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب .

وقوله : ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ؛ أي ثواباً عظيماً ، ورزقاً حسناً في الجنة .

٤٥ . قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد على أمتك وجميع الأمم»^(١) .

وقال مقاتل : «شاهداً على هذه الأمة بتبليغ الرسالة ، ومبشراً بالجنة والنصر في الدنيا لِمَنْ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ»^(٢) .

﴿وَنَذِيرًا﴾ : ومنذراً بالنار لِمَنْ كفر بك وكذَّبَكَ .

٤٦ . ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ : إلى توحيد الله وطاعته وما يقرب منه .
﴿بِإِذْنِهِ﴾ . قال مقاتل : «يعني بأمره»^(٣) ، يريد أنه أمرك بهذا لا أنك تفعله من قبل .

قوله تعالى : ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ : يجوز أن يكون هذا من صفة النبي ﷺ ، فيكون المعنى : مَنْ اتبعه اهتدى به كالسراج في الظلمة يستضاء به ، وهذا معنى قول ابن عباس^(٤) .

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٤ / ٤١٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٢٤ ، وقال : «أخرج ابن أبي حاتم

والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس» .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) انظر قول ابن عباس في : تنوير المقباس ٣٥٥ .

وقال المُبرّد : « هذا تمثيل . والمعنى : أن ضياء الهدى منه قد شمل القلوب كما شمل ضياء السراج الأبصار »^(١) . ويجوز أن يكون المراد بالسراج المنير : القرآن ، وهو قول ابن عباس ، قال : « وكتاباً مبيناً »^(٢) .

واختاره الزّجاج فقال : « والمعنى : وذا سراج منير ؛ أي ذا كتاب نير ، قال : وإن شئت كان المعنى : وداعياً إلى الله وتالياً كتاباً بيناً »^(٣) .

٤٧ . ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴾ . قال مقاتل : « يعني الجنة »^(٤) .

٤٨ . وقوله : ﴿ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ؛ أي إن دعوك إلى تقصّر^(٥) في بلاغ ما أرسلت به . قال ابن عباس : « يريد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة »^(٦) ، وذكرنا تفسير هذا في أول السورة .

﴿ وَدَعَّ أَذْنَهُمْ ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : « يريد اصبر على أذاهم »^(٧) .

قال ابن عباس : « هذا منسوخ نسخه السيف »^(٨) .

(١) لم أقف على قول المُبرّد .

(٢) ورد في تفسير الماوردي ٤ / ٤١١ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٦٢٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢١١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب .

(٥) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (إلى أن تقصّر) .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس ٣٥٠ .

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٢٢ / ١٩ ، والبغوي في تفسيره ٣ / ٥٣٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٢٥ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٨) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٢٠٢ ، وزاد المسير ٦ / ٤٠٢ ، وقبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن ٢٠ ، والناسخ والمنسوخ من كتاب الله ١٤٤ ، وناسخ القرآن ومنسوخه ٤٥ .

قال أبو إسحاق : «تأويل ﴿وَدَعَ أَدْنَاهُمْ﴾ لا تجازيهم عليه إلا أن تؤمر فيهم بأمر»^(١) ، وعلى هذا التقدير : دع مكافأة أذاهم ، ولهذا صار المعنى : اصبر على أذاهم .

وقال مجاهد : «دع أذاهم : أعرض عنهم»^(٢) . ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإني أكفيك^(٣) إذا توكلت عليّ .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ ؛ أي تجامعوهن ، وقُرئ : (تماسوهن)^(٤) . ومعنى الكلام في القراءتين في البقرة : ٢٤٦ .

قوله عز وجل : ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهَا﴾ . قال أبو إسحاق : «أسقط الله العدة عن التي^(٥) لم يُدخل بها ؛ لأن العدة في الأصل استبراء^(٦) الولد ، فإن لم يُدخل بها فهي بمنزلة الأمة التي لم يقربها مالکها فليس عليها استبراء» . قال مقاتل : «إن شاءت تزوجت من يومها»^(٧) .

وقوله : ﴿تَعُدُّوهَا﴾ ؛ أي تحصون العدة عليهن^(٨) بالأقراء والأشهر . وقال صاحب النظم : «معنى الاعتداد هاهنا استبقاء العدة منهن ؛ لأنها حق للأزواج

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣١ / ٤ .

(٢) تفسير مجاهد ٥١٨ ، وانظر : تفسير الطبري ١٩ / ٢٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٤١ / ١٠ .

(٣) في (أ) : (أكفيكم) .

(٤) انظر : الحجة ٤٧٧ / ٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢٠٣ / ٢ .

(٥) في (أ) : (النبى) ، وهو خطأ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٢ / ٤ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب .

(٨) في (ب) : (عليها) .

على النساء استبراء من أن يلحق بهن^(١) من ليس منهم ، ولانقطاع الأمر في النفقة والسكنى ، يقال : عدته ألف درهم فاعتدها ؛ أي استوفاه ، وكذلك وزنته حقه فاتزنه ، وكلته فاكثاله ؛ أي استوفاه وزناً وكيلاً . كذلك هاهنا : استوفاه عدداً .

وروى ابن أبي بزة^(٢) عن ابن كثير : «تعتدونها مخففة» . قال قنبل والقواس^(٣) :

«وهذا مما وهم فيه ثم رجع عنه ، وكذلك وهم في تخفيف قوله : ﴿وَمَا هُوَ بِمِيتٍ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، وقوله : ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير : ٤] . قال أبو علي : «ولا وجه للتخفيف في مثل هذا ، نحو : تشتدون وتتردون ، وليس كل المضاعف يبدل من حروف التضعيف فيه ، إنما يبدل في ما سمع»^(٤) . قال قتادة : «فإن شئت قلت : قد جاء في التنزيل في هذا النحو الأمران كقوله : ﴿فَلْيَمْدِلْ وَلِيُّهُ بِالْعُدْلِ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقوله : ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً﴾ [الفرقان : ٥] ، قال : وإن شئت جعلته من عدوت الشيء إذا جاوزته ؛ أي ما لكم عليهن من وقت عدة يلزمكم أن تجاوزوا عدده فلا تنكحوا أختها ولا أربعاً سواها حتى تنقضي العدة»^(٥) .

(١) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (بهن) ؛ لأن الضمير يعود إلى الأزواج .

(٢) مقررئ مكة ومؤذن المسجد الحرام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزة المخزومي ، مولاهم الفارسي الأصل ، كان مولده سنة ١٧٠ هـ ، وهو أستاذ محقق ضابط متقن ، قرأ على أبيه وعلى عبد الله بن زياد وعكرمة بن سليمان ، وعليه قرأ إسحاق بن محمد الخزاعي والحسن بن الحباب وغيرهما ، روى عنه القراءة قنبل ، توفي - رحمه الله - سنة ٢٥٠ هـ وعمره ثمانون عاماً . انظر : غاية النهاية ١١٩ / ١ ، والسير ٥٠ / ١٢ ، ومعرفة القراء الكبار ٥٤ / ١ .

(٣) أبو الحسن أحمد بن محمد بن علقمة بن نافع بن عمر بن صباح بن عون المكي النبال المعروف بالقواس ، قرأ على ابن كثير وأبي الإخريط وهب بن واضح وغيرهما ، وقرأ عليه البزي وقنبل . انظر : النشر ١٢٠ / ١ .

(٤) انظر : الحجة ٤٧٧ / ٥ - ٤٧٨ .

(٥) ذكر قول قتادة أبو علي في الحجة ٤٧٨ / ٥ ، ولم ينسبه إلى قتادة ، والبحر المحيط ٨ / ٤٩٠ .

قوله تعالى : ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ . اختلفوا في هذه المتعة ، قال ابن عباس : «هذا إذا لم يكن سمي لها صداقاً ، فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه»^(١) ، هذا هو الأصح من مذهب الشافعي ، وهو أن المطلقة قبل المسيس لا تستحق المتعة مع نصف المهر ؛ لأن الله لم يذكر المتعة مع نصف المهر في سورة البقرة ، وهو قوله : ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]^(٢) .

وروى نافع عن ابن عمر قال : «لكل مطلقة متاع إلا التي تُطَلَّق قبل أن يُدْخَلَ بها وقد فرض لها ، فإن لها نصف الصداق فلا متعة»^(٣) .

قال قتادة : «نسخت هذه الآية التي قبلها في البقرة ، وهو قوله : ﴿فَنَصَفُ مَا فَرَضْتُ﴾ [البقرة: ٣٧]^(٤) . فدلَّت هذه الأقوال على أنها لا تستحق المتعة إذا طُلِّقَت قبل المسيس وبعد الفرض ، وإن طُلِّقَت قبلهما استحققت المتعة . روي أن شريحاً أخبر رجلاً طَلَّق امرأته ولم يكن لها فرض ولم يدخل بها^(٥) ، وهو مذهب الزهري .

وقال مقاتل : «فمتعوهن بنصف»^(٦) ، فجعل هذه المتعة بما تستحق من نصف المهر ، وهذا إنما يكون إذا كان قد فرض لها ، فأما إذا لم يفرض لها فإنها تستحق المتعة

(١) ورد في تفسير الطبري ١٩/٢٢ ، وذكره السيوطي في الدر ٦/٦٢٥ ، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٢) انظر : الأم ٥/٥٤ ، والمغني ١٠/١٤٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٢٠ ، وتفسير زاد المسير ٦/٤٠٢ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٤٨ .

(٥) الكلام هنا ناقص لم يتم ، والأسلوب غير مستقيم ، يبدو أن فيه سقطاً لم أستطع الوقوف عليه .

(٦) لم أقف على قول مقاتل .

واجبة لها على قول أكثر الناس ، وبعضهم يقول نسخت ذلك ولا تجب في قوله : ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(١) . قال مقاتل : «يعني حسناً في غير ضرر»^(٢) .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ . ذكر الله تعالى في هذه الآية أنواع النسوة والأنكحة التي أحلها^(٣) للنبي -عليه السلام- مما يختص به ومما سواه الأمة^(٤) في ذلك .

وقوله : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ . قال المفسرون : «يعني مهورهن . والمعنى : أحللنا لك أزواجك اللاتي تزوجتهن بصداق»^(٥) . ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ : يعني الولائد ، وهي مارية^(٦) القبطية أم إبراهيم ، وريحانة^(٧) ، وصفية ، وجويرية . وقوله : ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ؛ أي رجعهُ وردّه إليك من الكفار بأن سبيته وملكته .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٩/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/٤١٢ ، وزاد المسير ٦/٤٠٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ ب .

(٣) في (ب) : (أحلتها) .

(٤) الأسلوب هنا فيه اضطراب ، ولعل الصواب : (دون ما سواه من الأمة) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٢٠ ، ٢١ ، وتفسير الماوردي ٤/٤١٣ ، وزاد المسير ٦/٤٠٣ .

(٦) مارية القبطية مولاة رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم ، أهداها للنبي ﷺ المقوقس القبطي صاحب مصر ، توفيت -رضي الله عنها- في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٦ هـ ، وصلى عليها عمر ، ودفنت بالبقيع . انظر : الاستيعاب ٤/٣٩٦ ، والإصابة ٤/٣٩١ ، وأسد الغابة ٥/٥٤٣٩ .

(٧) سرية رسول الله ﷺ واسمها ريحانة بنت شمعون بن زيد بن قساعة من بني قريظة ، قُتل زوجها في بني قريظة ، وكانت مع السبي ، نفر لها رسول الله ﷺ حينما عرض عليه السبي وأرسلها إلى بيت أم المنذر بنت قيس ثم دخل عليها وخيرها ، فاختارت الله ورسوله ، فاعتقها وتزوجها ، توفيت -رضي الله عنها- سنة ١٠ هـ حينما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ٤/٣٠٢ ، وأسد الغابة ٥/٤٦٠ .

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ : يعني القرشيات^(١) من بني تميم وعدي ومخزوم وأمية .

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾ : يعني نساء بني زهرة ، وهذا مما تساويه الأمة فيه إلا العدد في الحرائر دون الإماء .

قوله تعالى : ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ . قال مقاتل : «إلى المدينة فإن كانت^(٢) تهاجر إلى المدينة لم يحل له تزوجها»^(٣) . وروى السُّدي عن أبي صالح أن أم هانئ^(٤) قالت : خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ، ثم أنزل الله عليه : ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله : ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ . [قال مقاتل]^(٥) : «قالت : لم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء»^(٦) ، وهذا يوجب أن الهجرة كانت شرطاً في التحليل ، فيحتمل أن يكون الأمر كذلك ثم نسخ كما كانت الوراثة بالهجرة ثم نسخ^(٧) .

(١) في (ب) : (القرشيات) .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب كما في تفسير مقاتل ٩٤ أ : (فإن كانت لم تهاجر) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ أ .

(٤) أم هانئ فاختة (وقيل فاطمة ، وقيل هند ، والأول أشهر) بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ، ابنة عم النبي ﷺ وأخت علي بن أبي طالب ، أسلمت عام الفتح ، وهرب زوجها واسمه هبيرة بن أبي وهب إلى نجران ، فلمّا انقضت عدتها خطبها النبي ﷺ ، فقالت : «يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من سمعي ومن بصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج» . انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٤٧٩ ، والإصابة ٤ / ٤٧٩ ، وأسد الغابة ٥ / ٢٢٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢ / ٢٠ ، ٢١ ، ورواه الترمذي في جامعه ، كتاب : التفسير (سورة الأحزاب) ٥ / ٣٣ ، رقم الحديث ٣٢٦٦ ، وقال : «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السُّدي» ، والحاكم في المستدرک ٢ / ٤٢٠ ، وصحّحه ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي في الدرر ٦ / ٦٢٨ ، وزاد نسبته إلى ابن سعد وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤١٤ ، وتفسير زاد المسير ٦ / ٤٠٤ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٧١ .

قال صاحب النظم : «نزلت هذه الآية قبل تحليل غير المهاجرات» .

وقوله : ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ عطف على ما سبق من المحللات . قال ابن عباس : «يريد مصدقة بتوحيد الله»^(١) . قال مقاتل : «اليهودية أو النصرانية أو الحربية إن وهبت نفسها للنبي لم تحل له ، قال : وإنما قيل هاهنا للنبي ﷺ ؛ لأنه لو قيل : إن وهبت نفسها لك كان يجوز أن يتوهم في الكلام دليل أنه يجوز ذلك لغير النبي ﷺ كما جاز في قوله : ﴿وَيَنَاصِي عَمَّكَ وَيَنَاصِي عَمَّتِكَ﴾ ؛ لأن بنات العم وبنات الخال يجللن للناس»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ ؛ أي أثر نكاحها وأراد ذلك . ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ . قال الفراء : «نصب على القطع ، يعني هذه الخصلة ، يعني النية في النكاح خالصة لك ورخصة»^(٣) .

وقال الزَّجَّاج : «خالصة منصوب على الحال . المعنى : إِنَّا جعلنا لك هؤلاء وأحللنا لك مَنْ وهبت نفسها خالصة لك»^(٤) ، وقال صاحب النظم : «خالصة مصدر كالخاطئة والكاذبة والملاعنة ، والمعنى في قوله : ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ ؛ أي خاصة لك ، وخاصة أيضاً مصدر مثل خالصة ؛ أي خصوصاً لك ذلك من بين أمتك ، وهو قوله : ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾» ، وقال أبو عبيدة : «رجع عن الغائبة إلى المخاطبة ، والعرب تفعل ذلك كقول عنتره :

سقت مزارها سفين . . . البيت»^(٥) .

(١) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٧١ من دون نسبة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ أ .

(٣) ورد في معاني القرآن ٢ / ٣٤٥ مع اختلاف في العبارة .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٣٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢ / ١٣٩ . وهكذا ورد في النسخ ، وفي مجاز القرآن ، وكذا في بقية المراجع جاء البيت هكذا :

شَطَّتْ مِزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِيراً عَلَى طِلَابِهَا ابْنَةُ تَحْرَمِ =

قال الأزهري : «الهبة كانت للنبي ﷺ خاصة ، ولا يحل لأحد أن تهب نفسها بغير شهود ولا ولي إلا للنبي ﷺ» .

وقال ابن عباس : «لا يحل هذا لغيرك ، وهو لك حلال»^(١) .

قال المفسرون : «هذا من خصائصه في النكاح ، وكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة من غير ولي ولا شهود ، ولا ينعقد لأحد نكاح بلفظ الهبة»^(٢) ، وهو مذهب الشافعي -رحمة الله- وأكثر الفقهاء^(٣) . وأجاز أهل الكوفة النكاح بلفظ الهبة إذا حضر الولي والشهود^(٤) . واختلفوا في الموهوبة ، هل كانت عند النبي ﷺ موهوبة أم لا ؟ فمذهب ابن عباس في رواية عكرمة ومجاهد أنه لم يكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بعقد النكاح أو ملك اليمين ، وهذا شيء أباحه الله له ، فإذا استباحه حل له^(٥) .

- =
- البيت من الكامل ، وهو لعنترة في ديوانه ١٩ ، وشعراء النصرانية ٨٠٩/٦ ، والكامل ٣٩٩/١ ، ٧٢٩/٢ ، ولسان العرب (زأر) ٣١٤/٤ ، (زور) ٣٣٦ . انظر : تفسير ابن عباس (شطط) ٣٣٤ . ومعنى البيت : نزلت الحبيبة أرض أعدائي فأصبح طلبها عسيراً علي . وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب . انظر : جهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ٤٨٤/٢ .
- (١) ورد في تفسير ابن عباس ٤٢٤ ، وذكر الطبري نحوه ٢٢/٢١ ، ونسبه إلى مجاهد .
- (٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٢٣ ، ٢٤ ، وتفسير الماوردي ٤/٤١٥ ، وزاد المسير ٦/٤٠٥ .
- (٣) انظر : الأم ٥/٣٣ ، والمغني ٩/٣٤٥ .
- (٤) يروى هذا كما في المغني ٩/٣٤٥ عن ابن سيرين والقاسم بن الحسن ومحمد بن صالح وأبي يوسف .
- (٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٢٣ ، وتفسير الماوردي ٤/٤١٤ ، ومجمع البيان ٨/٥٧١ .

وقال آخرون: «بل كانت عنده موهوبة»، ثم اختلفوا، فقال عطاء عن ابن عباس: «هي أم شريك العامرية»^(١)، وهو قول مقاتل^(٢).

وقال عروة: «هي خولة بنت حكيم»^(٣).

وقال قتادة: «هي ميمونة بنت الحارث»^(٤)، وقال الشعبي: «هي زينب بنت خزيمة»^{(٥)(٦)}.

وقال مقاتل: «ثم أخبر الله عن المؤمنين فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ ألا يتزوجوا إلّا أربع نسوة بمهر وبينة»، وهذا قول جميع المفسرين^(٧).

(١) أم شريك، (اختلف في اسمها، ف قيل غزيلة بالتصغير، وقيل عزية بتشديد الياء) بنت دودان بن عوف بن عمرو بن عامر، اختلف في نسبتها، ف قيل قرشية، وقيل عامرية، وقيل أنصارية. يقول ابن حجر في الإصابة: «ويمكن الجمع بين الأقوال بأن يقال: هي قرشية تزوجت في دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت في الأنصار فنسبت إليهم». يقال إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. انظر: الاستيعاب ٤/٤٤٥، والإصابة ٤/٤٤٦، وأسد الغابة ٥/٥٩٤.

(٢) ورد في مجمع البيان ٨/٥٧١، ونسب القول إلى علي بن الحسين والضحاك ومقاتل، وذكره صاحب زاد المسير ٦/٤٠٥، ولم ينسبه إلى أحد، وذكره أيضاً الماوردي ٤/٤١٤، ونسبه إلى عروة بن الزبير. انظر: تفسير مقاتل ٩٤ ب.

(٣) ورد في تفسير الطبري ٢٢/٢٣، ومجمع البيان ٨/٥٧١، وذكره الماوردي ٤/٤١٤، وابن الجوزي ٦/٤٠٥ من دون نسبة.

(٤) ورد في تفسير الطبري ٢٢/٢٣، وتفسير الماوردي ٤/٤١٤، وذكره صاحب زاد المسير ٦/٤٠٦، ونسبه إلى ابن عباس.

(٥) زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية زوج النبي ﷺ، يقال لها أم المساكين لكثرة إطعامها الطعام لهم، تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها بعدما دخل بحفصة رضي الله عنها، ولم تلبث زينب عند رسول الله ﷺ سوى شهرين أو ثلاثة حتى ماتت رضي الله عنها، ولم أجد عند من ترجوا لها من ذكر أنها وهبت نفسها للنبي ﷺ، والله أعلم. انظر: الاستيعاب ٤/٣٠٥، والإصابة ٤/٣٠٩، وأسد الغابة ٥/٤٦٦.

(٦) انظر: تفسير الماوردي ٤/٤١٤، وزاد المسير ٦/٤٠٦.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٩٤ أ.

قالوا: «فرضنا على أمتك ألا يتجاوز الأربع ولا ينقصد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود»^(١).

قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾. قال أبو إسحاق: «ذلك اليمين لا يكون إلا ما يجوز سببه»^(٢) ممن يجوز حربه، فأما من كان له عهد فلا.

وقال صاحب النظم: «انتظمت هذه الآية مجاوزة الأربع للنبي ﷺ والهبة، وكان له أن يصطفي من السبي من شاء نبّه الله بهذا على من خصه به»^(٣) دون غيره من أمته؛ لأنه لم يبح لهم من هذه الأصناف التي عددها في التحليل له شيئاً.

قوله عز وجل: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ فيه تقديم. والمعنى: خالصة لك من دون المؤمنين كي لا يكون عليك؛ [أي: أحللنا لك ما ذكرنا لكي لا يكون عليك]^(٤) ضيق في أمر النكاح ومنع من شيء تريده. ﴿وَكَاثُ اللَّهِ عَفْوَراً﴾ في التزويج بغير مهر للنبي عليه السلام، ﴿رَجِيماً﴾ به في تحليل ذلك، قاله مقاتل^(٥).

٥١. قوله عز وجل: ﴿تُجِبِّي مِنْ نَشَأٍ مِنْهُنَّ وَتُقَوِّي إِلَيْكَ مِنْ نَشَأٍ﴾: ذكرنا الكلام في [معنى]^(٦) الإرجاء عند قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، وقوله: ﴿وَأَخْرُوبُ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وأكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في إباحة النبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهم كيف شاء من غير حرج عليه في ذلك تخصيصاً له وتفضيلاً، فأبيح له لمن

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٢/٢٣، ٢٤، وتفسير الماوردي ٤/٤١٥، وزاد المسير ٦/٤٠٦.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٣.

(٣) هكذا في النسخ، ولعل الصواب: (على ما خصه به).

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٩٤ أ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

أحب منهن يوماً أو أكثر ، ويعضل مَنْ شاء منهن فلا يأتيها ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد واختيار الفراء والزجاج . فمعنى قوله : ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ قال ابن عباس : « ترجيها من غير طلاق ، ﴿ وَتَوَوِّيْ إِلَيْكَ ﴾ ، وتضم مَنْ تشاء تردها إليك »^(١) . قال مجاهد : « تعزل بغير طلاق ، وتؤوي إليك مَنْ تشاء : تردها إليك »^(٢) ، وقال الكلبي : « تترك مَنْ تشاء منهن فلا تأتيها ، ﴿ وَتَوَوِّيْ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ فتأتيها »^(٣)^(٤) .

قال أبو إسحاق : « خيّر الله - عز وجل - نبيه ﷺ فكان له أن يؤخر مَنْ أراد من نسائه ، وله أن يردَّ مَنْ أحب إلى فراشه ، وليس ذلك لغيره من أمته »^(٥) ، وكان القسم والتسوية بينهما واجباً عليه ، فلمّا نزلت هذه الآية سقط عنه ، وصار الاختيار فيهن . قال أبو زيد : « وكان من آوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ، وكان قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهما ، وكان ممن أرجى سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة^(٦) وصفية ، وكان يقسم لهن ما شاء ، وكان أراد أن يفارقهن ، فقلن له : اقسم لنا من نفسك ما شئت ، ودعنا على حالنا »^(٧) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٢٥ ، وتفسير الماوردي ٤/٤١٥ ، وزاد المسير ٦/٤٠٧ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٥١٩ ، وتفسير الطبري ٢٢/٢٥ ، وتفسير الماوردي ٤/٤١٥ .

(٣) في (ب) : (فتؤتيها) .

(٤) لم أقف على مَنْ نسبته إلى الكلبي ، وقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان ٨/٥٧٤ نحو هذا القول ، وعزاه إلى قتادة .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٣ .

(٦) في (ب) : (وصفية وميمونة) تقديم وتأخير .

(٧) أورده الطبري في تفسيره ٢٢/٢٦ ، وذكر قول ابن زيد ، لكنه لم يذكر أسماء مَنْ آوى ، ومَنْ عزل ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣١٤٥ عن ابن زيد ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/٥٧٤ ، ونسب القول إلى ابن رزين ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤٠٧ ، وعزاه إلى ابن رزين أيضاً ، وذكره السيوطي في الدر ٦/٦٣٥ ، ونسبه إلى ابن سعد وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي زيد .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ ؛ أي إن أردت أن نؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن وأخرتهن من القسمة وتضمها إليك فلا جناح عليك^(١) ؛ لا ميل^(٢) يلوهم ولا عتب . والمعنى : أنك إذا أرجأت بعضاً وآويت ثم آويت من أرجأت فلا جناح عليك^(٣) ، وفي الكلام إيجاز بتقدير : وأرجأت من آويت فلا جناح عليك ، فدلّ أحد الظرفين على الثاني ؛ لأنه إذا كان له إيواء من عزل وأرجأ كان له إرجاء من آوى .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْشُهُنَّ﴾ ؛ أي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهم أدنى إلى رضاهن إذا كان من عندنا . قال الفراء : «إذا علمن أن الله قد أباح ذلك رضىن إذا كان من عند الله»^(٤) . قال أبو إسحاق : «إذا كان هذا منزلاً من الله عليك^(٥) كان أقرب إلى أن يرضين بما آتيتهن كلهن ؛ أي ويرضين كلهن بما آتيتهن من تقريب وإرجاء»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ؛ أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن . قال صاحب النظم : «هذا يدل على أن الله قصد بها التخيير والتيسير»^(٧) . والتسهيل محنة في كل ما أراد منهن ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بخلقه ، ﴿حَلِيماً﴾ عن

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٣ / ٤ .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (لا لوم) .

(٣) الكلام هنا موهم والأسلوب فيه اضطراب ، والذي يظهر لي - والله أعلم - أن الكلام من قوله : (ميل) إلى قوله : (ثم إيواء من أرجأت فلا جناح عليك) كلام زائد وقع خطأ من النساخ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٣٤٦ / ٢ .

(٥) في (ب) : (إليك) .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٣ / ٤ .

(٧) في (ب) : (التيسير) .

عقابهم ، قاله ابن عباس^(١) ، وذكرت في قوله : ﴿ تَرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ أقوال سوى ما ذكرنا ، وسياق الآية [بعضها و]^(٢) لا يوافقها فتركها .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ ﴾ : ويُقرأ بالتاء ، وقال أبو إسحاق : «مَن قرأ بالياء فلأن النساء في معنى جميع النساء تدل على التأنيث فيستغنى عن تأنيث (يحل) ، ومَن قرأ بالتاء فعلى أن المعنى لا يحل^(٣) لك جماعة^(٤) النساء»^(٥) .

وقال الفرّاء : «التاء للنساء والياء بمعنى لا يحل لك شيء من النساء»^(٦) ، وقال أبو علي : «الياء والتاء جميعاً حسنان ؛ لأن تأنيث النساء ليس بحقيقي ، إنما هو تأنيث الجمع نحو الجمال والجدوع ، والتذكير حسن والتأنيث كذلك»^(٧) .

قال ابن عباس : «لَمَّا خَيَّرَ رسول الله ﷺ نساءه اخترنه شكر الله تعالى ذلك لمن حيث اخترنه ، فأنزل الله : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾»^(٨) .

قال مقاتل : «حرم عليه تزويج غير التسعة اللاتي اخترنه ، فقال : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ ؛ أي من بعد أزواجك التسعة اللاتي عندك»^(٩) ، يقول : لا يحل لك أن تزاد عليهن ولا أن تبدل بهن ، يعني بنسائه التسعة من أزواج .

(١) لم أقف عليه .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعلها زيادة من النساخ ؛ لأنه يخل بنظم الكلام .

(٣) في (ب) : (لا تحل) .

(٤) في (ب) : (جميع) .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٤ / ٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٣٤٦ / ٢ .

(٧) انظر : الحجة ٤٧٩ / ٥ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٨ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤١٦ / ٤ ، وزاد المسير ٤٠٩ / ٦ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ ب .

قال ابن عباس : «يريد أن تبدل بهذه [العدة]»^(١) غيرهن ، فلا يحل لك إلا هؤلاء اللاتي خيّرتهن واخترتهن»^(٢) ، وقال الضحاك : «يعني : ولا أن تبدل بهن بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجاً غيرهن بأن تطلقهن وتنكح غيرهن»^(٣) ، فحرم عليه طلاق نسائه اللاتي كن عنده ؛ إذ جعلهن أمهات المؤمنين ، وحرّمهن على غيره حين اخترنه . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ ؛ أي وإن أعجبك لجمالهن^(٤) ، فليس لك أن تطلق من نسائك وتنكح بدلهما امرأة بجماها .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ . قال مقاتل : «يعني الولائد»^(٥) ، وقال ابن عباس : «ملك بعد هؤلاء مارية»^(٦) .

قال الزّجاج : «موضع رفع المعنى لا يحل لك إلا ما ملكت يمينك ، قال : ويجوز أن يكون نصباً على معنى : لا يحل لك النساء ، ثم استثني ما ملكت يمينك»^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٩/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/١٦٦ ، وزاد المسير ٦/٤٠٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣١/٢٢ ، ومجمع البيان ٨/٥٧٥ ، وزاد المسير ٦/٤١٠ .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الباء زيادة من النساخ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ ب .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٢٥ .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٤ .

قال أبو عبيدة: «في هذه الآية حرم عليه النساء غيرهن»^(١). فإن روي فيه غير ذلك فهذه الآية منسوخة، يعني ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء»^(٢).

قال الشافعي: «كأنها تعني اللاتي حظرن عليه»^(٣).

وهذه الآية منسوخة على ما قالت عائشة^(٤)، وهذا الذي ذكرنا في هذه الآية قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والحسن، قال: «قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن»^(٥)، وفيها أقوال تركناها لضعفها لم نذكرها.

قال مقاتل: «ثم حذر النبي ﷺ [إن ركب]»^(٦) في أمرهن ما لا ينبغي، وذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَاصِمًا﴾ من العمل، ﴿رَقِيبًا﴾^(٧) حفيظاً.

٥٣. قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

قال أنس بن مالك: «أنا أعلم الناس بهذه الآية؛ إنه الحجاب، أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش، ودعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند رسول الله ﷺ فأطالوا

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ٣٥٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣٢/٢٢، وزاد المسير ٤١١/٦، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: التفسير (سورة الأحزاب) ٣٥/٥، رقم ٣٢٦٩، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه ابن أبي حاتم ٣١٤٥/١٠ عن أم سلمة.

(٣) الأم ١٢٥/٥.

(٤) انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٨٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢٩/٢٢، ٣٠، وتفسير الماوردي ٤١٧/٤، ومجمع البيان ٥٧٥/٨، وزاد المسير ٤١٠/٦، وتفسير مقاتل ٩٤ ب.

(٦) ما بين المعوفين غير واضح في النسخ جميعها، والتصحيح من تفسير مقاتل.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٩٤ ب.

المكث ، وجعلوا يتحدثون ، وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يرجع وهم يعود ، فنزلت هذه الآية . قال : فقام القوم ، وضرب الحجاب»^(١) .

﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ . قال الزَّجَّاج : «موضع أن نصب . المعنى : إلا بأن يؤذن أو لا يؤذن لكم»^(٢) . ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ ؛ أي إلا أن تدعوا إلى طعام . ومعنى ﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ : يدعوا ، ويجوز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير ، فتقدير : لا تدخلوا بيوت النبي إلى طعام إلا أن يؤذن لكم .

وقوله : ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : «غير منصوبة على الحال . المعنى : إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين»^(٣) . ﴿إِنَّهُ﴾ ؛ أي نضجه وإدراكه وبلوغه ، قاله المفسرون^(٤) . قال مجاهد : «غير [متحينين]^(٥) نضجه»^(٦) . المعنى : أنهم كانوا يدخلون بيته فيجلسون منتظرين إدراك الطعام فنهوا عن ذلك ، والتقدير : إلا أن يؤذن ، لكن وأنتم لا تنتظرون بلوغ الطعام» . قال أبو عبيدة : ﴿إِنَّهُ﴾ ؛ أي إدراكه ، يقال : أتى يأتي إدراك أنا كما ترى»^(٧) ، وأنشد :

تمخضت المنون له يوم
أتى ولكل حاملية تمام^(٨)

(١) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ١٤٩٩/٤ ، رقم ٤٥١٣ ، ومسلم في كتاب : النكاح ، باب : زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ١٠٤٨/٢ ، رقم ١٤٢٨ ، كلاهما عن أنس .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٤/٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣٤/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤١٨/٤ ، وزاد المسير ٤١٤/٦ ، ٤١٥ .

(٥) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من تفسير مجاهد ٥٢٠ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٠ .

(٧) هكذا في النسخ ، والذي في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٤٠/٢ : «أي : إدراكه وبلوغه ، ويقال : أتى لك أن تفعل يأتي أتياً ، والاسم لي وأني : أبلغ أدرك» .

(٨) البيت من الوافر ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ١٠١ ضمن أبيات قالها حين عاد إلى النعمان فألفاه عليلاً . انظر : جهرة أشعار العرب ١٩٩/١ . والشاهد فيه قوله : «حاملة» حيث جاء بهذا الوصف =

قال الأزهري : «ومن هذا قوله : ﴿جَمِيعًا إِنِّي﴾ [الرحمن : ٤٤] ، وهو الذي قد بلغ غاية الحرارة ، وكذلك قوله : ﴿عَيْنِي إِنِّي﴾ [الغاشية : ٥] ، وقوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحديد : ١٦] ، وهو أن يَأْنِي^(١) . وقوله : ﴿وَلَا مُسْتَغْسِِينَ لِحَدِيثٍ﴾ . قال مجاهد : «أي بعد أن تأكلوا»^(٢) .

قال مقاتل : «كانوا يجلسون عند النبي ﷺ قبل الطعام وبعد الطعام يتحدثون عنده طويلاً»^(٣) ، وكان يؤذيه ذلك ويستحي أن يقول لهم قوموا ، فذلك قوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ : يعني دخول بيته بغير إذن والقفود ؛ لانتظار الطعام يؤذي النبي ﷺ فيستحي منكم أن يخرجكم منها . ومعنى مستأنسين لحديث : مستأنسين له ، والاستئناس هو التأنس ، ويقال : إذا جاء الليل استأنس كل وحشي»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «كان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرماء منه ، ويصبر على الأذى في ذلك ، فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدباً لهم ولمن بعدهم»^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ : معناه : لا يستحيي أن يبين لكم ما هو الحق . وذكرنا معنى استحياء الله - عز وجل - عند قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة : ٢٦] .

= متصلاً بتاء التأنيث مع أنه خاص بالإناث لا يوصف به غيرهن ؛ وذلك أنه جعل وصفاً جارياً على الفعل .

(١) تهذيب اللغة (أنى) ٥٥٣ / ١٥ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٠ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ ب .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (أنس) ٨٧ / ١٣ ، واللسان (أنس) ١٥ / ٦ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٢٣٥ / ٤ .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ، فنزل الأمر بالاستتار . قال ابن عباس : «وذلك»^(١) أن عمر -رضي الله عنه- كان عند رسول الله ﷺ في ظلمة البيت فوافقت يده يد امرأة من أزواج رسول الله ﷺ ، فقال : والله لو أطاعني رسول الله لضرب عليكن الحجاب ، فأنزل الله هذه الآية»^(٢) ، وقال أنس : «قال عمر : يا رسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فنزلت آية الحجاب»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ﴾ ؛ أي سؤالكم إياهن المتاع من وراء الحجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الريبة . ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُذْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء»^(٤) .

قال أبو عبيدة : «العرب»^(٥) يدخلون كان يؤكدون بها الكلام وهو مستغنى عنه ، وأنشد للفرزدق :

فكيف إذا رأيت ديار قوم وجيران لنا كانوا كرام^(٦)

(١) في (ب) : (وذلك أن الله تعالى عمر -رضي الله عنه-) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤١٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٧٦ .

(٣) ورد في تفسير الطبري ٢٢/ ٣٩ ، ورواه البخاري في كتاب : الصلاة ١/ ١١١ ، وفي كتاب : التفسير (سورة البقرة) ٦/ ٣٤ ، (سورة الأحزاب) ٦/ ١٤٨ ، ورواه مسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : من فضائل عمر بن الخطاب ٧/ ١١٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣٥ .

(٥) في (أ) : (تدخل) ، وهو خطأ .

(٦) البيت من الوافر ، وهو للفرزدق في ديوانه ٢/ ٢٩٠ ، وخزانة الأدب ٩/ ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، والكتاب ٢/ ١٥٣ ، ولسان العرب (كنن) ١٣/ ٣٧٠ . والشاهد فيه قوله : «وجيران لنا كانوا كرام» حيث فصل بين الموصوف «وجيران» والصفة «كرام» بـ «كانوا» الزائدة .

فجعلوا كان لغوا^(١). قال مقاتل بن حيان : «بلغنا أن رجلاً من قريش هوى أن يتزوج عائشة من بعد النبي فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فشق ذلك عليه ، فأُنزل الله : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾^(٢) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «كان رجل من سادة قريش من أصحاب النبي ﷺ من العشرة الذين^(٣) كانوا معه على حراء ، قال في نفسه [لو]^(٤) توفي رسول الله لتزوجت عائشة وهي بنت عمي ، فأُنزل الله - عز وجل - ما أنزل^(٥) .

قال مقاتل بن سليمان : «هو طلحة بن عبيد الله قال لما نزلت آية الحجاب : نهانا محمد أن ندخل على بنات عمنا - يعني عائشة - وهما من بني تميم بن مرة ، ثم قال : والله لئن مات محمد وأنا حي لأتزوجن عائشة ، فأُنزل الله في طلحة : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلى آخرها^(٦) . قال أبو إسحاق : «أعلم الله أن ذلك محرم بقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ؛ أي ذنباً عظيماً^(٧) .

(١) مجاز القرآن ١٤٠ / ٢ .

(٢) لم أقف على هذا القول عن مقاتل بن حيان ، وقد ذكره أكثر المفسرين ؛ فقد ذكره الطبري ٤٠ / ٢٢ عن ابن زيد ، ومقاتل في تفسيره ٩٤ ب ، والنحاس في معاني القرآن ٣٧٣ / ٥ عن قتادة ، والطبرسي ٥٧٤ / ٨ عن أبي حمزة الثمالي .

(٣) ما بين المعقوفين كلام زائد يظهر أنه وهم من النساخ ؛ إذ لا معنى له .

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٥) ورد في زاد المسير ٤١٦ / ٦ ، وذكره السيوطي في الدر ٦٤٣ / ٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، وذكره الطبري ٤٠ / ٢٢ عن ابن زيد .

(٦) ورد في تفسير مقاتل ٩٤ ب ، وذكره السيوطي في الدر ٦٤٣ / ٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي ، وعبد الرزاق عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ، وابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٥ / ٤ .

٥٤. قوله تعالى : ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ . قال مقاتل : «أعلم الله أنه يعلم سرهم^(١) ونجواهم وعلايتهم^(٢)» ، فقال : ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ ؛ أي تظهروا ﴿شَيْئًا﴾ من أمرهن ، يعني طلحة^(٣) ؛ لقوله : يمنعنا محمد من الدخول على بنات عمنا وأضمر هذا القول ، ثم قال : ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ : يعني أو تسروه في قلوبكم ، يعني قوله : ليتزوجها من بعد موت النبي ﷺ ، فهذا الذي أخفاه ، فذلك قوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ من السر والعلاية^(٤) . قال عطاء عن ابن عباس : «وقدم هذا الرجل على ما حدث به نفسه ، فمشى إلى مكة على رجليه ، وحمل عشرة أفراس في سبيل الله ، وأعتق رقيقاً ، فكفر الله - عز وجل - عنه ورحمه»^(٥) .

قال المفسرون^(٦) : «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ قَالَ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ وَالْأَقَارِبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : وَنَحْنُ أَيْضًا نَكَلِمُهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ :

٥٥. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي عَابَائِهِنَّ﴾ الآية ؛ أي لا جناح عليهن في هؤلاء أن يروهن ويتركن الحجاب منهن» .

(١) في (أ) : (سرهن وعلايتهن) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ ب .

(٣) لا يصح مثل هذا عن صحابي كطلحة رضي الله عنه ، وقد سبق ذكر بعض أقوال العلم ممن أنكر هذه المقولة .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ أ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٢٢٨ / ١٤ .

(٦) انظر : مجمع البيان ٥٧٧ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٢٣١ / ١٤ ، وزاد المسير ٤١٧ / ٦ .

قال أبو إسحاق : « هذه الآية نزلت فيمن يحل للمرأة البروز له ، ولم يذكر العم والخال ؛ لأنها يجريان مجرى الوالدين في الرؤية ، وقد جاء في القرآن تسمية العم أبا في قوله : ﴿ وَإِلَهُاءَ آبَائِكَ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ [البقرة : ١٣٣] »^(١) .

وقال غيره : « هذه الآية تتضمن بيان بعض المحارم »^(٢) ، وقد سبق ذكر الحرم في سورة النور^(٣) ، وهذه بعض تلك الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا نِسَاءِيَهِنَّ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد نساء المؤمنين ولم يرد نساء اليهود والنصارى ؛ لأنهم يضمن لأزواجهن نساء النبي عليه السلام »^(٤) ، ونحو هذا قال مقاتل : « يعني كل حرة مسلمة »^(٥) . وقوله : ﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ ﴾ : أكثر المفسرين على أن المراد بهذا : « العبيد والإماء من الرجال والنساء »^(٦) ، وقال سعيد بن المسيب : « إنما يعني الإماء ولم^(٧) يعنِ الرجال »^(٨) . ﴿ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ﴾ أن يراكن غير هؤلاء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٩) من أعمال بني آدم ﴿ شَهِيدًا ﴾ . قال مقاتل : « يقول : لم يغيب عن الله شيء » .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٣٦ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٢٣١ .

(٣) هكذا جاءت العبارة ، وهي خطأ ، ولعل الصواب : (وقد سبق ذكر المحارم في سورة النور ، وقد سبق ذكره في تلك السورة عند تفسير الآية رقم : ٣١) .

(٤) ورد في مجمع البيان ٨ / ٥٧٧ ، وزاد المسير ٦ / ٤١٧ ، وذكر نحوه السيوطي في الدر ٦ / ٦٤٥ ، وعزاه إلى ابن مردويه عن ابن عباس .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ أ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٤٢ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٢٠ ، وزاد المسير ٦ / ٤١٨ .

(٧) في (ب) : (ولا) .

(٨) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٢٠ ، وزاد المسير ٦ / ٤١٨ ، وتفسير القرطبي ١٢ / ٢٣٤ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ أ .

٥٦. قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : إن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له بالرحمة»^(١) . قال مقاتل : «أما صلاة الرب فالمغفرة^(٢) للنبي ﷺ ، وأما صلاة الملائكة^(٣) فلاستغفار له»^(٤) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ . قال ابن عباس : «ادعوا له بالرحمة»^(٥) .

وقال مقاتل : «استغفروا ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يعني التسليم^(٦) ، فيجوز أن^(٧) يقول : سلمك الله ، وسلام عليك ، والسلام عليك ؛ فمن قال : السلام على رسول الله أو سلام عليه^(٨) أو سلمك الله يا رسول الله فقد سلم ، وإذا قال العبد اللهم صل على محمد وسلم فقد أتى بالصلاة والتسليم»^(٩) .

وروي عن كعب بن عجرة أنه قال لَمَّا نزلت هذه الآية : قلنا يا رسول الله ، قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : «فقولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد ذكره الطبري في تفسيره ٣/٢٢ من دون نسبة ، وذكره الماوردي في تفسيره ٤/٢١ عن الحسن وعطاء بن أبي رباح .

(٢) في (ب) : (فالمغفرة) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (الاستغفار) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ أ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) في (ب) : (للتسليم) .

(٧) في (ب) : أن (تقول) .

(٨) في (ب) : (عليك) .

(٩) لم أقف عليه ، وليس في تفسير مقاتل .

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).

ومعنى قوله : علمنا السلام عليك : ما نقول في التشهد : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وهذه الآية بيان عمّا في نبوة النبي ﷺ من الحق الذي يقتضي الصلاة عليه كما صلى الله عليه وملائكته ، ولهذا قال الشافعي - رضي الله عنه - : « لا تصح صلاة في الشريعة إلا بالصلاة على رسول الله والسلام عليه »^(٢).

٥٧ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ . قال الكلبي : « هم اليهود والنصارى والمشركون »^(٣) . أمّا اليهود فإنهم قالوا : يد الله مغلولة ، وإن الله فقير ونحن أغنياء ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، وإن الله ثالث ثلاثة ، وقال المشركون : الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه ، [وسبّوا]^(٤) رسول الله ، وكسروا رباعيته ، وقالوا : مجنون شاعر كذاب^(٥) ، ونحو هذا قال قتادة^(٦) .

يدل على صحة هذا التفسير ما روى عبدالله بن قيس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يجعل له يداً ويجعل له ولداً وهو

(١) رواه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ٤ / ١٨٠٢ ، رقم الحديث ٤٥١٩ ، ومسلم في كتاب : الصلاة ، باب : الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ١ / ٣٠٥ ، رقم الحديث ٤٠٦ .

(٢) الأم ١ / ١٠٣ .

(٣) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (المشركون) .

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٢٠ من دون نسبة ، والواحدي في الوسيط ٣ / ٤٨٢ ، وعزاه إلى المفسرين .

(٦) لم أقف عليه .

على ذلك معافيتهم ومعطيهم ويرزقهم»^(١). وحقيقة معنى يؤذون الله يخالفون أمر الله ، ويعصونه ، ويقولون في وصفه ما هو مُنزَّه عنه . والله تعالى لا يلحقه أذى . ولكن لَمَّا كانت المخالفة في ما بيننا والخروج عن أمر الله يسمى إيذاء له خاطبنا الله بما نعرفه في مخاطبنا .

وقوله : ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ . قال مقاتل : «يعني باللعنة في الدنيا : القتل والجلأ ، وأَمَّا في الآخرة فإن الله يعذبهم بالنار ، فذلك قوله»^(٢) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا﴾ . قال مجاهد : «يقضون فيهم بعد ما علموا ، يعني يرمونهم بما ليس فيهم»^(٣) . وروي أن رجلاً شتم علقمة فقرأ هذه الآية^(٤) .

وقال قتادة والحسن : «إياكم وأذى المؤمن ؛ فإن الله يغضب له»^(٥) .

واختلفوا في سبب نزوله ، فقال عطاء عن ابن عباس : «رأى عمر - رضي الله عنه - جارية من الأنصار متبرجة ، فضر بها ، وكره ما رأى من زينتها ، فذهبت

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : صفات المنافقين ، باب : لا أحد أصبر على أذى من الله - عز وجل - ٤ / ٢١٦٠ ، رقم ٢٨٠٤ عن عبد الله بن قيس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى ، إنهم يجعلون له نداً ويجعلون له ولداً ، وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيتهم ويعطيهم» .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ أ .

(٣) تفسير مجاهد ٥٢٠ . ومعنى يقضون : يقذفونهم ويتهمونهم بالفجور .

(٤) انظر : الوسيط ٣ / ٤٨٢ .

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ٤٥ / ٢٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٥٢ / ١٠ ، كلاهما عن قتادة ، وذكره السيوطي في الدر ٦٠٧ / ٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ، والواحد في الوسيط ٣ / ٤٨٢ ، ونسبه إلى قتادة والحسن ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٥٨٠ عن قتادة والحسن .

إلى أهلها تشكو عمر ، فخرجوا إليه فأذوه ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد عمر بن الخطاب^(١) .

وقال مقاتل : «نزلت في علي بن أبي طالب ؛ وذلك أن نفراً من المنافقين كانوا يؤذونه ، ويكذبون عليه»^(٢) .

وقال السُّدِّي والكلبي : «نزلت في أهل الفسق والفجور كانوا يتبعون الإمام بالمدينة يفجرون بهن ، فكانت المرأة من نساء المؤمنين تبرز للحاجة ، فيتعرض لها بعض الفجار يرى أنها أمة وكان الزي واحداً ، فتصيح به ، فيذهب ، فشكا المسلمون ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية»^(٣) .

٥٩ . ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء في الزي بقوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّجِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ : جمع الجلباب ، يعني ملاءة المرأة التي تشتمل بها^(٤) .

وذكرنا تفسير الجلباب في سورة النور [٣٠-٣١] . قال المفسرون في قوله : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ : «يغطين رءوسهن ووجوههن إلا عيناً واحدة ، فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى من قول ، وهو قوله : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾»^(٥) ، هذا قول ابن عباس وابن سيرين^(٦) .

(١) انظر : أسباب النزول للواحدي ٢٠٧ ، وزاد المسير ٤٢١ / ٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ أ ، وتفسير الماوردي ٤٢٣ / ٤ .

(٣) ورد في تفسير الماوردي ٤٢٣ / ٤ عن الكلبي ، وانظر : مجمع البيان ٨ / ٥٨٠ ، وزاد المسير ٦ / ٤٢١٩ .

(٤) انظر : اللسان (جلب) ١ / ٢٧٢ ، ومقاييس اللغة (حلب) ٤٧٠ .

(٥) (أدنى) مكررة في (ب) ، وهو خطأ .

(٦) ورد في تفسير الطبري ٢٢ / ٤٦ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠ / ٣١٥٤ عن ابن عباس ، وورد في مجمع البيان ٨ / ٥٨٠ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٦٥٩ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه عن ابن عباس ، وذكره الفراء في معاني القرآن ٢ / ٣٤٩ .

قال أصحابنا : «الحكم في الحرة إذا برزت لحاجة أن تلتحف حتى لا يرى منها سوى الصحيحين ، وأمّا الأمة فإنها أيضاً يأمرها بالستر والتقنع وإن كانت لا تؤمر في ذلك الزمان . كما روى أن عمر - رضي الله عنه - أنكر على أمة رآها متقنعة»^(١) . ويجوز تغير الحكم في الأزمنة بتغير أهلها ، ألا ترى أن أصحاب رسول الله ﷺ منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله ﷺ مع قوله : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»^{(٢)(٣)} .

- (١) ورد في تفسير القرطبي ١٤ / ٢٤٤ ، وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٦٦٠ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة عن أبي قلابة ، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن أنس .
- (٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١٦ - ٣٦ ، ٤٣٨ - ٤٧٥ ، ٦ / ٦٩ ، والدارمي في سننه ، كتاب : الصلاة ، باب : النهي عن منع النساء من المساجد ٢ / ٢٩٣ .
- (٣) قول المؤلف - رحمه الله - إن الفتوى تتغير بتغير الزمان هذا في ما يكون من الأحكام مبنياً على عادة النساء وعرفهم ، ومن المعلوم أن الشرع المطهر أو جب ملاحظة العرف والعادة عند تطبيق الأحكام ، لذا يجب على المجتهد المفتي أن يكون مطلعاً على أحوال الناس ، عارفاً لمجاري كلامهم في عقودهم ومعاملاتهم ، فتكون فتواه على حسب ذلك ، ومن هنا تتغير الفتوى حسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال . يقول القرافي - رحمه الله - في ما نقله عنه د . عبدالله التركي في أصول مذهب الإمام أحمد ٦٦٤ : «إن إجراء الأحكام التي مدرکہا العوائد مع تغير تلك العوائد خلاف الإجماع ، وجهالة في الدين ، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة» . اهـ .

وليس معنى هذا أن أحكام الشريعة ونصوصها تتغير ، بل إن تغير الفتوى بتغير الزمان أو المكان أو حالة الناس هو تطبيق صحيح لأحكام الشريعة ونصوصها ؛ ذلك أن الشارع الحكيم جعل تطبيق هذه الأحكام مبنياً على العرف والعادة . يقول د . عبدالله التركي في المرجع السابق ٦٦٥ : «ولذلك أو جب العلماء على المفتين إذا جاءهم مستفت من غير بلادهم ألا يفتوه بما يفتون به أهل البلد ، بل عليهم أن يسألوه عن العرف في بلده ، وهل يخالف عرف المفتي أو يتفق معه ، وهل تجدد لهم عرف إذا كان المفتي يعرف عرفهم السابق» . قال القرافي - رحمه الله - في هذا : «وهذا أمر متعين وواجب لا يختلف فيه العلماء ، وإن العادتين متى كانتا في بلدين ليستا سواء أن حكمهما ليس سواء» . اهـ .

وقد عقد ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه أعلام الموقعين ١ / ١٤ فصلاً عن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأعراف ، وقد ضرب على ذلك أمثلة كثيرة بّين فيها اختلاف الحكم من زمان إلى زمان ، ومن حال إلى حال ، وما ذاك إلا لاختلاف الزمان والحال . للاستزادة ، انظر : إعلام الموقعين ١ / ٧٠ ، والفروق ١ / ٤٤ - ٤٧ ، وأصول مذهب الإمام أحمد ، د . عبدالله التركي ٦٦٤ - ٦٧٠ .

قوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ؛ أي لَمَنْ اتبع [أمره رحيماً به] ^(١) ، قاله ابن عباس ^(٢) .

وقال مقاتل : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ في تأخير العذاب ، ﴿رَحِيمًا﴾ حين لم يعجل بالعقوبة .

٦٠ . قال : «ثم أوعدهم ، فقال : ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ عن نفاقهم .
﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ : يعني الفجور ^(٣) ، وهم الزناة ، وهو قول
جميع المفسرين ^(٤) . ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ . قالوا : «هم قوم كانوا
يخبرون المؤمنين بما يكرهون من أمر عدوهم ، ويقولون : قد أتاكم
العدو ، ويقولون [لسرايا] ^(٥) رسول الله ﷺ إنهم قتلوا وهزموا» ^(٦) .
وذكر الفرّاء أن قوماً من المؤلفة قلوبهم كانوا يرجفون بأهل الصفة
ويشنعون عليهم أنهم هم الذين يتناولون النساء لأنهم عزاب ^(٧) .
ومعنى الإرجاف إشاعة الباطل للاغتنام به ^(٨) ، وهذا مما سبق تفسيره .

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ ب .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٢٧ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٢٤ ، وتفسير هود بن محكم ٣/٣٨٢ ، وزاد المسير ٦/٤٢٢ .

(٥) لعلها : (عن سرايا) .

(٦) ورد في تفسير الطبري ٢٢/٤٨ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٢٤ ، وزاد المسير ٦/٤٢٢ ، وذكره السيوطي في الدرر ٦/٦٦٢ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) انظر : معاني القرآن ٢/٣٤٩ .

(٨) قال في «اللسان» اللسان (رجف) : «قال الليث : أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن ، قال الله تعالى : ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ، وهم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس» .

قوله : ﴿لَتُغْرِتَنَكَ بِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «لنسلطنك عليهم»^(١) ، وهو قول المفسرين وأهل المعاني^(٢) .

وقال مقاتل : «لنحملنك على قتلهم»^(٣) . ومعنى الإغراء : الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه ، وقد مر^(٤) . ومعنى الآية : [إن لم]^(٥) ينته هؤلاء أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي المدينة منهم ، وهو قوله : ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ؛ أي لا يساكنوك في المدينة . قال ابن عباس : «لا يقيمون معك بالمدينة إِلَّا قَلِيلًا﴾ إِلَّا يَسِيرًا حتى يهلكوا»^(٦) . قال الفراء : «ويجوز أن تجعل^(٧) القلة من صفة الملعونين كأنك قلت : إِلَّا قَلِيلًا ملعونين ؛ لأن قوله ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا﴾ يدل على أنهم ملعونون فيعرفون»^(٨) .

٦١ . قوله تعالى : ﴿مَلْعُونِينَ﴾ : مطرودين مبعدين عن الرحمة وعنكم ، قاله المبرّد^(٩) .

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٤٨/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٢٤/٤ ، ومجمع البيان ٥١/٨ .
 (٢) انظر : المراجع السابقة ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٤ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٤٩/٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٧٩/٥ .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٥ ب .
 (٤) عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة : ١٤] .
 (٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
 (٦) ذكره الطبري في تفسيره ٤٨/٢٢ ، والواحدي في الوسيط ٤٨٣/٣ ، والطبرسي في مجمع البيان ٥٨١/٨ ، ولم ينسبه إلى أحد ، ولم أقف على من نسبته إلى ابن عباس .
 (٧) في (أ) : (يجعل) بالياء .
 (٨) هكذا جاءت العبارة في معاني القرآن ٣٥٠/٢ ، ويجوز جعل القلة من صفتهم صفة الملعونين كقولك : «إلا أقلاء ملعونين» ؛ لأن قوله : «أينما ثقفوا أخذوا» يدل على أنهم يقلون ويتفرقون . اهـ .
 (٩) لم أقف على قول المبرّد .

قال أبو إسحاق : «ملعونين منصوب على الحال ؛ لا يجاورونك إلا وهم ملعونون»^(١) ، وذكر الفرّاء هذا القول وقولاً آخر ، فقال : «ملعونين على الشتم وعلى الفعل ؛ أي لا يجاورونك فيها إلا ملعونين . والشتم على الاستئناف كما قال : ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] فيمن نصب ، تم استئناف جزاء ، فقال : ﴿أَيْنَ مَا تُثْقَوْنَ﴾»^(٢) ؛ أي مبعدين حيث ثقفوا مبعدين حيث ثقفوا فجعل قوله ملعونين متصلاً بما بعده .

قال أبو إسحاق : «ولا يجوز أن يكون [قوله]^(٣) ملعونين منصوباً بما بعد أيضاً ، لا يجوز أن يقال : ملعوناً أينما أخذ زيد يضرب ؛ لأن ما بعد حروف الشرط لا تعمل في ما قبلها»^(٤) . وقوله : ﴿أُخْذُوا﴾ . قال مقاتل : «وجدوا وأدركوا» . ﴿أُخْذُوا وَفُتِّلُوا تَفْتِيلًا﴾ . قال : «يعني خذوهم واقتلوهم»^(٥) .

وقال المبرّد : «أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر كما قال «العقرب يقتل» ؛ أي هذا الحكم فيها»^(٦) .

٦٢ . قوله تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «المعنى : سنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيث ما ثقفوا»^(٧) ، وهذا معنى قول المفسرين في هذه الآية^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٤ .

(٢) معاني القرآن ٢/٣٤٩-٣٥٠ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٤ .

(٥) لم أقف عليه ، وليس في تفسير مقاتل .

(٦) انظر قول المبرّد في : تفسير القرطبي ١٤/٤٧ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤٢٣ من دون نسبة .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٤ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٤٩ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٢٥ ، ومجمع البيان ٨/٥٨١ ، وزاد المسير ٦/٤٢٣ ، وتفسير هود بن محكم ٣/٣٨٣ .

٦٣. قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ . قال الكلبي : «إن أهل مكة سألوا النبي ﷺ عن الساعة وعن قيامها ، فنزلت هذه الآية»^(١) ، وقال مقاتل : «إن النبي ﷺ كان يخطب ، فسأله رجل عن الساعة ، فأوحى الله إليه ، [فقال]^(٢) : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾»^(٣) . ونظير هذه الآية في سورة الأعراف ، الآية ١٨٧ .

قوله تعالى : ﴿وَمَا يَذِّرُكَ﴾ : يقال : دريت الشيء عرفته ، وأدريته غيري إذا أعلمته ، ولا معنى أي شيء يعلمك علم الساعة حتى يكون قيامها ؛ أي [أنت]^(٤) لا تعرفه . ثم قال : ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ، والباقي ظاهر إلى قوله :

٦٧. ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ : وسادة جمع سيد ، وهو فعلة مثل كتبة وفجرة ، ووجه الجمع بالآلف والتاء أنهم قالوا الجُرُزات^(٥) والطرقات والمعنات في [جمع معن]^(٦) جمع معين ، فكذلك يجوز في هذا الجمع سادات . قال أبو الحسن : «ولا يكادون يقولون سادات ، قال : وهي عربية»^(٨) .

-
- (١) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وقد ذكر السمرقندي في بحر العلوم ٦١ / ٣ قريباً منه غير منسوب إلى أحد ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٣ / ٦ .
- (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٣) في (أ) : (فقل) ، وهو خطأ .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ أ .
- (٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
- (٦) في (ب) : (الجردات) .
- (٧) هكذا في النسخ ، وهو في الحجة : (معين) ، وما بين المعقوفين زيادة من النساخ .
- (٨) الحجة ٤٨٠ / ٦ .

قال الكلبي: «قالوا ربنا أطعنا أشرافنا وعظماءنا فأز الونا عن طريق الهدى»^(١)، وقال مقاتل: «أطعنا ساداتنا في الشرف وكبراءنا وذوي الأسنان منا، قال: وهم المطعمون»^(٢) في غزوة بدر»^(٣).

﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾: الهدى وهو التوحيد، والتقدير: أضلونا عن السبيل، فلمّا حذف الجار وصار الفعل والإضلال لا يتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ [الفرقان: ٢٩] قال أبو عبيدة: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ أضلونا عن السبيل»^(٤). وذكرنا الكلام في نحو قوله: السبيل والرسول في أول السورة»^(٥).

٦٨. ثم قالت الأتباع: ﴿رَبَّنَا آتِنَهُمْ صِغْفِيرًا﴾: يعنون القادة والرؤساء؛ أي عذبهم مثل عذابنا»^(٦). قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَّا لَعْنًا كَبِيرًا﴾. قال مقاتل: «يعني اللعن على أثر اللعن»^(٧). وقرأ عاصم: (كبيراً) بالياء على وصف اللعن بالكبر، وهو العظم، والثاء أشبه بالمعنى؛ لأنهم يلعنون مرة، بعد مرة وقد جاء: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]؛ فالكثرة أشبه بالمرار المتكررة من الكبر»^(٨) [مع

(١) لم أقف على من نسبته إلى الكلبي، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٢٣٥، والواحد في الوسيط ٣/ ٤٨٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٢٤.

(٢) هكذا في النسخ، ولعل الصواب: (المطعمون) كما في تفسير مقاتل.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٩٦ أ.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٤١، وعبارة أبي عبيدة: «أضلني عن السبيل، وبجازه عن الحق والدين».

(٥) عند الآية ١٠.

(٦) هكذا في النسخ، والظاهر أنه خطأ؛ لأن عذاب القادة إذا كان مثل عذاب الأتباع فليس ضعفين، وإنما هو مثله، وليس كذلك معنى الآية، فلعل الكلام: «مثلي عذابنا».

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٩٦ أ.

(٨) الحجة ٥/ ٤٨١.

ما ذكرنا من تفسير^(١) مقاتل]. ويشهد لصحة قراءة عاصم قول الكلبي في تفسير: ﴿وَالْعَنَمُ لَعْنَا كَبِيرًا﴾: يقول عذبا كبيرا^(٢).

٦٩. قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾. قال مقاتل: «وعظ الله المؤمنين ألا يؤذوا محمداً ﷺ بقولهم زيد بن محمد؛ فإن ذلك أذى له كما آذت بنو إسرائيل موسى، فزعموا أنه آذر؛ وذلك أن موسى كان فيه حياء شديد، وكان لا يغتسل إلا وعليه إزار، وكانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، فقالوا: ما يمنع موسى أن يتجرد كما نتجرد إلا أنه آذر، فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بأرض الشام، واستتر بصخرة، فوضع ثيابه عليها، [ففرت]^(٣) الصخرة بثيابه، فاتبعتها موسى متجرداً حتى انتهى إلى [ملاً من]^(٤) بني إسرائيل، فنظرت إليه [بنو إسرائيل، فإذا هو من أحسن]^(٥) خلقاً وأعدله صورة، وليس به [الذي قالوا، فذلك قوله: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾]، [وهذا قول ابن عباس]^(٦) والحسن والمفسرين، وروي ذلك مرفوعاً عن أبي هريرة بطرق كثيرة^(٨).

-
- (١) هكذا في النسخ، والظاهر أن ما بين المعقوفين زيادة من النسخ؛ إذ لا معنى لها، فهي خطأ، والله أعلم.
- (٢) لم أقف عليه.
- (٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب).
- (٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب).
- (٥) هكذا في النسخ، وقد سقطت كلمة (الرجال)، ففي بعض روايات الحديث: «من أحسن الرجال خلقاً».
- (٦) ما بين المعقوفين طمس في (ب).
- (٧) ما بين المعقوفين طمس في (ب).
- (٨) انظر: تفسير مقاتل ٩٦ أ، وتفسير الطبري ٥١/٢٢، وتفسير الماوردي ٤/٢٧، وتفسير هود بن محكم ٣/٣٨٤، ومجمع البيان ٨/٥٨٣، وزاد المسير ٦/٤٢٥.
- والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الاغتسال، باب: من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ١/٧٨٩، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى - عليه السلام - ٤/١٨٤١.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: الوجيه ذو الوجهة، [يقال] ^(١): وجه الرجل يوجه وجهه فإذا كان ذا جاه ^(٢)، وقد قال ابن عباس: «[كان] ^(٣) عند الله] حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه» ^(٤).

وقال الحسن: «كان مستجاب الدعوة» ^(٥)، وقال مقاتل: «يعني مكيناً» ^(٦).

٧٠. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. قال الليث: «يقال: قل قولاً سديداً أو سديداً؛ أي صواباً. [والسدد مقصور] ^(٧) من السداد» ^(٨)، وأنشد لكعب:

ماذا عليها وماذا كان ينقصها يوم الترحل لو قالت لنا سَدَدًا ^(٩)

وقال شمر: «السداد الإصابة في المنطق، يقال: إنه لذو سداد في منطقته وتديره ورميه إذا كان مصيباً، ويقال: سديد إذا أتى السداد» ^(١٠).

قال ابن عباس: «قوله: ﴿سَدِيدًا﴾ صواباً» ^(١١).

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٢) انظر: لسان العرب (وجه) ٥٥٨/١٣.

(٣) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٤) انظر: تفسير الماوردي ٤/٤٢٧، ومجمع البيان ٨/٥٨٣، وزاد المسير ٦/٤٢٥.

(٥) ورد في تفسير الماوردي ٤/٤٢٧، وذكره الواحدي في الوسيط ٣/٤٨٤.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ٩٦ ب.

(٧) ما بين المعقوفين طمس في (ب).

(٨) لم أقف على قول الليث.

(٩) البيت من البسيط، وقد اختلف في نسبته؛ فهو لكعب حسب قول المؤلف، وكذا هو منسوب في كتاب العين ٧/١٨٤، والأفعال ٣/٥٠٠، وأساس البلاغة (سدد) ٢٠٦. وهو منسوب إلى الأعشى في لسان العرب (سدد) ٣/٢١٠، وغير مذكور في ديوان الأعشى، وديوان كعب بن زهير، وديوان كعب بن مالك.

(١٠) تهذيب اللغة (سدد) ١٢/٢٧٦.

(١١) انظر: تفسير الماوردي ٤/٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/٣٥٣، وزاد المسير ٦/٤٢٧.

وقال الحسن : «صادقاً»^(١) .

وقال مقاتل : «عدلاً وهو التوحيد»^(٢) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد شهادة ألا إله إلا الله»^(٣) .

وقال عكرمة والكلبي : «هو ألا إله إلا الله»^(٤) .

ومعنى الآية هو أن الله أمر المؤمنين بالتوحيد والتقوى ، ووعد عليها أن يصلح أعمالهم ، فقال :

٧١ . ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يتقبل حسناتكم»^(٥) . قال مقاتل : «يزكي أعمالكم»^(٦) .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾^(٧) . قال ابن عباس : «الأمانة الفرائض التي افترضها الله على العباد»^(٨) .

وقال الحسن : «هو الدين ، فالدين كله أمانة»^(٩) .

(١) ورد في تفسير الطبري ٥٣/٢٢ ، وعزاه إلى الكلبي ، وتفسير الماوردي ٤/٤٢٨ ، وزاد المسير ٦/٤٢٧ عن الحسن .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ ب .

(٣) انظر : زاد المسير ٦/٤٢٧ ، وتفسير القرطبي ١٤/٣٥٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٥٣/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٢٨ ، ومجمع البيان ٨/٥٨٤ .

(٥) انظر : الوسيط ٣/٤٨٤ ، ومجمع البيان ٨/٥٨٤ ، وزاد المسير ٦/٤٢٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ ب .

(٧) قوله : (والجبال) ساقط من (ب) ، وهو خطأ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٥٤/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٢٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٣٨٤ ، ومجمع البيان ٨/٥٨٤ .

(٩) انظر : تفسير الماوردي ٤/٤٢٨ .

وقال أبو العالية : «الأمانة ما أمروا به ، وما نهوا عنه»^(١) .

وقال مقاتل : «الأمانة هي الطاعة»^(٢) . والأمانة في هذه الآية في قول جميعهم : «الطاعة والفرائض التي^(٣) يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب»^(٤) .

وروى زيد بن أسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «الأمانة ثلاثة : الصلاة والصيام والغسل من الجنابة»^(٥) .

وروي عن الحسن في هذه الآية ، قال : «عرضت الأمانة على السماوات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم ، فقيل لمن : أتأخذن الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قلن^(٦) لها : إن أحستين جزيتين وإن أسأتين عوقيتن ، قلن : لا ، ثم عرضت على الأرضين السبع اللاتي شددن بالأوتاد وذللت للمهاد وأسكنت العباد ، فقيل لمن : أتأخذن الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قلن لها^(٧) : إن أحستين جزيتين وإن أسأتين عوقيتن^(٨) ، قلن : لا ، ثم عرضت على الجبال الصم الشم الشوامخ البوادرخ الصلاب الصعاب ، فقيل لمن : أتأخذن الأمانة بما فيها ؟ قلن :

(١) ورد في تفسير الماوردي ٤/ ٤٢٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٨٤ ، وذكره السيوطي في الدر ٦/ ٦٦٨ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ ب .

(٣) في (ب) : (الذي) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٨٤ ، وزاد المسير ٦/ ٤٢٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٤ .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٠٢ ، وفي تفسير البغوي ٦/ ٣٨٠ عنه الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع . وقد رجَّح الطبري - رحمه الله - في تفسيره ٢٢/ ٥٧ أن المراد بالأمانة في هذا الموضع : جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس ؛ وذلك أن الله لم يخص بقوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ بعض معاني الأمانات .

(٦) كذا في النسخ ، وهي في الوسيط : (قبل لمن) .

(٧) في (ب) : (وإن أسأتين جوزيتين عقوبتين) ، وهو خطأ .

(٨) لم أقف عليه ، وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣١٦٠ نحو هذا القول عن مجاهد .

وما فيها ؟ قيل : إن أحسنتن جزيتن وإن أسأتن عوقبتن ، قلن : لا ، فذلك قوله : ﴿ فَأَبَيَّتْ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ .

وقال ابن جريج : « قالت السموات : يا رب خلقتني وجعلتني سقفاً محفوظاً ، وأجريت في الشمس والقمر ، لا أتحمل فريضةً ، ولا أبتغي ثواباً ولا عقاباً »^(١) .

وقال مقاتل بن حيان : « بدأ الله بالسموات فعرض عليهن الأمانة ، وهي الطاعة ، فقال لهن : أتحملن هذه الأمانة ولكن علي الفضل والكرامة والثواب في الجنة ؟ قلن : يا رب ، إننا لا نستطيع هذا الأمر ، وليست بنا قوة ، ولكننا لك مطيعون . وقال للأرض مثل ذلك ، فقالت : لا صبر لنا على هذه يا رب ولا نطيقه ، ولكننا لك سامعون مطيعون ولا نعصيك في شيء تأمرنا به ، ثم قربت الجبال كلها فقلن مثل ذلك » ، وهذا قول جميع المفسرين^(٢) ، وعلى هذا يكون العرض على أعيان هذه الأشياء بأن ركب الله تعالى فيهن العقول ويفهمن^(٣) خطابهن حتى فهمن ونطقن بالجواب . ومعنى قوله : ﴿ فَأَبَيَّتْ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ ؛ أي مخافة وخشية ، لا معصية ومخالفة ، والعرض كان تحييراً لا لازماً .

قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ . قال ابن عباس : « قال الله لأدم : إني عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها ، أفتحملها أنت [بها فيها] »^(٤) ؟ قال : وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت^(٥) ، قال : فأنا أتحملها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٣١٥٩/١٠ عن ابن جريج .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٣/٢٢ ، وما بعدها ، وتفسير الماوردي ٤٢٩/٤ ، وتفسير القرطبي ٢٥٣/١٤ ، ومجمع البيان ٥٨٦/٨ ، وزاد المسير ٤٢٨/٦ .

(٣) هكذا في النسخ ، والذي يظهر أنه خطأ ، والصواب هو كما في الوسيط ٣/٨٤ : (أفهمهن خطاباً) .

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٥) في (ب) : (عوقبتن) .

بما فيها ، فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين الأولى والعصر حتى أخرجه الشيطان منها»^(١) .

وقال في رواية عطاء : ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾ يريد آدم عليه السلام ، عرض عليه أداء الفرائض والصلوات الخمس في مواقيتها ، وأداء الزكاة عند محلها ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، على أن له الثواب وعليه العقاب ، فقال : بين أذني وعاتقي»^(٢) .

وقال ابن حيان : «قال الله تعالى لآدم : أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال آدم : وما لي عندك ؟ قال : إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فذلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة ، وإن عصيت وأساءت فإني معذبك ومعاقبك ، قال : قد رضيت ربي وتحملها ، فقال الله : قد حملتها ، فذلك قوله : ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾»^(٣) .

وقال ابن عثمان : «عرضت على آدم الطاعة والمعصية ، وعرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية»^(٤) . قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ . قال الكلبي : «ظلمه حين عصى ربه فأخرج من الجنة وجهله حين احتملها»^(٥) ، وقال المقاتلان : «ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمل»^(٦) ، وهذا معنى قول المفسرين .

وقال قتادة : «ظلوماً للأمانة جهولاً بحقها»^(٧) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٣ ، وزاد المسير ٦/ ٤٢٧ .

(٢) ذكره الطبري نحوه عن ابن زيد الطبري ٢٢/ ٥٥ ، ولم أقف على رواية عطاء عن ابن عباس .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٦٠ عن مجاهد ، وابن كثير ٥/ ٥٢٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) لم أقف عليه . وقد ذكر القرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٥٣ نحو هذا القول عن ابن عباس .

(٥) لم أقف عليه ، وانظر : المرجع السابق .

(٦) لم أقف على قول ابن حبان ، وانظر قول ابن سليمان في : تفسيره ٩٦ ب .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٠ .

هذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآية مذهب الجمهور أهل التفسير ، وقال الشُّدِّي : « الأمانة هي ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانتة إياه في قتل أخيه ؛ وذلك أن الله تعالى قال لآدم إن لي بيتاً بمكة فأتته . قال آدم للسَّماء : احفظي ولدي بالأمانة فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال فأبت ، فقال لقابيل ، قال : نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ، فانطلق آدم ثم رجع وقد قتل قابيلُ هابيلَ »^(١) .

وقال أبو إسحاق : « حقيقة تفسير هذه الآية -والله أعلم- أن الله تعالى ائتمن بني آدم على ما افترض عليهم من طاعته ، وائتمن السموات والأرض والجبال بقول : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] ، فعزفنا الله أن السموات والأرض لم تحمل الأمانة ؛ أي [أدتها]^(٢) . فكل مَنْ خان الأمانة فقد حملها ، وكذلك مَنْ أثم فقد حمل الإثم ، ويسمى حاملاً للإثم . والسموات والأرض أبين أن يحملن الأمانة وأديتها ، وأداؤهما طاعتها في ما أمر الله به وترك المعصية ، وحملها الإنسان » . قال الحسن : « أراد الكافر والمنافق حملاً الأمانة ؛ أي خانا ولم يطيعا ، قال : فهذا المعنى والله أعلم صحيح ، وَمَنْ أطاع الأنبياء والصديقين والمؤمنين لا يقال ظلوماً جهولاً ، وتصديق ذلك ما يتلو هذا من قوله : ﴿ لَيُعَذِّبَ اللَّهُ ﴾ »^(٣) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٥٦ ، ٥٧ ، وزاد المسير ٦/٤٢٨ .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في النسخ جميعها ، والتصحيح من معاني القرآن وإعرابه .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٨ باختصار واختلاف في العبارة .

قال الأزهري : «وما علمتُ أحداً شرح في هذه الآية ما شرحه أبو إسحاق ، قال : ومما يؤيد قوله^(١) في حمل الأمانة أنه خيانتها وترك أدائها قول الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً وتحملُ أخرى أفرحتك الودائع»^(٢) (٣)

أراد بقوله : وتحمل أخرى ؛ أي تخونها فلا تؤدّها ، يدلك على ذلك قوله : أفرحتك الودائع ؛ أي أثقل ظهرك الأمانات التي تخونها ولا تؤديها . قال أبو علي : «وحملها الإنسان ؛ أي لم يؤدّها ؛ لأن حمل الحامل الشيء إمساك له وخلاف لأدائه وكأنه لم يؤدّ الأمانة»^(٤) .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿لِعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ .

قال المقاتلان : «ليعذبهم الله بما خانوا الأمانة ، وكذبوا الرسل ، ونقضوا الميثاق الذي أقروا به حين أخرجهم من ظهر آدم ، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بأدائهم الأمانة ، ووفائهم بالعهد والميثاق»^(٥) .

وروي عن الحسن وقتادة أنها قالا قوله : ﴿لِعَذِّبَ اللَّهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ﴾ فقالا : «هؤلاء الذين خانوها ، وهم الذين ظلموها»^(٦) .

﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ : هؤلاء أدّوها . وقال ابن قتيبة : «أي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك الم شارك»^(٧) ، فيعذبها الله ، ويظهر إيمان

(١) في (أ) : (قلبه) ، وهو خطأ .

(٢) تهذيب اللغة ٩٣ / ٥ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو ليهس العذري في لسان العرب (فرح) ٥٤١ / ٢ ، والتنبيه والإيضاح ٢٥٨ / ١ ، وتاج العروس (فرح) ١٣ / ١٧ ، وذكر من دون نسبة في تهذيب اللغة ٩٣ / ٥ ، والمخصص ٣١٤ / ١٢ .

(٤) الحجة ٢٤٦ / ٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ ب ، وتفسير الماوردي ٤٣٠ / ٤ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٥٨ / ٢٢ ، ومجمع البيان ٥٨٧ / ٨ ، وتفسير هود ٣٨٦ / ٣ .

(٧) هكذا في النسخ ، وهو عند ابن قتيبة : (المشرك) .

المؤمن فيتوب الله عليه»^(١)؛ أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في نقص الطاعات، ولذلك ذكرنا بلفظ التوبة وخصّ بالعذاب المشرك، فدلّ أن المؤمن العاصي خارج من العذاب وداخل في قوله: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ غفوراً للمؤمنين رحيماً بهم، قاله ابن عباس ومقاتل^(٢).

والله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

(١) انظر: مشكل القرآن ٨٢ .

(٢) انظر: تفسير ابن عباس ٤٢٧ بهامش المصحف، وتفسير مقاتل ٩٦ ب .

تفسير

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ أي له كل ذلك خلقاً وملكاً. ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد حيث لا يحمد أحد^(١) غيره» ، وقال مقاتل : «يعني يحمده أولياؤه في الآخرة إذا دخلوا الجنة ، فقالوا : الحمد لله الذي صدقنا وعده ، والحمد لله الذي هدانا لهذا»^(٢) . ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ . قال ابن عباس : «حكيم في خلقه أن يميتهم ثم يحييهم ، الخبير لمن أطاعه ومن عصاه»^(٣) .

(١) في (أ) : (أحداً) ، وهو خطأ ؛ لأنه نائب فاعل ، ولم أقف على القول منسوباً إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ ب .

(٣) لم أقف عليه ، وهكذا جاء في النسخ ، ولعل الصواب : (الخبير لمن أطاعه) ؛ لأنه يتعدى بالباء .

وقال قتادة : «حكيم في أمره خير بخلقه»^(١) .

٢ . ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ﴾ : يدخل . ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ : من ^(٢) مطر أو كنز ^(٣) ، قاله الكلبي وغيره ^(٤) . ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ : من زرع ونبات . ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ : من مطر أو مصيبة أو رزق . ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ : من الملائكة وأشباه ذلك من أعمال العباد . ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ، ﴿الْغَفُورُ﴾ لذنوبهم ومساوئهم ، قاله ابن عباس ^(٥) .

٣ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ . قال مقاتل : «قال أبو سفيان لكفار مكة : واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبداً ؛ أي لا نُبعث ، فلمَّا حلف على ذلك بالأصنام قال الله لنبيه : قل يا محمد : بلى وربى لتأتينكم الساعة»^(٦) ، ثم عاد إلى تمجيد نفسه ، فقال : ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ . قال أبو إسحاق : «الرفع على وجهين : أحدهما : الابتداء ، ويكون ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ الخبر ، والثاني : على جهة المدح لله عز وجل . المعنى هو عالم الغيب . ومن قرأ بالكسر فهو صفة لله عز وجل ، على

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٣٢ من دون نسبة ، والمؤلف في الوسيط ٣/ ٤٨٦ .

(٢) (من) ساقطة من (ب) .

(٣) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (أو كنز) .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٢ ، وذكره غير منسوب السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٦٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٥٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٣٢ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره غير منسوب الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٣٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٥٩٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٢ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

تقدير : الحمد لله عالم^(١) . وقرأ حمزة والكسائي : (علام الغيب) على المبالغة لقوله : علام الغيوب^(٢) ، وباقي الآية مُفسَّر في سورة يونس^(٣) .

٤ . قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . قال مقاتل : «لكي يجزي في الساعة الذين آمنوا»^(٤) . قال أبو إسحاق : «دخلت اللام جواباً لقوله : ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَٰكُمْ﴾ . ﴿لِيَجْزِيَ﴾ ؛ أي للمجازاة ، يعني من أجل المجازاة»^(٥) .

٥ . ثم بين جزاء الفريقين ، فقال : ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعني الذين آمنوا إلى قوله : ﴿رَجَزَ الْإِيمُ﴾ ، وقُرئ : (أليم) رفعاً وخفضاً . قال أبو إسحاق : «الخفض نعت للرجز ، والرفع نعت للعذاب»^(٦) .

قال أبو علي : «الرجز : العذاب ؛ بدلالة قوله : ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف : ١٣٤] ، وقوله : ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة : ٥٩] . وإذا كان العذاب جاز أن يوصف بأليم كما أن نفس العذاب قد جاز أن يوصف به ، ومن رفع فهو على نعت قوله : ﴿عَذَابٌ﴾ ، ومثل هذا في أن الصفة تجري في المضاف ، وعلى المضاف إليه أجري قوله : ﴿ثِيَابٌ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ و(خضر) ؛ فالرفع على أن يتبع الثياب ، والجر على أن يتبع السندس ، وإذا كان الثياب سندساً ، والسندس خضراً ، فالثياب كذلك ، وتقدير قوله : ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ عذاب رجز ، كما أن قوله : ﴿ثِيَابٌ سُندُسٍ﴾ معناه : ثياب من سندس . والجر في الأليم أبين ؛ لأنه إذا كان

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٠ .

(٢) انظر : الحجة ٥ / ٥ ، وعلل القراءات ٢ / ٥٤٧ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩١ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس : ٦٠] .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤١ .

عذاب من عذاب أليم كان العذاب الأول أليماً ، وإذا أجريت الأليم على العذاب كان المعنى عذاباً ، فالأول أكثر فائدة»^(١) .

٦ . قوله تعالى : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ . قال الفراء : «يرى في موضع نصب ، معناه : ليجزي الذين وليرى الذين»^(٢) ، ونحو هذا قال أبو إسحاق^(٣) . وليس المعنى ما ذكر ؛ لأن اللام في قوله : ﴿لَيَجْزِي﴾ متعلق بقوله : ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ على ما بيناه ، ولا يجوز أن يكون المعنى : لتأتينكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق ، فإنهم^(٤) وإن لم تأتهم الساعة يرون القرآن حقاً^(٥) .

قال الفراء : «وإن شئت استأنفت (ويرى)^(٦) فرفعتها»^(٧) ، وهذا هو الوجه لا ما قاله أولاً . ومعنى الرؤية هاهنا العلم . قال مقاتل : «يعني : ويعلم الذين أوتوا العلم بالله ، يعني مؤمني أهل الكتاب»^(٨) ، وقال ابن عباس : «يريد أصحاب رسول الله ﷺ»^(٩) .

(١) الحجة ٦/٦ .

(٢) معاني القرآن ٣٥٢/٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٠/٤ .

(٤) في (ب) كرر قوله : (فإنهم) ، وفي (أ) كرر الجملة : (فإنهم وإن لم تأتهم الساعة يرون القرآن حقاً) .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٦٥٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٢١/٨ ، والدر المصون ٤٣٠/٥ .

(٦) في (أ) : (تري) ، وهو خطأ .

(٧) معاني القرآن ٣٥٢/٢ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

(٩) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد ذكره أكثر المفسرين عن قتادة . انظر : الوسيط ٤٨٧/٣ ، وتفسير الماوردي ٤٣٣/٤ ، وتفسير الطبرسي ٥٩٣/٨ ، وزاد المسير ٤٣٣/٦ .

وقوله : ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هو فعل عند البصريين ، ويسميه الكوفيون عماداً ، وقد بيّنّا الكلام فيه عند قوله : ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [آل عمران : ١٨٠] . قال الفرّاء : «ولو رفعت الحق على أن تجعل (هو) اسماً كان صواباً . أنشد الكسائي :

لَيْتَ الشَّبَابَ هُوَ الرَّجِيعُ^(١) عَلَى الْفَتَى

وَالشَّيْبُ كَانَ هُوَ الْبَدِيءُ الْأَوَّلُ^(٢)

فرفع ونصب في بيت واحد»^(٣) .

قوله : ﴿وَيَهْدِي﴾ : معناه الهادي ، ولفظ المستقبل كثيراً ما يراد به لفظ الحال ، يقول : تعلمون الحق القرآن الحق الهادي . ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ . قال مقاتل : «ويدعو إلى دين العزيز في ملكه ، الحميد عند خلقه في سلطانه»^(٤) .

وقال الكلبي : «يعني المنيع بالنعمة ممن لم يجب الرسل ، المحمود في أفعاله»^(٥) .

٧ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : يعني منكري البعث . قال أبو إسحاق : «هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث ، قال بعضهم لبعض : هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم تبعثون بعد أن

(١) في (ب) : (الرجع) .

(٢) البيت من الكامل ، لم أهد إلى قائله ، وهو في معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٥٢ ، والزاهر ٢ / ٢٢٤ ، والدر المنصور ٦ / ٤٣ ، والجنى الداني ٤٩٣ من دون نسبة .

(٣) معاني القرآن ٢ / ٣٥٢ ، وقوله : (فرفع ونصب) يعني رفع في كان ، ونصب في ليت ، فالمرفوع هو البديء ، والمنصوب الشباب .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

(٥) لم أقف عليه .

تكونوا عظاماً ورفاتاً وتراباً؟»^(١) ، وهذا الذي ذكره موافق لما قاله المفسرون^(٢) .

ومعنى : ﴿إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مَزْقٍ﴾^(٣) إذا صار^(٤) قطعاً بالياً ، قال : «فُرِّقْتُمْ كُلُّ تَفْرِيقٍ ، وَقُطِّعْتُمْ كُلُّ تَقْطِيعٍ . والمزق خرق الأشياء ، والتمزيق تفعيل منه ، يقال : ثوب مزيق ممزوق متمزق ممزق إذا صار قطعاً بالياً»^(٥) .

قال ابن عباس : «يريد إذا متم وبلتتم»^(٦) .

وقال مقاتل : «إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم تراباً ، وهذا من قول أبي سفيان يقوله لكفار مكة»^(٧) .

قال أبو إسحاق : «وفي هذه الآية نظير في العربية لطيف ، ونحن نشرحه إن شاء الله . ﴿إِذَا﴾ في موضع نصب بمزقتم ، ولا يجوز أن يعمل فيها جديد ؛ لأن ما بعد أن لا يعمل في ما قبلها ، والتأويل : هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون ؟ ويكون إذا بمنزلة إن الجزاء يعمل فيها الذي يليها . قال قيس بن الخطيم :

إِذَا قُصِرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا

خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤١ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٦٠ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٣٤ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٩٣ ، وبحر العلوم ٦٦ / ٣ .

(٣) (إذا) ساقط من (أ) .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (إذا صرتم) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (مزق) ، واللسان (مزق) ١٠ / ٣٤٢ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٣٤ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٩٣ ، وزاد المسير ٦ / ٤٣٤ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

المعنى : يكون وصلها ، الدليل على ذلك جزم : فنضارب ، قال : ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمرأ ، يدل عليه أنكم لفي خلق جديد ، ويكون المعنى : هل ندلكم على رجل يقول إنكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم ؟ كما قال : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٢] ، [الصفات : ١٦] كأنهم قالوا : أئذا متنا وكنا تراباً نحاسب ونعذب ! قال : ويجوز إنكم لفي خلق جديد ؛ لأن اللام إذا جاءت لم يجز [كسر] ^(١) «إن» . انتهى كلامه ^(٢) .

قال أبو علي الفارسي : «يسأل في هذه الآية عن موضع إذا ، وبأي الأفعال يحكم على موضعه ، وفي الآية مما يمكن أن ينتصب به الظروف ثلاثة أشياء : قوله : ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ ، وقوله : ﴿مَزَقْتُمْ﴾ ، وقوله : ﴿خَلَقَ جَدِيدًا﴾ ، فلا يجوز أن يكون موضع إذا نصباً بقوله : ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ ؛ لأن إذا لا يجوز أن تكون ظرفاً لهذا الفعل ؛ لأن التنبؤ إنما تقع مثل ^(٣) الموت وأن يمزقوا بعد الموت ، فامتنع أن ينتصب إذا به ، وحمل ينبئكم على أنه بمعنى القول ؛ لأنه ضرب منه .

فأما قوله : ﴿إِذَا مَزَقْتُمْ﴾ فإن جعل موضع إذا نصباً به لزم أن يحكم على موضعه بالجزم ^(٤) ؛ لأن إذا هذه لا يجوز أن تنتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط [بها] ^(٥) بما لا يسوغ أن يحمل عليه الكتاب ؛ لأنه إنما يجزم بها في ضرورة الشعر ، وإذا لم يجز ^(٦) بها أضيف إلى الفعل ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٢٤١ / ٤ ، ٢٤٢ .

(٣) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (قبل) .

(٤) في (ب) : (لزم أن يحكم عليه بالجزم) .

(٥) «بها» ساقطة من (ب) ، «وبها» ساقطة من (أ) .

(٦) هنا سقط في النقل عن أبي علي ، فقد ورد عنه في المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ٢١٤ ما نصه : «إنما يجزم بها في ضرورة الشعر ، وإن حمل موضع (إذا) على أنه نصب والفعل غير مقدر في موضعه الجزم لم يجز ؛ لأنه إذا لم يجز بها أضيف إلى الفعل والمضاف إليه لا يعمل . . .» .

في ما قبله ، وموضع الفعل الواقع بعد إذا خفض ، وكما لا يعمل^(١) المضاف إليه في ما قبله كذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصباً بمزقتم إذا كانت قبلها وحتى مضافة إليها .

ولو قلت : زيدا غلام ضارب عندك لم يجز ، وكذلك سائر ما يتعلق بالمضاف إليه لا يجوز أن يتقدمه . ومما يدل على أن موضع الفعل بعد إذا خفض بالإضافة ارتفاع الفعل المضارع بعدها ، نحو : إذا يحيى زيد أكرمه ، والفعل المضارع ليس يرتفع حتى يقع موقع اسم مرفوع أو مجرور أو منصوب ، وهذا علة ارتفاعه ، وإنما ارتفع بعد إذا لوقوعه موقع اسم مجرور ، ولا يجوز أن يكون موضع إذا نصب بقوله جديد على تقدير : إنكم لفي خلق جديد إذا مزقتم ؛ لأن إذا قبل إن ، وما قبل إن لا يجوز أن يعمل فيه ما بعدها ، لا يجوز : طعامك إن زيدا أكل ؛ لأن إن للابتداء فهو منقطع عما قبله ، وإذا امتنع هذه الوجوه فالنائب لـ (إذا) مضمّر يدل عليه قوله : ﴿إِنكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، كأنه في التقدير : ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم أو نشرتم أو ما أشبه هذا من الأفعال التي يكون قوله : إنكم لفي خلق جديد دالاً عليه ومفسراً له . وإن قدر هذا الفعل قبل إذا كان سابقاً ، فيكون ينبئكم يقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق . قال : وقد أجاز شيخ لنا - يعني السراج -^(٢) أن يكون موضع إذا نصباً بمزقتم^(٣) ، وهو عندي ممتنع لما ذكرت لك ، ومثل هذا عندي قوله : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، وقد تقدّم الكلام فيها .

(١) في (أ) : (يفعل) .

(٢) أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن أحمد البغدادي السراج القارئ ، أديب عالم بالقراءات والنحو واللغة ، وُلِدَ سنة ٤١٧ هـ ، وقيل ٤١٩ هـ ، له مؤلفات منها : مصارع العشاق ، ومناقب الحبش ، ونظم كتاب الخرق في فقه الحنابلة جعله نظماً ، توفي - رحمه الله - سنة ٥٠٠ هـ . انظر : إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢٨ / ١٩ ، والأعلام ١٢١ / ٢ .

(٣) المسائل البغداديات ٢١٣ ، ٢١٨ .

٨. قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ : هذا أيضاً من قول الكفار بعضهم لبعض ، قالوا : افترى محمد على الله كذباً حين زعم أننا نُبعث بعد الموت ، والألف في ﴿ أَفَرَأَيْتَ ﴾ ألف الاستفهام ، وهو استفهام تعجب وإنكار . ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ . يقولون : أزعم كذباً أم به جنون ، فرد الله عليهم ، فقال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ أي ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ، هم لأجل ما قالوا ﴿ فِي الْعَذَابِ ﴾ في الآخرة ، ﴿ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ من الحق في الدنيا . وهذا الذي ذكرنا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي^(٤) .

٩. وفي هذه الآية وعظهم وخوفهم ليعتبروا ، فقال : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ . قال مقاتل : « وذلك أن الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض ؛ إن نظر قدامه ، وإن نظر خلفه »^(٥) .

وقال قتادة : « إنك إذا نظرت عن يمينك وعن^(٦) شمالك أو من بين يديك أو من خلفك كانت السماء والأرض »^(٧) .

ثم هددهم فقال : ﴿ إِنَّ شَأْنَ خَسِيفَ بِهِمُ الْأَرْضِ ﴾ فتبتلعهم . ﴿ أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴾ : يعني جانباً ﴿ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ فيهلكهم . والمعنى : أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسماي محيطة بهم ، أنا القادر عليهم لا يعجزونني ، إن شئت خسفت بهم أرضي ، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء ، أفلا يعتبرون ولا يخافون .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٢٩ ، وتفسير مقاتل ٩٧ أ . والقول غير منسوب في تفسير الماوردي ٤ / ٤٣٤ ، وبحر العلوم ٣ / ٦٧ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٩٣ .

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل ، وقد ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٣٥ ، ولم ينسبه .

(٦) في (ب) : (أو عن) ، زيادة همزة .

(٧) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٣٤ ، وتفسير الطبري ٢٢ / ٦٤ ، وبحر العلوم ٣ / ٦٧ .

وأدغم الكسائي^(١) وحده الفاء من قوله : ﴿نَخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ . قال أبو علي : «إدغام الفاء في الباء لا يجوز ، فإن جاز إدغام الباء في الفاء نحو : أذهب في ذلك ؛ وذلك أن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الشفايا العليا ، فانحدرت الصوت إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الباء صارت بمنزلة حرف من موضع التاء ، فلم يجز إدغامها في الباء كما لا يجوز إدغام التاء فيه ؛ لزيادة صوت الفاء على صوت التاء ، وكذلك الباء^(٢) أدغمت في الميم نحو : اصحب مطراً ، وإن لم تدغم هي في الباء نحو : اضمم بكرة ، لما فيها من زيادة الغنة التي ليست في التاء ، وكذلك الراء لم تدغم في اللام نحو : احتر ليلة ، وإن كانت اللام أدغمت في الراء نحو : اغسل راحتك ، فما كان من الحروف فيه زيادة وصوت لم يجز إدغامه في مقاربه العادي من تلك ، كذلك الفاء مع الباء .

اختلفوا في النون من قوله : (نشأ نخسف) أو (نسقط) ؛ فقرأ حمزة والكسائي بالياء ، في الأحرف الثلاثة ؛ لقوله : ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، والباقون بالنون ؛ لقوله في ما بعد : ﴿ءَأَيْنَا دَاوُدَ﴾ ، والنون أشبه بآتيناً^(٣) . قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ؛ أي في ما يرون من السماء والأرض ، آية تدل على قدرة الله على البعث ، وعلى ما يشاء من الخسف بهم وإهلاكهم . ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ . قال ابن عباس : «راجع إلى مرضات الله»^(٤) .

(١) انظر : الحجة في القراءات السبع ٢٩٢ .

(٢) في (ب) : (التاء) .

(٣) الحجة ٦/٧ ، ٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس ٤٢٩ ، قال : «مقبل إلى الله وإلى طاعته» .

وقال قتادة : «تائب»^(١) ، وقال الشُّدِّي : «مقبل إلى طاعة الله»^(٢) ، وقال أبو إسحاق : «إن في ذلك علامة تدل على مَنْ أناب إلى الله ، وتأمَّل ما خلق على أنه قادر على أن يحيي الموتى»^(٣) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ؛ أي أعطيناه من عندنا فضلاً . قال ابن عباس : «يريد تفضلت عليه وأعطيته ما لم أُعطِ أحداً قبله ولا بعده»^(٤) ، وقال مقاتل : «يعني بالفضل : النبوة والكتاب»^(٥) .

قال الكلبي : «يعني النبوة وما أعطي من الدنيا»^(٦) . قوله : ﴿يَجِبَالٌ﴾ . قال أبو عبيدة والزَّجَّاج : «هو مختصر . المعنى : وقلنا يا جبال ﴿أَوْبَى مَعَهُ﴾ ورجعي المسيح»^(٧) . قال المفسرون كلهم : «سبحي معه» .

قال أبو إسحاق : «أوبى معه معناه : رجعي ، يقال : آب يؤوب إذا رجع ، ومعنى رجعي معه ؛ أي سبحي معه ورجعي المسيح»^(٨) .

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٦٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ٣٩٤ .
(٢) لم أقف عليه عن الشُّدِّي ، وقد ذكر نحوه الماوردي في تفسيره ٤ / ٤٣٥ عن قتادة ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٣٥ ، ولم ينسبه .
(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٢ .
(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٣٥ ، ولم ينسبه .
(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .
(٦) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وقد ذكره أكثر المفسرين غير منسوب . انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٣٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٦٤ ، وزاد المسير ٦ / ٤٣٥ .
(٧) انظر : مجاز القرآن ٢ / ١٤٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٣ .
(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٣ .

وقال غيره : «التأويب في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل ، يقال : أوب تأويباً . والمعنى : يا جبال أوبي النهار كله إلى الليل بالتسييح^(١)» . قال سلامة بن جندل :

يومانِ يومٌ مُقاماتٍ وأنديّةٍ ويومٌ سيرٍ إلى الأعداءِ تأويبَ .
وروى أبو عبيد عن أبي عمرو : «التأويب أن يسير النهار وينزل الليل»^(٢) .

وهذا اختيار ابن قتيبة ، وأنشد للراعي ، فقال :

لحقنا بحيّ أوبوا السيرَ بعدَ ما
دفعنا شعاعَ الشمسِ والطرفُ ينجحُ^(٣)

قال : كأنه أراد أوبي النهار كله بالتسييح إلى الليل»^(٤) .

قال المفسرون : «وكانت إذا سبّح داود سبّحت الجبال معه»^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (آب) ٦٠٨ / ١٥ ، واللسان (أوب) ٢٢٠ / ١ ، ومجاز القرآن ١٤٢ / ٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (آب) ٦٠٨ / ١٥ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للراعي النميري في ديوانه ٣٩ ، ونسبه ابن قتيبة إلى ابن مقبل في غريب القرآن ٣٥٣ ، وكذا أبو حيان في البحر ٦٣ / ٧ ، والقرطبي في تفسيره ٢٦٥ / ١٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٢١١ / ٠٣ ب .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٣٥٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٦٥ / ٢٢ ، وبحر العلوم ٦٦ / ٣ ، وتفسير الماوردي ٤٣٥ / ٤ .

وقال وهب^(١) : «كان داود إذا نادى أجابته الجبال بصداها ، فصدى الجبل الذي يستمعه الناس من ذاك»^(٢) .

قوله عز وجل : ﴿وَالطَّيْرَ﴾ . قال أبو إسحاق : «في نصب (والطير) ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون عطفاً على قوله فضلاً^(٣) ، كأنه آتينا داود فضلاً والطير ؛ أي وسخرنا له الطير»^(٤) .

وروى هذا يونس عن أبي عمرو^(٥) .

وقال الفراء في هذا الوجه : هو كقولك : أطعمته طعاماً ، وسقيته ماءً^(٦) .

الوجه الثاني : أن يكون نصباً على النداء ، كأنه قيل : ادعوا الجبال والطير ، فالطير معطوف على موضع [الجبال]^(٧) في الأصل ، وكلٌّ منادى في موضع نصب^(٨) .

(١) أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني الذماري ، تقدّمت ترجمته .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٦٥ / ١٤ .

(٣) في (أ) : (فضلنا) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣ / ٤ .

(٥) انظر : علل القراءات ٥٤٩ / ٢ ، والبحر المحيط ٥٢٥ / ٨ ، والكتاب لسيبويه ١٨٦ / ٢ ، ١٨٧ .

(٦) معاني القرآن ٣٥٥ / ٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣ / ٤ .

وقال أبو عبيدة : « زعم النحويون أن سبيل نصبها كقولك : يا زيد والصلت أقبلا »^(١).

قال الفرّاء : « نصبت الصلة ؛ لأنه إنما يدعى بياء أها »^(٢) ، فإذا فقدتها^(٣) كان كالمعدول عن جهته فنصب »^(٤) . هذا كلامه . وقول أبي إسحاق : [أوجه]^(٥) .

الوجه الثالث : أن يكون الطير منصوباً على موضع مع ، كما تقول : قمت وزيداً . المعنى : مع زيد . والمعنى في الآية : أوبي معه ومع الطير^(٦) . قال ابن عباس : « كانت الطير تسبح معه إذا سبح »^(٧) .

وقوله : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ . قال ابن عباس : « حتى صار عنده مثل الشمع »^(٨) ، وقال الحسن : « كان يأخذ الحديد بيده ، فيصير كأنه عجينة »^(٩) .

وقال قتادة : « ألان^(١٠) الله له الحديد ، فكان يعمل به بغير نار »^(١١) .

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٤٣ .

(٢) في (ب) : (بيائها) .

(٣) في (ب) : (بعدها) .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٣٥٥ .

(٥) هكذا في النسخ ، والذي يظهر لي أن ما بين المعقوفين زيادة .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٣ .

(٧) انظر : الوسيط ٣ / ٤٨٨ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٣٥ ، وزاد المسير ٦ / ٤٣٦ .

(٨) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٢٦٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٥ .

(٩) نفسه .

(١٠) في (أ) : (ألانه) ، وهو خطأ .

(١١) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٦٦ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ٣٩٦ .

وقال الأعمش : «ألين له حتى كان مثل الخيوط»^(١) .

وقال مقاتل : «كان داود يسرد الدرع لا يفرغها بحديد ولا يدخلها النار ، ويفرغ من الدرع في بعض اليوم أو بعض الليلة ثمنها ألف درهم»^(٢) .

١١ . قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ . قال أبو إسحاق : «أن اعمل هاهنا في تأويل التفسير ، كأنه قيل : وألنَّا له الحديد ؛ لأن يعمل سابغات ، ويكون بمعنى : وألنَّا له الحديد ؛ لأن يعمل سابغات ، وتصل إن بلفظ الأمر ، ومثل هذا من الكلام قولك : أرسل إليه أن قم إلى فلان»^(٣) . فأما معنى سابغات فقال الليث : «سبغت الدرع ، وكل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ ، يقال : مطر سابغ ، ونعمة سابغة ، وقد أسبغها الله ، والدرع السابغة التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولاً وسعةً ، ويقال : دروع سابغات وسوابع»^(٤) ، ومنه قول الهذلي^(٥) :
أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبْعُ^(٦)

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٤ / ٤ .

(٤) انظر قول الليث في : تاج العروس (سبغ) ٢٢ / ٤٩٨ . انظر أيضاً : تهذيب اللغة (سبغ) ٤٠ / ٨ ، واللسان (سبغ) ٨ / ٤٣٢ .

(٥) أبو ذؤيب خالد بن محرت الهذلي ، مشهور بكنيته ، شاعر فحل من أشعر شعراء هذيل ، عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من طبقات فحول شعراء أهل الجاهلية ، شاعر مخضرم قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ، خرج مع عبدالله بن الزبير في مغزى نحو المغرب ، توفي سنة ٢٧ هـ تقريباً - رحمه الله - . انظر : طبقات فحول الشعراء ١ / ١٢٣ ، والشعر والشعراء ٤٤٠ ، والأعلام ٢ / ٣٢٥ .

(٦) هذا جزء من بيت ، هو :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَصَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبْعُ

وهو من الكامل لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٩ ، وتهذيب اللغة ٢ / ٣٨ ، واللسان (تبع) ٨ / ٣١ ، و(صنع) ٨ / ٢٠٩ ، والمعاني الكبير ١٠٣٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢ / ٧٦٠ . قال هذا البيت يصف متبارزين .

وقال عبدالله بن الزبير :

وسابغة تغشى البنان كأنها

أضأة بضحضاح من الماء ظاهر^(١).

قال أبو إسحاق : «ومعنى سابغات ؛ أي دروع سابغات ، فذكر الصفة ؛ لأنها تدل على الموصوف ، ومعنى السابغ الذي يغطي ما تحته حتى يفضل^(٢)» .
قال ابن عباس في قوله : ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ﴾ : «يريد : دروع الحديد»^(٣) ، وقال مقاتل : «يعني الدروع الطوال ، وكانت الدروع قبل داود إنما هي صفائح الحديد مضروبة»^(٤).

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ . قال أبو عبيدة : «في سردها ، يقال : درع مسرودة ، وقال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا»^(٥)

وقال الليث : «السرد : اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الخلق ، ويسمى سرداً ؛ لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسار»^(٥).

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٤ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٥٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٤) مجاز القرآن ١٤٣ / ٢ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سرد) ٣٥٦ / ١٢ ، وتاج العروس (سرد) ١٨٧ / ٨ .

وقال ابن قتيبة : «[والسرد : سجع المدرع]»^(١) ، «ومنه قيل لصانع الدروع : سَرَاد و زَرَاد ، تبدل من السين زايًا»^(٢) .

وقال المُبَرِّد : «السرد نقب المسامير ، يقال : درع مسرودة»^(٣) إذا أحكمت مساميرها»^(٤) . قال الأعشى :

ومن نسج داود [مصردة]^(٥) مسرودة

تساق مع الحِيِّ عيراً فغيراً^(٦)

قال الزَّجَّاج : «السرد في اللغة : مقدمة شيء إلى شيء حتى ينسق أثره في أثر بعض سابقاً ، يقال : سرد فلان الحديث سرداً»^(٧) إذا تابعه ، وسرد فلان الصوم إذا والاه ، والمتتابع^(٨) يسمى سرداً . وقيل لأعرابي : ما أشهر الحرم ؟ فقال : ثلاثة سرد وواحد فرد . ويسمى الحرز سرداً ؛ لأنه متتابعة من الحرز^(٩) ، والحرز يقال له : السراد والمسرود ، فجاء من هذا أن اعمل الدرع ، وكل شيء منه يسمى سرداً^(١٠) .

(١) ما بين المعقوفين ليس في غريب القرآن لابن قتيبة ، ويظهر أنه زيادة من النسخ ؛ إذ لا معنى له ، والله أعلم .

(٢) تفسير غريب القرآن ٣٥٤ .

(٣) في (ب) : (مسرود) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في (ب) ، وهو خطأ .

(٦) البيت من المتقارب ، وهو للأعشى في ديوانه ١٤٩ ، ومجاز القرآن ٢/٢٤٨ ، واللسان (وضن) ١٣/٤٥٠ ، فقد جاءت الرواية في اللسان : (موضونة) بدل (مسرودة) ، والموضونة هي : المنسوجة .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٤٤ .

(٨) في (ب) : (والتابع) .

(٩) في (ب) : (الحروف) ، وهو خطأ .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة ١٢/٣٥٦ ، واللسان ٣/٢١١ ، وتاج العروس ٨/١٨٦ .

وقال ابن عباس في رواية مجاهد : « لا تدق المسامير وتوسع الحلق فيسلس ، ولا يغلظ المسامير ويضيق الحلق فينقصم »^(١١) ، اجعله قدراً^(١٢) .

وقال ابن قتيبة : « السرد : المسامير التي في حلق الدرع »^(١٣) ، وهذا هو الأشبه بالمعنى ؛ لأن الكل من أهل التأويل ، قالوا في معنى الآية : « لا تجعل المسامير دقاً فتقلق ، ولا غلاظاً فتكسر الحلق »^(١٤) .

وقال مقاتل : « يقول قدر المسامير في الحلق ، ولا تعظمه فينقصم ، ولا تصغره فيسلس »^(١٥) .

وقال أبو إسحاق : « وهو أن لا يجعل المسامير غليظاً والثقب دقيقاً ، ولا يجعل المسامير دقيقاً والثقب واسعاً فيتقلقل ، قدر في ذلك ؛ أي اجعله على القصد وقدر الحاجة »^(١٦) .

وقال مقاتل^(١٧) : « ثم قال الله لآل داود : ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : « يريد اشكروا الله بما هو أهله مثل قوله : ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ »^(١٨) .

(١١) في (ب) : (فينقصم) ، وهو خطأ .

(١٢) انظر : تفسير الطبري ٦٨ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٣٦ / ٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٩٨ / ٥ .

(١٣) لم أقف عليه .

(١٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٣٩٨ / ٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٥٦ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٤ / ٤ .

(١٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(١٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٤ / ٤ .

(١٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(١٨) لم أقف عليه .

١٢. ثم ذكر ابنه سليمان وما أعطاه من الخير والكرامة ، فقال : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ . قال الفرّاء : «نصب الريح على : وسخرنا لسليمان الريح ، وهي منصوبة في الأنبياء . ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [سبأ: ٨٢] أضمر : وسخرنا ، ورفع عاصم : ولسليمان الريح ، لما لم يظهر التسخير ، وأنشد :

ورأيتما لمجاشع نعماً وبني أبيّة جاملاً^(١) رغب^(٢)

يريد رأيتم لبني أبيّة ، فلمّا لم يظهر^(٣) الفعل رفع باللام^(٤) . فقال أبو إسحاق : «النصب في الريح على الوجه ، على معنى : وسخرنا لسليمان الريح ، ويجوز الرفع على معنى : [ثبت]^(٥) له الريح ، وهو يؤول إلى معنى : سخرنا كما أنك إذا قلت : لله الحمد ، فتأويله : استقر لله الحمد^(٦) ، وهو يرجع إلى معنى : أحمد الله الحمد^(٧) .

وقال أبو علي : «وجه النصب أن الريح حملت على التسخير في قوله : ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [ص: ٣٦] ، كذلك ينبغي أن تحمل هنا عليه . ووجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان ، جاز أن يقال : له الريح ، على معنى : له

(١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (جامل) .

(٢) البيت من الكامل ، ولم أهد إلى قائله ، وهو من دون نسبة في معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٥٦-٤٠١ ، وديوان الأدب ١/ ٣٥٨ . والجمال : جماعة الجمال والنوق ، والرغب : كل ما اتسع فقد رغب رغباً .

انظر : اللسان (جل) ١١/ ١٢٤ ، واللسان (رغب) ١/ ٤٢٤ .

(٣) في النسخ : (يضمّر) ، والتصحيح من معاني القرآن للفرّاء .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٥٦ .

(٥) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من معاني القرآن وإعرابه للزجاج .

(٦) في (أ) : (الوحد) .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٥ .

تسخير^(١) الريح ، فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب ؛ لأنه المصدر المقدّر في تقدير الإضافة إلى المفعول به^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ غُدُوْهَا ﴾ ؛ أي سير غدو تلك الريح المسخرة له شهر ؛ أي مسيرة شهر ، وعلى هذا التقدير قوله : ﴿ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾ ؛ أي سير رواحها سير شهر . قال الحسن : « كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر^(٣) ، وبينهما مسيرة شهر للمسرّع ، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل^(٤) ، وما بينهما مسيرة شهر للمسرّع^(٥) .

وقال السّدي : « كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب » .

وهذا قول جماعة المفسرين^(٦) ، قالوا : « والمعنى إلى غدوها ، إلى انتصاف النهار ، إلى الليل مسيرة شهر » .

قوله تعالى : ﴿ وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ ﴾ ؛ أي أذبنا له عين النحاس .

(١) في (ب) : (لتسخير) .

(٢) الحجة ١٠ / ٦ .

(٣) اصطخر (بالكسر ، وسكون الحاء المعجمة ، والنسبة إليها اصطخري) : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصون فارس ، وفيها كانت قبل الإسلام خزائن الملوك ، ومن أشهر مدنها : البيضاء ، ومائين ، ويزد ، ينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم . انظر : معجم البلدان ١ / ٢١١ .

(٤) كابل (بضم الباء الموحدة ، ولام) : من ثغور طخارستان ، ولها من المدن : واذان ، وخواش ، وخشك ، وجزه ، غزاها المسلمون أيام بني مروان وفتحوها ، قلت : هي عاصمة جمهورية أفغانستان اليوم . انظر : معجم البلدان ٤ / ٤٢٦ .

(٥) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٣٧ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٠٨ ، ومجمع البيان ٨ / ٥٩٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٦ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٦٩ .

(٦) انظر : المراجع السابقة .

وقال ابن عباس والسُّدِّي وشهر بن حوشب ومجاهد ومقاتل : «أُجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن كمجرى الماء في صنعاء ، يعمل بها ما أحب كما يعمل بالطين ، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطي سليمان»^(١) .

وقوله : ﴿وَمِنَ الْجِنِّ﴾ ؛ أي سخرنا له من الجن . ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ ؛ أي بأمر ربه . قال مقاتل : «يعني رب سليمان»^(٢) .

قال ابن عباس : «سخرهم وأمرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم به»^(٣) .

﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾ ؛ أي ومن يعدل ﴿مِنْهُمْ﴾ من الجن ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ لهم بطاعة سليمان . ﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ . قال مقاتل : «يعني الوقود في الآخرة» ، وهو قول أكثر المفسرين .

وقال عطاء عن ابن عباس : «﴿مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الوقود» ، وهذا القول على هذا الإطلاق يحتمل ما قال بعضهم : «إن هذا العذاب لمن زاغ عن أمر سليمان كان في الدنيا ؛ وذلك أن الله تعالى وكل ملكاً بيده سوط من نار ، فمن زاغ من الجن عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقت»^(٤) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ . قال مجاهد : «بنياناً دون القصور»^(٥) .

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٧ ، وجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٠ ، وزاد المسير ٤٣٨/ ٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب .

(٣) انظر : جمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٢٩ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ ب ، وتفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، وجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وزاد المسير ٤٣٩/ ٦ .

(٥) تفسير مجاهد ٥٢٤ .

وقال قتادة : «قصور ومساجد»^(١) .

وقال الضحاك ومقاتل : «يعني المساجد»^(٢) .

وقال ابن زيد : «هي المساكن»^(٣) .

وقال أبو عبيدة : «المحراب سيد البيوت»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «أشرف موضع في الدار وفي البيت يقال له : محراب»^(٥) .

وقال المُبرِّد : «أطبّقوا على أنها لا تكون إلّا أن يرتقى إليها بدرج»^(٦) ، ومن ذلك قوله : ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص : ٢١] . وذكرنا تفسير المحراب في سورة آل عمران^(٧) .

قوله تعالى : ﴿وَتَمَثَّلَ﴾ . قال المُبرِّد : «جمع تمثال ، وهو كل شيء مثله بشيء»^(٨) ، وقال الأزهري : «التمثال اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله ، وأصله من : مثَّلت الشيء بالشيء إذا قدَّرت على قدره ، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً ، واسم ذلك الممثل تمثال»^(٩) .

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٨ ، وزاد المسير ٦/ ٤٣٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ أ ، وتفسير الطبري ٢٢/ ٧٠ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، والمحزر الوجيز ٤/ ٤٠٩ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧١ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٦ .

(٦) لم أقف على قول المُبرِّد .

(٧) عند الآية رقم : ٣٧ .

(٨) لم أقف على هذا القول منسوباً إلى المُبرِّد ، وانظر : تهذيب اللغة (مثل) ١٥/ ٩٨ ، واللسان (مثل) ١١/ ٦١٤ .

(٩) تهذيب اللغة (مثل) ١٥/ ٩٨ .

قال المفسرون : «هي صورة من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ، قالوا : وهي صورة الأنبياء والملائكة ، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ، هذا يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَجَفَّانِ﴾ : جمع جفنة ، وهي^(٢) القصعة الكبيرة ، والعدد الجففات^(٣) كالجوابي جمع الجابية ، وهي الحوض الكبير يجبي الماء ؛ أي يجمعه . قال الأعشى :

نفى الذمَّ عن رهطِ المَحْلِقِ جَفَنَةً كجابيةِ الشيخِ العراقيّ تفهقُ^(٤)

قال المفسرون : «يعني قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجلس على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها»^(٥) . والقُرَاء يختلفون في إثبات الياء في الجوابي ؛ فقرأ ابن كثير بالياء فيها وصلاً^(٦) ووقفاً ، وهو الأصل والقياس ؛ لأن هذه الياء تثبت مع الألف واللام ، ووقف أبو عمرو وبغير ياء ؛ لأنه شبهها بالفاصلة والوقف^(٧) . قال أبو إسحاق : «لأن الكسر ينوب عنها» .

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٦٨ ، وتفسير هود بن محمّد ٣/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٠ .

(٢) في (أ) : (وهو) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١١/ ١١٢ ، واللسان (جفن) ١٣/ ٨٩ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للأعشى في ديوانه ٢٢٥ ، وانظر منسوباً إليه في : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٣٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٥٩٦ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٥ . والمعنى هنا يقول : صان آل المحلق أعراضهم بالجود ، ونفى عنهم الذم جفنة ضخمة تقدم للضيّفان كأنها حوض الماء يمدّه نهر العراق . انظر : الديوان ٢٢٥ .

(٥) انظر : بحر العلوم ٣/ ٦٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٤٠ .

(٦) في (ب) : (وقفاً ووصلاً) تقديم وتأخير .

(٧) الحجة ٦/ ١٠ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٢٨ .

قوله تعالى : ﴿وَقُدُّوْهُ رَاسِيَّتٍ﴾ . قال المفسرون : «قدور عظام ، لها قوائم لا يجر كن عن أماكنها ولا يجر كن لعظمها ، ثابت على أثافيها ، تنحت من الجبال وكانت بأرض اليمن ، وكان ملك سليمان ما بين كابل ومصر»^(١) .

ثم قال : «قوله تعالى : ﴿اعْمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ لما أعطيتكم من الفضل والخير»^(٢) ؛ أي وقلنا اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما آتاكم . قال أبو إسحاق : «شكراً ينتصب على وجهين ؛ أحدهما : اعملوا للشكر ؛ أي اشكروا الله على ما آتاكم ، والثاني : ينتصب على المصدر ، كأنه قيل : اشكروا شكراً»^(٣) ؛ لأنه معنى اعملوا آل داود شكراً .

قال مجاهد : «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿اعْمَلُواْ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ قال داود لسليمان : إن الله قد ذكر الشكر ، فاكفني قيام النهار أكفك قيام الليل ، قال : لا أستطيع ، قال : فاكفني إلى صلاة الظهر فكفاه»^(٤) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ . قال المفسرون : «كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب الذي يكون في غد ، فابتلوا بموت سليمان ، فمات سليمان متكئاً على عصاه ، وبقي كذلك ميتاً سنة ، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان ، لا يشعرون في موته حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً ، فحينئذ علموا بموته ، وعلموا

(١) انظر : بحر العلوم ٦٨/٣ ، ومجمع البيان ٦٠٠/٨ ، وتفسير القرطبي ٢٧٦/١٤ ، وزاد المسير ٤٤٠/٦ .

(٢) في (ب) : (من الخير والفضل) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/٤ .

(٤) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٣١٦٣/١٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٠١/٥ ، وروح المعاني ١٢٠/٢٢ ، وأورده السيوطي في الدر ٣٨٠/٦ ، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم عن مجاهد .

الإنس أن الجن لا تعلم الغيب ، فذلك قوله : ﴿ مَا دَلَّمُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ ، قال المفسرون : «يعني الأرضة»^(١) .

وقوله : ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ : قالوا : «عصاه» . قال الشَّدي : «هي بلسان الحبشة»^(٢) ، وقال ميسرة : «هي بلغة اليمن»^(٣) .

وقال أبو عبيدة : «المنسأة التي ينسأ بها الغنم»^(٤) .

وقال الفرَّاء : «هي العصاة العظيمة التي تكون مع الراعي ، أخذت من نسأت البعير : إذا زجرته ليزداد سيره»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «المنسأة التي ينسأ بها ؛ أي يطرد ويزجر»^(٦) .

وقال أبو عبيدة : «هي التي يضرب بها»^(٧) ، وقال أبو علي الفارسي : «هي من نسأت الغنم ، إذا سقيتها»^(٨) ، وأنشدوا قول طرفة :

أُمُونٌ كَالْوَحِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدٍ^{(٩)(١٠)}

(١) انظر : تفسير الطبري ٧٤ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٤١ ، وبحر العلوم ٦٨ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ٢٤٢ / ٣ ، وغرائب القرآن ٤٥ / ٢٢ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٤١ ، وتفسير القرطبي ٢٧٨ / ١٤ ، وتفسير الطبري ٧٣ / ٢٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) مجاز القرآن ١٤٥ / ٢ .

(٥) معاني القرآن ٣٥٦ / ٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٧ / ٤ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (سقتها) . انظر : الحجة ١١ / ٦ .

(٩) في (ب) : (حدد) ، وهو خطأ .

(١٠) البيت من الطويل ، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ٢٢ ، وشعراء النصرانية في الجاهلية ٣ / ٣٠٠ ،

ولسان العرب (نسأ) ١٧٣ / ١ ، و(أرن) ١٥ / ١٣ ، وكتاب العين ٢٧٨ / ٨ . ومعنى البيت : الأمون : =

وقال المُبرِّد : « المنسأة : العصا ؛ لأنها ينسأ^(١) بها الطريق ؛ أي يقصد ، يقال : نسأت الناقة ، إذا حملتها على الطريق ، وأنشد قول طرفة^(٢) .

وأكثر القُرَّاء على همزة المنسأة . وقرأ نافع وأبو عمرو بغير همز . قال أبو عبيدة : « تركوا همزها كما ترك بعضهم همز البرنة والذرية والنبىء » . قال المُبرِّد : « بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً فيقول : منساة ، وينشدون :

إذا دبَّتْ على المنسأة مَنْ كَبِرٍ
فقد تباعدَ عنكَ اللهو والغزل^(٣)»^(٤)

وقال أبو علي : « قياس تخفيف الهمزة أن يجعلها بين بين ، إلا أنهم خففوا همزتها على غير قياس^(٥) .

قوله : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ ﴾ ؛ أي سقط ميتاً . ﴿ تَبَيَّنَتْ الْجَنُّ ﴾ الآية . قال المفسرون : « تَبَيَّنَتْ الْإِنْسُ أَنْ الْجَنِّ ﴾ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ، قالوا : وكذا^(٦) كان ابن عباس يقرأها ، بتبيَّنت الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب^(٧) .

الناقة الموثقة الخلق التي يؤمن عثارها وزللها ، والإران : النشاط ، ونسأتها ؛ أي حملتها على السير في هذا الطريق ، واللاحب : البين ، والبرجد : كساء فيه خطوط وطرائق ، فشبه الطرائق بطرائق البرجد . انظر : شرح القصائد السبع الجاهليات ١٥١ .

- (١) في (أ) : (تنسئ) .
- (٢) لم أقف على القول منسوباً إلى المُبرِّد ، وانظر : تهذيب اللغة (نسأ) ٨٤ / ١٣ ، واللسان (نسأ) ١٦٩ / ١ .
- (٣) البيت من البسيط ، ولم أقف على قائله ، وهو في اللسان (نسأ) ١٦٩ / ١ ، والصحاح (نسأ) ٦٧ / ١ ، وكذا هو في الدر المصون ٣٤٦ / ٥ ، ومجمع البيان ٥٩٥ / ٨ من دون نسبة .
- (٤) مجاز القرآن ١٤٥ / ٢ .
- (٥) الحجة ١٢ / ٦ .
- (٦) في (ب) : (وكذلك) .
- (٧) انظر : تفسير الطبري ٧٤ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٤٢ / ٤ ، وعلل القراءات ٥٤٩ / ٢ ، وتفسير القرطبي ٢٨١ / ١٤ .

وأما معنى قراءة العامة فقد ذكر [فيه] ^(١) الفراء وأبو إسحاق وجوهاً بعيدة ^(٢) .
والصحيح ما ذكر أبو عبيدة ، فقال : « تَبَيَّنَتِ الجن للناس ؛ أي تَبَيَّنَ للناس أن
الجن لا يعلمون الغيب ، ما عُيِّبَ عنهم لَمَّا كانوا في نصبهم وهو ميت » ^(٣) .
ويدل على صحة هذا المعنى قراءة يعقوب : (تَبَيَّنَت) ، بضم التاء وكسر الباء ؛ أي
علم من حال الجن أنهم لا يعلمون الغيب . وأن على ^(٤) قراءة العامة في محل الرفع
على البديل من الجن ، هذا وجه قراءة العامة . ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن الجن
كانت تتوهم أنها تعلم الغيب ، فلمَّا ابتلوا بموت سليمان ولم يقفوا عليه حتى
دلتهم الأرضة علمت أنها لا تعلم الغيب ، وعلى هذا الوجه أن في موضع نصب ،
وتَبَيَّنَت بمعنى علمت . وعلى الوجه الأول معناه : ظهرت وانكشفت ^(٥) . وذكر
ابن قتيبة الوجهين معاً ^(٦) .

قال أبو إسحاق : « المعنى : أنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم ، ما عملوا
مسخرين لسليمان وهو ميت ، وهم يظنون أنه حي يقف على عملهم » ^(٧) .

قال مقاتل : « العذاب المهين : الشقاء والنصب في العمل » ^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) انظر هذه الوجوه في : معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٤٧ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٤٦ .

(٤) في (ب) : (وأن في) .

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٠٦ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٢ ، والتبيان ٢/ ٢٧٧ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٥٥ .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٧ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٧ أ .

١٥. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: ذكر الكلام والقراءة في سبأ في سورة النمل^(١). وذكر المفسرون هاهنا ما روي عن فروة بن مسيك^(٢) أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرنا عن سبأ ما هو، رجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل وُلِد له عشرة من العرب، فتيا من ستة وتشام أربعة؛ فأما الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومدلج وحمير وأنهار». فقال رجل: ما أنهار يا رسول الله؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة»^(٣).

وقال مقاتل: «هو رجل من يشجب بن يعرب بن قحطان، يقال: سبأ بن يشجب، والمراد بسبأ هاهنا: القبيلة»^(٤).

(١) عند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَحِثُّكَ مِنْ سَبَإٍ بَنُو يَمِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]. قال: «قُرئ: (من سبأ) بالإجراء والتنوين، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو غير مجرى». قال الفرّاء: «مَنْ أَجْرَاهُ فَلَأَنَّهُ فِي مَا ذَكَرُوا رَجُلًا».

(٢) فروة بن مسيك (قيل: مسيكة) بن الحرث بن سلمة المرادي القطيعي، أبو عمر، له صحبة، وفد على النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة، فأسلم، فبعثه على مراد وزبيد ومذحج، وقد روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الشعبي وأبو سبرة النخعي وغيرهما. انظر: الاستيعاب ٣/ ١٩٤، والإصابة ٣/ ٢٠٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٧٦/ ٢٢، وتفسير الماوردي ٢٠٣/ ٤، ومجمع البيان ٨/ ٦٠٤. وأخرجه أحمد في مسنده ٣١٦/ ١ من حديث ابن عباس، إلا أنه قال: «سأل رجل النبي ﷺ...»، والترمذي في سننه، كتاب: التفسير (سورة سبأ) ٣٩/ ٥، رقم الحديث ٣٢٧٥، وقال: «هذا حديث غريب حسن»، والحاكم في المستدرک، تفسير سورة سبأ ٤٢٤/ ٢، وصحّحه الذهبي، ووافقه عليه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٩٨ أ.

قوله : (في مساكنهم) ، وقُرئ : (مسكنهم) على الواحد ، بفتح الكاف وبكسرة^(١) .

قال أبو علي : «الوجه الجمع ؛ ليكون اللفظ موافقاً للمعنى ؛ لأن لكل^(٢) ساكن مسكناً^(٣) ، ومن قال : مسكنهم ، أي يكون جعل المسكن مصدرًا وحذف المضاف ، والتقدير : في مواضع سكناتهم^(٤) ؛ فلمَّا جعل المسكن كالسكنى أفرد كما يفرد المصادر ، وهذا أشبه من أن يحمله على نحو : كلوا في بعض بطنكم ، وجلد الجواميس ، وعلى هذا قوله : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر: ٥٥] ؛ أي مواضع قعود ، ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود ، وهذا التأويل أشبه من أن يحمله على الآخر الذي لا يكاد يجيء إلَّا في شعر ، وأمَّا كسر الكاف ؛ فاسم المكان والمصدر من هذا الجنس الذي هو فعل يفعل مفتوحاً ، مثل : المحشر ونحوه ، وقد يشذ عن القياس المطرد ، هكذا والمسجد ، وسيبويه يحملها على أنه اسم البيت وليس المكان ، من فعل يفعل ، وكذلك المطلع ، والقياس : الفتح^(٥) .

وقال أبو الحسن : «المسكن بكسر الكاف لغة فاشية ، وهي لغة الناس اليوم ، والفتح لغة أهل الحجاز ، وهي اليوم قليلة^(٦)» .

وقال الفراء : «هي لغة يمانية فصيحة^(٧)» .

(١) انظر : النشر ٢/ ٣٥٠ ، وحجة القراءات ٥٨٥ .

(٢) في (ب) : (كل) ، وهو خطأ .

(٣) في (ب) : (مسكن) .

(٤) في (ب) : (مسكنهم) .

(٥) الحجة ٦/ ١٢-١٤ .

(٦) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٠٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٣ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٥٧ .

قال المفسرون : «وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن^(١) ، يدل عليه قول النابغة :

مَنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِ الْعَرَمَا»^(٢).

قوله : ﴿ءَايَةٌ﴾ ؛ أي علامة تدلهم على قدرة الله ، وأن المنعم عليهم هو الله ، ثم ذكر تلك الآية ، فقال : ﴿جَنَّاتٍ﴾ . قال الفرّاء : «جنتان مرفوعتان ؛ لأنهما تفسير للآية»^(٣) . وذكر الزّجاج وجهاً آخر ، فقال : «كأنه لَمَّا قيل : آية ، قيل : الآية جنتان»^(٤) ، وعلى هذا ارتفع بخبر الابتداء المحذوف .

قوله تعالى : ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ؛ أي يمنة ويسرة . قال مقاتل : «عن يمين الوادي وعن شماله»^(٥) .

وقال الآخرون : «عن يمين مَنْ أتاها وشماله»^(٦) .

وقال الفرّاء : «أراد عن أيماهم وشمالهم»^(٧) . والمعنى أن الجنتين أحاطت بهن وبمساكنهن يمنة ويسرة .

قوله : ﴿كُلُوا﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : قيل لهم ذلك»^(٨) .

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٣٨ / ١٤ .

(٢) البيت من المنسرح ، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ١٣٤ ، والكتاب ٢٥٣ / ٣ ، وجهرة اللغة ٧٧٣ ، وسقط اللالكئ ١٨ ، واللسان (عزم) ٣٩٦ / ١ .

(٣) معاني القرآن ٣٥٨ / ٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٨ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ أ .

(٦) انظر : بحر العلوم ٧٠ / ٣ ، ومجمع العلوم ٦٠٤ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٢٤٨ / ١٤ .

(٧) معاني القرآن ٣٥٨ / ٣ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٨ / ٤ .

وقوله : ﴿ مِنْ رَزَقِ رَبِّكُمْ ﴾ : يعني ثمار الجنتين . قال السُّدِّي وأهل التفسير : « كانت المرأة تخرج ، فتحمل مكتلاً على رأسها وتمر في البستان فتملاً مكتلها من ألوان الفاكهة ، من غير أن تمس شيئاً بيدها »^(١) .

قوله : ﴿ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ ؛ أي على ما رزقكم من النعمة . والمعنى : اعملوا بطاعته إذ أنعم عليكم بها أنعم ، وها هنا تم الكلام .

ثم ابتدأ فقال : ﴿ بَلَدٌ طَيِّبٌ ﴾ . قال أبو إسحاق : « المعنى : هذه بلدة طيبة »^(٢) .

قال مقاتل : « أرض سبأ بلدة طيبة ؛ لأنها أخرجت ثمارها »^(٣) ، فعلى هذا طيبها : كثرة ثمارها ، وقال الفراء : « ليست بسبخة »^(٤) .

وقال ابن زيد : « ليس فيها شيء مؤذٍ ، من بعوضة أو ذباب » .

قال : « ولم يكن يرى في بلدهم بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ، ويمر الغريب في بلدهم وفي ثيابه القمل فتموت كلها ، وعلى هذا طيبها : طيب هوائها »^(٥) .

قوله : ﴿ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴾ ؛ أي والله رب غفور . قال مقاتل : « وربكم إن شكرتم في ما رزقكم رب غفور للذنوب »^(٦) .

(١) أوردته المؤلف في الوسيط ٣ / ٤٩٠ عن السُّدِّي ، وابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٦٥ عنه كذلك ، وتفسير الطبري ٢٢ / ٧٧ عن قتادة ، والطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٦٠٤ ، ولم ينسبه .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ أ .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٣٥٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠ / ٣١٦٥ عن ابن زيد ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣ / ٤٩٠ عنه كذلك .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضُوا ﴾ . قال مقاتل : « عن الحق »^(١) .

وقال ابن عباس : « يريد فكفروا وكذبوا أنبياءهم »^(٢) .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ . قال المفسرون : « كان الماء يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن ، فردموا ردماً بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، وكان يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم حتى انتقض ، فدخل الماء جنتهم ففَرَّقَهَا ، ودفن السيل بيوتهم »^(٣) ، فذلك قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ .

واختلفوا في العرم ، ما هو ؟ فأكثر المفسرين على أن العرم : السكر^(٤) ، والمسناة ، وهي التي تحبس الماء^(٥) .

(١) انظر : المرجع السابق .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧٩/٢٢ ، وتفسير القرطبي ٢٨٥/١٤ ، ومجمع البيان ٦٠٥/٨ .

(٤) قال في اللسان ٣٧٥/٤ : « سكر النهر يسكره سكرأ ، سد فاه ، وكل شق سد فقد سكر ، والسكر ما سد به ، والسكر : أيضاً المسناة » . اهـ . المسناة بلغة أهل اليمن .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧٩/٢٢ ، وتفسير القرطبي ٢٨٥/١٤ ، وزاد المسير ٤٤٥/٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٠٧/٥ .

قال السُّدِّي وأبو ميسرة : «أهل اليمن يسمون المسناة العرم»^(١) ، وهو اختيار
الفرَّاء^(٢) ، وابن قتيبة^(٣) ، والمُبَرِّد ، قال : «العرم جمع عرمة ، وهي الحاجز بين
الشيئين ، يسمى السكر»^(٤) ، واحتجوا بقول الجعدي^(٥) :

إذْ يَبْنُونَ دُونَ سَيْلِهِ الْعَرَمَا

وقال مقاتل : «العرم اسم الوادي»^(٦) .

وقال ابن الأعرابي : «العرم السيل الذي لا يطاق»^(٧) ، وعلى هذا دل كلام
ابن عباس ، قال : «[يريد]^(٨) لا يمر بشيء إلاَّ غَرَقَه»^(٩) ، وقال مقاتل : «العرم
اسم الوادي»^(١٠) .

وحكى أبو إسحاق في العرم قولين آخرين ؛ أحدهما : أن العرم اسم الجرذ
الذي بنوا^(١١) للسكر عليهم ، وهو الذي يقال له : الخلد ، وذكر ابن الأعرابي أن

(١) ورد في تفسير الطبري ٧٩/٢٢ ، والمحزر الوجيز ٤/٤١٤ ، والبحر المحيط ٨/٥٣٣ ، ولم أقف على
مَن نسبته إلى السُّدِّي .

(٢) معاني القرآن ٢/٣٥٨ .

(٣) تفسير غريب القرآن ٣٥٥ .

(٤) الكامل ٣/١٠٣٣ .

(٥) هو النابغة الجعدي ، وقد سبق التعريف به ، وتخريج البيت كذلك .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عرم) ٢/٣٩٠ .

(٨) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٩) ذكر المفسرون تفسير ابن عباس للعرم بأنه الشديد . انظر : تفسير الطبري ٢٢/٨٠ ، والمحزر الوجيز
٤/٤١٤ ، وزاد المسير ٦/٤٤٥ .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(١١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (الجرذ الذي ثقب السكر عليهم) . انظر : معاني القرآن
وإعرابه ٤/٢٤٨ .

العرم من أسماء الفأر^(١). الثاني: أن العرم هو المطر الشديد^(٢). وأصل هذا كله من العرامة، وهي الشدة، ومثله: العرام، ورجل عارم: شديد لا يطاق^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ ذَوَاقَ أَكْلِ خَمَطٍ﴾. قال ابن عباس: «يريد اللتين كان فيهما الفواكه والثمار». ﴿ذَوَاقَ أَكْلِ خَمَطٍ﴾. قال ابن عباس: «يريد الأراك»، وهو قول مجاهد وقتادة ومقاتل والسُّدِّي، قالوا: «الخمط: الأراك»^(٤). قال قتادة: «وأكله البرير»^(٥).

وقال أبو عبيدة: «الأكل الجني، والخمط: كل شجرة [ثمرة]^(٦) ذات شوك»^(٧)، ونحو هذا قال ابن قتيبة؛ فإن الأكثرين على أن الخمط اسم شجرة^(٨). وإذا كان كذلك، فالأحسن قراءة مَنْ لم ينون الأكل وأضافه؛ وذلك أن الأكل إذا كان الجناء، فإن جنا^(٩) كل شجرة منه، والتنوين في هذا ليس في حسن الإضافة؛ وذلك لأن^(١٠) الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف للأكل، وإذا^(١١) لم يكن

(١) انظر: تهذيب اللغة ٢/ ٣٩١.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٨.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٢/ ٣٩٠، واللسان ٢/ ٣٩٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٨١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٦، وزاد المسير ٦/ ٤٤٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٨١، وتفسير هود بن محكم ٣/ ٣٩٤، وزاد المسير ٦/ ٤٤٦. البرير: ثمر

الأراك. انظر: اللسان.

(٦) ما بين المعقوفين لعله زيادة من النساخ؛ إذ ليس من كلام أبي عبيدة.

(٧) مجاز القرآن ٢/ ١٤٧.

(٨) تفسير غريب القرآن ٣٥٦.

(٩) في (ب): (الجنأ).

(١٠) في (ب): (أن).

(١١) في (ب): (وإذا كان)، زيادة كان، وهو خطأ.

وصفاً ، لم يجرِ على ما قبله كما يجري على الموصوف ، والتبدل ليس بالسهل أيضاً ؛ لأنه ليس هو ولا بعضه ؛ لأن الجنا من الشجرة ، وليس الشجرة من الجنا^(١) .

قال أبو الحسن : « في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا ، مثل : دار آجر ، وثوب خز » .

قال : و « أَكْلِي خَمَطٍ » بالتنوين ، ليس بالجيد في العريية^(٢) . واختار أبو عبيد التنوين ، قال : « لأن الأكل هو الخمط في التفسير ، فالنعت أولى به من الإضافة » ، هذا قول أبي عبيد^(٣) . والمفسرون على خلاف ما قال ؛ فإنهم جعلوا الخمط الشجر لا الأكل^(٤) ، وقد قال ابن الأعرابي : « الخمط ثمر شجر يقال له : فوه الضبع ، على صورة الخشخاش ، ينفرك ، ولا ينتفع به »^(٥) .

قال أبو إسحاق : « يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من المראה حتى لا يمكن أكله : خمط »^(٦) ، ونحو هذا قال المبرّد .

ومنه قيل للبن إذا أحمض : خمط^(٧) . فهؤلاء جعلوا الخمط اسماً للمأكل ، فيصح على هذا التنوين في الأكل .

(١) انظر : علل القراءات ٢ / ٥٥١ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٠٣ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٣٦ .

(٢) انظر : مجمع البيان ٨ / ٦٠٣ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٨٧ .

(٣) لم أقف عليه ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن ٦٦٤ ، وقد اختاره المبرّد .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٨١ ، وتفسير هود بن محكم ٣ / ٣٩٤ ، وبحر العلوم ٣ / ٧٠ ، وزاد المسير ٤٤٦ / ٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ٧ / ٢٦٠ ، واللسان ٧ / ٢٩٦ ، وروح المعاني ٢٢ / ١٢٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٩ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٢٨٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٦٤ .

قوله : ﴿وَأَثَلِ﴾ . قال مقاتل : «يعني شجرة تشبه الطرف ، يتخذ منه الأقداح»^(١) ،

وقال الفرّاء : «الأثل شبه بالطرف ، إلا أنه أعظم منه طولاً»^(٢) .

قال الأزهري : «هو يشبه الطرف إلا أنه أكرم منه ، تُسَوَّى منه الأقداح الصفر الجياد ، ومنه اتخذ منبر النبي ﷺ . وللاثل أصول غليظة يُسَوَّى منها الأبواب وغيرها ، وورقه عبل كورق الطرف»^(٣) .

قال ابن الأعرابي : «والأثل منبت الأراك»^(٤) .

قوله : ﴿وَشَقَى مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ . قال الأزهري : «السدر من الشجر سدران : أحدهما : سدر بري لا ينتفع بثمره ، ولا يصلح ورقه للغسول ، وربما خُطط للراعية ، وله ثمر عفص لا يؤكل ، والعرب تسميه الضال . والجنس الثاني من السدر ينبت على الماء ، وثمره النبق ، وورقه غسول ، يشبه شجر العناب إلا أن ثمره أصفر مُرٌّ يتفكه به»^(٥) .

وقال الفرّاء : «ذكروا أنه الثمر»^(٦) ، وقال مقاتل : «ثمرة السدر النبق»^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٢) معاني القرآن ٣٥٩ / ٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٣٢ / ١٥ .

(٤) انظر قول ابن الأعرابي في : تهذيب اللغة ١٣١ / ١٥ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ٣٥٣ / ١٢ .

(٦) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (السمر ، واحده سمرة) . انظر : معاني القرآن ٣٥٩ / ٢ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

وقال الشُّدِّي : «هذا السدر قليل ، يعني : أن الخمط والأثل كانا أكثر في جنتيهما من السدر»^(١) . قال قتادة في الآية : «بينما شجر القوم من خير الشجر ؛ إذ صيَّره الله من شر الشجرة»^(٢) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ ﴾^(٣) إشارة إلى ما ذكر من التبديل . قال أبو إسحاق : «وموضع ذلك نصب . المعنى : ﴿ جَزَيْنَهُمْ ﴾ ذلك ﴿ بِمَا كَفَرُوا ﴾»^(٤) .

﴿ وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴾ ؛ بالنون قرأ حمزة والكسائي ؛ لقوله : ﴿ جَزَيْنَهُمْ ﴾ ، ولم يقولوا جوزوا ، مَنْ قرأ : (يجازي) بالضم بنى الفعل للمفعول به ، والمجازي هو الله ، فمعنى القراءتين سواء . وفي تخصيص الكفور بالمجازاة أقوال : أحدها^(٥) : أن المؤمن يكفر عنه ذنوبه بطاعته ، فلا يجازى بذنوبه التي تكفر ، قال الله تعالى : ﴿ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ ﴾ [محمد : ٢] ، وقال : ﴿ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] ، والكافر يجازى بكل سوء يعمله ، وهذا قول أبي إسحاق وأبي علي^(٦) .

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى الشُّدِّي ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣ / ٤٩١ ، والطبرسي في مجمع البيان

٨ / ٦٠٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٤٦ من دون نسبة .

(٢) انظر : المراجع السابقة ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٨٧ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٩ .

(٥) في (ب) : (أحدهما) .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٩ ، والحجة ٦ / ١٧ ، ١٨ .

وقال الفرّاء : «معنى جزيناه كافيناه»^(١) ، والسيئة للكافر بمثلها سيئة ، وأمّا المؤمن فيجزى ولا يجازى ؛ لأنه يزداد ويتفضل عليه ، وقد يقال : جازيت بمعنى جزيت ، وأبين الكلام على ما وصفت»^(٢) ، هذا كلام أهل المعاني^(٣) .

وأما المفسرون فقال مقاتل : «وהל نكافئ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه»^(٤) ، وهذا كقول الفرّاء .

وقال طاوس : «يجازى الكفور ولا يغفر له ، والمؤمن لا يناقش الحساب»^(٥) .

وقال مجاهد : «وהל يجازى : يعاقب»^(٦) ، وهذا معنى وليس بتفسير ، وبيانه ما ذكر ابن عباس في رواية عطاء ، قال : «يريد لا أجازي بالعقاب إلا مَنْ كفر ربوبيتي وجحد نعمتي . فأضمر العقاب والمجازاة»^(٧) . وأدغم الكسائي لام هل في نون نجازي ، وهو جائز ، حكاه سيبويه ، قال سيبويه : «البيان أحسن ؛ لأنه قد امتنع أن يدغم في النون شيء سوى اللام ، فكأنهم يستوحشون من الإدغام فيها»^(٨) .

١٨ . قوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا عطف على قوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾^(٩) الآية . يعني : وكان من قصتهم أنا ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ؛

(١) في (ب) : (جزيناهم أفيانهم) .

(٢) معاني القرآن ٢ / ٣٥٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥ / ٤٠٩ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٥٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٤٩ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥ / ٤٠٩ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٨٨ ، وتفسير ابن كثير ٥ / ٥٤٣ .

(٦) تفسير مجاهد ٥٢٥ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) الحجة ٦ / ١٨ .

(٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٠ .

أي بين سبأ ﴿وَيَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ . قال المفسرون : «قرى الشام والأرض المقدسة : الأردن ، وفلسطين»^(١) . قال مقاتل : «باركنا فيها بالشجر والماء»^(٢) . قوله : ﴿قُرَىٰ ظَهْرَةَ﴾ . قال أبو إسحاق : «كان بين سبأ والشام قرى متصلة بعضها ببعض ، يبيتون بقرية ، ويقيمون بقرية ، لا يحلون عقدة حتى يرجعوا إلى أهلهم»^(٣) ، [ساعون من حيث نزلوا ما يأكلون]^(٤) ، لا يحتاجون من وادٍ شيئاً إلى زاد»^(٥) . وحقيقة معنى قوله ظاهرة أن الثانية تظهر من الأولى لقربها منها ، كما قال الحسن : «كان أحدهم يغدو فيقول في قرية فيروح فيأوي إلى قرية ، فإذا خرج من إحداها رأى الأخرى فظهرت»^(٦) . [أي]^(٧) .

وقال صاحب النظم : «ليس من قرية إلا وهي ظاهرة . والمعنى أنها قرى متقاربة تتوالى ، فإذا كان الرجل في قرية منها كانت التي تليها ظاهرة لعينه ينظر إليها» .

قوله تعالى : ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ . قال مقاتل : «للمبيت والمقيل من قرية إلى قرية»^(٨) . قال الفراء : «جعل ما بين القرية إلى

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٨٣ ، وتفسير هود بن محكم ٣ / ٣٩٥ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٨٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٣) في (ب) : (أهلهم) .

(٤) ما بين المعقوفين يظهر - والله أعلم - أنه كلام زائد من النسخ ؛ إذ لا معنى له .

(٥) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب كما هو في معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٤٤٤ : (لا يحتاجون من وادي سبأ إلى الشام إلى زاد) .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٨٩ ، وزاد المسير ٦ / ٤٤٨ .

(٧) هكذا في النسخ ، ويظهر أنها زائدة من النسخ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

القرية نصف^(١) يوم ، فذلك تقدير السير^(٢) . قال أبو إسحاق : «جعلنا سيرهم بمقدار ، حيث أرادوا أن يقيموا حلوا بقرية»^(٣) .

وقال ابن قتيبة : «جعلنا السير بين القرية إلى القرية مقداراً واحداً»^(٤) .

وقوله : ﴿سِيرُوا﴾ ؛ أي وقلنا لهم سيروا . ﴿فِيهَا﴾ : في تلك القرى .

﴿لِيَالِي وَيَالِيَا﴾ : متى شئتم السير ؛ ليلاً ، أو نهاراً .

﴿ءَامِنِينَ﴾ من الجوع والعطش والسباع والتعب ، ومن كل خوف ، قاله ابن عباس ومقاتل^(٥) .

١٩ . قال المفسرون : «ثم إنهم سئمو الراحة وبطروا النعمة ، وكرهوا ما كانوا فيه من الخصب»^(٦) والسعة في كفاية القدح في المعيشة كقوم موسى حين قالوا : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ إلى قوله : ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْفَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] ، وهؤلاء من جملة من دخل في قوله : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] ، فلم يشكروا ربهم ، وسألوا أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض : ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ؛ أي اجعل بيننا وبين الشام فلولاً ومفاوز ؛ لنركب إليها الرواحل ، ونتزود الأزواد . وقُرئ : ﴿بَعْدَ﴾ ، وهو مما فيه وفعل بمعنى واحد كقولك : ضاعف وضعف ،

(١) في (ب) : (لضعف) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن ٣٥٩ / ٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٠ / ٤ .

(٤) تفسير غريب القرآن ٣٥٦ .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٠ ، وتفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٦) في (ب) : (الخطب) ، وهو خطأ .

وكذلك خلافه^(١) قارب وقرب . ومعنى قراءة مَنْ قرأ على الخبر : ﴿رَبَّنَا بَعْدَ﴾ أنهم استبعدوا سفرهم على قرية بطراً وأشراً ، وقراءة العامة معناها الدعاء وسؤال الله أن يبعد بين أسفارهم^(٢) .

وقوله : ﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم»^(٣) .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ : يريد لعن بعدهم ، يتحدثون بأمرهم وشأنهم .

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ : مزقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق ؛ وذلك أن الله تعالى لَمَّا غَرَّقَ مكانهم وأذهب جنتيهم تبددوا في البلاد ، فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة ، فيقولوا : تفرَّقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ^(٤) .

قال الشاعر :

مَنْ صَادِرٍ أَوْ وَارِدٍ أَيَدِي سَبَأٍ^(٥)

وقال كثير :

أَيَادِي سَبَأٍ يَا عِزُّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ فَلَمْ يَحُلْ بِالْعَيْنِينَ بَعْدَكَ مَنْظَرٌ^(٦)

(١) في (ب) : (خلاف) .

(٢) الحجة ١٩ / ٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٠ .

(٤) هذا مثل للعرب ، يضرب للقوم إذا تفرقوا . انظر : مجمع الأمثال ٤ / ٢ .

(٥) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله ، وهو في معاني القرآن وإعرابه ٢٥١ / ٤ ، واللسان ٩٤ / ١ من دون نسبة .

(٦) البيت من الطويل ، وهو لكثير عزة في ديوانه ٣٢٨ ، وشرح شواهد المغني ٦٨٧ / ٢ ، واللسان ٩٤ / ١ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : يعني في ما فعل بسبأ . ﴿لَا يَنْتِ﴾ : لعبراً ودلالات . ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ . قال ابن عباس : «عن معاصي الله ، (شكور) لأنعم الله»^(١) .

وقال مقاتل : «يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء إذا ابتلي ، شاكراً لله على نعمه»^(٢) .

٢٠ . قوله : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِيْلُسُ ظَنَّهُ﴾ ، وقُرئ : (صَدَقَ) بالتشديد والتخفيف .

قال أبو إسحاق : «صدقه في ظنه أنه ظن بهم أنه إذا أغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك ، فَمَنْ شَدَّدَ نَصْبَ الظن ؛ لأنه مفعول به ، وَمَنْ خَفَّفَ نَصْبَ الظن ، على معنى صدق ظناً ظنه ، وصدق في ظنه»^(٣) . هذا كلامه . وشرحه أبو علي ، فقال : «معنى التخفيف أنه صدق ظنه ؛ أي الذي ظن بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم ، وذلك نحو قوله : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف : ١٦] ، و﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٣٩] ، وهذا ظنه ؛ ذلك عن يقين ، لأنه لم يقل بظنه^(٤) على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ، ويجوز تعديته إلى المفعول به كما قال :

فَإِنْ تَكُ ظَنِّي صَادِقِي فَهُوَ صَادِقِي^(٥)

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد أورده المؤلف في الوسيط ٣/ ٤٩٣ ، والماوردي في تفسيره ٤/ ٤٤٦ ، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩١ من دون نسبة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٨ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥١ .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (فظنه) ، كما في الحجة ٦/ ٢١ .

(٥) شطربيت من الطويل ، لم أقف على قائله ، وقد ورد في إملاء ما من به الرحمن ٢/ ١٩٧ ، وكذا في الدر المنون ٥/ ٤٤٢ ، وجاء البيت بتمامه في مجمع البيان ٨/ ٦٠٧ برواية :

إِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهُوَ صَادِقِي بِشْمَلَةٍ يَجْبِسُهُمْ بِهَا مَحْبِساً وَعِراً

وقد نسبته محققه إلى مكبرة بنت بردام شملة ، تقول : «إِنْ يَكُ ظَنِّي بِشْمَلَةً صَادِقاً يَجْبِسُهُمْ ؛ أي القوم الذين قتلوا أباه بتلك المعركة محبساً صعباً يدركه فيه ثأر أبيه» .

ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف على تقدير : صدق عليهم الظن ، على أنه مفعول به ، وعدّي صدق إليه كما قال :

فإن لم أصدق ظنك بتيقن فلا سقت الأوصال منّي الرواعد^(١) .

واختلف المفسرون في هذه الآية ؛ فمذهب ابن عباس في رواية عطاء أزال كناية في قوله : ﴿صَدَقَ عَلَيْهِمْ﴾ عن أهل سبا^(٢) ، وقال في قوله : ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : «يريد قليلاً من الذين صدقوا الأنبياء وآمنوا بالله ، وعلى هذا الاستثناء من سبا ، وهم من آمن منهم» . ومذهب مجاهد^(٣) أن الكناية عن الناس كلهم ، قال : «صدق ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله» ، وهو ظاهر مذهب المفسرين . قال مقاتل : «يعني عباده المخلصين لم يتبعوهم في الشرك^(٤) ، وهم الذين قال الله : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر : ٤٢]» .

٢١ . وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى ما امتحنا بإبليس إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم ، وهو الذي يجازون عليه^(٥)» . وشرح ابن قتبية الآيتين شرحاً شافياً ، فقال : «إن إبليس لمّا سأل الله النظرة فأنظره قال : ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مِئِينَهُمْ وَلَا مُؤْمِنِينَهُمْ وَلَا مُؤْمِنِينَهُمْ﴾ الآية ، وقال : ﴿لَا تَحْزَنْ مِّنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٦) ، وليس هو في وقت هذه المقالة

(١) بيت من الطويل ، لم أقف على قائله .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨٧ / ٢٢ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٠ .

(٣) انظر : مجمع البيان ٦٠٨ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٢٩٢ / ١٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٢ / ٤ .

(٦) قال تعالى : ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ ﴿٣٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَحْزَنْ مِّنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٣٨﴾ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مِئِينَهُمْ وَلَا مُؤْمِنِينَهُمْ وَلَا مُؤْمِنِينَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ إِذَا ذَاكَ أَلْفَعُوا وَلَا تُؤْمِنُهُمْ فَلْيَعْرِضْ خَلَقَ اللَّهُ ﴿[النساء : ١١٧-١١٩]﴾ . وقال : ﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٣٩] .

مستيقناً أن ما قرره فيهم يتم ، وإنما قاله ظاناً ، فلمَّا اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم ، ثم قال : وما كان تسليطنا إياه ^(١) إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين ، يعني نعلمهم موجودين ظاهرين ، فيحق القول ويقع الجزاء ، فأراد جل وعز : ما سلَّطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمن ظاهراً ، وكفر الكافر ظاهراً موجوداً كقوله : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ^(٢) ، وقد مرَّ الكلام فيه ^(٣) ، وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وجميع المفسرين في هاتين الآيتين ^(٤) . قوله : ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ . قال مقاتل : «كل شيء من الإيمان والشك رقيب» ^(٥) .

٢٢ . قوله : ﴿قُلْ﴾ ؛ أي لكفار مكة . ﴿ادْعُوا﴾ : استنصروا ، واستعينوا كقوله : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ [البقرة : ٢٣] ، وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ [الأعراف : ١٩٧] .

وقوله : ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ؛ أي الذين زعمتم أنهم آلهة وأنهم ينصرونكم ، فأضمر مفعول الزعم . قال المفسرون ^(٦) : «يعني الشركاء والملائكة وجميع من عبدوهم من دون الله» .

(١) في (ب) : (إلا إياه) ، وهو خطأ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣١١ ، ٣١٢ .

(٣) عند تفسير الآية رقم : ١٤٢ من سورة آل عمران .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨٧/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٤٧ ، ومجمع البيان ٨/٦٠٨ ، وزاد المسير ٤٤٩/٦ ، وتفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٨٨/٢٢ ، وبحر العلوم ٧٢/٣ ، وتفسير القرطبي ١٤/٢٩٥ ، وزاد المسير ٤٥١/٦ .

قال مقاتل : «يقول : ادعوهم فليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع»^(١). ثم وصفهم وأخبر عنهم ، فقال : ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ أي من خير وشر ونفع وضر . ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ : يريد ما شاركونا في شيء من خلقهما . ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ : وما لله . ﴿مِنْهُمْ﴾ : من الشركاء والمعبودين . ﴿مَنْ ظَهَرَ﴾ : من معين على شيء . قال مقاتل : «ثم ذكر الملائكة الذين يرجون شفاعتهم» .

٢٣ . وقوله : ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ﴾ : يعني شفاعاة الملائكة . ﴿عِنْدَهُ﴾ : عند الله^(٢) . ﴿إِلَّا لِمَنْ أِذْنُ لَهُ﴾ : قُرئ : بضم الهمزة وفتحها ؛ فَمَنْ فتح بنى الفعل للفاعل ، وأسندته إلى ضمير اسم الله ؛ لقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ ، وَمَنْ ضم الهمزة بنى الفعل للمفعول وهو يريد هذا المعنى^(٣) . والآذن في القراءتين هو الله تعالى ، كقوله : ﴿وَهَلْ تُجْزَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ﴾ ، والمجازي في الوجهين هو الله تعالى . قال الفرّاء : «أي لا تنفع شفاعاة ملك مقرب ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعاة» ، ويقال : «حتى يؤذن له فيمن يشفع ، فيكون (مَنْ) للمشفوع له»^(٤) .

وذكر أبو إسحاق أيضاً الوجهين جميعاً ، فقال : «ويجوز أن يكون [مَنْ]^(٥) في قوله : ﴿لِمَنْ أِذْنُ لَهُ﴾ للشافعين ؛ لأنه كُنِيَ عنهم بقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ، والذين فزع عن قلوبهم هاهنا الملائكة» . هذا كلامه . وتقدير

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٣) انظر : علل القراءات ٥٥٣/٢ ، وحجة القراءات ٥٨٩ .

(٤) معاني القرآن ٣٦١/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

الوجهين : إِلَّا لِمَنْ أذن له في أن يشفع إذا كان (مَنْ) للشافع ، وإن جعلت (مَنْ) للمشفوع فالتقدير : إِلَّا لِمَنْ أذن له في أن يشفع له^(١) .

وكلام المفسرين في هذه الآية يدل على أن (مَنْ) للمشفوع له . قال ابن عباس : «يريد لا تشفع الملائكة إِلَّا لِمَنْ وَحَّدَ اللهُ^(٢) كقوله في الأنبياء ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]» ، وقال مقاتل : «لا تنفع شفاعة الملائكة عنده لأحد إِلَّا لِمَنْ أذن له أن يشفعوا له من أهل التوحيد» ، قال : «ثم أخبر عن خوف الملائكة^(٣)» ، فقال : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ، وقرأ : (فَزِعَ) بفتح الفاء والزاي .

قال أبو عبيدة : «﴿فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ : نُفِسَ عنها»^(٤) .

وقال الفراء وأبو إسحاق : «فزع : كشف الفزع عن قلوبهم ، وفزع : كشف الله الفزع عن قلوبهم»^(٥) . ومعنى القراءتين سواء كما ذكرنا في أذن وأذن^(٦) .

والتفريع يريد المعنيين : أحدهما إزالة التفريع بالتمريض^(٧) ، وقد جاء مثل هذا في أفعل ، قالوا : أشكاه^(٨) إذا أزال عنه ما يشكوه ، ويقال : فزعه وأفزعه إذا رَوَّعه . قال ابن عباس : «يريد سَوَّى عن قلوبهم»^(٩) ، وقال قتادة والكلبي : «جُلِّي

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٢ / ٤ .

(٢) انظر : الوسيط ٢٩٤ / ٣ ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٤) مجاز القرآن ١٤٧ / ٢ .

(٥) معاني القرآن ٣٦١ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٥٣ / ٢ .

(٦) الآية رقم : ٢٧ من سورة الحج . قال : «معنى التأذين : النداء والتصويت للإعلام ، ثم أحال على قوله : ﴿فَإِذْ مَوْذَنُ بَيْنَهُمْ﴾ ، وقوله : ﴿أَذِّنْ مَوْذَنُ أَيْتَهَا الْغَيْرُ﴾ .

(٧) في الوسيط . والتفريع : إزالة الفزع كالتمريض ، فلعل ما أثبت هنا خطأ ، والصواب ما بيّنته من الوسيط .

(٨) في (ب) : (مشكاه) .

(٩) ذكر بعض المفسرين قول ابن عباس : «جلي عن قلوبهم» . انظر : تفسير الماوردي ٤ / ٤٨٤ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٢٩٥ .

عن قلوبهم»^(١)، وقال مقاتل : «انجلى الفزع من قلوبهم»^(٢)، وهو معنى وليس بتفسير . وأمّا معنى الآية فروي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ف ﴿إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ الآية»^(٣) .

وروي عن أنس بن سمعان^(٤) أنه قال : «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماوات منه رعدة شديدة خوفاً من الله ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا»^(٥) وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله بما أراد من وحيه ، فيمضي به جبريل على الملائكة سماءً سماءً ، كلما مرّ بأهل سماء سألهم ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : الحق»^(٦) .

(١) لم أقف عليه منسوباً إليهما ، وقد نسبته الطبري ٩٠ / ٢٢ إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير (سورة سبأ) ٤ / ١٨٠٤ ، رقم الحديث ٤٥٢٢ ، وتماهه : «إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع» الحديث ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : التفسير (سورة سبأ) ٥ / ٤٠ ، رقم الحديث ٣٢٧٦ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٤) هكذا ورد في (أ) ، وفي (ب) : (أنس سمعان) ، وهو خطأ ، والصواب : (النواس بن سمعان) ، فهو راوي هذا الأثر ، ولم أجد في ما عندي من مراجع راوياً لهذا الحديث بهذا الاسم .
النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط العامري الكلابي ، ويقال : الأنصاري ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه جبير بن نفير الخضرمي وأبو إدريس الخولاني ، يقال إن أباه سمعان وفد على النبي ﷺ وأهدى إليه نعليه فقبلهما ، وزوج أخته من النبي ﷺ ، ويقال إنه لمّا دخل بها تعوذت منه فتركها ، وهي الكلابية ، والله أعلم . انظر : الاستيعاب ٣ / ٥٣٩ ، والإصابة ٣ / ٥٤٩ ، وأسد الغابة ٥ / ٤٥ .

(٥) في (ب) : (ضعفوا) .

(٦) أورده الثعلبي في تفسيره ٣ / ٢١٩ .

وروى الزهري عن أبي إدريس^(١)، قال : «إذا تكلم الله جل ثناؤه وجدت السماوات ومن فيهن رجفة ، حتى إذا ذهب ذلك عنها نادى بعضهم بعضاً : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، فذلك قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾»^(٢) .

وقال ابن عباس : «إذا تكلم الله بالوحي ، يسمع أهل السماوات صوتاً كصوت الحديد على الصفا ، فيخرون سجداً لذلك ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا»^(٣) الآية ، ونحو هذا قال ابن مسعود^(٤) .

وقال قتادة والكلبي : «لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد -عليهما السلام- وبعث الله محمداً ، أنزل الله جبريل بالوحي ، فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشيء من الساعة فصعقوا لذلك ، فجعل جبريل يمر بكل سماء ، ويكشف عنهم الفزع يرفعوا رؤوسهم^(٥) ، وقال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، يعني الوحي»^(٦) ، ونحو هذا قال مقاتل^(٧) سواء ، وعلى هذا إنما يكون

- (١) أبو إدريس عائذ الله بن عبدالله ، ويقال فيه : عيذ الله بن إدريس بن عائذ الخولاني ، تقدمت ترجمته .
- (٢) لم أفق عليه عن أبي إدريس من طريق الزهري ، وقد أورد الثعلبي في تفسيره ٢١٩ / ٣ أ هذا الأثر من طريق الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله .
- (٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦ / ٦٩٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .
- (٤) الأثر المروي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : السنة ، باب : في القرآن ٤ / ٢٣٥ ، رقم الحديث ٤٧٣٨ ، والطبري ٢٢ / ٩٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٦ / ٦٩٩ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ في العظمة ، وابن مردويه ، والبيهقي .
- (٥) هكذا جاء الكلام في النسخ ، وفيه اضطراب ، والصواب : (يرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض) . انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ١٩٧ .
- (٦) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥ / ١٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٥٣ ، والقرطبي في تفسيره ١٤ / ٢٩٧ .
- (٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

فزعه من هول قيام الساعة ، وهو اختيار الفراء ، والزجاج^(١) . وعلى ما ذكرنا أولاً إنما فزعوا للوحي ، هذا مذهب المفسرين في هذه الآية .

ويبقى إشكال في النظم ، وهو أن قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ كيف يليق بما تقدّم من الكلام ، وأين الخبر عن فزعهم حتى يذكر زوال الفزع ؟ قال صاحب النظم : « لا يكاد يكون حتى إلا متصلة بخبر قبلها ، ولم يتقدّم هاهنا في الظاهر شيء تكون هي معطوفة عليه فهي في الظاهر منقطعة مما قبلها ومبتدأة ، وهي في الباطن متصلة بمعنى متقدم مضمّر ، ومعنى فزع عن قلوبهم قد جاء في التفسير أخرج منها الفزع ، فهذا دليل على أنه يصيبهم فزع شديد من شيء يحدث عليهم من أقدار الله عز وجل ، ولم يقل الله حتى إذا فزع عن قلوبهم إلا وهم يفزعون » . هذا كلامه . وشرح هذا أن حتى هاهنا منقطع في اللفظ عما قبله ، وقد ذكرنا جواز هذا عند قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ [يونس : ١١٠] ، وهو في المعنى متصل بمضمّر دلّ عليه الظاهر ؛ وذلك أن فزع معناه : أخرج الفزع ، وإخراج الفزع يدل على حصوله وحدوثه ، فكأنه قد ذكر فزعهم من الوحي أو من هول قيام الساعة على ما ذكر المفسرون حتى إذا أزيل ذلك الفزع قالوا : ماذا قال ربكم ؟ ومعنى الآية : أن الله أعلمهم أن الملائكة الذين يعبدونهم بهذه الحال من الخوف والفزع ، فكيف يعبدون من هو بهذه الصفة ؟ أفلا يعبدون من تخافه الملائكة ؟ !

ومذهب مجاهد والحسن وابن زيد في هذه الآية أن الكناية في قوله : ﴿ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ للمشرّكين ، يقول : « حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم في الآخرة أقيمت الحجة عليهم ، وقالت الملائكة لهم : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ في الدنيا ﴾ قالوا الْحَقَّ ﴾ فأقروا حين لا ينفعهم »^(٢) ، وعلى هذا القول أيضاً وجه النظم ما ذكر .

(١) معاني القرآن ٣٦١ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٥٣ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٧ ، وتفسير الطبري ٩٢ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٣٨ / ٤ ، وتفسير القرطبي

وقوله : ﴿أَلَحَقَّ﴾ . قال الزَّجَّاج وأبو علي : «التقدير : قالوا : قال الحق»^(١) .
 ﴿وَهُوَ أَلَعَلِّيَّ الْكَبِيرُ﴾ . قال مقاتل : «يعني الرفيع الذي فوق خلقه ، الكبير العظيم
 فلا شيء أعظم منه»^(٢) .

٢٤ . قوله : ﴿قُلْ﴾ ؛ أي لكفار مكة . ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ :
 تقدّم تفسيره في سورة يونس^(٣) . وهذا احتجاج عليهم بأن الله الذي
 يرزق هو المستحق للعبادة لا غيره مما لا يرزق ، وأخبر عنهم في سورة
 يونس أنهم يعتقدون بأن الرزاق هو الله ، وهو قوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ .
 وهاهنا أمر النبي ﷺ بأن يقول : الرزاق هو الله ، هو قوله : ﴿قُلْ
 اللَّهُ﴾ . والمعنى : استفهم عن الرزاق ، ثم أخبرني أنا الرزاق ؛ وذلك
 أنه إذا استفهم لم يمكنهم أن يثبتوا رازقاً غير الله ، فثبتت الحجة عليهم
 بقوله ﷺ ؛ أي هو الله . وقال صاحب النظم : «هذا محمول على أنه
 لمّا أمر بقوله : ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ بعد الأمر قل لهم ذلك ، فقالوا له :
 فمن يرزقنا ؟ فأجابهم الله بقوله : ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ ، وتم الكلام ، ثم أمره بأن
 يخبرهم أنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله : ﴿وَإِنَّا أَوْلَىٰ بِكُمْ﴾
 الآية ، على تقدير : ثم قل : وإنا أَوْلَىٰ بِكُمْ» .

روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية : «الألف صلة للكلام يريد ألف
 أو»^(٤) ، وشرح صاحب النظم هذا ، فقال : «أوهاهنا بمنزلة واو النسق ،
 وتأويلهما مبتدآن مجموعان لها جوابان مجموعان ، فيرد إلى كل واحد منهما ما
 يقتضي ، وهو أن يكون الهدى لقوله : ﴿وَإِنَّا﴾ ، والضلال لقوله : ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ ،

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ أ .

(٣) آية : ٣١ .

(٤) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وقد ذكره المؤلف في الوسيط ٤٩٤/٣ من دون نسبة .

قلنا في أشباهه مثل قوله : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص : ٧٣] ؛ فابتغاء الفضل بالنهار ، والسكون بالليل ، ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لدى [ذكرها] ^(١) العناب والحشف البالي ^(٢) .

وهذا الذي ذكره صاحب النظم هو معنى قول أبي عبيدة ، قال : «معناه إِنَّا لعلى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين» ^(٣) ، وهو معنى قول مقاتل : «نحن وأنتم أمر واحد أن أحد الفريقين لعلى هدى ، يعني النبي نفسه وأصحابه ، وإنكم لفي ضلال مبين ، يعني كفار مكة» ^(٤) . وعلى هذا القول يجب أن يكون أو في قوله : ﴿أَوَلَيْيَاكُمْ﴾ وقوله : ﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ﴾ يعني واو النسق ، وهو مذهب المفسرين . قال الفراء : «معنى «أو» معنى الواو عند المفسرين ، والعربية على غير ذلك ، لا تكون «أو» بمنزلة الواو كما تقول : خذ درهماً أو اثنين ، فله ^(٥) أن يأخذ واحداً أو اثنين ، وليس له أن يأخذ الثلاثة ، وفي قول من لا يبصر العربية ويجعل «أو» بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ الثلاثة ؛ لأنه في قولهم بمنزلة : خذ درهماً واثنين .

والمعنى في ﴿وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ﴾ : إِنَّا لضالون أو مهتدون ، وهو تعالى يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال ، وأنت تقول في الكلام للرجل : والله إن أحدنا

(١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (وكرها) .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ٣٨ ، والكامل ٢ / ٧٤٠ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٣٤٢ ، ٢ / ٥٩٥ ، ٨١٩ . يقول : كأن قلوب الطير رطباً : العناب ، ويابساً : الحشف البالي . انظر :

شرح ديوان امرئ القيس ١٦٦ .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٤٨ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٥) في (ب) : (قيه) .

لكاذب ، فكذبتة كذباً غير مكشوف ، وهو في القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف ، كقولك لمن قال فلان وهو كاذب في ذلك قل : إن شاء الله ، أو قل : في ما أظن ، فتكذبه بأحسن من صريح التكذيب»^(١) ، ونحو هذا قال الكسائي والأخفش والمُبرِّد ، قالوا : «ليس معنى أو هاهنا الشك ، وقد يتكلم بمثل هذا من لا يشك ، كقول القائل : أنا اختار كذا ، ويختار ابن^(٢) كذا ، وأحدنا مخطئ ، وليس يشك في خطأ صاحبه ، وأنشدوا لأبي الأسود :

يقول الأزدلون بني^(٣) قشير طوال الدهر ما ننسى علياً
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إلينا
فإن يك حبهم رُشداً أصبه ولست بمخطئ إن كان غيًّا^(٤)

فقاله عن غير شك ، وقد أيقن أنه ليس بغبي ، ولكنه استظهار في الحجاج»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «في التفسير : وأنا على هدى وإنكم إلى ضلال ، وهذا في اللغة غير جائز ، لكنه يؤول إلى هذا المعنى . والمعنى : إنا لعللى هدى أو في ضلال ، وهذا كما يقول القائل : إذا كانت الحال تدل على أن أحدنا صادق أو كاذب ، ويؤول معنى الآية إلى : إنا لَمَّا أقمنا من البرهان لعللى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين» . هذا كلامه^(٦) ، وهو موافق لقول الفراء^(٧) . وتلخيص الآية أن أو ظاهرة

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٦٢ .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (فلان) .

(٣) هكذا في (أ) ، وفي (ب) : (بين) ، وهو خطأ ، والصواب : (بنو) ؛ لأنه بدل .

(٤) الأبيات من الوافر لأبي الأسود الدؤلي ، وهي من ديوانه ١٧٦ ، ١٧٧ ، وانظرها : منسوبة إليه في مجاز القرآن ٢/ ١٤٨ ، والكامل ٣/ ٩٣٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦١٠ ، وروح المعاني ٢٢/ ١٤٠ .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٤٥ ، وذكر القول القرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩٩ ، ونسبه إلى المُبرِّد ، ولم أقف على قول الكسائي .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٣ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٦٢ .

للكشك وليس المعنى على ذلك ، والمفسرون راعوا حقيقة المعنى ، ولذلك جعلوا
أو بمنزلة الواو .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ ؛ أي لقومك . ﴿ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا ﴾ . قال
ابن عباس : « لا تؤاخذون بجرمنا ، ولا نسأل عن كفركم وتكذيبكم ،
وهذا على التبري منهم ومن أعمالهم ^(١) » كقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾
[الكافرون : ٦] ، وهذا مما نزل قبل السيف ^(٢) .

٢٦ . ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ : يعني بعد البعث في الآخرة يوم القيامة . ﴿ ثُمَّ
يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ ، ثم يقضى ويحكم بيننا بالعدل . ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾
القاضي . ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما يقضى .

٢٧ . قوله : ﴿ قُلْ ﴾ : للكفار . ﴿ أَرُونِي ﴾ : أعلموني . ﴿ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ
شُرَكَاءَ ﴾ ؛ أي ألحقتموهم بالله في العبادة معه شركاء ، وهو نصب
على الحال ، وفي الآية محذوف به يتم المعاني ^(٣) بتقدير : هل يرزقون
ويخلقون وينفعون ويضرون ؟ ثم قال : ﴿ كَلَّا ﴾ . [قال أبو إسحاق :

(١) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ ، وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين ، ولم ينسبوه إلى
ابن عباس .

(٢) وبهذا القول - وهو أن هذه الآية منسوخة بآية السيف - قال بعض العلماء ، ومنهم : ابن القاسم
البذوري في قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن ٢٠ ، وهبة الله بن سلامة المقرئ في الناسخ
والمنسوخ من كتاب الله عز وجل ١٤٥ ، وابن البارزي في ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ٤٥ .
ومن العلماء من لا يرى النسخ في هذا الموضع ، وإنما فيه بيان أن كل أحد مؤاخذ بعمله ، فلا تظلم
نفس شيئاً . ومن قال بعدم النسخ : مكى بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٨٨ ،
وابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٥٥ . ولعل هذا هو الراجح ؛ لإمكانية الجمع بين الآيتين دون الحاجة
إلى القول بالنسخ ؛ إذ لا تعارض بينهما .

(٣) هكذا في (ب) ، وفي (أ) : (المعالي) ، وهو تصحيف ؛ إذ الصواب : (المعنى) .

معنى كَلَّا^(١) قالوا المَّا قال لهم : ﴿أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾^(٢) هم هذه الأصنام أو ما أشبه ذلك من الكلام ، فردَّ الله عليهم بقوله : ﴿كَلَّا﴾ .

قال أبو إسحاق : «معنى كَلَّا ردع وتنبية . المعنى : ارتدعوا عن هذا القول ، وانتهوا عن ضلالكم»^(٣) ، وهذا يدل على أنهم أجابوا النبي ﷺ بما يوجب زجرهم وردعهم . قوله : ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ليس الأمر على ما ذكرتم إلحاق الشركاء^(٤) به الذي يضر وينفع ويخلق ويرزق . ﴿هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه . ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمره .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد لجميع الخلق»^(٥) ، وقال مقاتل : «يعني عامة»^(٦) ، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة^(٧) ، وعلى هذا يجب أن يكون التقدير : إِلَّا لِّلنَّاسِ كَافَّةً ، كقوله : ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ، وقوله : ﴿وَقَدْ نِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ ، فيكون المعنى : وما أرسَلناكَ إِلَّا

(١) ما بين المعقوفين يظهر أنه زائد ؛ لأن كلام أبي إسحاق ذكر بعد سطر .

(٢) (هم) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٤ / ٤ .

(٤) هكذا جاءت العبارة ، والظاهر أنها خطأ ؛ فقد جاءت العبارة في الوسيط : (أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من إلحاق الشركاء) . انظر : الوسيط ٤٩٥ / ٣ .

(٥) ورد في تفسير الماوردي ٤ / ٤٥٠ ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣ / ٤٩٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٧) مجاز القرآن ٢ / ١٤٩ ، وتفسير غريب القرآن ٣٥٧ .

للناس كلها عامة ؛ أحمرهم ، وأسودهم^(١) . وذكرنا معنى الكافة^(٢) في ما تقدم .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : أرسلناك جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ»^(٣) .

والكافة على هذا معناه : الجامع الذي يمنع أن يشذوا^(٤) ، النبي ﷺ جامع للناس كلهم في الإنذار والتبشير [جامع]^(٥) مانع من أن يشذ واحد عن حكم رسالته .

والهاء في الكافة تكون للمبالغة ، ويجوز أن يكون الكافة مصدراً على فاعلة ، كالخائنة والكاذبة واللاعنة ، ويكون^(٦) التقدير على حذف المضاف بمعنى : إلا إذا كافة للناس ؛ أي ذا منع لهم من أن يشذوا عن تبليغك . وهذا الوجه يقوّي قول مَنْ ذهب في معنى الآية إلى أنه بعث ليكشف الناس عما هم عليه من الكفر . ولا يحتاج في هذا القول إلى تقدير التقديم والتأخير . وقوله : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني كفار مكة»^(٧) .

(١) يزيد هذا القول ويدل عليه الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله ، أخرجه مسلم في صحيحه ٣٧٠ / ١ ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، رقم الحديث ٥٢١ ، قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود» الحديث .

(٢) لعله عند قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلَٰرِ كَآفَّةً﴾ [البقرة : ٢٠٨] . قال : «وقوله (كافة) يجوز أن يكون معناه : ادخلوا جميعاً ، ويجوز أن يكون معناه : في السلم كافة ؛ أي في جميع شرائعه» .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٤ / ٤ .

(٤) هكذا جاءت العبارة ، ولعل المراد : «يمنع الناس أن يشذوا» ، كما تفسّر العبارة التالية .

(٥) هذه الكلمة زيادة من (ب) ، وليست مثبتة في (أ) .

(٦) (يكون) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

٢٩. وقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ : يعنون بالوعد^(١) العذاب الذي ينزل بهم بعد الموت في قول ابن عباس^(٢) . وإنما قالوا هذا ؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث . وقيل : يعنون العذاب النازل بهم في الدنيا ، وهو قول الربيع^(٣) .

٣٠. فقال الله : ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ ﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد يوم القيامة»^(٤) .

وقال الضحاك : «يوم النزع والسياق» . وعلى قول الربيع هو يوم بدر ؛ لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا^(٥) .

٣١. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : يعني : مشركي مكة . ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يعني التوراة والإنجيل»^(٦) .

قال الفرّاء : «لَمَّا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كِتَابِنَا ، كَفَرَ أَهْلُ مَكَّةَ بِكِتَابِهِمْ»^(٧) .

(١) في (ب) : (بالولد) ، وهو تصحيف .

(٢) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٦ / ٦ ، ولم ينسب إلى ابن عباس .

(٣) لم أقف عليه عن الربيع ، وقد ذكر القرطبي ٣٠١ / ١٤ نحو هذا القول ، ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس عند أحد من المفسرين .

(٥) انظر : الوسيط ٤٩٥ / ٣ ، وزاد المسير ٤٥٦ / ٦ .

(٦) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٤١ ، وذكره الطبري في تفسيره ٩٧ / ٢٢ ، وعزاه إلى قتادة ، وذكره أيضاً الماوردي في تفسيره ٤٥١ / ٤ وعزاه إلى السُّدِّي .

(٧) معاني القرآن ٣٦٢ / ٢ .

ثم أخبر الله عن حالهم في الآخرة بقوله : ﴿وَلَوْ رَزَيْنَا إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني مشركي مكة»^(١) .

﴿مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد يوم القيامة» .

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ . قال : «يجادل بعضهم بعضاً»^(٢) ، وقال مقاتل : «يرد بعضهم على بعض القول»^(٣) .

ثم أخبر عن جدالهم وما يجري بينهم ، فقال : ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ وهم الأتباع . ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ يعني الذين تكبروا عن الإيمان ، وهم الأشراف القادة . ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ معشر الكبراء . ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بتوحيد الله .

٣٣ . وقوله : ﴿بَلْ مَكْرُ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ . قال قتادة : «بل مكرهم بالليل والنهار»^(٤) .

وقال الكلبي ومقاتل : «بل قولكم لنا بالليل والنهار»^(٥) .

قال الأخفش : «الليل والنهار لا يمتكران لأحد ، ولكن يمكر فيهما ، كقوله»^(٦) : ﴿مَنْ قَرِينِكَ أَلَّتِي أَخْرَجَكَ﴾ [محمد : ١٣] ، وهذا من سعة العربية»^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ ب .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤١٩/٥ ، وتفسير القرطبي ٣٠٢/١٤ .

(٥) انظر : تفسير هود بن محكم ٤٠١/٣ ، فقد نسب القول إلى الكلبي ، ولم أقف عليه منسوباً إلى مقاتل ، وليس في تفسيره .

(٦) في (أ) : (كقولك) ، وهو تصحيف .

(٧) معاني القرآن ٣٦٣/٢ .

وقال المُبرِّد : «أي بل مكرّم بالليل والنهار ، كما تقول العرب : نهاره صائم وليله قائم ؛ أي هو قائم في ليله صائم في نهاره» .

وقال جرير :

لَقَدْ لَمِتْنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ^(١)^(٢)
وَأُنْشِدُ سَبِيؤُهُ :

قِيَامٌ لِي وَيَحُلُّ هِيَ^(٣)

أي : نمت فيه ، ونحو هذا قال الفراء^(٤) والزَّجَّاج^(٥) . وذكر في مكر الليل والنهار قولان آخران ، كلاهما غير سائغ في اللغة والتأويل فتركتها . وذكرنا معنى قوله : ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ في سورة يونس^(٦) .

قوله : ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِيَ أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس : «غلوها في النيران والشركاء ، وهم من الشياطين»^(٧) .

(١) البيت من الطويل ، وهو لجرير في ديوانه ٩٩٣ ، والكتاب ١ / ١٦٠ ، ولسان العرب (ربيع) ٢ / ٤٤٢ ، وخزانة الأدب ١ / ٤٦٥ ، ٨ / ٢٠٢ . والشاهد فيه : وصف الليل بالنوم اتساعاً ومجازاً .

(٢) الكامل ١ / ١٨٨ ، ٣ / ١١٧٠ .

(٣) هكذا جاء في النسخ ، وهو تصحيف ، والصواب : (فنام ليلى وتقضى همي) ، وهو رجز لرؤبة في ديوانه ١٤٢ ، والمحاسب ٢ / ١٨٤ . والشاهد فيه قوله : «فنام ليلى» ، يريد نمت في ليلى ، فنسب الفعل إلى الليل للملابسة التي بين الشاعر وبيته .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٣٦٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٤ .

(٦) آية : ٥٤ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٣٠٥ .

وقوله : ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ استفهام معناه التوبيخ ، والتقدير :
إلا جزاء ما كانوا يعملون . قال مقاتل : « من الشرك في الدنيا »^(١) .

٣٤ . وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ ﴾ ؛ أي نبي ينذر أهل تلك القرية .
﴿ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ . قال ابن عباس : « الملوك وأهل الغنى »^(٢) ، وقال
مقاتل : « أغنياءها وجبابرتها »^(٣) ، وقال أبو إسحاق : « أو »^(٤) الترفه
وهم رؤسائها »^(٥) . ﴿ إِنَّا بِمَا أَزْسَلْتُم بِهِ ﴾ ، وهو التوحيد ﴿ كَفَرُونَ ﴾ .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا ﴾ . قال ابن عباس : « يعني
مشركي مكة »^(٦) ، افتخروا على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بأموالهم
وأولادهم ، وظنوا أن الله تعالى إنما خولهم بالمال والولد الكرامة لهم
عنده ، فقالوا : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ ؛ أي إن الله قد أحسن إلينا بالمال
والولد فلا يعذبنا ، فقال ابن عباس^(٧) : « أنكروا البعث والقيامة ،
فقال الله تعالى لنبيه :

٣٦ . ﴿ قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ : يعني أن بسط الرزق
وتضييقه من الله تعالى يفعله ابتلاءً وامتحاناً ، وليس شيء منه يدل على
ما في العواقب ؛ فلا البسط يدل على رضا الله ، ولا التضييق يدل على
سخطه » .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وذكره أكثر المفسرين . انظر : تفسير الطبري ٩٩ / ٢٢ ، ومعاني القرآن
للنحاس ٤١٩ / ٥ ، وتفسير الماوردي ٤٥٢ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٤) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (أولو) ، كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥ / ٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) لم أقف عليه ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٠٥ / ١٤ ، وتفسير الماوردي ٤٥٢ / ٤ .

﴿وَلَيَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ : يعني أهل مكة . ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك حيث ظنوا أن أموالهم وأولادهم دليل على كرامة لهم عند الله .

٣٧ . ثم صرّح بهذا المعنى ؛ فقال : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي﴾ . قال الفراء : «جعل التي جامعة للأموال والأولاد ؛ لأن الأولاد يقع عليها التي وكذلك الأموال ، فصلح أن يقع عليهما جميعاً التي ، ولو قيل بالتي أو بالذين جاز ، كما تقول : أمّا العسكر والإبل فقد أقبلنا ، ولو قيل : بالذين ، يذهب إلى تذكير الأولاد وتغليب بني آدم لجاز ، ولو قال : لو وجهت التي إلى الأموال واكتفيت بها من ذكر الأولاد لصلح ، كما قال الأسدي^(١) :

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُّ مختلفٌ^(٢)»^(٣) .

(١) أبو حسان المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي ، نسبته إلى فقّس من بني أسد ابن خزيمة ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر ، كان مفرط القصر ضئيلاً . انظر : الشعر والشعراء ٤٤٠ ، ومعجم الشعراء ٤٠٨ .

والبيت من المنسرح ، وهو من الأبيات المختلف في نسبتها ؛ فقد نسبته المؤلف - رحمه الله - إلى الأسدي ، ونسبه سيبويه في الكتاب ١ / ٧٥ إلى قيس بن الخطيم ، وأورده ابن هشام في مغني اللبيب ٢ / ٦٢٢ من دون نسبة ، وكذا في المذكر والمؤث لابن الأنباري ٦٧٧ ، وفي المقتضب ٣ / ١١٢ ، ٤ / ٧٣ . وقال الأستاذ محمد عبد الخالق عزيمة محقق كتاب المقتضب ٤ / ٧٣ : «البيت نسبته إلى قيس بن الخطيم سيبويه ، وكذلك فعل الأعلام وصاحب معاهد التنصيص ١ / ١٨٩ . وصحّح البغدادي في الخزانة ٢ / ١٨٩ نسبة الشعر إلى عمرو بن امرئ القيس . والقصيدة التي فيها هذا الشاهد في ديوان قيس بن الخطيم ٨١ ، طبعة بغداد ٨١» . اهـ .

(٢) في (ب) : (يختلف) .

(٣) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٦٣ .

واختار أبو^(١) إسحاق هذا القول ، فقال : « المعنى : وما أموالكم بالتي تقربكم ، ولا أولادكم بالذين يقربونكم ، ولكنه حذف اختصاراً وإيجازاً »^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى ﴾ . قال ابن عباس : « يريد قربي »^(٣) .

وقال مقاتل : « يعني قربة »^(٤) .

قال الأخفش : « زلفى هاهنا اسم المصدر ، كأنه أراد بالتي تقربكم عند تقربنا »^(٥) .

وذكرنا معنى الإزلاف عند قوله : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾^(٦) ، ﴿ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ ﴾ [الشعراء : ٩٠] . وقوله : ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ ﴾^(٧) . قال الفرّاء : « إن شئت أوقعت التقريب على من ؛ أي لا تقرب الأموال إلا مَنْ كان مطيعاً »^(٨) ، ونحو هذا قال الزّجاج ، قال : « موضع مَنْ نصب بالاستثناء على البذل من الكاف والميم ، على معنى : ما تقرب الأموال إلا مَنْ آمن وعمل بها في طاعة »^(٩) .

(١) في (ب) : (ابن) ، وهو تصحيف .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥ / ٤ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد نسبه إلى مجاهد الطبري في تفسيره ١٠٠ / ٢٢ ، والماوردي في تفسيره ٤٥٣ / ٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٦١٥ / ٨ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٤٤٥ / ٢ ، وعبارة الأخفش : « بالتي تقربكم عندنا إزلاًفاً » .

(٦) سورة الشعراء : الآية : ٦٤ ، وموضعها بياض في (ب) . قال في هذا الموضع من البسيط : « وقال أبو عبيدة : أزلفنا جمعنا ، قال : ومن ذلك سميت مزدلفة جمعاً . ثم قال : والزلف المنازل والمراقي ؛ لأنها تدني المسافر والراقي إلى حيث يقصده ، ومنه قوله : ﴿ وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ » .

(٧) موضع (إلا) بياض في (ب) .

(٨) معاني القرآن ٣٦٣ / ٢ .

(٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥ / ٤ .

وعلى هذا يجب أن يكون الخطاب في قوله : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ ﴾ للمؤمنين والكافرين . والوجه أن يكون قوله : (إِلَّا مَنْ) استثناءً منقطعاً على تقدير : لكن مَنْ آمَنَ وعمل صالحاً . وعلى هذا يدل تفسير ابن عباس ؛ [فإنه] ^(١) قال في قوله : (إِلَّا مَنْ آمَنَ وعمل صالحاً) : « [يريد] أن عمله وإيمانه يقر [بأنه] مني » ^(٢) . ولم يفسر بأن أمواله وأولاده تقربه حتى يكون مستثنى من الخطاب الأول .

وقوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد يضعف الله لهم حسناتهم » ^(٣) .

وقال مقاتل : « يجزي بالحسنة الواحدة عشرأ فصاعداً » ^(٤) . وقال أبو إسحاق : « جزاء الضعف هاهنا عشر حسنات ، تأويله : فأولئك لهم جزاء الضعف الذي قد أعلمناكم مقداره ، وهو من قوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] » ^(٥) .

وقال ابن قتيبة : « لم يرد أنهم يجازون على الواحدة بواحدة مثله ولا [اثنين] » ^(٦) ، كيف هذا والله يقول : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، ولكنه أراد لهم جزاء الضعف ؛ أي التضعيف ، وجزاء التضعيف الزيادة ؛ أي لهم جزاء الزيادة . قال : ويجوز أن يجعل الضعف في معنى الجميع ^(٧) ؛ أي جزاء الأضعاف ،

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥ / ٤ .

(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من تفسير غريب القرآن لابن قتيبة .

(٧) في (ب) : (الجمع) .

ونحوه ﴿عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١] ^(١). وقد مرّ تفسير الضعف عند قوله : ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: ٣٨] ، وتأويل قوله : ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ وهو أن يجازي بالواحد ^(٢) عشرًا إلى ما زاد ، فمعنى إضافة الجزاء إلى الضعف وهو الجزاء ، كإضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظ ، ويضمّر المضاف إليه زيادة معنى نحو : حق اليقين ، وصلاة الأولى . ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ ؛ أي من الخير في الدنيا .

﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ : يعني غرف الجنة آمنون من الموت ، قاله مقاتل ^(٣) .

وقال ابن عباس : «يريد غرفاً من ياقوت ودر وزبرجد آمنون من الموت والعذاب» ^(٤) .

وقرأ حمزة : (في الغرفة) على واحدة ؛ لقوله : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] . فكما أن الغرفة يراد بها الكثرة والجمع ، كذلك قوله : ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ يراد بها الكثرة واسم الجنس . وحجة الجمع قوله : ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ﴾ [الزمر: ٢٠] ، وقوله : ﴿لَنَبْوِثَهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨] . وكما أن غرفاً جمع كذلك الغرفات ينبغي أن تجمع ، والجمع بالألف والتاء قد تكون للكثرة كقوله : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، وقول آخر :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُفُ ^(٥)

(١) تفسير غريب القرآن ٣٥٧، ٣٥٨ .

(٢) في (ب) : (بالواحدة) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣٠٦/١٤ .

(٥) جزء من بيت ، وتماهه :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُفُ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَّجْدَةٍ دَمًا

والبيت من الطويل ، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ١٣١ ، والكتاب ٥٧٨/٣ ، ولسان العرب (جدا)

١٣٦/١٤ ، والمحاسب ١٨٧/١ ، وخزانة الأدب ١٠٦/٨ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ . الغر : الأبيض ، =

فهذا لا يريد إلا الكثرة ؛ لأن ما عداها لا يكون موضع افتخار^(١) .

٣٩. قوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ ، وروى أبو عبيد عن الزبيدي : «أخلف الله لك»^(٢) ، وروى سلمة عن الفرّاء ، قال : «سمعت : أخلف الله عليك ، ويقال : أخلف الله لك ؛ أي أبدل الله لك ما ذهب»^(٣) . ويقال : قد أخلف الشجر إخلافاً ؛ وذلك إذا أخرج ورقاً بعد ورق قد تناثر . والآية مختصرة ؛ لأن المعنى فهو يخلفه لكم أو عليكم . قال سعيد بن جبير : «وما أنفقتُم من شيء في غير الإسراف ولا تقتير فهو يخلفه»^(٤) .

وقال الكلبي : «ما تصدقتم وأنفقتُم في الخير والبر من نفقة فهو يخلفه ، إمّا أن يعجّله في الدنيا وإمّا أن يدّخره له في الآخرة» ، وروى جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كل معروف صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفه ضامناً إلا ما كان من نفقة في [بنيان]^(٥) أو معصية»^(٦) . وقد بان بقول هؤلاء أن الآية ليست على ظاهرها من حيث إن كل منفق يستحق خلفاً عاجلاً ، بل هو للمقتصدين والمتصدقين ، ثم قد يكون عاجلاً في الدنيا ويكون مدخراً في الآخرة . وقد قال مجاهد في هذه الآية : «فإن الرزق مقسوم ، فلعل رزقه قليل وهو

جمع غراء ، يريد بياض الشحم ، يقول : جفاننا مُعدّة للضيّان ومساكين الحي بالغداة ، وسيفنا تقطر بالدم لنجدتنا وكثرة حروبنا . والشاهد فيه : جمع جفنة على جفئات مع أنها للقلة مراداً بها جمع الكثرة . انظر : الكتاب ٥٧٨ / ٣ .

(١) إلى هنا انتهى النقل من الحجة من قوله : (وقرأ حمزة) . انظر : الحجة ٢٢ / ٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (خلف) ٤٠٣ / ٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (خلف) ٣٩٦ / ٧ .

(٤) ذكر في تفسير الطبري ١٠١ / ٢٢ ، وأورده السيوطي في الدر ٧٠٦ / ٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٦١ / ٦ .

(٥) انظر : زاد المسير ٤٦١ / ٦ .

(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في النسخ جميعها ، والتصحيح من الدر ومجمع البيان .

ينفقه نفقة الموسع عليه^(١) ، وربما أنفق الإنسان ما له في الخير ثم لم يزل عائلاً حتى يموت» ، وهذا يؤكّد ما قدّمنا .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد المشركين»^(٢) ، وقال مقاتل : «يعني الملائكة ومن عبدها»^(٣) .

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ : معنى هذا الاستفهام كالذي في قوله لعيسى : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾^(٤) الآية ، وهو استفهام توبيخ للعابدين ، فنزهت الملائكة ربها عن الشرك وتبرأوا منهم ، وهو قوله :

٤١ . ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهاً لك ما أضافوه إليك من الشركاء والمعبودين .

﴿أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم ، ولسنا نريد غيرك ولياً»^(٥) . ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ . قال قتادة : «يعني الشياطين»^(٦) ، وقال مقاتل : «بل أطاعوا الشيطان»^(٧) في عبادتهم إيانا»^(٨) . ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ : يعني المصدقين بالشياطين . [ثم يقول الله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ﴾ : يعني الآخرة . ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ : يعني العابدين والمعبودين . ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ ؛ أي نفعاً بالشفاعة ، ولا ضرراً بالتعذيب ، يريد أنهم عاجزون^(٩) لا

(١) ذكر في مجمع البيان ٦١٦/٨ ، وأورده السيوطي في الدر ، وعزاه إلى ابن عدي والبيهقي .

(٢) أورده السيوطي في الدر ٧٠٦/٦ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٥) ذكر في الوسيط ٤٩٧/٣ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤٦٣/٦ من دون نسبة .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) في (ب) : (الشياطين) .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٩) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (عاجزون) .

نفع عندهم ولا ضرر، وإنما يملكهم الله تعالى . وقال مقاتل : « لا تملك الملائكة ولا تقدر أن تدفع عنهم سوءاً إذا عبدوهم »^(١) ، وعلى هذا يكون التقدير : ولا دفع ضرر ، فحذف المضاف . ثم أخبر عنهم أنهم يكذبون بمحمد والقرآن ، ويسمون القرآن إفكاً وسحراً ، وهو قوله : ﴿ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

٤٤ . ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بيّنة ، ولم يكذبوا محمداً عن ثبت عندهم ، وهو قوله : ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ . قال قتادة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ قال [قتادة :]^(٢) ما أنزل على العرب كتاباً قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ﷺ^(٣) .

ونحو هذا قال ابن عباس والكلبي^(٤) .

قال الفرّاء : « أي من أين كذبوا بك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه »^(٥) .

وقال مقاتل : « يقول ما أعطيناهم كتاباً بأن مع الله شريكاً ، ولا أرسلنا إليهم رسولاً بذلك »^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠ ب .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/١٠٣ ، وزاد المسير ٦/٤٦٣ ، والوسيط ٣/٤٩٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .

(٥) معاني القرآن ٢/٣٦٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

٤٥. ثم خَوَّفَهُمْ وأخبر عن عاقبة مَنْ كان قبلهم من المكذبين ، فقال :
﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ : يعني الأمم الكافرة .

﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾ : يعني أهل مكة في قوله الجميع . ﴿مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾^(١) :
المعشار والعشير والعشر جزء من العشرة . [قال المفضل]^(٢) : «لم يرد في العدد
مفعال إلا هذا ، والمرباع الربع^{(٣)(٤)}» وأنشد :

«لَكَ المرباعُ منها والصفايا»^(٥)

والمعشار والعشر في قول الجميع . قال ابن عباس : «يقول : وما بلغوا
قومك معشار ما آتينا»^(٦) من قبلهم ، من القوة وكثرة المال وطول العمر وعمران
الأرض»^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٣) في (ب) : (الرفع) .

(٤) لم أقف على هذا القول عن المفضل ، وقد ذكره ابن منظور في اللسان (ربع) ١٠١ / ٨ عن قطرب ، وكذا
الزبيدي في تاج العروس (ربع) ٣١ / ٢١ .

(٥) صدر بيت ، وعجزه :

وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

وهو من الوافر لعبدالله بن عنمة الضبي في الأصمعيات ٣٧ ، وتهذيب اللغة ٣٦٩ / ٢ ، ٣١٤ / ١١ ،
١٢ / ٤١ ، ٢٤٩ ، ولسان العرب (فضل) ١١ / ٥٢٦ ، و(صفا) ١٤ / ٤٦٢ ، وتاج العروس (نشط)
٢٠ / ٢١ .

(٦) في (أ) : (آتيناهم) .

(٧) ورد في تفسير الطبري ٢٢ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، ومجمع البيان ٨ / ٦١٨ ، وزاد المسير ٦ / ٤٦٤ ، وعزاه إلى
الجمهور .

وقال قتادة : « ما بلغوا هؤلاء معشار ما أتوا^(١) أولئك من القوة والجلد ، فأهلكهم الله وهم أقوى وأجلد^(٢) » ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ . قال ابن عباس : « يقول كيف رأيت ما صنعت بالمكذبين^(٣) » .

وقال مقاتل : « فكيف كان نكير يعني تغييري ، أليس وجدوه حقاً ، يعني العذاب ، يحذر أهل مكة مثل عذاب الذين كانوا أشد منهم قوة^(٤) » . والنكير اسم بمعنى الإنكار . قال أبو عبيدة : « نكيري : عقوبتي^(٥) » . [وعناني]^(٦) .

قال الزجاج : « وحذفت الياء لأنه آخر آية^(٧) » .

٤٦ . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ ﴾ ؛ أي آمركم وأوصيكم ، أمر الله نبيه ﷺ . قال الزجاج : « [أمره]^(٨) أن يقول لقومه : ﴿ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ ﴾^(٩) » .

قال مجاهد : « لا إله إلا الله^(١٠) » ، وروي ذلك عن ابن عباس^(١١) .

(١) هكذا في (أ) ، وهي بياض في (ب) ، والصواب : (ما أوتي) .

(٢) انظر : المراجع السابقة ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٢ / ٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ أ .

(٥) مجاز القرآن ١٥٠ / ٢ .

(٦) ما بين المعقوفين يظهر أنه زيادة من النسخ ؛ إذ لا معنى له .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٦ / ٤ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٩) انظر : المرجع السابق .

(١٠) ذكر في زاد المسير ٦ / ٤٦٤ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٣١١ ، وأورده السيوطي في الدر ٦ / ٧١٠ ، وعزاه

إلى الفريابي وعبد بن حميد .

(١١) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .

وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد ، قال : «بطاعة الله»^(١) .

وقال مقاتل : «بكلمة واحدة الإخلاص»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «والطاعة تتضمن التوحيد والإخلاص ؛ أي فأنا أعظمكم بهذه الخصلة الواحدة»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ يصلح أن يكون محل (أن) خفضاً على البدل من واحدة ، ويصلح أن يكون نصباً ، على تقدير : لأن تقوموا ، فحذفت اللام ، وهو قول الزّجاج^(٤) ، ويصلح أن يكون رفعاً بتقدير : هي أن تقوموا لله مثني وفرادي ، تقوموا منفردين ومجتمعين ثم تتفكروا ؛ أي الواحدة التي أعظمكم بها قيامكم وتشمركم لطلب الحق بالفكرة مجتمعين ومنفردين^(٥) . وتم الكلام عند قوله : ﴿ثُمَّ تَفَكَّرُوا﴾ لتعلموا صحة ما أمرتكم به . قال مقاتل : «يقول : ألا يتفكر الرجل منكم وحده ومع صاحبه ، فينظر أن في خلق السماوات والأرض دليلاً على أن خالقها واحد لا شريك له»^(٦) .

ثم ابتدأ فقال : ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ : هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية . وأما أصحاب المعاني فإنهم جعلوا الآية متصلة . قال الفرّاء : «أي يكفيني أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيره ، ثم تتفكروا هل جربتم على محمد كذباً أو رأيتم به جنوناً ، ففي ذلك ما يتيقنون به أنه نبي»^(٧) .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٨ ، وتفسير الطبري ١٠٤ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٥٥ / ٤ ، وزاد المسير ٤٦٥ / ٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٦ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧ / ٤ .

(٥) انظر : إملاء ما من به الرحمن ١٩٨ / ٢ ، والبحر المحيط ٥٦٠ / ٨ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

(٧) معاني القرآن ٢٦٣ / ٢ .

وقال أبو إسحاق : « المعنى : ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما يقولون »^(١) ، وعلى هذا الآية نظمها منفصل ، ومعنى قوله : بواحدة ؛ أي بخصلة واحدة ، وهو معنى قول الفرّاء : « يكفيني أن يقوم الرجل منكم وحده أو هو وغيره » .

وشرح ابن قتيبة الآية على هذا المعنى شرحاً شافياً ، فقال : « تأويله أن المشركين قالوا : إن محمداً مجنون وساحر وأشباه هذا ، فقال الله لنبيه ﷺ : قل لهم : اعتبروا أمري بواحدة ، وهي أن تنصحوا لأنفسكم ولا يميل بكم هوى عن الحق ، فتقوموا لله وفي ذاته مقاماً يخلو فيه الرجل بصاحبه ، فيقول له : هلمّ فلنتصادق ، هل بهذا الرجل جنة قطُّ أو جرّبنا عليه كذباً ؟ وهذا موضع قيامهم مثني ، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيتفكر وينظر ويعتبر (فهذا موضع فرادى ، [فإن]^(٢) في ذلك ما دلهم على أنه نذير ، وكل من يخبر في أمر قد)^(٣) اشتبه عليه [واستبهم]^(٤) أخرجه من الحيرة فيه : أن يسأل وينظر ، ثم يتفكر ويعتبر » . انتهى كلامه^(٥) . ومعنى القيام [هاهنا]^(٦) التجرد والانكماش لطلب الحق ، كما يقال : قام فلان بهذا الأمر ، إذا تجرد [لكفائته]^(٧) . ونظير هذه الآية في اللفظ والمعنى قوله في سورة الأعراف : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(٨) وقد مرّ الكلام فيه .

(١) في (أ) : (يقولون) ، وهو تصحيف .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧ / ٤ .

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٤) ما بين القوسين مكرر في (أ) .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٩) آية : ١٨٤ .

وَالْقُرَّاءُ أَيْضاً مُخْتَلِفُونَ فِي الْوَقْفِ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿وَاحِدَةً﴾ ، وكان نافع يرى الوقف عندها ، وغيره لا يرى ذلك . وكذلك قوله (ثم تتفكروا) ، كان أبو حاتم يقول : «هو تمام» ، وهو على المذهب^(١) الأول في تفسير الآية^(٢) .

قوله : ﴿بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بين يدي القيامة»^(٣) ، وقال مقاتل : «بين يدي عذاب شديد في الآخرة»^(٤) .

٤٧ . وقوله : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «معناه : ما سألتكم من أجر على الرسالة التي أوديتها إليكم . ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ : وتأويله ؛ أي لست أجر إلى نفسي عرضاً من أعراض الدنيا . ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ ؛ أي إني إنما أطلب ثواب الله بتأدية الرسالة»^(٥) . [أجرأفتهموني بذلك]^(٦) . ومعنى ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ؛ أي لم أسألكم شيئاً ، كما يقول القائل : مالي في هذا فقد وهبت لك ، يريد ليس فيه شيء .

وذكر الكلبي ومقاتل ما دلَّ على أنه كان قد سألهم شيئاً ثم تركه لهم كما يقتضي ظاهر اللفظ ، وهو أنها قالوا : «إنه سألهم أن لا يؤذوا قرابته فانتهاوا عن ذلك ، ثم سمعوه يعيب آهتهم ، فقالوا : نهانا أن لا نؤذي»^(٧) قرابته ففعلنا ، وهو يذكر آهتنا ويعيبها ، فأكثرُوا في ذلك ، فنزل^(٨) : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ؛ أي إن

(١) في (أ) : (مذهب) ، وهو تصحيف .

(٢) انظر : القطع والائتناف ٣٤٥ ، ومنار الهدى في الوقف والابتداء ٢٢٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧ / ٤ .

(٦) ما بين المعقوفين يظهر أنه كلام زائد .

(٧) في (أ) : (يؤذي) ، وهو تصحيف .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٠ ب ، ولم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكره السمرقندي في بحر العلوم

٧٧ / ٣ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٦٢٠ من دون نسبة .

شئتم فأذوهم ، وإن شئتم فلا تؤذوهم ، وعلى هذا الأجر الذي سألهم هو الكف عن أقاربه ، ثم تركه لهم ؛ لقوله : ﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ . والقول الأول أصح ؛ لأنه وإن سألهم الكف عن أقاربه ، فليس ذلك بأجر على تبليغ الرسالة .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد لم يغب عنه شيء »^(١) ، وقال مقاتل : « شهيد بأني نذير وما بي جنون »^(٢) .

٤٨ . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴾ . قال الليث : « القذف : الرمي بالسهم »^(٣) والحصى والكلام وكل شيء ، حتى يقال : قذفت الناقة باللحم ؛ أي رميت به فأكثرته منه »^(٤) . وقول النابغة :

مَقْذُوفَةٌ بِدَخِصِ النَّحْضِ بَارِهَا^(٥)

ومن القذف الذي هو الرمي بالكلام قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ [الأنبياء : ١٨] ، وقد مرَّ . قال ابن عباس : « يقذف بالحق يريد : يدفع الباطل

(١) انظر : الوسيط ٤٩٩/٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .

(٣) في (أ) : (بالستهم) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قذف) ٧٤/٩ ، وفيه : « فاكثرته منه » .

(٥) صدر بيت ، هكذا أثبت في النسخ ، وهو تصحيف ، والبيت هو :

مَقْذُوفَةٌ بِدَخِصِ النَّحْضِ بَارِهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالسَّدِ

وهو من البسيط للناطقة الذبياني في ديوانه ١٦ ، وتهذيب اللغة ٧٤/٩ ، واللسان (قذف) ٢٧٧/٩ ، (بزل) ٥٢/١١ ، و(قعا) ١٩١/١٥ ، والكامل ٨٤٤/٣ ، والكتاب ٣٥٥/١ .

ومعنى البيت : يصف ناقة بالقوة والنشاط ، فيقول : كأنها قذفت باللحم لتراكمه عليها . والنحض : اللحم ، ودخيسة : ما تداخل منه وتراكب ، والبازل : السن تخرج عند بزول الناقة وذلك في التاسع من عمرها ، والصريف : صوت أنيابها إذا حكّت بعضها بعضاً نشاطاً ، والقعو : ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب . انظر : الكتاب ٣٥٥/١ .

بالحق»^(١)، وعلى هذا التقدير : يقذف الباطل بالحق ، وقال مقاتل : «نتكلم بالوحي»^(٢) .

وقال الكلبي : «يرمي»^(٣) بالحق نزل الوحي من السماء»^(٤) ، وهو اختيار ابن قتيبة ، قال : «يلقيه إلى أنبيائه»^(٥) .

وقوله : ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ . قال الفراء : «الوجه الرفع ؛ لأن النعت إذا جاء بعد الخبر رفعتة العرب في أن يقول»^(٦) : إن أخاك قائم الظريف ، ومثله قوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص : ٦٤]»^(٧) ، وقال أبو إسحاق : «ورفعه على وجهين ؛ أحدهما : أن يكون صفة على موضع : إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب»^(٨) . قال ابن عباس : «علم ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض»^(٩) .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الدين والإيمان»^(١٠) ، وقال مقاتل : «يعني الإسلام»^(١١) ، وقيل : «القرآن»^(١٢) .

-
- (١) انظر : تفسير القرطبي ٣١٢/١٤ .
 (٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .
 (٣) في (ب) : (نرمي) ، وهو تصحيف .
 (٤) ورد في الوسيط ٤٩٩/٣ ، وبعض المفسرين ذكروا هذا القول عن قتادة . انظر : تفسير الماوردي ٤/٥٧ ، ومجمع البيان ٨/٦٢٠ ، وتفسير القرطبي ٣١٢/١٤ .
 (٥) تفسير غريب القرآن ٣٥٨ .
 (٦) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب كما هو عند الفراء : (يقولون) .
 (٧) معاني القرآن ٢/٣٦٤ .
 (٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧/٤ .
 (٩) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٣ .
 (١٠) لم أقف عليه .
 (١١) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .
 (١٢) نسب هذا القول إلى قتادة . انظر : تفسير الطبري ١٠٦/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/٥٧ .

وقال أبو إسحاق : « جاء أمر الله الذي هو الحق »^(١) . ﴿ وَمَا يُدْئِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ ؛ أي ذهب ذهاباً كلياً وزهق فلم يبق له بقية ، ويقال : لكل ذاهب ما يبدي وما يعيد ، ومنه قول عبيد :

فاليومَ لا يُبدي ولا يُعيد^(٢)

وهذا معنى قول ابن عباس : « يريد إقبال الباطل وإدباره »^(٣) .

وقال قتادة : « الباطل : السلطان »^(٤) ، ما يبدي^(٥) وما يعيد ؛ أي^(٦) ما خلق ابتداءً ويبعث^(٧) ، وهو قول مقاتل والكلبي^(٨) .

وقال الحسن : « الباطل كل معبود من دون الله ، يقول ما يبدي لأهله خيراً في الدنيا وما يعيده في الآخرة »^(٩) .

٥٠ . وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ ﴾ . قال مقاتل : « إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ : لقد ضللت حين تركت دين آبائك ، فقال الله : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ ﴾ كما تزعمون فإنما أضل على نفسي ؛ أي إثم ضلالتني على

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٨ / ٤ .

(٢) عجز بيت ، وصدره :

أفقرَ من أهله عبيدُ

وهو من البسيط لعبيد بن الأبرص في ديوانه ٤٥ ، والشعر والشعراء ١٤٤ ، وشعراء النصرانية ٦٠١ / ٤ ، واللسان ١١٠ / ٥ ، وكتاب العين ١٥١ / ٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو تصحيف ، والصواب : (الشیطان) .

(٥) يبدي (مكررة في (ب) .

(٦) (أي) ساقطة من (ب) .

(٧) انظر : الوسيط ٤٩٩ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٣١٣ / ١٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٥ / ٥ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ ، والوسيط ٤٩٩ / ٣ .

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ٢٢٢ / ٣ ب .

نفسى»^(١). ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَجَّتْ﴾ من الحكمة والبيان .
﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ مني ، قاله ابن عباس^(٢) .

٥١ . وقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ . قال ابن عباس : «يريد حتى بهتوا»^(٣) .

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ . يقول : لا يفوتني أحد ، ولا ينجو مني ظالم . ومذهب أكثر أهل التفسير أن هذا الفرع لهم عند البعث ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «هذا في وقت بعثهم»^(٤) ، وهو قوله : ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني القبور . ومذهب آخرون إلى أن هذا الفرع لهم في القيامة ، وهو مذهب الحسن وابن معقل^(٥) وبلال بن سعد^(٦) . قال بلال : «إن الناس يوم القيامة حوله ، وهو قوله : ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾» . قال ابن معقل^(٧) : «أفزعهم يوم القيامة فلم يفرقوا» .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ أ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٣١٤ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٣١٤ ، وزاد المسير ٦ / ٤٦٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٥٨ .

(٥) ورد قول ابن معقل والحسن في تفسير الطبري ٢٢ / ١٠٨ ، والدر المنثور ٦ / ٧١٢ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦ / ٤٦٧ ، ونسبه إلى الأكثرين .

(٦) أبو عمرو (قيل : أبو زرعة) بلال بن سعد بن تميم الأشعري (قيل : الكندي الدمشقي) ، شيخ أهل دمشق في زمانه ، تابعي جليل ، كانت لأبيه سعد صحة ، روى عن أبيه سعد وعن جابر بن عبد الله وأبي الدرداء وغيرهم ، وروى عنه خلق كثير ، وكان واعظاً بليغاً عابداً مجتهداً ، توفي - رحمه الله - سنة عشر ومائة ونيف . انظر : تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٣١٨ ، وتهذيب الكمال ٤ / ٢٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٩٠ .

(٧) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن محفوظ بن معقل النيسابوري ، شيخ محتشم ، كان أحد المجتهدين في العبادة ، سمع أبا بكر بن خزيمة وأبا العباس بن السراج ، وروى عنه الحاكم ، توفي - رحمه الله - في ربيع الأول سنة ٣٨١ هـ . انظر : تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٣١٨ ، وتهذيب الكمال ٤ / ٢٩٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٩٠ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ . قال ابن عباس وأكثر المفسرين : «يريد من تحت أقدامهم»^(١) .

وقال آخرون : «من حيث كانوا ؛ لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب ، لا يبعدون عنه ولا يفوتونه»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «وجواب لو محذوف . المعنى : لو ترى ذلك لرأيت ما تعتبر به عبرة عظيمة»^(٣) .

وقال صاحب النظم : «قوله : ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ منظوم بما بعده ، وهو قوله : ﴿وَأَخِذُوا﴾ ، والتقدير : ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت ؛ أي فلا يفوتون» .

وقال الزجاج : «أي فلا فوت لهم ، لا يمكنهم أن يفوتوا»^(٤) .

٥٢-٥٣ . وقوله : ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ﴾ . قال مقاتل : «بالقرآن»^(٥) ، وقال غيره : «بمحمد ﷺ»^(٦) .

﴿وَأَنذَرَهُمْ أَلْتَنَافُسُ﴾ . قال أبو إسحاق : «التناوش : التناول ؛ أي وكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم ، وهو الإيمان والتوبة ، وكان قريباً منهم ، وكيف يتناولونه حين بُعد عنهم . ومن همز فلأن واو التناوش مضمومة وكل واو

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٤/٤٥٨ ، ونسبه إلى مجاهد ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٤٦٩ ، ونسبه إلى مقاتل .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/١٠٩ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٥٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٤٢٦ .

(٣) لم أقف على قول الزجاج ، وليس في معاني القرآن .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٨ .

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل ، وليس في تفسيره .

(٦) وبه قال قتادة . انظر : تفسير القرطبي ١٤/٣١٥ ، وزاد المسير ٦/٤٦٩ .

مضمومة ضمتها لازمة جاز إبدال الهمزة منها ، نحو : أدور وتقاوم ، قال : يجوز أن يكون التناوش من النئيش ، وهو الحركة في الإبطاء . والمعنى : من أين لهم أن يتحركوا في ما لا حيلة لهم فيه ؟^(١) .

وقال الفرّاء : «هما متقاربان ، مثل : ذمت الرجل وذأمته ، إذا عبته»^(٢) ، وقال أبو علي : «المعنى : كيف^(٣) يتناولونه من بُعد ، وهم لم يتناولونه من قرب في حين الاختيار والانتفاع بالإيوان» . والتناوش : التناول من : نشت تنوش . قال :

تَنُوشُ الْبَرِيرَ حَيْثُ طَابَ اهْتِصَارُهَا^(٤)

وقال : وَهِيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مَنْ عَلَا فَمَنْ عَلَا^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٩ / ٤ .

(٢) معاني القرآن ٣٦٥ / ٢ .

(٣) في (ب) : (وكيف) .

(٤) عجز البيت جاء في النسخ على هذا النحو ، وهو تصحيف ، والبيت هو :

فَمَا أُمُّ خَشْفٍ بِالْعَلَايَةِ شَادِنٍ تَنُوشُ الْبَرِيرَ حَيْثُ طَابَ اهْتِصَارُهَا

وهو من الطويل لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١ / ٧١ ، ولسان العرب (نوش) ٦ / ٣٦٢ ، و(علا) ١٥ / ٩٢ ، وتاج العروس و(نوش) ١٧ / ٤٣١ . ومعنى البيت : العلاية : موضع ، وفارد : تروى شادن ومشدن . والمعنى : توي وتحرك ، وتنوش ؛ أي تتناول ، والبرير : ثمر الأراك ، واهتصارها : جذبها غصن الأراك وكسرها إياه . انظر : شرح أشعار الهذليين ١ / ٧١ .

(٥) صدر بيت من الرجز لغيلان بن حريث ، وعجزه :

نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَآ

وصدره جاء في النسخ جميعها كما أثبتته ، والصحيح :

وَهِيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مَنْ عَلَا

انظره منسوباً إليه في مجاز القرآن ٢ / ١٥٠ ، ولسان العرب ٦ / ٣٦٢ ، وتاج العروس ١٧ / ٤٣١ ، والكتاب ٣ / ٤٥٣ ، والطبري ٢٢ / ١١٠ ، والقرطبي ١٤ / ٣١٦ . لم أقف لقائل البيت غيلان بن حريث الربيعي على ترجمة .

ومعنى البيت : يصف إبلاً وردت حوضاً وتناولت ما فيه تناولاً من فوق ، والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسيط .

فَمَنْ لم يهمز جعله تفاعلاً من النوش الذي هو التناول ، وَمَنْ همز احتمل أمرين ؛ أحدهما : أنه أبدل من الواو الهمزة لانضمامها ، مثل : أقتت وأدؤر ، والآخر : أن يكون من النأش ، وهو التطلب^(١) ، والهمزة منه عين . قال رؤبة :

أقحمني جارُ أبي الخاموشِ إليك نأشُ القَدَرِ النشوشِ

وهذا القول الثاني هو قول أبي عبيدة^(٢) ، وذكر بيت رؤبة وفسره : «وتطلب القدر» .

قال ابن عباس : «يريد تناول التوبة يومئذ لا يقبل»^(٣) .

وقال قتادة : «أننى لهم أن يتناولوا التوبة»^(٤) .

روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال : «يسألون الرد وليس بحين رد»^(٥) ، وهذا معنى وليس بتفسير .

(١) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (الطلب) ، كما في الحجة ٢٤ / ٦ .

(٢) مجاز القرآن ١٥١ / ٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ذكر في معاني القرآن للنحاس ٤٢٨ / ٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٧١٥ / ٦ ، وعزاه إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد .

(٥) ورد في تفسير الطبري ١١٠ / ٢٢ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤٢٤ / ٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وأورده السيوطي في الدر ٧١٥ / ٦ ، وزاد نسبه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ونحو هذا قول الكلبي في قوله : ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ . يقول : «الرجعة إلى الدنيا ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بعد الموت»^(١) ، وقال عطية : «وَأَنَّى لَهُمُ الرد حين لا رد ، والتوبة حين لا توبة»^(٢) .

وقال مقاتل : «من أين لهم التوبة حين لا توبة ، [وقال مقاتل : من أين لهم التوبة]^(٣) عند نزول العذاب»^(٤) . ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من الدنيا ، وهذا كله معنى . وتفسير التناوش ما ذكره أصحاب المعاني .

وقوله : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ : واو الحال ؛ أي كيف يبلغون إلى التوبة وقد كانوا كافرين بمحمد والقرآن في الدنيا قبل نزول العذاب وقبل ما عاينوا من الأهوال .

وقوله : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ . قال مجاهد : «يرمون محمداً بالظن [لا باليقين]^(٥) ، وهو قولهم : إنه ساحر وكاهن وشاعر»^(٦) . واختار الفراء هذا القول ، فقال : «يقولون ليس بنبي ، وقد باعدهم الله أن يعلموا ذلك ؛ لأنه لا علم لهم إنما يقولون بالظن»^(٧) ، فعلى هذا الغيب الظن ، وهو ما غاب علمه عنهم ، والمكان البعيد : بُعدهم عن علم ما يقولون .

(١) أوردته بعض المفسرين منسوبة إلى ابن عباس ومجاهد . انظر : تفسير الطبري ١١٠ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٥٩ ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في (أ) ، وليس هو في (ب) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ ب .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٩ ، وانظر أيضاً : تفسير الطبري ١١٢ / ٢٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٦٥ .

وقال قتادة : «يقذفون بالغيب يرحمون بالظن ، يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار»^(١) ، وعلى هذا المعنى : وقد كانوا يتكلمون بما غاب عنهم ويحكمون عليه بالكذب في الدنيا ، وهو قوله : ﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ . قال مجاهد : «في الدنيا ، وقد بعدت الدنيا من الآخرة جداً عند انقضائها وقيام الساعة»^(٢) ، وعلى هذين القولين قوله : ﴿ وَيَقَذِفُونَ ﴾ معطوف على ما قبله .

وقال مقاتل : ﴿ وَيَقَذِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ : «أي : ويتكلمون بالإيمان وقد غاب عنهم الإيمان عند نزول العذاب ، فلم يقدروا عليه»^(٣) ، وهو قوله : ﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، وعلى هذا : ويقذفون مستأنف ؛ لأنه خبر عنهم أنهم آمنوا حين لا ينفعهم الإيمان بعد أن كفروا في الدنيا .

وشرح ابن قتبية هذه الآيات ، فقال : «يقول : ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فوت ولا مهرب لهم ولا ملجأ يفوتون به ويلجئون إليه ، وهذا نحو قوله : ﴿ فَنادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ؛ أي نادوا حين لات مهرب . ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ يعني القبور .

﴿ وَقَالُوا ءَمَتْنَا بِهِ ﴾ ؛ أي بمحمد . ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ ﴾ ؛ أي التناول أي كيف لهم بنيل ما طلبوا من الإيمان في هذا الوقت الذي يقال فيه كافر ولا يقبل فيه توبة ؟ !

وقوله : ﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ : يريد بعد ما بين مكانهم يوم القيامة ، وبين المكان الذي تقبل فيه الأعمال .

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٢/٢٢ ، ومجمع البيان ٦٢٢/٨ ، وتفسير القرطبي ٣١٧/١٤ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٩ ، وتفسير الماوردي ٤٥٩/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٩/٥ .

(٣) سقطت هذه الآية من الأصل في تفسير مقاتل ، وعلقت بالهامش ، ولكنها غير واضحة ، ولم أقف عليه .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي بمحمد ، يقول : كيف ينفعهم الإيمان^(١) وقد كفروا به في الدنيا ؟ ! ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ؛ أي بالظن أن التوبة تنفعهم . ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ؛ أي بعيد من موضع يقبل فيه التوبة . ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ : الأمم الخالية^(٢) .

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في قوله : ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ غير ما قدّمناه ، قال : «وكان بعض المفسرين يحمل الفزع عند نزول بأس الله من الموت أو غيره ، وتعبيره بقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [غافر : ٨٤] إلى آخر السورة»^(٣) ، وهذا مذهب مقاتل ، قال : «هذا عند نزول العذاب بهم في الدنيا»^(٤) .

وقال الضحاك وزيد بن أسلم : «هذا الفزع وما ذكر كله هو يوم بدر ؛ إذ نزل بهم العذاب وشدة الموت قالوا : آمنا به ، ولم ينفعهم ذلك»^(٥) .

٥٤ . وقوله : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يعني الرجعة إلى الدنيا»^(٦) .

وقال الحسن : «يعني الإيمان» ، وهو قول سفيان^(٧) .

وقال مجاهد : «﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من مال وولد»^(٨) .

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : (في الآخرة) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣٣١ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ ب .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٠٧/٢٢ ، وتفسير القرطبي ٣١٤/١٤ ، وزاد المسير ٦/٤٦٧ .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٤ ، والوسيط ٣/٤٩٩ ، وزاد المسير ٦/٤٧٠ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١١٢/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٦٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٤٣١ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١١٢/٢٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٤٣١ ، وزاد المسير ٦/٤٧٠ .

- وقال مقاتل : «يعني من أن تقبل التوبة منهم»^(١) .
- وقوله : ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ﴾ . قال ابن عباس : «بنظرائهم»^(٢) . قال مجاهد : «الكفار من قبلهم»^(٣) .
- وقال الزَّجَّاج : «أي بمن كان مذهبه مذهبهم»^(٤) .
- قال أبو عبيدة : «شيعة وشيع وأشياع»^(٥) ، وهذا مما تقدّم القول فيه^(٦) .
- وقوله : ﴿مِّن قَبْلُ﴾ . قال مقاتل : «من قبل هؤلاء»^(٧) .
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ﴾ . قال : «من العذاب أنه نازل بهم» .
- قال الكلبي : «في شك مما نزل بهم»^(٨) . والكناية في ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعود إلى الكفار الذين أخبر عنهم في قوله : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ لا إلى الأشياع . ﴿مُرِيبٍ﴾ : موقع لهم الريبة والتهمة .

* * *

- (١) ليس في تفسيره ، ولم أقف على هذا القول منسوباً إليه .
- (٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧١ / ٦ نحو هذا القول عن الزَّجَّاج .
- (٣) انظر : تفسير مجاهد ٥٢٩ .
- (٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٩ / ٤ .
- (٥) مجاز القرآن ١٥١ / ٢ .
- (٦) عند تفسير قوله : ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾ [الأنعام : ٦٥] .
- (٧) ليس في تفسيره ، ولم أقف على هذا القول منسوباً إليه ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧١ / ٦ ، ونسبه إلى المفسرين .
- (٨) لم أقف عليه عند الكلبي ، وانظر : تفسير هود ٤٠٧ / ٣ ، وزاد المسير ٤٧١ / ٦ .

تفسير

سورة الملائكة (فاطر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل وغيرهما : «خالق السماوات والأرض»^(١) . [قال المبرّد : فاطر]^(٢) خالق مبتدٍ ، يقول : «فطر الله الخلق ؛ أي ابتدأهم ، [وأنا فاطر هذه البئر]^(٣) ؛ أي ابتدأت حفرها»^(٤) ، ونحو هذا قال الزجاج^(٥) ، وهذا مما سبق فيه الكلام .

قوله : ﴿جَاعِلِ الْمَلَيْكَةِ رُسُلًا﴾ . قال مقاتل : «منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والكرام الكاتبين»^(٦) .

-
- (١) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤ ، وبحر العلوم ٧٩ / ٣ ، وتفسير مقاتل ١٠١ ب .
 (٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
 (٣) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .
 (٤) لم أقف عليه .
 (٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤٦١ / ٤ .
 (٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠١ ب .

وقوله: ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَثُلُثٌ وَرُبْعٌ﴾ يقول: «من الملائكة مَنْ له جناحان، ومنهم مَنْ له ثلاثة أجنحة، ومنهم مَنْ له أربعة أجنحة». وذكرنا الكلام في مثنى وثلاث ورباع في أول سورة النساء^(١).

وقوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال مقاتل: «يزيد في خلق الأجنحة على أربعة أجنحة»^(٢). ورأى رسول الله ﷺ جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح، وقال له جبريل: إن لإسرافيل اثني عشر [جناحاً]^(٣)، جناح منها بالشرق، وجناح منها بالمغرب^(٤). وهذا الذي ذكرنا في زيادة الخلق هو قول الفراء والزجاج^(٥). وروى قتادة في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال: «الملاحه في العينين»^(٦).

وروي عن الزهري قال: «حسن الصوت»^(٧)، وعن أبي هريرة مرفوعاً: «الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن»^(٨). ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يريد أن يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ قاله ابن عباس^(٩).

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَّتَنَّىٰ وَثُلُثٌ وَرُبْعٌ﴾ [النساء: ٣]. قال في هذا الموضع: «بدل مما طاب، ومعناه: اثنان وثلاث وأربع، والواو دالة على تفرق الأنواع وتجنيس المباح من الزوجات، فَمَنْ تزَوَّجَ مثنى لم يضم إليهما ثلاثاً، وكذلك مَنْ تزَوَّجَ ثلاثاً لم يضم إليهن أربعاً».

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٠٢ أ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ٢٢٣/٣ ب، وبحر العلوم ٧٩/٣.

(٥) انظر: معاني القرآن ٣٦٦/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٦١/٤.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ٢٢٣/٣ ب، وتفسير البغوي ٥٦٤/٣، وزاد المسير ٤٧٣/٦.

(٧) انظر: المراجع السابقة، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٧٠/١٠.

(٨) لم أقف عليه مرفوعاً للنبي ﷺ، وانظر: تفسير القرطبي ٣٢٠/١٤، وتفسير الثعلبي ٢٢٣/٣ ب، وزاد المسير ٤٧٣/٦.

(٩) انظر: مجمع البيان ٦٢٦/٨.

٢. قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾. قال أبو إسحاق: «أي ما يأتيهم به من مطر أو رزق فلا يقدر أن يمسكه، وما يمسك من ذلك فلا يقدر قادر أن يرسله»^(١)، وهذا معنى قول ابن عباس والمفسرين في هذه الآية^(٢).

٣. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. قال ابن عباس: «يريد أهل مكة»^(٣). ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. قال: «يريد حيث أسكنكم الحرم، ومنعكم من جميع الغارات»^(٤). وقد ذكرنا معنى النعمة في ما تقدم.

وقال الفراء: «وما كان من هذا في القرآن فمعناه: احفظوا، كما تقول: اذكر أيادي عندك؛ أي احفظها»^(٥).

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾. قال أبو إسحاق: «هذا ذكر بعد قوله: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾، فأكد ذلك بأن جعل السؤال لهم: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. قال: ورفع غير على معنى هل من خالق غير الله؛ لأن من مؤكدة»^(٦).

وقال أبو علي: «مَنْ جرَّ غَيْرُ جعله صفة على اللفظ؛ وذلك حسن لاتباعه الجر الجر. وقوله: ﴿مِنْ خَلْقٍ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره قوله:

(١) انظر: معاني القرآن وإعراجه ٢٦٢/٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤، وتفسير الطبري ١١٥/٢٢، وتفسير الماوردي ٤٦٢/٤، وبحر العلوم ٨٠/٣.

(٣) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤، وذكره الطبري في تفسيره ١١٥/٢٢ من دون نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٤/٦، ونسبه إلى المفسرين.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: معاني القرآن ٣٦٦/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعراجه ٢٦٢/٤.

﴿يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وزيادة من في غير الإيجاب كثير ، نحو : هل من رجل ، و﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٦٢] . ومن رفع احتمال غير وجه ، يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ ، ويجوز أن يكون صفة على الموضع بتقدير : هل خالق غير الله يرزقكم ، ويجوز أن يكون غير استثناء ، تقديره : هل من خالق إلا الله^(١) . فلما كانت ترتفع ما بعد إلا حملت رفع ما بعد إلا في غير ، كما تقول : ما قام من أحد غير أبيك ، ويدل على جواز هذا الوجه قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٦٢] ، وذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ في سورة الأعراف [٥٩] .

قال المفسرون وابن عباس : ﴿يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ، المطر ومن ﴿الْأَرْضِ﴾ النبات^(٢) .

ثم وحّد نفسه ، فقال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَ تُؤْفَكُونَ﴾ . قال مقاتل : «من أين تكذبون بأن الله لا شريك له ، وأنتم مقرون بأن الله خلقكم ورزقكم»^(٣) .

قال أبو إسحاق : «من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث؟»^(٤) .

٤ . ثم عزى نبيه ﷺ بقوله : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ؛ أي الأمر راجع إلى الله في مجازاة من كذب ، ونصرة من كذب من رسله .

(١) الحجة ٢٦ / ٢٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٤ ، وتفسير السمرقندي ٨٠ / ٣ ، وزاد المسير ٤٧٤ / ٦ ، وتفسير البغوي ٥٦٥ / ٣ .

(٣) لم أقف على قول مقاتل .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٦٣ / ٤ .

٥. ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ : يعني كفار مكة . ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ . قال ابن عباس : يريد بالثواب والعقاب^(١) ، وقال مقاتل : «في البعث»^(٢) ،

وباقى الآية مُفسَّر في سورة لقمان : ٣٣ .

٦. وقوله : ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ . قال مقاتل : «فعادوه بطاعة الله ، ثم بين عداوته ، فقال : ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ ؛ أي يدعو شيعته إلى الكفر»^(٣) . ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

٨. وقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «نزلت في أبي جهل ومشركي مكة»^(٤) .

وقال سعيد بن جبیر : «يحسب الناس أن هذا في تزوين الخطايا لمن ركب منها شيئاً وليس كذلك ، ولكنها الزينة في الملل والأهواء التي خالفت الهدى ، فإن أهلها يحسبون أنهم يحسنون»^(٥) . ألا ترى النصارى يدعون لله ولداً ويحسبون أنهم يحسنون ، وتتقرب بذلك إلى الله ولا يحب أن يزني ويسرق ، وله الدنيا وما فيها ، واحتج على هذا بقوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال : ألا ترى ذلك صار في الضلالة والهدى وليس في ما يذهب الناس إليه من العمل» .

وأما نظم الآية وجواب قوله : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ﴾ فقال أبو إسحاق : «هو على ضربين ؛ أحدهما : أن يكون المعنى : أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبته نفسك عليه حسرة ، ودلَّ على هذا الجواب قوله : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٥ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٥ .

(٥) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٥ .

حَسَرَتْ ﴿١﴾ ، وهذا قول الفرّاء والكسائي^(١) ، قال : «يجوز أن يكون محذوفاً . والمعنى : أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله ، ويكون دليله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾»^(٢) ، وهذا قول أبي عبيدة ؛ لأنه قال في هذه الآية : «هو مختصر مكفوف عن خبره لتماحه عند المستمع»^(٣) .

ثم استأنف فقال : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتْ﴾ . قال ابن عباس : «يقول لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرات على تركهم الإسلام»^(٤) ، كقوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسُكَ﴾ [الكهف: ٦] الآية . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ : يعني عالم بصنيعهم فيجازيهم على ذلك ، ثم أخبر عن صنعه جل وعز ليعتبروا .

٩ . قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ . قال الكلبي : «فتنشى سحاباً»^(٥) . والمعنى : فتزعجه من حيث هو . ﴿فَسُقْنَهُ﴾ . قال أبو عبيد : «فنسوقه» ، وأنشد قول قعنب :

إِنْ يَسْمَعُوا زِينَةً^(٦) طَارُوا بِهَا فَرَحًا^(٧)

- (١) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٦٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٥٩ ، والمحزر الوجيز ٤/ ٤٣٠ ، وانظر قول الكسائي في : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٦٨٦ .
- (٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٦٤ .
- (٣) لم أقف عليه عن أبي عبيدة .
- (٤) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠١ ، وزاد المسير ٦/ ٤٧٦ .
- (٥) لم أقف عليه .
- (٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (ريبة) .
- (٧) هذا صدر بيت ، وعجزه :

مني وما سمعوا من صالح دفنوا

وهو من البسيط لقعنب بن أم صاحب في الحماسة ٢/ ١٧٠ ، ومجاز القرآن ١/ ١٧٧ ، ٢/ ١٥٢ ، وسمط اللآلئ ٣٦٢ ، وعيون الأخبار ٣/ ٨٤ .

أَيِّ إِن سَمِعُوا يَطِيرُوا^(١) .

وقوله : ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الأرض الجرز»^(٢) ، وقال الكلبي : «إلى مكان ليس عليه نبات»^(٣) . وقوله : ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ . قال ابن عباس : «أنبتنا فيها الزرع والأشجار بعد ما لم يكن»^(٤) .

﴿كَذَٰلِكَ الْفُتُورُ﴾ ؛ أَيُّ الْبَعْثِ وَالْإِحْيَاءِ .

١٠ . وقوله : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ . قال الفرّاء : «معناه : مَنْ كان يريد علم العزة لِمَنْ هي ، فإنها لله جميعاً ؛ أي كل وجه من العزة لله»^(٥) .

والآية على ما ذكرنا من باب حذف المضاف . وقال قتادة : «مَنْ كان يريد العزة فليعتز بطاعة الله»^(٦) ، يعني أن قوله : ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ معناه : الدعاء إلى طاعة مَنْ له العزة ليعتز بطاعته ، كما يقال : مَنْ أراد المال فالمال لفلان ؛ أي فليطلب مَنْ عنده من حيث يجب أن يطلب ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ؛ لأنه قال : «يؤمّن بالله فيعتز بعزه»^(٧) .

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٥٢ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكره هود بن محكم في تفسيره ٣ / ٤١١ من دون نسبة .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٦٧ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ١٢٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ٤٤٠ ، وزاد المسير ٦ / ٤٧٧ .

(٧) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الطبري ٢٢ / ١٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٣٢٨ ، وزاد المسير ٦ / ٤٧٧ .

وقال مجاهد ومقاتل : «مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَعْتَزَّزْ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»^(١) ، وعلى هذا في الآية محذوف دلٌّ عليه الكلام . والمعنى : أن عبدة الأصنام طلبوا التعزز بها ، يدل على هذا قوله : ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٣٩] ، وقوله : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] . فأخبر الله تعالى أن العزة لله جميعاً لا غيره ، فلا يعتز أحد بعبادة غيره ، وإنما التعزز بطاعة الله ، ثم بين كيف يتعزز بطاعته ، فقال : قوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ . قال مقاتل والمفسرون : «إلى الله يصعد كلمة التوحيد ، وهو : قول لا إله إلا الله»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «أي إليه يصل الكلام الذي هو توحيده ، والله تعالى يرتفع إليه كل شيء»^(٣) . وعلى ما ذكر ، معنى الصعود إليه : الارتفاع ، وهو بمعنى العلم كما يقال : ارتفع هذا الأمر إلى القاضي وإلى السلطان ؛ أي علمه . وفي تخصيص الكلم الطيب بعلمه إثبات للثواب عليه^(٤) . ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] فتشيك^(٥) عليه .

وقال بعض أهل المعاني : «يعني إليه يصعد إلى سمائه ، والمحل الذي لا يجري لأحد سواه فيه ملك ولا حكم»^(٦) . ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد العمل بما افترضه الله عز وجل ، يقول الله تعالى : «إذا قال العبد : لا إله إلا

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٣١ ، وتفسير مقاتل ١٠٢ ب ، وتفسير الطبري ١٢٠ / ٢٢ ، وزاد المسير ٤٧٧ / ٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ أ ، وانظر أيضاً : تفسير البغوي ٥٦٦ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٣٢٩ / ١٤ ، وزاد المسير ٤٧٨ / ٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥ / ٤ .

(٤) الظاهر أنه يوجد سقط في الكلام يمكن تقديره بنحو : «يدل عليه قوله تعالى» .

(٥) في (ب) : (فتشيك) .

(٦) كلام المؤلف - رحمه الله - في هذا الموضع فيه تأويل لصفة العلو والفوقية ، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة ؛ فإنهم يثبتون لله - جل وعلا - ما أثبتة لنفسه أو أثبتة له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٣٨١ / ٢ .

الله بِنَيَّْةٍ صادقة ، نظرت الملائكة إلى عمله ، فإن كان عمله موافقاً لقوله صعدا جميعاً ، وإن كان عمله مخالفاً وقف قوله حتى يتوب من عمله»^(١) .

وقال الحسن : «العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله ، يعرض القول على الفعل ؛ فإن وافق القول الفعل قبل ، وإن خالفه رُدَّ» ، ونحو هذا^(٢) قال سعيد بن جبير^(٣) ، وعلى هذا الكناية في ﴿يَرْفَعُهُ﴾ تعود إلى الكلم الطيب .

وقال قتادة : «يرفع الله العمل الصالح لصاحبه»^(٤) ، وعلى هذا تم الكلام عند قوله : ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ، ثم قال : ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ﴿الله إليه ؛ أي يقبله ، والكناية للعمل الصالح» ، وقال مقاتل : «التوحيد يرفع العمل الصالح إلى السماء»^(٥) . والمعنى على هذا : لا يقبل الله عملاً صالحاً^(٦) إلا من مؤحّد ، والرافع على هذا القول الكلم الطيب ، وعلى القول الثاني الرافع هو الله تعالى ، وعلى القول الأول الرافع العمل الصالح ، وهذا الأوجه ، وقد ذكره الفراء والزجاج والمُبَرِّد^(٧) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢١/٢٢ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .

(٢) (هذا) ساقط من (ب) .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/٤٤٠ ، وتفسير الماوردي ٤/٤٦٤ ، وزاد المسير ٦/٤٧٨ .

(٤) انظر : المراجع السابقة .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (عملاً صالحاً) .

(٧) معاني القرآن ٢/٣٦٧ ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٦٥ . ولم أقف على قول المُبَرِّد ، ويرجح المؤلف - رحمه الله - القول الأول القائل بأن الرافع هو العمل الصالح ؛ لأنه قول صحيح ثابت عن حبر الأمة وترجمان القرآن - رضي الله عنه - .

قال مقاتل : «ثم ذكر من لا يؤخذ الله ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ؛ أي والذين يقولون الشرك»^(١) ، وهذا معنى قول ابن عباس : «والذين يشركون بالله لهم عذاب شديد»^(٢) .

وقال الكلبي : «يعني يعملون السيئات»^(٣) .

وقال سعيد بن جبير : «والذين يعملون بالرياء» ، وهو قول مجاهد وشهر بن حوشب^(٤) .

وقال أبو العالية : «يعني الذين مكروا برسول الله في دار الندوة»^(٥) ، وهو اختيار أبي إسحاق^(٦) . ثم أخبر أن مكروهم يبطل ، فقال : ﴿وَمَكْرُؤُكُم هُيْوَؤُكُمْ﴾ . قال قتادة : «يفسد»^(٧) ، وقال مقاتل : «يهلك ولا يكون شيئاً»^(٨) ، وقال السُّدِّي : «يهلك وليس له ثواب في الآخرة»^(٩) .

ثم دلَّ على نفسه بصفة ليوحد ، فقال :

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .
 (٢) أورده الطبري في تفسيره ١٧ / ٢٢ ، ونسبه إلى قتادة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٩ / ٦ ، ونسبه إلى مقاتل ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .
 (٣) انظر : مجمع البيان ٦٢٩ / ٨ ، وتفسير القرطبي ٣٣٢ / ١٤ ، وتفسير البغوي ٥٦٧ / ٣ .
 (٤) ذكره الطبري في تفسيره ١٧١ / ٢٢ ، والبغوي في تفسيره ٥٦٧ / ٣ ، وصاحب الدر المنثور ١٠ / ٧ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن مجاهد ، وإلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن شهر بن حوشب .
 (٥) انظر : مجمع البيان ٦٢٩ / ٨ ، وزاد المسير ٤٧٩ / ٦ .
 (٦) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٢٦٥ .
 (٧) انظر : تفسير الطبري ١٧١ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٦٥ / ٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٤٣ / ٥ .
 (٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .
 (٩) أورده السيوطي في الدر ١٠ / ٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السُّدِّي ، وانظر : تفسير السُّدِّي الكبير ٣٩٣ .

١١ . قوله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني آدم»^(١) .
 ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ : يعني نسله . ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ . قال السُّدِّي
 ومقاتل : «ذكراناً وإناثاً»^(٢) . ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ . قال مقاتل :
 يقول : «مَنْ قَلَّ عمره أو كثر عمره ، فهو يعمر إلى أجله الذي كتب
 له»^(٣) . فالمعمر على هذا الذي قُدِّر له شيء من العمر وإن قَلَّ ، وليس
 المعمر بمعنى الطويل العمر ، وهو قول المفسرين^(٤) .

﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ كل يوم حتى ينتهي إلى أجله . قال سعيد بن جبير :
 «يكتب في أول الصحيفة عمره ، ثم يكتب في أسفل من ذلك : ذهب يوم ، ذهب
 يومان ، حتى لا يبقى شيء»^(٥) .

قال السُّدِّي^(٦) : «يعمر الإنسان الستين والسبعين وينقص ما مضى من أيامه ،
 وذلك نقصان من عمره ، وذلك كله ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾» ، هذا الذي ذكرنا
 قول الجمهور .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «ما يزداد في عمر إنسان ، ولا ينقص من
 عمره»^(٧) .

-
- (١) ورد في تفسير مقاتل ١٠٢ ب ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وذكر بعض المفسرين القول
 منسوباً إلى قتادة . انظر : تفسير الطبري ١٢٢ / ٢٢ ، وتفسير القرطبي ٣٣٢ / ١٤ .
- (٢) لم أقف عليه عن مقاتل ، وقد أوردته د . محمد عطا في تفسير السُّدِّي الكبير ٣٩٩٣ ، وعزاه إلى السيوطي
 في الدر ، ولم أقف عليه عند السيوطي .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب .
- (٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٢ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٤٦٥ / ٤ ، وتفسير البغوي ٥٦٧ / ٣ .
- (٥) ذكر في تفسير الثعلبي ٢٢٥ / ٣ ب ، وتفسير الماوردي ٤٦٥ / ٤ ، وأورده السيوطي في الدر ١١ / ٧ ،
 وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة عن سعيد بن جبير .
- (٦) ذكر في تفسير ابن أبي حاتم ٣١٧٥ / ١٠ ، وأورده الطبري في تفسيره ١٢٣ / ٢٢ عن ابن مالك .
- (٧) انظر : تفسير الطبري ١٢٢ / ٢٢ ، وزاد المسير ٤٨١ / ٦ .

وعلى هذا المعمر : الطويل العمر ، والذي ينقص من عمره غيره . وعلى القول الأول الذي ينقص من عمره هو المعمر الأول . واختار الفراء هذا القول الثاني ، فقال : «ولا ينقص من عمره ، يريد [أخبر]^(١) غير الأول ، وكنتى عنه بالهاء كأنه الأول ، ومثله في الكلام : عندي درهم ونصفه ، المعنى : نصف آخر ، وجاز أن يكتى عنه بالهاء ؛ لأن اللفظ الثاني قد يظهر واللفظ الأول يكتى عنه كالكناية عن الأول ، قال : وهذا أشبه بالصواب»^(٢) . وإنما اختار هذا ؛ لأن القراءة المشهورة : «ولا ينقص من عمره» بفتح الياء كما قرأه الحسن وابن سيرين^(٣) ، ولأن المعمر في ظاهر اللغة الطويل العمر ، وقل ما يقال لمن قصر عمره : معمر .

قوله : ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يريد اللوح المحفوظ [مكتوب]^(٤) قبل أن يخلق»^(٥) . ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سَيْرٌ﴾ ؛ أي كتابة الآجال والأعمال على الله هين .

١٢ . قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ : يعني العذب والمالح ، ثم ذكر ذلك ، فقال : ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ ؛ أي جائز في الخلق ، وهذه القطعة مرّ تفسيرها في سورة الفرقان^(٦) .

(١) هكذا في (أ) ، وهي ساقطة من (ب) ، وهو خطأ ، والصواب : (آخر) ، كما في معاني القرآن للفراء ٣٦٨/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٣٦٨/٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، والنشر ٣٥٢/٢ .

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٢ ب ، وتفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٥ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان ٥٣] . وقال هناك : «عذب طيب ، وأصله من المنع ، والماء العذب هو الذي يمنع العطش ، فرات الفراء أعذب المياه» .

وقوله : ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ﴾ إلى آخر الآية تفسيره قد سبق في سورة النحل ^(١) .
وقوله هنا : ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني من المالح دون العذب .

١٣ . وقوله تعالى : ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ . قال أبو عبيدة : «هو الفوقه التي النواة فيها» ^(٢) .

وقال ابن السكيت : «هو القشرة الرقيقة التي على النواة» ^(٣) .

قال الزجاج : «هو لفافة النواة» ^(٤) .

وقال مقاتل : «يعني قشرة النواة الأبيض» ^(٥) ، وهو السحاة التي تكون على النوى .

وقال الحسن : «قشر النوى» ^(٦) .

وقال مجاهد : «لفافة النواة» ، وهذا قول الجميع ^(٧) .

(١) آية ١٤ . انظر : البسيط ، وذكر فيه : «قال ابن عباس : يريد السمك والحيتان» .

(٢) مجاز القرآن ١٥٣/٢ . والفوقه : هي الغشاء الرقيق المحيط بالنواة . يقول السمين الحلبي في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢٣٦/٣ ، ٢٣٧ : «ويقال : إنه اجتمع في النواة أربعة أشياء ، يضرب بها المثل في القلة والحقارة ، وقد ذكرت منها ثلاثة في القرآن العزيز : الفتيل وهو ما في شق النواة مما يشبه الخط الرقيق ، والنقر وهو النقرة في ظهرها ، والقطمير وهو اللفافة على ظهرها» . اهـ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤٠٩/٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٦٦/٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) ذكر في تفسير مجاهد ٥٣١ ، وتفسير الطبري ١٢٥/٢٢ ، وأورده السيوطي في الدر ١٥/٢ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

وروي عن ابن عباس أنه : «شق النواة» ، وهو اختيار المُبرِّد^(١) .

١٤ . وقوله : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ﴾ . قال مقاتل : «يتبرأون من عبادتكم إياها»^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : «يقولون ما كنتم إيانا تعبدون . والمعنى : بإشراككم إياها مع الله في العبادة ، يقولون : ما أمرناكم بعبادتنا»^(٣) .

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يا محمد . ﴿مِثْلُ خَيْرٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني نفسه عز وجل ، يقول : فلا أحد أخبر منه بخلقه ، وبأن هذا الذي ذكر من أمر الأصنام هو كائن يوم القيامة»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «لأن ما أنبأ الله - عز وجل - مما يكون فهو وحده يخبره ولا يشركه فيه أحد»^(٥) . هذا كلامه . والمعنى : لا ينبئك مثل خير يعلم الأشياء ويخبرها ؛ لأنه لا مثل له ، فلا ينبئك مثله في علمه .

١٥ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أهل مكة»^(٦) . ﴿أَنْتُمْ أَلفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ : المحتاجون إلى رزقه ومغفرته . (وهو الغني) عن عبادتكم . ﴿الْحَمِيدُ﴾ إلى خلقه وغير خلقه^(٧) .

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٤ / ٣٣٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٦٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره بعض المفسرين منسوباً إلى المفسرين . انظر : الوسيط ٣ / ٥٠٣ ، وبحر العلوم ٣ / ٨٣ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٣٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٦٧ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) هذه العبارة خطأ ، ولعلها وهم من المؤلف - رحمه الله - أو خطأ من الناسخ ؛ لأنه لا شيء في الكون غير مخلوق لله جل وعلا .

١٦ . وقوله : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ مُفسَّر في ما مضى ^(١) إلى قوله : ﴿وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ . قال الفراء والزجاج : «أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب» ^(٢) .

قال الفراء : «والنفس تُعبَّر عن الذكر والأنثى ، كقوله ^(٣) : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، [الأنبياء : ٣٥] ، [العنكبوت : ٥٧]» ^(٤) .

١٨ . وقوله : ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ ؛ أي ما حمل من الخطايا والذنوب . ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ﴾ ؛ أي من حملها .

[وقوله] ^(٥) ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ . قال مقاتل : «ولو كان بينهما ما حملت عنها شيء من وزرها» ^(٦) ^(٧) .

قال ابن عباس : «يقول : يا بني احمل عني ، فيقول : حسبي ما علي» ^(٨) .

- (١) قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ^(١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿ [إبراهيم : ١٩ - ٢٠] . وقال هناك : «قال ابن عباس والكلبي : يريد أمتكم يا معشر الكفار ، وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع» .
- (٢) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٦٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٦٧ .
- (٣) في (أ) : (كقولك) ، وما في الصلب هو الصواب .
- (٤) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٦٨ .
- (٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
- (٦) في (ب) : (أوزارها) .
- (٧) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .
- (٨) يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢١﴾ وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٢﴾ وَصَجِيئِهِ وَبَنِيهِ ﴿٢٣﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس : ٣٤] .

قال أبو إسحاق : «أي ولو كان الذي يدعوه ذا قربي ، مثل الأب والابن ومن أشبه هؤلاء»^(١) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أوليائه ، يقول : خافوني وخافوا ما غاب عنهم من عذابي»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «تأويله أن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم»^(٣) ، فكأنك تنذرهم دون غيرهم مما لا ينفعهم إنذارك ، كقوله : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات : ٤٥] .

وقوله : ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ . قال ابن عباس : «مَنْ اهتدى فإنما يهتدي لنفسه»^(٤) .

وقال مقاتل : «مَنْ صلح فصلاحه لنفسه»^(٥) . ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجزى بالأعمال في الآخرة .

١٩ . وقوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ . قال ابن عباس : «لا يستوي المشرك والمؤمن»^(٦) .

وقال مقاتل : «وما يستوي في الفضل الأعمى عن الهدى [يعني]^(٧) الكافر ، والبصير بالهدى يعني المؤمن يبصر رشده»^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٦٧ / ٤ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : زاد المسير ٤٨٣ / ٦ ، وتفسير هود ٤١٥ / ٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٦ .

(٧) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ أ .

٢٠. ﴿وَلَا الظُّلُمَتُ﴾ : يعني الشرك والضلالات . ﴿وَلَا النُّورُ﴾ : يعني الهدى والإيمان بالله .

٢١. ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ . قال الكلبي : «أما الظل فالجنة ، وأما الحرور فالنار»^(١) .

وقال ابن عباس : «يريد ظل الليل ، والحرور هو الذي يكون مثل السموم بالنهار»^(٢) .

وقال قتادة : «هذه أمثال ضربها الله للكافر والمؤمن ، يقول : لا تستوي هذه الأشياء ، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن»^(٣) .

قال أبو عبيدة : «الحرور ريح حارة تكون بالنهار مع الشمس» ، وأنشد حميد الأرقط^(٤) :

إِنَّا وَإِنْ تَبَاعَدَ الْمَسِيرُ وَسَفَعْتُ أَلْوَانَنَا الْحَرُورُ
وَأَوْقَدْتُ نِيرَانَهَا الْقُبُورُ^(٥)

(١) انظر : الوسيط ٣/ ٥٠٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٣٣ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٠ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٦٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٠ ، وزاد المسير ٦/ ٤٨٤ .

(٤) حميد بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقيل هو أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، عاصر الحجاج ، وسمي الأرقط لأثار كانت في وجهه ، وهو بخيل لثيم ، يقال له : هجاء الأضياف . انظر : خزانة الأدب ٥/ ٣٩٥ ، والعقد الفريد ٧/ ٢٠٨ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٥٤ .

قال أبو إسحاق : «الحرور استيقاد الحر ولفحه بالليل والنهار ، والسموم لا يكون إلا بالنهار»^(١) .

٢٢ . قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ : يعني المؤمنين والكافرين .

قال ابن عباس : «الكافر وإن كان يأكل ويشرب ويحيى ويذهب»^(٢) ، فهو مثل الميت ، ودليل هذا في صفتهم قوله تعالى : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل : ٢١] .

ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ . قال ابن عباس : «يسمع أوليائه»^(٣) الذين خلقهم لجنته وعصمهم من الكفر»^(٤) . والمعنى : يسمع كلامه من يشاء حتى يتعظ يهتدي . وقال السُّدِّي : «يهدي مَنْ يشاء»^(٥) .

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ : يعني الكفار ، شبههم حين صموا ولم يجيبوا إذا دعوا إلى الإيمان بأهل القبور ، ثم قال للنبي ﷺ حين لم يجيبوه إلى الإيمان :

٢٣ . ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ . يقول : «ما أنت إلا نذير ، وليس عليك إلا البلاغ» .

٢٤ . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ . قال ابن عباس : «وما من أمة من خلقي إلا وقد بعثت فيها نبياً»^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٦٨ / ٤ .

(٢) في (ب) : (ويذهب ويحيى) ، ترتيب .

(٣) في (أ) : (أوليائهم) ، وهو خطأ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر نحوه الطبري في تفسيره ١٣٠ / ٢٢ عن قتادة ، والقرطبي في تفسيره ٣٤٠ / ١٤ من دون نسبة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٧٩ / ١٠ عن السُّدِّي .

(٦) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٤٥٢ / ٥ ، والمحرر الوجيز ٤٣٦ / ٤ ، ومجمع البيان ٦٣٤ / ٨ .

وقال مقاتل : «يقول : ما مرَّ أمة في ما مضى إلا جاءهم رسول»^(١) .

وقال ابن قتيبة : «خلا فيها نذير سلف فيها نبي»^(٢) .

٢٦ . وقوله : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ؛ أي عاقبتهم ، فكيف كان عقوبتي ، قاله أبو عبيد^(٣) . قال مقاتل : «يخوف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية»^(٤) .

٢٧ . ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده ، فقال : ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٥) إلى قوله : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ﴾ . قال الفراء : «الجدد : الطرق تكون في الجبال مثل العروق : بيض ، وسود ، وحر^(٦) ، واحدها جدة»^(٧) ، وأنشد لامرئ القيس :

كَأَنَّ سَرَاتِيهِ^(٨) وَجُدَّةَ ظَهْرِهِ
كَثَائِنٌ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصٌ^(٩)

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٢) تفسير غريب القرآن ٣٦١ .

(٣) لم أقف على قول أبي عبيد .

(٤) لم أقف على قول مقاتل .

(٥) قوله : (من السماء ماء) ساقط من (أ) .

(٦) في (ب) : (بيض وحر وسود) .

(٧) في (أ) بعد قوله : (واحدها جدة) ، قال : «فقال : ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إلى قوله : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَسودهم من الناسخ» .

(٨) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (سراته) .

(٩) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في شرح ديوانه ١٢٤ ، وتهذيب اللغة ٤٥٨/١٠ ، واللسان (جديد) ١٠٨/٣ ، و(دلص) ٣٧/٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٦٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٦٩/٤ . سراته : أعلى ظهره ، وجدة ظهره : العلامة يخالف لونها لون جلده ، والكثائن : الخطوط البيض في ظهره .

يعني الخطة السوداء في متن الحمار ، والدليص : الذي يبرق»^(١) .

وقال أبو عبيدة : «جدد : طرائق» ، وأنشد لذي الرمة يصف الليل :

حتى إذا حانَ منَ حضرَ قوادمهُ ذي جدتينِ يكفُ الطرفَ تميمٌ^(٢)^(٣)

وقال أبو إسحاق : «جدد جمع جُدة ، وهي الطريقة ، وكل طريقة جُدة وجادة»^(٤) .

وقال ابن قتيبة والمُبرِّد : «جدد : طرائق وخطوط»^(٥) ، ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الجدد : «أنها الطرائق»^(٦) .

وقال مقاتل : «يعني بالجدد الطرائق التي تكون في الجبال ، منها بيض ، ومنها حمر ، ومنها غرايب سود»^(٧) . وهو جمع غريب ، وهو الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب ، يقال : أسود غريب وغرابي»^(٨) .

وذكر عن الفراء أن هذا التقديم والتأخير ، بتقدير : وسود غرايب ؛ لأنه يقال : أسود غريب ، وقلَّ ما يقال : غريب أسود»^(٩) .

(١) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٦٩ .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لذي الرمة في ديوانه ١ / ٤٤٤ ، وانظره منسوباً إليه في مجاز القرآن ٢ / ١٥٥ . ومعنى البيت : يريد من ليس سود أوائله . ذي جدتين ؛ ناجيتين من الليل ، ويكف الطرف : يرده حتى لا يجوزه ، وتغيم : إلbas ، يقول : «جاء الليل مثل الغيم» .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٥٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٦٩ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٣٦١ ، وانظر : فتح القدير ٣ / ٣٧٤ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٦٢٦ أ ، وتفسير الطبري ٢٢ / ١٣١ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٧٠ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (غرب) ٨ / ١١٧ ، واللسان (غرب) ١ / ٦٣٨ .

(٩) لم أقف على قول الفراء في معاني القرآن له ، ونقل كلام الفراء الطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٦٣٥ ، والمؤلف في الوسيط ٤ / ٣٥٠٤ ، والشوكاني في فتح القدير ٤ / ٣٤٧ .

وقال الأخفش في هذه الآية : « قوله : ﴿ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ نصب (مختلفاً) ؛ لأن كل صفة متقدمة فهي التي تجري على الذي قبلها إذا كانت من سببه ، و(الثمرات) في موضع نصب » . هذا كلامه ^(١) . و(مختلفاً) ينتصب بكونه نعتاً لقوله ثمرات ، وجاز تذكره على الفعل ، فجاز أن يجري مجرى الفعل ، ولو كان فعلاً جاز تذكره كقوله : ﴿ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ . والاختلاف الألوان ، وجرى صفة للثمرات ، كقوله : ﴿ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْغَالِيَةُ أَهْلُهَا ﴾ [النساء : ٧٥] ؛ فالظالم للأهل ، وقد جرى صفة للقرية ^(٢) ، وشرحنا الكلام فيه هاهنا ، وتم الكلام عند قوله : ﴿ أَلْوَانُهَا ﴾ ، ثم ابتداء فقال : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ ﴾ ؛ أي ومما خلقنا من الجبال جدد بيض ، يعني طرائق ، وليس يريد الطرائق التي تسلك ، وإنما أراد الطرائق ^(٣) التي تكون مستقيمة على ضرب واحد كطرائق النحل ، وكذلك يكون الجبال ممتد ؛ منها طريقة ^(٤) بيض ، ومنها طريقة حمرة ، وطريقة سود ؛ وهي الغرايب . قال أبو إسحاق : « وهي الحرار من الجبال التي تكون ذات صخور سود » ^(٥) .

هذا الذي ذكرنا هو الوجه في تفسير الجدد والطرائق ؛ لأن الطرائق في اللغة كل مستطيل ، ويجوز أن يكون المعنى ما ذكره الفراء من قوله : « هي طريق تكون في الجبال كالعروق » .

٢٨ . وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ ﴾ . قال الزّجاج : « المعنى : وفي ما خلقنا مختلفاً ألوانه من الناس والدواب

(١) انظر : معاني القرآن ٤٨٦ / ٢ .

(٢) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢ / ٢١٦ ، والدر المصون ٥ / ٤٦٦ ، والبحر المحيط ٢٩٦ / ٧ .

(٣) في (ب) : (الطريق) .

(٤) في (أ) : (منها طريقة منها بيض) ، وهو خطأ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٦٩ .

والأنعام ، خلق مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات والجبال»^(١) . وتم الكلام ، ثم ابتداءً : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «في هذه الآية تقديم وتأخير»^(٢) ، يعنيان تقديم المفعول على الفاعل . قال ابن عباس : «يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني»^(٣) ، وقال مقاتل : «أشد الناس لله خشية أعلمهم به»^(٤) ، وقال الكلبي : «العلماء بالله هم الذين يخشونه»^(٥) ، وقال ابن مسعود : «كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً»^(٦) ، وقال مجاهد والشعبي : «العالم من خاف الله»^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «عزيز في ملكه ، غفور لذنوب المؤمنين»^(٨) .

٢٩ . قوله : ﴿ يَرْجُونَ نَجْرَةً لَّنْ تَكُونُ ﴾ . قال مقاتل وأبو عبيدة : «لن تهلك»^(٩) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٦٩ .

(٢) لم أقف على قول الكلبي ، وانظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٣) تفسير القرطبي ١٤ / ٣٤٣ ، وزاد المسير ٦ / ٤٨٦ ، وانظر : تفسير الثعلبي ٣ / ١٩٩ ب .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكر في تفسير القرطبي ١٤ / ٣٤٣ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٣٧ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٢٠ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والطبراني عن ابن مسعود .

(٧) ذكر في المحزر الوجيز ٤ / ٤٣٧ ، وزاد المسير ٦ / ٤٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٢١ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد عن مجاهد .

(٨) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وتفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٠ ب ، ومجاز القرآن ٢ / ١٥٥ .

وقال أبو إسحاق : «لن تفسد ولن تكسد»^(١) ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَمَكَرُوا لَكَ هُوَ ابُّورٌ﴾ [فاطر : ١٠] في مواضع .

قال ابن عباس في قوله : ﴿يَحْزَنُ لَن تَكْبُورُ﴾ : «يعني الجنة»^(٢) . وقوله : ﴿يَرْجُونَ﴾ . قال الفراء : «هو جواب لقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ﴾»^(٣) فيرجون جواب لأول الكلام»^(٤) .

وقوله : ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ﴾ متعلق بما ذكر من قوله : ﴿يَتْلُونَ﴾ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ﴿وَأَنفَقُوا﴾ ليوفيههم ؛ أي فعلوا ما فعلوا ليوفيههم الله جزاء أعمالهم بالثواب .

٣٠ . ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : «سوى الثواب : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»^(٥) . ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب . (شكور) لحسناتهم ، قاله مقاتل^(٦) ، وقال ابن عباس : «غفر العظيم من ذنوبهم ، وشكر اليسير من أعمالهم»^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعراجه ٢٦٩ / ٤ .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره هود في تفسيره ١٧ / ٣ من دون نسبة .

(٣) في (أ) : (ويقيمون) بدلاً من (وأقاموا) .

(٤) انظر : معاني القرآن ٢ / ٢٦٩ .

(٥) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس ، ولكن ورد عن أبي هريرة في الصحيحين ؛ في البخاري ، كتاب التفسير ، (سورة تنزيل السجدة) ٤ / ١٧٩٤ ، رقم الحديث ٤٥٠١ ، ٤٥٠٢ عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قال : قال الله تعالى : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» ، ورقم ٤٥٠٣ عن أبي هريرة أيضاً ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤ / ٢١٧٤ ، رقم الحديث ٢٨٢٤ ، وعن سهل بن سعد الساعدي ، رقم ٢٨٢٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٧) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وانظر : الوسيط ٣ / ٥٠٥ ، وتفسير البغوي ٥٧٠ / ٣ .

٣١. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : «حيث جعلت نعمتي كرامتي فيمن خافني وعظم حقي»^(١) .

٣٢. وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ : هذه الآية منتظمة بقوله : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ . لمَّا ذكر أن الأمم الماضية كذبوا الرسل الذين أتتهم بالبينات وبالزبور وبالكتاب المنير ، وأنه عاقبهم على ذلك ، ذكر هذه الآية المصدقة بالكتاب ، فقال : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ . قال مقاتل : «يعني القرآن»^(٢) . والمعنى : ثم جعلنا الكتاب ينتهي إليهم ؛ لأن من ورث شيئاً كان ذلك الشيء منتهياً له .

وقوله : ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ . قال ابن عباس : «يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمة محمد ﷺ»^(٣) .

ثم قسمهم ورتبهم ، فقال : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ . قال ابن عباس : «بدأ بشرهم ، فقال : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ، وهو الذي مات على كبيرة ، ولم يتب منها»^(٤) .

وقال مقاتل : «يعني أصحاب الكبائر من أهل التوحيد»^(٥) .

﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ . قال ابن عباس : «وهو الذي لم يصب كبيرة»^(٦) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٣ ب .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣٣/٢٢ ، وتفسير البغوي ٥٧٠/٣ ، والمحرر الوجيز ٤٣٩/٤ .

(٤) انظر : الوسيط ٥٠٥/٣ ، وزاد المسير ٤٨٩/٦ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الثعلبي في تفسيره ٢٢٨/٣ عن بكر بن سهل الدمياطي .

وقال مقاتل : «هو صاحب اليمين»^(١) .

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ : يعني المقرين الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة .
وقال الحسن : «الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته ، والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت [حسناته على سيئاته]»^{(٢)(٣)} .

وقال أبو الدرداء : «سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية : «السابق والمقتصد يدخلان»^(٤) الجنة بغير حساب ، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة»^(٥) .

وقال عقبة : «قال^(٦) لعائشة : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ الآية ، فقالت : أمّا السابق فمَن مضى في حياة رسول الله ﷺ ، وأمّا المقتصد فمَن اتبع آثارهم فيعمل بأعمالهم حتى لحق بهم ؛ فمثلي^(٧) ومثلك ومَن اتبعك^(٨) ،

(١) لم أقف عليه عن مقاتل ، وقد ذكره القرطبي ١٤ / ٣٤٦ عن مجاهد .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٢٨ أ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٧١ ، والمحرر الوجيز ٤ / ٤٣٩ .

(٤) في (ب) : (يدخلون) ، وهو خطأ .

(٥) هذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١٩٨ ، ٦ / ٤٤٤ ، والحاكم في المستدرک ، كتاب : التفسير

(سورة الملائكة) ٢ / ٤٢٦ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠ / ٣١٨٢ .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (قلت) .

وعقبة هو ابن صهبان الأزدي الحداني ، وقيل الراسبي ، وقيل الهنائي البصري ، وحدان وراسب وهناء من الأزد ، روى عن عبدالله بن مغفل المزني وعثمان بن عفان وعائشة أم المؤمنين وغيرهم ، وروى عنه جماعة ، منهم : صبيح أبو الوسيم وعلي بن زيد بن جدعان وفتادة بن دعام ، وهو ثقة ، روى له البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، توفي مطلع ولاية الحجاج على العراق . انظر : تهذيب الكمال ١٧ / ٢٠٠ والترجمة ١٧٣٦ ، ٣٩٧٧ ، والطبقات الكبرى ٧ / ١٤٦ ، والجرح والتعديل ٦ / ٣١٢ .

(٧) هكذا في النسخ ، وفيه سقط من الأثر نصه : (وأمّا الظالم لنفسه فمثلي) .

(٨) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (اتبعنا) .

وكلُّ في الجنة»^(١)، وقال ابن الحنفية: «الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنات، والسابق في الدرجات العلى»^(٢).

وروي عن ابن عباس أنه سأل كعباً^(٣) عن هؤلاء الأصناف الثلاثة، فقال: «تحاكت مناكبهم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم»^(٤).

وقال كعب أيضاً: «وقرأ هذه الآية إلى قوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، فقال: دخلوها ورب الكعبة»^(٥).

وروي عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: «فيعذب الله من اصطفاه وجعلهم يدخلون الجنة»^(٦).

(١) هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرک، کتاب: التفسير (سورة الملائكة) ٤/ ٤٢٦، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي»، وابن حجر في المطالب العلية ٥/ ٣٦٠، وقال: «لأبي داود»، والتعليقي في تفسيره.

(٢) ذكر في تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٥، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) إسحاق بن كعب بن نافع بن ذي هجن الحميري التابعي، اشتهر بكعب الأخبار، من علماء اليهود في اليمن، أسلم في خلافة أبي بكر، وقدم المدينة فأخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ الكتاب والسنة من كبار الصحابة بالمدينة، ثم رحل إلى الشام وتوفي فيها. انظر: حلية الأولياء ٥/ ١٦٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٢، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٨.

(٤) ذكر في تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٤، والمحزر الوجيز ٤/ ٤٣٩، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٢٧، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٧، وعزاه إلى عبد بن حميد. قلت: «ولعل هذا القول وسابقه لا فرق بينهما، فكلاهما يدل على أن الأصناف الثلاثة داخلية الجنة».

(٦) هكذا وردت هذه الرواية عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في النسخ جميعها، والظاهر أن في الكلام خطأ، ولم أقف على رواية عن ابن عباس قريبة منها بعد طول بحث، فيظهر أنها خطأ من النساخ.

هذا الذي ذكرنا مذهب جمهور أهل التأويل . وذهب قوم إلى أن الظالم لنفسه ليس من أهل الجنة ، فقال الكلبي : « فمنهم ظالم لنفسه في الكفر ، وذلك في النار »^(١) .

وروى عن عمرو بن دينار أن ابن عباس كان يقول : « الظالم لنفسه هو المنافق »^(٢) .

وروي عوف عن الحسن : « نجا السابق والمقتصد ، وهلك الظالم لنفسه »^(٣) .

وقال مجاهد : « صنفان^(٤) نانجيان وصنف هالك ، قال : وهذه الآية كالتي في الواقعة : ﴿ فَأَصْحَبُ الْيَمِينَةِ مَّا أَصْحَبُ الْيَمِينَةِ ﴾^(٥) وَأَصْحَبُ الْمَشْأَةِ مَّا أَصْحَبُ الْمَشْأَةِ ﴿ [الواقعة : ٨-٩] »^(٥) ، وعلى هذا القول الكناية في منهم ، ومنهم تعود إلى قوله : ﴿ عِبَادَنَا ﴾ ، والقول هو الأول ؛ لأن الله تعالى ذكر الأصناف بعد الاصطفاء ؛ ولأنه ختم ذكرهم بقوله : ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ .

ولقد أحسن أبو بكر الوراق كل الإحسان حيث قال : « رتب الله هذه الأمة على ثلاث طبقات ؛ لأن أحوالهم على ثلاث : معصية ثم توبة ثم قربة ، فإذا عصي

(١) لم أقف عليه عن الكلبي ، وذكره القرطبي في تفسيره ٣٤٦/١٤ ، وصاحب زاد المسير ٤٨٩/٦ ، ونسبه إلى عمرو بن دينار عن ابن عباس .

(٢) ورد في مجمع البيان ٦٣٩/٨ ، وذكر بعض المفسرين هذا القول منسوباً إلى الحسن . انظر : تفسير الطبري ١٣٥/٢٢ ، وزاد المسير ٤٨٩/٧ .

(٣) ذكر في تفسير الطبري ١٣٥/٢٢ ، وزاد المسير ٤٨٩/٧ ، ومجمع البيان ٦٣٩/٨ ، وأورده السيوطي في الدر ٢٧/٧ ، وعزاه إلى عبد بن حميد والبيهقي عن الحسن .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (صنفان) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣٥/٢٢ ، وبحر العلوم ٨٦/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٤٦/١٤ .

العبد كان ظالماً لنفسه ، ثم إذا تاب صار مقتصداً ، فإذا ثبت على التوبة دخل^(١) في السابقين^(٢) .

ولهذا المعنى بدأ في ذكرهم بالظالمين^(٣) ؛ على أن الواو عند أهل التحقيق لا توجب ترتيباً . وذكرنا معنى المقتصد في اللغة عند قوله : ﴿ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٦] ، وقوله : ﴿ سَابِقٌ ﴾ ؛ أي سابق إلى الجنة ، أو إلى رحمة الله . ﴿ بِالْخَيْرِ ﴾ ؛ أي بأعماله الصالحة بإذن الله ، بأمر الله وإرادته . قوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ : يعني إيراثهم الكتاب .

٣٣ . ثم أخبر بثوابهم وجمعهم في دخول الجنة ، فقال : ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ . قال ابن عباس : « أدخلهم الجنة ؛ أفضل الجنان وأشرفها »^(٤) .

وقال مقاتل : « يعني هؤلاء^(٥) الأصناف الثلاثة يدخلون الجنان »^(٦) .

(١) في (ب) : (صار من السابقين) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٧ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ .

(٣) وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٤٩ أو جهة أخرى في سبب تقديم الظالم على المقتصد والسابق ، فقال : « وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق ، ف قيل : التقديم في الذكر لا يقتضي تشريفاً ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ ﴾ . وقيل : « قُدِّمَ الظالم لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم ، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم ، والسابقين أقل من القليل » ، ذكره الزمخشري ولم يذكر غيره . وقيل : « قُدِّمَ الظالم لتأكيد الرجاء في حقه ؛ إذ ليس له شيء يتكل عليه إلا رحمة ربه ، و اتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق على طاعته » . قلت : « وفي هذا القول نظر ؛ إذ لن يدخل أحد الجنة بعمله كما جاء عن الصادق المصدوق عليه السلام » ، وقيل : « قُدِّمَ الظالم لثلا يئأس من رحمة الله ، وآخر السابق لثلا يعجب بعمله » . قلت : « وقيل غير ذلك ، ولا مانع من إرادة الكل ، والله أعلم » .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ .

(٥) في (ب) : (هذه) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

قال أبو علي : «جنات عدن نكرة ، ويدخلونها أو يدخلونها - على ما قرأ أبو عمرو - صفة لها ؛ لأنها جملة والنكرات توصف بالجملة ، وأمّا ارتفاع جنات فيجوز أن يكون تفسيراً للفضل ، كأنه قيل : ما ذلك الفضل ؟ فقال : الفضل جنات عدن ؛ أي دخول جنات ، قال : ويجوز أن تجعل الجنات بدلاً من الفضل ، كأن ذلك الفضل جنات عدن ؛ أي دخول جنات عدن»^(١) . هذا كلامه . والمعنى : إيرادنا إياهم الكتاب الفضل الكبير ، وذلك الفضل جنات عدن ؛ أي دخولها ؛ لأن إيراد الكتاب هو^(٢) سبب دخول الجنات ، وباقي الآية مُفسّرة في سورة الحج^(٣) .

قال مقاتل : «فلَمَّا دخلوها واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم على ما صنع بهم»^(٤) ، وهو :

٣٤ . قوله : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . قال أبو عبيدة والزجاج : «الحزن والحزن واحد كالبخل والبخل والرشد والرشد»^(٥) .

قال ابن عباس : «يعنون ما يعاينون»^(٦) في الموقف من الأهوال والزلازل والشدائد»^(٧) .

قال مقاتل : «لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم»^(٨) .

(١) الحجة ٢٨ / ٦ .

(٢) (هو) ساقطة من (ب) .

(٣) آية : ٢٣ ، وأحال على سورة الكهف .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٥) مجاز القرآن ٢ / ١٥٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٠ .

(٦) في (أ) : (عاينون) .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٢٩ أ ، وتفسير الماوردي ٤ / ٤٧٥ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٧٢ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

- وقال الكلبي : «يعني الذي كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة»^(١) .
- وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس ، قال : «حزن النار»^(٢) .
- وقال سعيد بن جبير : «هَمُّ الخبز في الدنيا»^(٣) .
- وقال الحسن : «أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت ، ولكن أحزان الآخرة»^(٤) .
- وقال عكرمة : «حزن الذنوب والسيئات وخوف ردّ الطاعات»^(٥) .
- وقال أبو إسحاق : «أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد»^(٦) .
- وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾ . قال ابن عباس : «يعنون بذلك أنه غفر لنا العظائم من ذنوبنا ، وشكر لنا من محاسن أعمالنا»^(٧) .
- ٣٥ . وقوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ . قال مقاتل : «أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبداً ، لا يموتون ، ولا يتحولون عنها أبداً»^(٨) .
-
- (١) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٢٩ أ ، وتفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ ، وفتح القدير ٤/ ٣٥٠ .
- (٢) انظر : المراجع السابقة ، ولعله لا فرق بين القولين .
- (٣) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٥٧٢ ، وزاد المسير ٦/ ٤٩٢ ، وفتح القدير ٤/ ٣٥٠ . ولعل المقصود بهذا القول هو هَمُّ طلب الرزق .
- (٤) لم أقف عليه .
- (٥) انظر : المراجع السابقة .
- (٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٠ .
- (٧) ورد في تفسير ابن عباس ٣٦٧ ، وذكره المؤلف في الوسيط ٣/ ٥٠٦ .
- (٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

قال الفرّاء والزّجاج : «المقامة مثل الإقامة ، يقال : أقمت بالمكان إقامةً ومقامةً ومقاماً»^(١) .

وقوله : ﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي ذلك بتفضله لا بأعمالنا»^(٢) .

﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة في أجسامنا»^(٣) .

﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ : اللغوب : الإعياء من التعب . قال الفرّاء في المصادر : «لغب بالفتح يلغب بالضم لغوباً ، ولغب بفتح الغين قليلة»^(٤) . الأزهري : «ولغب فلان دابته ، إذا تحامل عليها حتى أعيا»^{(٥)(٦)} .

والمفسرون يقولون في اللغوب : «إنه الإعياء»^(٧) . قال مقاتل : «يقول : فلا يصيبنا في الجنة من إعياء»^(٨) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «مثل ما يلغب الرجل حين يلاعب أهله ويجامعها»^(٩) .

(١) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٧٠ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧١ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧١ .

(٣) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وتفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٤) لم أقف على قول الفرّاء ، وانظر : اللسان (لغب) ١ / ٧٤٢ ، إلا أن ابن منظور قال : «ولغب بالكسر لغة ضعيفة» . وما ذكر هنا خطأ ، فالمراد : «ولعب بكسر العين» ، فلعله وهم من النساخ ، والله أعلم .

(٥) في (ب) : (عيا) من دون همزة .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (لغب) ٨ / ١٣٩ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ١٤٠ ، وبحر العلوم ٣٠ / ٨٨ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٤٠ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٩) لم أقف عليه .

٣٦. فلمَّا بلغ هذا الموضع انقطعت صفة أهل التوحيد ، وهم أمة محمد ﷺ ، ثم قال في صفة الكفار^(١) : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ . قال أبو إسحاق : «فيموتوا جواب النفي . المعنى : لا يقضى عليهم الموت فيموتوا»^(٢) . هذا كلامه . ويجوز أن يكون معنى (لا يقضى عليهم) لا يهلكون ، من قوله : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص : ١٥] ، وقد مرَّ ، وحينئذٍ لا يحتاج إلى تقدير محذوف . قال ابن عباس : «فيموتوا : فيستريحوا مما»^(٣) هم فيه من العذاب .

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين كذلك يعني ما ذكر^(٤) .

وقال ابن عباس ومقاتل : «هكذا نجزي كل كفور : كل كافر»^(٥) .

٣٧. ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ ؛ أي يستغيثون ، قاله ابن عباس^(٦) والجميع ، وهو [قول]^(٧) من الافتعال من الصراخ ، يقال : اصطرخ^(٨) القوم وتصارخوا^(٩) .

(١) في (ب) : (الكافرين) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧١ .

(٣) في (أ) : (بها) ، وهو خطأ .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٧ ، وقد ذكره بعض المفسرين غير منسوب . انظر أيضاً : بحر العلوم ٣ / ٨٨ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٤٠ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٧٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ ، وانظر : المراجع السابقة .

(٦) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٨ .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة في (ب) .

(٨) في (ب) : (أصرخ) .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (صرخ) ٧ / ١٣٥ ، واللسان (صرخ) ٣ / ٣٣ .

قال مقاتل : «والاستغائة أنهم ينادون^(١) : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾» .
 قال ابن عباس : «نقل : لا إله إلا الله ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ : يعني الشرك^(٢) .
 فوبخهم الله تعالى ، فقال : ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾» . قال
 ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ثماني عشرة سنة» ، وهو قول قتادة^(٣) ، وقال
 الحسن : «أربعين سنة»^(٤) ، وهو قول الكلبي ، قال : «تعمير العبد بعد أربعين
 سنة»^(٥) .

روى منصور عن هلال ، قال : «كان أهل المدينة إذا أتى على أحدهم أربعين
 سنة تفرغ للعبادة»^(٦) .

وقال ابن عباس في رواية مجاهد : «يعني ستين سنة»^(٧) ، وهذا أولى الأقاويل ؛
 لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «إذا بلغ الرجل ستين سنة فقد أعذر الله إليه
 في العمر»^(٨) ، وقوله : ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ . قال ابن عباس^(٩) : «يريد النبي ﷺ» ،
 وهو قول مقاتل والجمهور^(١٠) .

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .
 (٢) انظر : الوسيط ٥٠٦/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٥٢/١٤ .
 (٣) انظر : المحرر الوجيز ٤٤١/٤ ، وتفسير البغوي ٥٧٣/٣ ، وزاد المسير ٤٩٤/٦ .
 (٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤٦١/٥ ، وتفسير البغوي ٥٧٣/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٥٣/١٤ .
 (٥) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٤٧٦/٤ عن ابن عباس ومسروق ، وابن أبي
 حاتم في تفسيره ٣١٨٥/١ عن الحسن .
 (٦) لم أقف عليه عن منصور بن هلال ، وقد ذكره القرطبي في تفسيره ٣٥٣/١٤ ، ونسبه إلى مالك .
 (٧) انظر : تفسير الطبري ١٤١/٢٢ ، وبحر العلوم ٨٩/٣ ، وزاد المسير ٤٩٤/٦ .
 (٨) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب : التفسير (سورة الملائكة) ٤٢٧/٤ ، وقال : «صحيح على شرط
 البخاري ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي» ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٨٥/١٠ .
 (٩) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٧ .
 (١٠) وهو قول جمهور المفسرين كما حكاه البغوي في تفسيره ٥٧٣/٣ ، والنحاس في معاني القرآن ٥/٤٦٢ ،
 وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٤١/٤ .

وقال آخرون : «يعني به الشيب» ، روى ذلك عكرمة وسفيان بن عيينة^(١) .

وذكر الفرّاء والزرّجاج القولين في النذير^(٢) .

وقال أبو علي : «مَنْ قال : إن النذير محمد ﷺ ، كان اسم فاعل كالمنذر ، وَمَنْ قال : إنه الشيب ، كان الأولى أن يكون مصدراً كالإنذار»^(٣) ، والقول هو الأول ؛ لقوله تعالى في صفة محمد ﷺ : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب : ٤٥] ، [الفتح : ٨] .

وقوله تعالى : ﴿فَذُوقُوا﴾ . قال مقاتل : «فذوقوا العذاب» . ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ من مانع يمنعهم العذاب^(٤) .

٣٨ . وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ : تفسير هذه الآية قد تقدّم في ما مضى^(٥) . قال الكلبي ومقاتل في هذه الآية : «يعني أنهم لو ردوا^(٦) لما نهوا عنه»^(٧) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٣٠ أ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٧٣ ، وزاد المسير ٦ / ٤٩٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٧٠ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٢ .

(٣) الحجة ١ / ٢٥٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٥) عند قوله تعالى في سورة آل عمران آية ١١٩ ، ١٥٤ .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) بدليل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَلَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

(٧) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وانظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ ، وبحر العلوم ٣ / ٨٩ ، وتفسير القرطبي ٣٥٥ / ١٤ .

٣٩. قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد خلفاً من بعد قوم كانوا من قبلكم»^(١) . قال أبو إسحاق : «أي جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به»^(٢) . ﴿فَنَكَّرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ ؛ أي جزاء كفره .

٤٠. ثم أمر نبيه ﷺ بالاحتجاج عليهم بقوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية . قال أبو إسحاق : «معناه : قل أخبروني عن شركائكم»^(٣) .

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ . قال أبو علي : «قوله : ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ في موضع النصب ؛ لأنه المفعول الثاني لأرأيتم» .

وقوله تعالى : ﴿أَرُونِي﴾ تأكيد لما دل عليه (أرأيتم) ، ألا ترى أن (أرأيتم) بمنزلة أخبروني ، ومثله قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّتِيلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [القصص : ٧١] .

وقوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِّنْ أَضَلُّ﴾ [فصلت : ٥٢] في الاستفهام في الآيتين ، في^(٤) المفعول الثاني (لأرأيتم)^(٥) .

وقال مقاتل : «﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ كما خلق الله آدم إن كانوا آلهة»^(٦) .

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، ونسبه بعض المفسرين إلى قتادة . انظر : تفسير الطبري ٤٣ / ٢٢ ، وجمع البيان ٨ / ٦٤٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) حرف الجر (في) طمس في (ب) .

(٥) لم أقف على قول أبي علي ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٧٠١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

قال الفرّاء : «أي إنهم لم يخلقوا شيئاً»^(١) ، فعلى هذا (من) بمعنى (في) .

وقال الزّجاج : «أي بأس شيء أوجبتم لهم شركة الله عز وجل»^(٢) ؛ أي شيء خلقوه من الأرض .

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ؛ أي أم لهم شركة في خلق السماوات ، ثم ترك هذا النظم ، فقال : ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ﴾ . يقول : «بل آتيناهم ، يعني أهل مكة» . ﴿كِنَبَأً﴾ . قال ابن عباس : «يريد بعثت إليهم قبلك يا محمد نبينا ، وأنزلت عليهم كتاباً»^(٣) .

وقال مقاتل : «يقول : هل أعطينا كفار مكة كتاباً؟»^(٤) . ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ : يعني ما في الكتابين^(٥) من ضروب البينات .

وقرأ أبو عمرو : (بَيِّنَةٍ) ، جعل ما في الكتاب بَيِّنَةً على لفظ الإفراد وإن كانت عدة أشياء ، كما قال : ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [هود: ٢٨] ^(٦) .

ثم استأنف : ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾ ؛ أي ما يعد الظالمون . ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ : يعني أباطيل تغر . قال ابن عباس : «يريد ما يعدهم به إبليس وجنوده»^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٧٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٣ .

(٣) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٣٩ ، وذكر هذا القول الماوردي في تفسيره ٤ / ٤٧٨ ، ونسبه إلى الكلبي .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٥) هكذا في النسخ بالتثنية ، وهو خطأ ؛ لأن الإشارة لم تسبق إلا إلى كتاب واحد ، وهكذا وردت بالإفراد في الوسيط ٣ / ٥٠٧ .

(٦) انظر : الحجة ٦ / ٢٩ ، ٣٠ ، وحجة القراءات ٥٩٤ .

(٧) لم أقف عليه .

وقال مقاتل : «يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة إلا باطلاً ليس بشيء»^(١).

٤١. قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ . قال مقاتل : «يعني لئلا تزولا عن مواضعهما»^(٢) ، وعلى هذا تكون هذه الآية كقوله : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء : ١٧٦] ، وقد مرَّ .

وقال أبو إسحاق : «يمسك بمعنى : يمنع»^(٣)^(٤) .

وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار ؛ لأن المعنى يمنعها الزوال . وقال أبو عبيدة : «في هذه الآية سبيلها سبيل قوله : ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء : ٣٠]^(٥) ، يعني أنه ذكر السماوات والأرض ، ثم أعاد الكناية إليهما كما تعاد إلى الاثنين» . قال الأخفش : «جعل السماوات صنفاً كالواحد»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ زَالَتَا﴾ . قال الفرّاء : «يعني ولو زالتا ، كقوله : ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ ، وقوله : ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ، ولئن ولو ، وهما متآخيتان يجابان بجواب واحد»^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ أ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) في (أ) : (يمنعني) ، وهو تصحيف .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢ / ١٥٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٢ / ٤٨٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٢ / ٣٧٠ .

وقال أبو إسحاق : «هذا على وجهين :

أحدهما : أنه أراد زولانها في القيامة ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير : ١١] ، والثاني : أن يقال : إن زالتا وهما لا يزولان . هذا كلامه ^(١) . والمعنى في الوجه الأول أن زولهما جائز ولان ^(٢) في القيامة ، وفي الوجه الثاني قيل : ولئن زالتا ، على التقدير : لا أنهما تزولان ما دامت الدنيا .

وقال مقاتل : «يعني : ولئن أرسلتهما فزالتا ^(٣) ، وأضمر الإرسال» .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ أَمْسَكْهُمَا﴾ . قال أبو عبيدة : «أي لا يمسكهما» ^(٤) ، وقال الفرّاء : «يعني ما أمسكهما» ^(٥) .

قال مقاتل : «يقول لم يمسكهما أحد من بعد الله» ^(٦) .

وقال الكلبي في سبب النزول ^(٧) : «إن اليهود لمّا قالوا : عزيز ابن الله ، [وقالت] ^(٨) النصراني : المسيح ابن الله ، كادت السماوات والأرضون أن تزولا عن أمكنتهما ، فمنعهما الله - عز وجل - ونزل هذه الآية» .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ إِيَّاهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ . قال : «حليماً عما يقال له ، غفوراً لمن تاب من مخالفته» . واختار الزجاج قول الكلبي ، وذكر في النزول مثل قوله .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٧٤ / ٤ .

(٢) هكذا في النسخ ، ولعله تصحيف ، والصواب : (وكائن) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٤) مجاز القرآن ١٥٦ / ٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٣٧٠ / ٢ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٧) ورد في تفسير القرطبي ٣٥٧ / ١٤ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٦ / ٦ عن الزجاج .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

﴿حَلِيمًا﴾ : حلم عمن قال : اتخذ الرحمن ولداً ، فلم يعجل عليهم العقوبة^(١) .
وسائر المفسرين لم يذكروا هذا السبب ، والآية على قولهم احتجاج على المشركين
بقدرته تعالى على حفظ السماوات والأرض وإمساكهما عن الزوال ، وإخبار^(٢)
عن عظم قدرته ، وعلى هذا يقال : لِمَ قال إنه كان حليماً غفوراً ؟ وأين هذا المكان
عن ذكر الحلم والمغفرة وهذا موضع يدل على القدرة ؟ والجواب عن هذا ما ذكر
مقاتل ، قال : «هذا على التقديم ، إنه كان حليماً عن قولهم^(٣) الملائكة بنات الله ،
غفوراً إذا أخر العذاب عنهم ولم يعجل عليهم بالعقوبة»^(٤) ، يعني أن هذا يعود
إلى ما قبله من ذكر كفار مكة والمشركين .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ : يعني كفار مكة . وهذه ألفاظ
قد سبق تفسيرها في سورتين^(٥) .

قال ابن عباس : «حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمد بأيمان غليظة . ﴿لَيْتَ جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ﴾ رسول . ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى﴾ أصوب ديناً . ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ : يريد اليهود
والنصارى والصابئين . ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ ، وهو محمد ﷺ . ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه
﴿إِلَّا تَقْوًا﴾ تباعداً عن الهدى»^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٧٣ / ٤ .

(٢) في (ب) : (وإجار) .

(٣) في (ب) : (للملائكة) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٥) قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾ [الأنعام : ١٠٩] ، وقوله تعالى :
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أُمِرَتُمْ لَيَخْرُجَنَّ﴾ [النور : ٥٣] .

(٦) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٨ ، وأورده المؤلف في الوسيط ٥٠٨ / ٣ ، وذكره أكثر
المفسرين غير منسوب إلى ابن عباس . انظر : تفسير الثعلبي ٢٣٠ / ٣ ب ، وبحر العلوم ٩٠ / ٣ ،
والمحزر الوجيز ٤٤٣ / ٤ ب ،

٤٣. ﴿أَسْتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس : «عتوا»^(١)، وقال مقاتل : «تكبراً في الأرض عن الإيمان»^(٢). وانتصب (استكباراً) - عند الأخفش - على البدل من قوله : ﴿نُفُورًا﴾^(٣).

وقال الفرّاء : «فعلوا ذلك استكباراً»^(٤)، وهذا محتمل المصدر، ويحتمل أن يكون معناه للاستكبار، وهو قول الرّجّاج، قال : «هو منصوب ؛ لأنه مفعول له . المعنى : ما زادهم إلا نفوراً للاستكبار»^(٥).

﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ : قرأ حمزة بإسكان الهمزة . قال أبو إسحاق : «وهذا عند النحويين لحن لا يجوز ، وإنما يجوز في الشعر للاضطراب ، كقوله :

إذا اعوججتن قلتُ صاحبُ قَوْمٍ^(٦)

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : بحر العلوم ٩٠ / ٣ ، والوسيط ٥٠٨ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٣٥٨ / ١٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب .

(٣) انظر : الدر المصون ٤٧٣ / ٥ ، والبحر المحيط ٣٠٥ / ٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٣٧٨ / ٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٧٤ / ٤ .

(٦) صدر بيت من الرجز ، وعجزه :

بالدوّ أمثال السفين العوم

ينسب البيت إلى ابن نحيلة . انظر : شرح أبيات سيويه ٣٩٨ / ٢ ، وشرح شواهد الشافية ٢٢٥ . وقد ذكر البيت من دون نسبة في الكتاب ٢٠٣ / ٤ ، والخصائص ٧٥ / ١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣٧١ / ٢ . ويعني بقوله : اعوججن ، الإبل ، والدو : الصحراء ؛ شبه الإبل في الصحراء بالسفن التي تمر عبر باب اليم . والشاهد فيه : تسكين ياء صاحب ؛ تشبيهاً للوصل بمجرى الوقف .

يريد : يا صاحب ، فحذف مضطراً ، كأنه استثقل الضم بعد الكسر والكسر بعد الكسر ، ولو قال صاحب ، ومثله :

اليومَ اشْرَبَ غيرَ مُسْتَحَقِّ^(١)

والبيتان أنشدهما جميع النحويين المذكورين ، قد أعلنوا كلهم أن هذا من الاضطرار في الشعر ، ولا يجوز مثله في كتاب الله^(٢) .

قال أبو علي : «التقدير في قوله : ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ : استكبروا في الأرض ، (ومكر السيئ) ؛ أي مكروا والمكر السيئ ، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر ، ألا ترى أنه قد جاء بعد (ولا يحيق المكر السيئ) ، وكما أن السيئ صفة للمصدر كذلك الذي قبله ، ومثله قوله : ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ ، تقديره : مكروا المكرات السيئات ، إلا أنك إذا أضفت إلى السيئ قَدَّرْتَ الصفة وصفاً لشيء غير المكر ، كما أن مَنْ قال : دار الآخرة ، وجانب الغربي قدَّره كذلك ، يريد أن الأصل : الدار الآخرة ، والجانب الغربي ، فلمَّا أضيف إلى صفته صار التقدير : دار الأحكام الآخرة ، وجانب البلد الغربي ، كذلك مكر السيئ يكون معناه : مكر الشرك السيء» .

(١) صدر بيت ، وعجزه :

إثْمًا مِّنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ

وهو لامرئ القيس في ديوانه ١٢٢ ، والكتاب ٢٠٤ / ٤ ، ولسان العرب (حقب) ٣٢٥ / ١ ، والأصمعيات ١٣٠ . استحقب : اكتسب ، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقيقة ، والواغل : الداخِل على القوم في شراهم ولم يدع . والشاهد فيه قوله : «أشْرَبَ» ، حيث سكن الباء ضرورة .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٧٥ / ٤ .

قال : «فأما قراءة حمزة واستكانة^(١) الهمزة في الاستدراج ، فإن ذلك يكون على إجرائها في الوصل مجراها في الوقف ، فهو مثل سيباً^(٢) ويمهل ، وهو في الشعر كثير» .

ومما يقوِّي ذلك أن قوماً قالوا في الوقف : أفعى وأقعوا ، فأبدلوا من الألف الواو والياء ، ثم أجروها في الوصل مجراها في الوقف ، فقالوا : هذه أفعوا يا فتى ، فكذلك عمل حمزة بالهمزة في هذا الموضع .

قال : «ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أنه خَفَّفَ لاجتماع الكسرتين واليائين ، كما خَفَّفُوا الباء من إبل لتوالي الكسرتين ، ونَزَّلَ حركة الإعراب بمنزلة غير حركة الإعراب كما فعلوا في قولهم :

فاليومَ أَشْرَبَ غيرَ مُسْتَحِقِّ^(٣)

. . . وَقَدْ بَدَأَ هُنَاكَ مِنَ الْمِثْرَةِ^(٤)

فإذا شاع ما ذكرنا في هذه القراءة من التأويل ، لم يسغ لقائل أن يقول إنه لحن ، للزمه أن يقول : إن قول مَنْ قال : افعوا في الوصل لحن ، فإذا كان مَنْ قرأ به على قياس ما استعملوه في كلامهم المنشور لم يكن لحناً ، ولم يكن لقادح في ذلك قدح .

(١) في (أ) : (واستكانة) ، وهو خطأ .

(٢) في (ب) : (سيبا) ، وهو تصحيف .

(٣) صدر بيت لامرئ القيس تقدّم ذكره .

(٤) عجز بيت من السريع ، وصدده :

رُحْتُ وفي رَجُلَيْكَ ما فيهما

وقد اختلف في نسبته ؛ فهو في ديوان الأقيسر الأسدي ، ومنسوب إليه في شرح أبيات سيبويه ٣٩١ / ٢ ، وخزانة الأدب ٤ / ٤٨٤ ، ونسبه ابن قتيبة كما في الشعر والشعراء إلى الفرزدق . والشاهد فيه : إسكان النون في هناك ضرورة ، وهو مرفوع لأنه فاعل بدا .

وهذه القراءة وإن كان لها مخلص من الطعن ، فالوجه قراءة الحرف على ما عليه الجمهور في الدرج»^(١) .

وقال أبو جعفر النحاس : «كان الأعمش يقف على (ومكر السيئ) ، فترك الحركة ، وهو وقف حسن ؛ لأنه تمام الكلام ، ثم غلط الراوي فروى أنه كان يحذف الإعراب في الإدراج»^(٢) ، فيحتمل أن يكون حمزة قد ذهب إلى قراءته ولم يعلم أنه إنما كانت يترك الحركة في همز الوقف ؛ لأنه في الإدراج ، فتابع المغالط في الرواية»^(٣) .

والمفسرون فسّروا (المكر السيئ) هاهنا بالشرك^(٤) ، والتقدير : ومكروا مكرًا سيئًا ، والمكر السيئ هو عملهم القبيح من الشرك ، والمكر هو العمل القبيح ، وقد مرّ هذا المعنى في مواضع من التنزيل .

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك»^(٥) ، وقال الكلبي : «هو أنهم قتلوا يوم بدر»^(٦) .

ثم خوّفهم ، فقال : «قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ ؛ أي هل ينظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قولهم ؟»^(٧) ؛ أي يجب

(١) الحجة ٣١-٣٣ .

(٢) القطع والائتناف ٥٩٣ .

(٣) انظر : الدر المصون ٤٧٣/٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٤٥/٢٢ ، و بحر العلوم ٩٠/٣ ، وتفسير البغوي ٥٧٤/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٥٨/١٤ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٥٧٥/٣ ، والمحزر الوجيز ٤٤٣/٤ ، وزاد المسير ٣٥٩/٦ .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٤٧٩/٤ ، وتفسير البغوي ٥٧٥/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٥٩/١٤ .

(٧) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (قبلهم) .

أن لا ينتظروا إلا العذاب بعد تكذيبك ، وهذا كقوله : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مَثَلِ أَيَّامٍ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [يونس: ١٠٢] ، وقد مرَّ .

قوله : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَتِ اللَّهِ ﴾ في العذاب . ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ وإن تأخر ذلك ؛ لأن قوله الحق في نزول العذاب بهم في الدنيا .

﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ : لا يقدر أحد أن يحوّل العذاب عنهم إلى غيرهم ، قاله مقاتل وابن عباس^(١) .

٤٥ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : « يريد المشركين كفار مكة »^(٢) . ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ : من الذنوب لعجل لهم العقوبة ، وهو قوله : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ . قال الأخفش : « أضمر الأرض من غير أن يكون ذكرها ؛ لأن هذا الكلام قد كثر حتى قد عرف معناه ، ويقولون : ما على ظهرها أحب إليّ منك ، وما بها من أحد أثر عندي منك »^(٣) .

وقال الزّجاج : « قد جرى ذكر الأرض في قوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ »^(٤) .

وقوله : ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد المشركين »^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٠٤ ب ، وانظر أيضاً : تفسير ابن عباس ٣٦٨ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١٠٥ أ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس .

(٣) انظر : معاني القرآن ٢ / ٤٨٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٦ .

(٥) لم أقف عليه .

وقال الكلبي : «يعني الجن والإنس خاصة»^(١) .

قال أبو عبيدة : «الدابة هاهنا الناس خاصة»^(٢) . واختار الزَّجَّاج قول الكلبي^(٣) .

وسائر أهل التفسير يجعلون الدابة هاهنا عاماً في مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في نظير هذه الآية في سورة النحل ، ٦١ .

قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد أهل طاعته وأهل معصيته»^(٤) .

(١) انظر : تفسير الماوردي ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ٣٩١ .

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٥٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٦ .

(٤) انظر : الوسيط ٣ / ٥٠٨ ، وتفسير البغوي ٣ / ٥٧٥ .

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يَسَّ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد يا إنسان ، قال : وهي بلغة طي» ، وهو قول الكلبي وعكرمة والضحاك ومقاتل والحسن^(١) .

وقال ابن الحنفية : «يا محمد» ، وهو قول سعيد بن جبير^(٢) .

وقال أبو العالية : «يا رجل»^(٣) . وهذان القولان كالأول ، تفسير لذلك الإنسان المنادى .

(١) انظر : اللغات في القرآن ٥٣ ، وتفسير الطبري ١٤٨ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٥ ، وزاد المسير

٣ / ٧ ، وتفسير مقاتل : ص ١٠٥ أ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٣٢ أ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٥٤٥ ، وزاد المسير ٣ / ٧ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٤ / ٥ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٥٠ .

وقال عطاء : «هي بالسريانية . وقيل : بالحبشة» . روي ذلك أيضاً عن ابن عباس^(١) . فَمَنْ قال بهذا ، قال : إنهم يقولون : يس ، ويريدون به يا إنسان ، ثم تكلمت العرب به فصار من لغتهم ، كما ذكر أنها من لغة طي ، ووجهه من العربية أنه اكتفى بالسين من إنسان كما يكتفي بالحرف الواحد من الكلمة .

وقال مجاهد : «﴿يَس﴾ فواتح من كلام الله يفتح بها كلامه»^(٢) .

واختلف القُرَّاء في إظهار النون من ﴿يَس﴾ وإخفائه ، فقرأوا بالوجهين ، وكلامهم جائز صحيح ؛ فَمَنْ أظهر فلأن هذه الحروف مبنية على الوقف يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع^(٣) بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها ، فلمَّا جاز فيها الجمع بين ساكنين من حيث كان التقدير فيها الوقف استجيز معها تبين النون في الإدراج وإن كانت النون الساكنة تجيء مع حروف الفم ؛ لأن التقدير بها الوقف . وَمَنْ أخفى فلأنه وإن كان في التقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل ، وذلك قولهم : ألم الله ، ألا ترى أنهم حذفوا همزة الوصل كما تحذف في الكلم التي توصل ، فلا يكون التقدير فيها الوقف عليها ، وكذلك قالوا : واحد اثنان ، فحذفوا همزة الوصل ، وإذا صار في تقدير الوصل أوجب أن لا تبين معها النون^(٤) .

٢-٣ . قوله تعالى : ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «أقسم الله بالقرآن المحكم أنك لمن المرسلين ؛ وذلك أن كفار

(١) انظر : تفسير الماوردي ٥/٥ ، وتفسير القرطبي ٤/١٥ ، والمحزر الوجيز ٤/٥٤٥ ، وزاد المسير ٣/٧ ، والبحر المحيط ٧/٣١٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/١٤٨ ، وبحر العلوم ٣/٩٣ ، وتفسير الماوردي ٥/٥ .

(٣) في (أ) : (الجميع) ، وهو خطأ .

(٤) انظر هذا الكلام بنصه مع اختلاف يسير في : الحجة ٦/٣٥ ، وانظر : حجة القراءات ٥٩٥ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٧ .

مكة قالوا له : لست مرسلًا ، وما أرسل الله إلينا رسولاً ، فأقسم الله بالقرآن أن محمداً من المرسلين»^(١) .

٤ . ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : «على [دين]»^(٢) مستقيم ، يعني دين الإسلام ؛ لأن الأديان كلها غير الإسلام [ليس]^(٣) بمستقيم»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «أي على طريق الأنبياء الذين تقدموك ، قال : وأحسن ما في العربية أن يكون ﴿لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ خبر إن ، ويكون ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خبراً ثانياً . والمعنى : إنك لمن المرسلين ، وإنك على صراط مستقيم ، قال : ويجوز أن يكون على صراط من ملة المرسلين ، فيكون المعنى : إنك من المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة»^(٥) . وذكر الفرّاء أيضاً الوجهين في قوله : ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ كما ذكر الزّجاج^(٦) .

٥ . قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ : (تنزيل) يُقْرَأ بالرفع والنصب ؛ فمن قرأ بالنصب فعلى المصدر ، على معنى : نَزَّلَ الله ذلك تنزيلاً من العزيز الرحيم ، ثم أضيف المصدر فصار معرفة ، كما قال : ﴿ فَضَرَبَ الرِّقَابَ ﴾ [حمد ٤] ، على معنى : فضرباً للرقاب ، وهذا قول الزّجاج وأبي علي وصاحب النظم^(٧) .

(١) ورد في تفسير القرطبي ٥ / ١٥ ، وتفسير مقاتل ١٠٥ أ ، وذكره غير منسوب للبغوي في تفسيره ٥ / ٥ ، والطبري في مجمع البيان ٨ / ٦٥٠ .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٧ .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٢٧٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٧٨ ، والحجة ٦ / ٣٦ .

وَمَنْ قرأ بالرفع فعلى معنى : الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم ، وهو تنزيل ، أو على : تنزيل العزيز ، هذا قول مقاتل^(١) : هذا القرآن هو تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه ، وقال الكلبي : «العزيز بالنقمة من»^(٢) لم يجب الرسل الرحيم بالمؤمنين»^(٣) .

٦ . قوله تعالى : ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا﴾ . قال صاحب النظم : «هذا متصل بقوله : ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا﴾» .

قوله تعالى : ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ فيه قولان : قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد كما أنذر آبائهم من لدن إبراهيم وإسماعيل»^(٤) .

وقال مقاتل : «كما أنذر آبائهم الأولون»^(٥) .

وقال عكرمة : «مثل ما أنذر آبائهم»^(٦) .

القول الثاني : قال قتادة : «لتنذر قوماً لم يأتهم نذير قبلك»^(٧) ، ونحو هذا قال الكلبي^(٨) ، وهو قول عامة المفسرين^(٩) . و﴿مَا﴾ على هذا القول تكون

(١) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

(٢) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لن) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ ، وتفسير القرطبي ٦ / ١٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٥٠ / ٢٢ ، وتفسير القرطبي ٦ / ١٥ ، ومجمع البيان ٦٥٠ / ٨ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٥٠ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٦ / ٥ ، ومجمع البيان ٦٥٠ / ٨ .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) انظر : تفسير الثعلبي ٢٣٢ / ٣ ب ، وتفسير الطبري ١٥٠ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ٦ / ٥ ، وبحر

العلوم ٩٣ / ٣ .

[جحداً]^(١). وذكر الفرّاء والأخفش والزّجاج القولين ، قال الفرّاء : «لتنذر [قوماً]^(٢) لم ينفع^(٣) آباؤهم ، ولا أتاهاهم رسول قبلك ، ويقال : لتنذرهم بما أنذر آباؤهم فتلقي الباء ، فيكون ﴿مَّا﴾ في موضع نصب ، كما قال : ﴿أَنْذَرْتَكُمْ صِغَةً﴾ [فصلت : ١٣]^(٤) ، وقال الأخفش : «أي لم تنذر آباءهم ؛ لأنهم كانوا في الفترة ، قال : وقال بعضهم : لتنذر الذي أنذر آباؤهم ، ثم اختار القول الأول ؛ لقوله : ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ ، ودخول الفاء على المعنى الثاني كأنه لا يجوز ، وهو على الأول أحسن»^(٥). هذا كلامه . ومعناه : أنك إذا جعلت ﴿مَّا﴾ إثباتاً بمعنى الذي ، لم يحسن دخول الفاء في ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ ، فإذا جعلته نفيّاً حسن .

قال أبو إسحاق : «الاختيار أن ﴿مَّا﴾ جحدٌ ؛ لأن قوله : ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ دليل على معنى : لم ينذر آباؤهم ، وإذا كان قد أنذر آباؤهم كان في قوله : ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ بُعدٌ ، قال : ودليل النفي قوله : ﴿وَمَا أَتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ : ٤٤]^(٦) .

٧. وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . قال مقاتل : «وجب العذاب على أكثر أهل مكة ، قال : ويعني بالقول قوله لابليس : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ﴾ [ص : ٨٥]^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لم يُنذر آباؤهم) .

(٤) معاني القرآن ٣٧٢ / ٢ .

(٥) معاني القرآن ٤٨٨ / ٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨ / ٤ .

(٧) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

قال أبو إسحاق : « القول هاهنا - والله أعلم - مثل قوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١] »^(١) .

وقال صاحب النظم : « القول هاهنا : إيحاء^(٢) إلى القدر مقتصاً من قوله : ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] . هذا كلامه . والمعنى أن قوله : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ ﴾ إشارة إلى الإرادة الأزلية السابقة بكفرهم ، وإذا سبقت الإرادة بكفرهم ، فمتى يؤمنون ؟ وهو قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال الزَّجَّاج : « بكفرهم وعنادهم أضلهم ومنعهم الهدى فهم لا يؤمنون »^(٣) .
[قال الزَّجَّاج : بكفرهم وعنادهم فهم لا يؤمنون]^(٤) .

٨ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴾ :
في هذه الآية والتي بعدها مذهبان ؛ أحدهما : مذهب المفسرين ، وهو أن الآية نزلت في أبي جهل ، قصد النبي ﷺ بحجر ليدمغه وهو يصلي ، فبيست يده إلى عنقه حتى عاد إلى أصحابه ، فذلك قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ ، وهذا قول مقاتل والكلبي^(٥) ، والثاني : مذهب أهل

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨ / ٤ .

(٢) في (ب) : (أيا) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٨ / ٤ .

(٤) ما بين المعقوفين تكرر ، وهو في النسخ جميعها .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٥٢ / ٢٢ ، و بحر العلوم ٩٤ / ٣ ، وتفسير الماوردي ٧ / ٥ ، وتفسير البغوي ٦ / ٤ ، وزاد المسير ٦ / ٧ ، وأصل الحديث في البخاري ، كتاب : التفسير (سورة اقرأ) عند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَزَبْتَنَّا لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ ١٨٩٦ / ٤ ، رقم الحديث ٤٦٧٥ من طريق عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٦١ / ٣ : « رواه أبو نعيم في دلائل النبوة ، قال : وهو في أوائل سيرة ابن هشام من قول ابن إسحاق في كلام طويل » .

المعاني ، وهو أن هذا على طريق المثل ، ولم يكن هناك غل^(١) ، أراد : منعناهم عن الإيمان بموانع ، وهذا قول أبي عبيدة^(٢) .

وقال الفرّاء : «معناه : إنّنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله»^(٣) ، وكان هذا الوجه أوضح ؛ لقوله في ما بعد : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية .

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ . قال الفرّاء : «هي كناية عن الإيمان ولم يذكر ؛ وذلك أن الغل لا يكون إلّا في اليمين والعنق ، جامعاً لليمين والعنق ، فكفى ذكر أحدهما عن صاحبه ، كما قال : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١٨٢] ، فضم الورثة إلى الوصي ولم يذكروا ؛ لأن الصلح بما بقي من الوصي والورثة ، ومثله قول الشاعر :

وما أدري إذا يَمَّمْتُ وَجْهًا أريدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي^(٤)

وإنما ذكر الخير وحده ، ثم قال : [أيهما]^(٥) ؛ وذلك أن الشر يذكر مع الخير ، وهي في قراءة عبدالله : (إنّا جعلنا في أيّمانهم) ، فكفت الأيمان عن ذكر الأعناق في حرف عبدالله ، وكفت الأعناق في قراءة العامة^(٦) عن ذكر الأيمان ، ونحو هذا قال الزّجاج سواء ، قال : «ومثل هذا قوله : ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ ، ولم يذكر البرد ؛ لأن ما يقي الحر يقي البرد»^(٧) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٧٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٠ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٨/ ١٥ ، وفتح القدير ٤/ ٣٦١ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٧٣ .

(٤) البيت من الوافر ، وهو للمثقب العبدى في نونيته من ديوانه ٢١٢ ، والخزانة ١١/ ٨٠ ، ومن دون نسبة في معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٧٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج ٤/ ٢٧٩ .

(٥) هكذا جاء في النسخ ، وما بين المعقوفين يظهر أنه زائد ؛ لأنه ليس في معاني القرآن للفرّاء ، ولا معنى له كذلك .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٠ .

وقوله : ﴿ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴾ . قال الفرّاء : «المقمح : الغاض بصره بعد رفع رأسه» ،^(١) هذا قول .

ونحو ذلك قال أبو إسحاق^(٣) . ومعنى الإقحاح في اللغة : رفع الرأس وغض البصر ، يقال : أقمّح البعير رأسه وقمّح .

قال أبو عبيد : «يقمّح البعير قمحاً قموحاً إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء»^(٤) .

وقال الأصمعي : «بعير قامح إذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب ، وجمعه قمّاح»^(٥) . وأنشد الفرّاء وجميع أهل اللغة قول بشر^(٦) يصف سفينة :

ونحنُ على جَوانِئِها قُعودُ نَغْضُ^(٧) الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِمّاحِ

قال أبو إسحاق : «وقيل للكانونين :^(٨) شهرا قمّاح ؛ لأن الإبل إذا وردت الماء ترفع رأسها لشدة برده»^(٩) «^(١٠)» .

(١) في (ب) : (صوته) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن ٣٧٣ / ٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩ / ٤ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قمح) ٨١ / ٤ ، واللسان (قمح) ٥٦٦ / ٢ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (قمح) ٨١ / ٤ ، واللسان (قمح) ٥٦٦ / ٢ .

(٦) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي ، أبو نوفل ، شاعر جاهلي فحل ، عدّه ابن سلام في الطبقة الثانية من طبقات فحول أهل الجاهلية ، وهو من شجعان أهل نجد ، توفي سنة ٢٢ قبل الهجرة . انظر : الشعر والشعراء ١ / ١٩٠ ، وطبقات فحول الشعراء ٩٧ / ١ ، والخزانة ٢ / ٢٦٢ .

والبيت من الوافر ، وهو في ديوان بشر ٤٨ ، ولسان العرب (قمح) ٥٦٦ / ٢ ، وتاج العروس (قمح) ٦٣ / ٧ ، وتهذيب اللغة (قمح) ٨١ / ٤ ، وأساس البلاغة (قمح) ٣٧٧ .

(٧) في (أ) : (يفض) ، وهو خطأ .

(٨) يقصد : شهري كانون الأول وكانون الآخر .

(٩) في (ب) : (برد) ، وهو خطأ .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩ / ٤ .

وأنشد أبو زيد للهذلي :

فَتَى مَا ابْنُ الْأَعْرُ إِذَا اسْتَوَى وَحُبَّ الرَّأْدِ سَمِيَا فِي شَهْرِي قِمَاحٍ^(١)^(٢)
لكراهة كل ذي كبد شرب الماء ، والقمح نحو من قمح .

قال الأزهري : «وأراد جل وعز أن أيديهم إنما غلت عند أعناقهم ، رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعداً كالإبل رافعة رأسها»^(٣) . هذا كلامه ، وتأويله : فهم مقمحوون ؛ أي مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها ، يدل عليه قول قتادة في تفسير ﴿مُقْمَحُونَ﴾ ، قال : «مغلولون»^(٤) .

٩ . قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ ، ومضى الكلام في تفسير السد والقراءة فيه^(٥) .

قال مقاتل : «لَمَّا عاد أبو جهل إلى أصحابه ، ولم يصل إلى ما قصد من النبي ﷺ ، وسقط الحجر من يده ، أخذ الحجر رجل آخر من بني مخزوم ، وقال : أنا أقتله بهذا الحجر ، فلمَّا دنا من النبي ﷺ طمس الله على بصره ، فلم ير النبي ﷺ ، ورجع إلى أصحابه ، فلم يبصرهم حتى نادوه ، فذلك قوله : ﴿وَجَعَلْنَا

(١) هكذا ورد البيت في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب :

فَتَى مَا ابْنُ الْأَعْرُ إِذَا شَتُونَا وَحُبَّ الزَادِ فِي شَهْرِي قِمَاحٍ

والبيت لخالد بن مالك الهذلي ، وهو من الوافر في ديوان الهذليين ٥ / ٣ ، والمذكر والمؤنث لابن الأثير ٥٣٢ ، وتهذيب اللغة ٨١ / ٤ ، واللسان (قمح) ٥٦٦ / ٢ ، والبحر المحيط ٣١٢ / ٧ .

(٢) انظر : الدر المصون ٤٧٦ / ٥ ، والبحر المحيط ٣١٢ / ٧ .

(٣) «تهذيب اللغة» تهذيب اللغة ٨١ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥١ / ٢٢ ، وبحر العلوم ٩٤ / ٣ ، ومجمع البيان ٦٥١ / ٨ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف : ٩٤] . قال المؤلف رحمه الله : «قُرئ بالفتح والضم» ، وقال أبو عبيدة : «السُّد بالضم ، إذا كان مخلوقاً من فعل الله تعالى ، فإن كان من فعل الآدميين فهو سَد بالفتح» ، وهذا قول عكرمة والأخفش ، وقال الكسائي : «ضم السين وفتحها سواء» .

مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكْدًا ﴿١﴾ حين لم ير أصحابه ﴿١﴾ ، ونحو هذا قال الكلبي ^(٢) . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد يمنعهم [من الهدى]» ^(٣) لَمَّا سبق في علمه ^(٤) عليهم ^(٥) ، وهذا موافق لمذهب أهل المعاني .

وقوله : ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ . قال الفراء : «ألبسنا أبصارهم غشاوة» ^(٦) . قال ابن قتيبة : «أي عيونهم وأعميناهم عن الهدى» ^(٧) . والتأويل : أغشيناهم بالعمى ، فحذف المضاف والمفعول الثاني للعلم بأن ما يلبس العين إنما هو العمى .

وقوله : ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد سبيل الهدى» ^(٨) . وذكر أبو إسحاق المذهبي ، فقال : «هذا فيه وجهان ؛ أحدهما : قد جاء في التفسير ، وهو أن جماعة أرادوا بالنبي ﷺ سوءاً ، فحال الله بينهم وبين ذلك ، فجعلوا بمنزلة من هذه حالة ممن غلت يده وسط ^(٩) طريقه من بين يديه ومن خلفه وجعل على بصره غشاوة ، قال : ويجوز أن يكون وَصَفَ إِضْلَاهُمْ ؛ أي أضللناهم فأسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله والسعي في ما يقرب إلى الله كما قال عز وجل : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة : ٧] ، قال : ودليل هذا القول قوله في أثر هذا :

-
- (١) تفسير مقاتل ١٠٥ ب .
 - (٢) انظر : بحر العلوم ٩٤ / ٣ .
 - (٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
 - (٤) في (أ) : (علمهم) ، وهو خطأ .
 - (٥) لم أقف عليه .
 - (٦) معاني القرآن ٣٧٣ / ٢ .
 - (٧) تفسير غريب القرآن ٣٦٣ .
 - (٨) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ ، وأورد هذا القول القرطبي في تفسيره ١٠ / ١٤ ، ونسبه إلى قتادة ، وأورده البغوي في تفسيره ٦ / ٤ من دون نسبة .
 - (٩) هكذا في النسخ جميعها ، والصواب : (وسُدَّ) ، كما في معاني القرآن وإعرابه .

١٠. ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية ؛ أي مَنْ أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار^(١) ، إنما ينفع الإنذار مَنْ ذكر في قوله : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ ؛ أي إنما ينفع إنذارك هذا إلا^(٢) مَنْ منعه الله عن الهدى ، فخصه الله بإنذار هؤلاء لَمَّا لم ينفع الإنذار من غيرهم موقعه ، فصار كأنه لم ينذرهم حيث لم ينفعهم ، لذلك قال :

١١. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ ؛ أي مَنْ استمع القرآن واتبعه . وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ : خاف الله - عز وجل - من حيث لا يراه أحد . ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبهم . ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ حسن ، وهو الجنة .

١٢. وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ . قال ابن عباس : «يريد البعث»^(٣) .

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ . قال مقاتل : «من خيرٍ أو شرٍ فاقتدى بها»^(٤) من بعدهم ، وهذا اختيار الفراء والزجاج^(٥) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٠ / ٤ .

(٢) يظهر أن (إلا) هنا زائدة ؛ لأنها تفسد المعنى ، وأن هناك حرف ساقط ، فتكون الجملة حسب ما يظهر لي : «أي لا ينفع إنذارك هذا من منعه الله عن الهدى» .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) هنا نلاحظ أن المؤلف اختصر في نقله عن مقاتل ، وهذا الاختصار قد يكون موهماً ، ففي تفسير مقاتل : «﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ من خير وشر ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ ما استنوه من سُنَّةٍ خيراً وشرّاً ، فاقتدي به من بعد موتهم» . اهـ .

(٥) معاني القرآن ٣٧٣ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٨١ / ٤ .

وهو قول سعيد بن جبير ، قال : ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾ : ما سنوا^(١) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «ما آثروا من أثر خير أو شر»^(٢) ، كقوله : ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة : ١٣] .

وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة : «نزلت هذه الآية في بني سلمة ، أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب مسجد النبي ﷺ ، وكانت منازلهم بعيدة ، فلمَّا نزلت قالوا : بل نمكث مكاننا»^(٣) . فعلى هذا معنى آثارهم : خطاهم ، وهو قول الحسن^(٤) ، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح^(٥) ، وقتادة^(٦) .

(١) ذكر في معاني القرآن للنحاس ٥ / ٤٨١ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٦ / ٤٨ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ .

(٣) ورد هذا الحديث بطرق عدّة ، منها ما ورد عن أنس ، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه ، أبواب : المساجد ، باب : الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً ١ / ١٤١ ، رقم ٧٦٨ ، وأخرجه ابن شيبة في المصنف ٢ / ٢٠٧ ، ومنها ما ورد عن ابن عباس ، وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً في سننه : أبواب : المساجد ، باب : الأبعد فالأبعد عن المسجد أعظم أجراً ١ / ١٤١ ، رقم ٧٦٩ . وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٤٦ ، وقال : «أخرج الفريري وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن ماجه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن ابن عباس» .

وهناك رواية أخرى للحديث ، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١ / ٤٦٢ ، رقم ٦٦٥ عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ١٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٥ / ١٢ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٥٦٥ .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٥٣٣ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن للنحاس ٥ / ٤٨١ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٩ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ١٥٥ ، وتفسير القرطبي ١٥ / ٢١ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٥٦٥ .

وقال عمر بن عبدالعزيز : «لو كان الله تاركاً لابن آدم شيئاً لترك ما عبث^(١) عليه الرياح من أثر»^(٢) .

وقال مسروق : «ما خطا رجل خطوة إلا كتب حسنة أو سيئة»^(٣) .

وروي عن مجاهد ، قال : «ما قدّموا من خير ، وآثارهم : وما أورثوا من الضلالة»^(٤) ، فعلى هذا ما قدّموا بالخير وخص الآثار ما يبقى بعدهم من آثار الضلالة وسُنَّتِها .

وقوله : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ . قال الفراء : «الْقُرَاءُ يَجْمَعُونَ عَلَى نَصَبِ كُلِّ لَمَّا وَقَعَ مِنَ الْفِعْلِ عَلَى رَاجِعٍ»^(٥) ، يعني الكناية في قوله : ﴿أَحْصَيْتَهُ﴾ ، والاختيار أن يقول :^(٦) ضربت زيدا وعمراً كلمته ، ينتصب عمراً لسبق الفعل قبله ، وهاهنا أيضاً سبق الفعل ، وهو قوله : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ ، ويجوز الرفع على الاستئناف^(٧) .

(١) هكذا في النسخ ، والصواب : (عفت) .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٤٠ ، وزاد المسير ٨ / ٧ . وأخرج هذا الأثر الطبري ١٥٥ / ٢٢ عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٤٧ ، ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) انظر : الدر المنثور ٧ / ٤٧ ، وقد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٤) ذكر في فتح القدير ٤ / ٤٦٢ ، وقد أورد هذا القول بعض المفسرين ، لكنه منسوب إلى غير مجاهد ، فأورده الماوردي في تفسيره ٥ / ٩ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٩ ، ونسبه إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، قال : «وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج» .

(٥) معاني القرآن ٢ / ٢٧٣ .

(٦) في (ب) : (تقول) .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٨٦ ، والدر المصون ٥ / ٤٧٧ .

وقال مقاتل : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال ما^(١) ﴿أَخَصَّتْهُ﴾ يَبْنَاهُ .

قال ابن عباس : «حفظناه»^(٢) .

ومعنى الإحصاء في اللغة : «العد ، والعد يكون للبيان ، ويكون للحفظ»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «في اللوح المحفوظ»^(٤) .

وقال مجاهد : «يعني أم الكتاب»^(٥) .

قال أهل المعاني^(٦) : «وفي ذلك اعتبار الملائكة ؛ إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور ، وكان فيه دليل على معلومات الله - عز وجل - التفصيل» .

١٣ . وقوله تعالى : ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لقومك»^(٧) ، وقال مقاتل : «صف لهم يا محمد شبيهاً يعني - لأهل مكة - أصحاب القرية»^(٨) .

(١) (ما) هنا زائدة ، وليست في تفسير مقاتل . انظر : تفسير مقاتل ١٠٥ ب .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٧ من دون نسبة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (حصا) ١٦٤/٥ ، واللسان (حصى) ١٨٤/١٤ .

(٤) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ ، وتفسير مقاتل ١٠٥ ب ، وأورده الماوردي في تفسيره ٩/٥ ، ونسبه إلى السُّدِّي ، والقرطبي في تفسيره ١٣/١٥ ، ونسبه إلى مجاهد وقتادة وابن زيد .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٥٥/٢٢ ، وتفسير الماوردي ٩/٥ .

(٦) لم أقف على هذا القول عند أحد من أهل المعاني ، فلعله وهم من المؤلف .

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

قال أبو إسحاق : «أصحاب القرية بدل من مثل ، كأنه قال : اذكر لهم أصحاب القرية»^(١) ؛ أي خبر أصحاب القرية ، هي أنطاكية^(٢) في قول الجميع^(٣) .

وقوله : ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ : يعني رسل عيسى عليه السلام ؛ وذلك أنه بعث رسولين من الحواريين إلى أنطاكية يدعوان الناس إلى عبادة الله عز وجل .

١٤ . وقوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴾ بدل من قوله : ﴿ إِذْ جَاءَهَا ﴾ . والمعنى : إذ جاؤوها^(٤) بإرسالنا إليهم اثنين وكانا رسولي عيسى ، وأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه ؛ لأن عيسى أرسلهما بأمر الله تعالى . قال الكلبي : «وكان ذلك حين رُفع إلى السماء»^(٥) .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ . قال ابن عباس : «فضربوها وحبسوها»^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨١ / ٤ بمعناه .

(٢) أنطاكية : بلد من بلدان الجمهورية العربية السورية ، قال ياقوت في معجم البلدان ١ / ٢٦٦ : «أول من بني أنطاكية أنطيوخس ، وهو الملك الثالث بعد الإسكندر ، فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية ؛ لأنها من أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة ، والحسن ، وطيب الهواء ، وعدوية الماء ، وكثرة الفواكة ، وسعة الخير» .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٥٥ / ٢٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٢ / ٥ ، وتفسير الماوردي ١٠ / ٥ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ١٥ ، وقد استشكل الحافظ ابن كثير هذا القول وردّه من وجوه . انظر : تفسير ابن كثير ٥٦٩ / ٣ .

(٤) في (أ) : (جائها) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : الوسيط ٥١١ / ٣ ، ومجمع البيان ٦٥٤ / ٨ .

﴿فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ﴾ . قال أبو إسحاق : «فقوينا وشددنا الرسالة برسول ثالث»^(١) ، وهو قول جميع المفسرين^(٢) .

قال المُبرِّد وأبو علي : «مَنْ : (قرأ فعزَّزنا) بالتشديد ، فالمعنى : شددنا وقوينا ، وَمَنْ قرأ بالتخفيف ، فمعناه : قهرنا»^(٣) وعلينا من قوله عز وجل : ﴿وَعَزَّزْنَا فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ، وأنشد أبو علي لجرير :

أَعَزُّكَ بِالْحِجَازِ وَإِنْ تَسَهَّلْ يعزِّرُ^(٤) الْأَرْضَ يُتَّهَبُ^(٥) انْتِهَاباً^(٦)

قال أبو عبيد : «وقراءتنا بالتشديد ؛ لأن تأويل عززنا : غلبنا»^(٧) . والتفسير الأول أشبه بالمعنى . [وقال الفرَّاء : عززنا]^(٨) . وعززنا كقولك : شددنا وشدَّدنا بالتخفيف والتثقيـل^(٩) ، ونحو ذلك قال الزَّجَّاج . ﴿فَقَالُوا﴾ : يعني الرسل لأهل أنطاكية . ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ . قالوا لهم :

-
- (١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٢ / ٤ .
 (٢) انظر : تفسير الطبري ١٥٦ / ٢٢ ، وتفسير الماوردي ١٠ / ٥ ، وزاد المسير ١١ / ٧ ، وتفسير القرطبي ١٤ / ١٥ .
 (٣) في (ب) : (قهرنا) .
 (٤) هكذا في النسخ ، والصواب كما في الديوان والحجة : (بغور) .
 (٥) البيت من الوافر لجرير في ديوانه ٦٥ ، وهو من قصيدة طويلة يهجو بها الراعي النميري . انظر : الحجة ٣٨ / ٦ .
 (٦) لم أقف على قول المُبرِّد ، وانظر : الحجة ٣٨ / ٦ .
 (٧) انظر : تهذيب اللغة (عز) ٨٣ / ١ .
 (٨) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .
 (٩) معاني القرآن ٣٧٤ / ٢ .

١٥. ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ . قال مقاتل : «يعني ما نرى لكم علينا من فضل في شيء» . ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ : يعني لم يرسل رسولا . ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ بأنكم رسول الله ^(١) .

١٦. ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وإن كذبتونا .

١٧. ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ : وما علينا إلا أن نبلغ ونبين لكم بأن الله الواحد [لا شريك] ^(٢) له .

١٨. فقال القوم للرسول : ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ : يعني تشاء منا بكم ؛ وذلك أن المطر حُبِسَ عليهم ، فقالوا : أصابنا هذا الشر من قبلكم . ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ : لئن لم تسكنوا . ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ : لنقتلنكم . قال الفراء : «كقوله : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَّكَ﴾ [هود: ٩١] يريد القتل ، وعامة الرجم في القرآن القتل» ^(٣) .

١٩. ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد شؤمكم معكم» ^(٤) ، وهو لفظ الزَّجَّاج ^(٥) ، وقال الضحاك عن ابن عباس : «طائركم حظكم من الخير والشر» ^(٦) ، واختاره الفراء ، فقال : «أي ما كان من خير وشر فهو في رقابكم لازم لكم» ^(٧) .

(١) تفسير مقاتل ١٠٦ أ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٣) معاني القرآن ٢ / ٣٧٤ .

(٤) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٥١ / ٧ ، وعزاه إلى ابن المنذر .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٨٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٥ / ١٦ ، وتفسير البغوي ٩ / ٤ .

(٧) معاني القرآن ٢ / ٣٧٤ .

وهذا معنى قول مقاتل ، يعني الذي أصابكم كان مكتوباً في أعناقكم^(١) .
وهذان القولان في الطائر ذكرنا استقصاهما عند قوله : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : ١٣١] ، وقوله : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء : ١٣] . وتم الكلام هاهنا ، ثم قال لهم : ﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾ . قال مقاتل : « أين وعظمت بالله وتطيرتم^(٢) بنا ، وجواب الاستفهام محذوف » ، وهو ما ذكره مقاتل^(٣) .

قال أبو علي : « كأنهم قالوا أين ذكرتم تشاءمتم^(٤) » ، فحذف الجواب لتقدم ما يدل عليه ، وهو قوله : ﴿ تَطِيرُنَا بِكُمْ ﴾ ؛ لأن معنى تطيرنا تشاءمنا^(٥) ، ثم بينوا أن الأمر ليس على ما قالوا وشؤمهم إياهم من قبلهم ، وهو قوله : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ ﴾ .

قال ابن عباس ومقاتل : « مشركون بالله^(٦) » ، يعني أنهم جاوزوا الحد حين أشركوا بالله .

٢٠ . وقوله : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ . قال المفسرون^(٧) : « هو حبيب النجار ، وكان قد آمن بالرسول عند^(٨) ورودهم القرية » . قال وهب : « وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية ، فلمّا بلغه أن

(١) تفسير مقاتل ١٠٦ أ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٦ أ . والواو في قوله : (وتطيرنا) زائدة من النساخ .

(٣) وهو قوله : (تطيرتم بنا) .

(٤) في (ب) : (شائمتم) .

(٥) الحجة ٦ / ٣٩ .

(٦) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٠ ، وتفسير مقاتل ١٠٦ أ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٠٦ أ ، وتفسير الطبري ١٥٨ / ٢٢ ، وبحر العلوم ٩٧ / ٣ ، وتفسير الماوردي ١٣ / ٥ .

(٨) في (ب) : (حين) .

قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاءهم ، وقال : ﴿يَقَوْمِ أَتَبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ﴾^(١) .

وقال قتادة ومقاتل : «إنه كان رجلاً يعبد الله في غار فلما سمع بالرسول
جاءهم فقال : أتسألون أجراً على ما جئتم به ؟ قالوا : لا ، فقال لقومه :

٢١ . ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ : يعني
الرسول»^(٢) .

قال محمد بن إسحاق : «أي ما يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من
الهدى ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهداهم»^(٣) .

قال مقاتل : «فلما قال هذا أخذوه ورفعوه إلى الملك ، فقال له : برئت منا
وتبعت عدونا»^(٤) .

وقال ابن عباس : «قال لهم^(٥) الملك : أفأنت تتبعهم ؟

٢٢-٢٥ . فقال : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إلى قوله : ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ
فَأَسْمِعُونِ﴾»^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥٨/٢٢ ، والمحزر الوجيز ٤/٤٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٨/١٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥٩/٢٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٤٨٧ ، وتفسير مقاتل ١٠٦ ب .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٥٩/٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/٥٦٨ .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

(٥) هكذا جاءت في النسخ ، ومقتضى السياق : (له) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٦٠/٢٢ .

قال محمد بن إسحاق : «إني آمنت بربكم الذي كفرتم به ، فاسمعوا قولي»^(١) ، وقال كعب : «إنه قال لقومه : ﴿يَقَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله : ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، ثم أقبل على الرسل ، فقال : ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ ليشهدهم على إيمانه»^(٢) ، فعلى هذا الخطاب للرسل ، وعلى ما قال محمد بن إسحاق الخطاب لقومه .

وقال الكلبي : «﴿فَاسْمَعُونِ﴾ يريد : فاشهدوا لي»^(٣) .

ومعنى فاسمعوا : اسمعوني ؛ أي اسمعوا مني ، قال ذلك أبو عبيد^(٤) .

وقال المبرّد : «فاسمعون ؛ أي اسمعوا مني»^(٥) ، وهذا مثل قولك : سمعت فلاناً يقول ، وإنما المسموع قوله ، ولكنه من المختصر المحذوف ، وهو أكثر الكلام يجري على الألسنة ، وحق الكلام أن تقول : سمعت من فلان ما قال . قال ابن عباس : «فوثب عليه أهل مملكته حتى قتلوه»^(٦) .

وقال مقاتل : «وُطئ حبيب حتى خرج أمعاؤه من دبره ، ثم ألقى في البئر وهو الرس ، فهم أصحاب الرس ، وقتلوا الرسل الثلاثة»^(٧) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٦٠ / ٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٥٦٨ / ٣ .

(٢) ذكر في المحرر الوجيز ٤ / ٤٥١ ، وتفسير القرطبي ١٩ / ١٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٥١ / ٧ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : زاد المسير ١٣ / ٧ .

(٤) انظر : زاد المسير ١٣ / ٧ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٦١ / ٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٥٦٨ / ٣ .

(٧) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

وقال محمد بن إسحاق : «وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه ، وكان رجلاً قد أسرع فيه الجذام ولم^(١) له أحد يدفع عنه»^(٢) .

وقال ابن مسعود : «وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره»^(٣) .

قال كعب : «أخذ فُقُذِفَ في النار»^(٤) .

وقال قتادة : «هذا رجل دعا قومه إلى الله - عز وجل - ومحضهم النصيحة فقتلوه على ذلك وأقبلوه يرمونه ، وهو يقول : اللهم اهدِ قومي ، فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق»^(٥) ، وهو قوله :

٢٦ . ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : فلمَّا عذبوه»^(٦) قومه ، قيل : ادخل الجنة ، فلمَّا شاهدها قال : ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٧) .

وقال مقاتل : «لَمَّا ذهب بروح حبيب إلى الجنة ودخلها وعان ما فيها من النعيم ، تمنى فقال»^(٨) :

٢٧ . ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ . اختلفوا فيها ؛ فقال الكسائي : «بالذي غفر لي ربي ؛ أي بمعرفته ، فعلى هذا هو

(١) هكذا في النسخ ، والظاهر وجود كلمة ساقطة هي : (يكن) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٦١ / ٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٥٦٨ / ٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٦١ / ٢٢ ، والمحزر الوجيز ٤ / ٤٥١ ، وزاد المسير ١٣ / ٧ .

(٤) أورده السيوطي في الدر ٧ / ٥١ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر .

(٥) أورده الطبري في تفسيره ١٦٠ / ٢٢ ، وقد ذكر القول إلى قوله : «اللهم اهدِ قومي» ، وأورد هذا القول بتمامه القرطبي في تفسيره ١٩ / ١٥ ، ونسبه إلى الحسن ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٨٣ عن قتادة .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (عذبه) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٨٣ .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

﴿مَا﴾ المصدر ؛ لأنه مع الفعل بمنزلة المصدر^(١) . قال الفرّاء : «ولو جعلت ﴿مَا﴾ في موضع أي كان صواباً ، ويكون المعنى : ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربي»^(٢) ، فقال الكسائي : «لو كانت كذلك لكانت ﴿بِمَا غَفَرَلِي رَبِّي﴾ بنقصان الألف كما تقول : سلّ عمّ شئت^(٣) ، وكقوله : ﴿فَنَازِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾» . قال الفرّاء : «يجوز أن يكون تماماً وهو استفهام» ، وأنشد :

إِنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيهَا يَكْثُرُ الْقِيلُ^(٤)

وذكر أبو إسحاق الوجهين ، فقال : «أي بمغفرة ربي ، قال : وقيل : أي ليتهم يعلمون بالعمل والإيمان الذي غفر لي به ربي ، قال : وحذف الألف في هذا المعنى أجود»^(٥) ، وهذا قول مقاتل ، قال : «يعني بأي شيء غفر لي ربي ؛ أي إنما غفر لي باتباعي المرسلين ، فلو علموا لآمنوا بالرسول ، فنصح لهم في حياته وبعد موته»^(٦) . وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «قال محمد ﷺ : «نصح لقومه حياً وميتاً»^(٧) ، وقال قتادة : «تمنى الرجل - والله أعلم - أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله ، وذلك قوله : ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ : أي من المدخلين الجنة»^(٨) ، قاله

(١) انظر : الدر المصون ٥/٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٥/١٩ ، والبحر المحيط ٧/٣١٦ .

(٢) معاني القرآن ٢/٣٧٤ ، وانظر : المراجع السابقة .

(٣) انظر : المراجع السابقة .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لكعب بن مالك في ديوانه ٢٥٥ ، وخزانة الأدب ٦/١٠٦ . والشاهد فيه قوله : «ففي ما» ؛ حيث أثبت ألف (ما) الاستفهامية المتصلة بحرف الجر . وسراة القوم : خيارهم ، والقول والقييل واحد . انظر : الخزانة ٦/١٠٧ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/٢٧٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٨٣ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

(٧) ذكر في تفسير ابن كثير ٣/٥٦٨ ، وقد أورده السمرقندي في بحر العلوم ٣/٩٨ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٥١ من دون نسبة .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٢/١٦١ ، وتفسير القرطبي ١٥/٢٠ .

الزَّجَّاجُ^(١) . وحبیب هذا الذي یقال له : صاحب یس ، قال فیہ رسول الله ﷺ :
«سباق الأمم ثلاثة : صاحب یس حبیب النجار [مؤمن]^(٢) آل یس ، وحزقیل
مؤمن آل فرعون ، وعلي بن أبی طالب وهو أفضلهم»^(٣) .

وروي عن علي بن زيد بن جدعان أن عروة بن مسعود الثقفي صعد سور
الطائف ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرماه رجل من قومه بسهم
فقتله ، فقال النبي ﷺ : «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صاحب یس»^(٤) .

قال ابن مسعود : فلمّا قتلوا حبیباً ، غضب الله لاستضعافهم إياه غضباً لم
يبق من القوم شيئاً ، وعجّل الله لهم^(٥) النعمة بما استحلوا منه ، فقال قومه :

٢٨ . ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : یعنی الملائكة^(٦) ،
قاله مقاتل^(٧) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٤ .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٣) هذا الأثر أخرجه الثعلبي في تفسيره ٢٣٥/٣ أبسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه ، وأورده
الطبرسي في مجمع البيان ٦٥٩/٨ ، ونسبه إلى الثعلبي ، وأورده الزمخشري في الكشاف ٢٨٣/٣ .
قال الزليعي في تخريج أحاديث الكشاف ١٦٢/٣ : «رواه الطبراني بنقص في معجمه من حديث
حسين بن حسن الأشقر ، عن سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ،
ورواه كذلك ابن مردويه في تفسيره ، والعقيلي في الضعفاء ، وأعله بحسين الأشقر ، وقال : إنه شيعي
متروك ، ولا يعرف هذا إلا من جهته ، وهو حديث منكر ، ورواه بلفظ المصنف الثعلبي من حديث
عمرو بن جميع ، عن محمد بن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه . قال :
وفيه عمرو بن جميع ، وهو متروك» . اهـ .

(٤) هذا الأثر أورده ابن كثير في تفسيره ٥٦٨/٣ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حجر في الإصابة
٢/٤٧٠ عن ابن إسحاق ، وكذا ابن عبدالبر في الاستيعاب ١١٢/٣ ، وابن الأثير في أسد الغابة
٤٠٦/٣ .

(٥) في (ب) : (عليهم) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١/٢٣ .

(٧) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

وقال ابن مسعود : «أي ما كابدناهم بالجوع ؛ أي الأمر أيسر علينا من ذلك»^(١) .

وقال الكلبي : «لم يبعث إليهم الملائكة»^(٢) .

وقال الضحاك : «ما استغثنا بأهل السماء عليهم»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «لم نتصر للذين»^(٤) قتلوه بجند»^(٥) .

هذا الذي ذكرنا قول جميع أهل العلم والتفسير .

وقال مجاهد : «أي لم نبعث إليهم رسالة بعده من السماء ولا أتاهم نبي»^(٦) .
والقول ما عليه الناس . وقوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ على قوله : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ . والباقون جعلوا هذا تأكيداً لأول الكلام^(٧) .

وأنكر صاحب النظم القولين جميعاً ، فقال : «لا يجوز أن يكون المعنى : لم ينزل على أحد جنداً ؛ لأنه أنزل الجند على أهل بدر وحنين ، ولا يجوز أن يكون مكرراً على ما قبله ؛ لأنه لا يكون نظماً حسيماً ، وفيه أيضاً حمل الكلام على التكرير ، ولكن (ما) هاهنا اسم . والمعنى : لم ينزل عليهم حتى أهلكناهم جنداً من السماء ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ولا ما كنّا ننزله على من قبلهم من الأمم ؛ إذ أهلكناهم بمثل

(١) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٣١٩٢/١٠ ، وتفسير القرطبي ٣٠/١٥ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : تفسير البغوي ١١/٤ ، وزاد المسير ١٤/٧ ، وتفسير القرطبي ٢٠/١٥ .

(٣) لم أقف عليه عن الضحاك ، وقد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٩٣/١٠ عن ابن مسعود .

(٤) هكذا في النسخ ، والصواب : (للذين) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٤ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٣٤ .

(٧) في (ب) : (للكلام) ، وهو خطأ .

الماء للغرق والصاعقة والريح» ، وهذا في النظم كقوله : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ ولا^(١) على الذي فطرنا . وعلى ما ذكر صاحب النظم ما يكون معطوفاً على قوله : من جند ؛ أي لم ينزل عليهم [جنداً]^(٢) ، ولا ريحاً ، ولا صاعقةً ، ولا ماءً ، ثم بين أيش^(٣) كانت عقوبتهم ، فقال :

٢٩ . ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل والكلبي : « كانت صيحة من جبريل ، أخذ بعضادي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم صوت ، مثل النار إذا أطفئت »^(٤) .

قال ابن مسعود : « أهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، ولم يبق منهم باقية »^(٥) ، وقال قتادة : « ما نواظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم الصيحة »^(٦) .

قال الزجاج : « ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ؛ أي ساكتون ، قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد »^(٧) .

٣٠ . وقوله تعالى : ﴿ يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ : معنى الحسرة في اللغة : أشد الندامة ، وذكرنا اشتقاقها

(١) (لا) ساقطة من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٣) يعني : أي شيء .

(٤) ذكر هذا القول البغوي في تفسيره ١١ / ٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١٤ / ٧ ، وابن كثير في تفسيره ٣ / ٥٦٩ ، والشوكاني في فتح القدير ٣٦٧ / ٤ ، ونسبوه إلى أكثر المفسرين .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٥٦٩ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز ٤ / ٤٥٢ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٥٦٩ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٨٣ .

في ما تقدّم^(١)، وهذه نكرة موصوفة . قال الفرّاء : «والعرب إذا نادت نكرة موصولة بشيء أثرت النصب ، يقولون : يا رجلاً كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل»^(٢) .

وقال المبرّد : «نصبه كنصب نداء النكرة ، كقولك : يا رجلاً أقبل ، ومثله قول الصلتان :

فيا شاعراً لا شاعرَ اليوم مثله^(٣) جرير^(٤) ولكن في كليب تواضع^(٥)

ومعنى نداء الحسرة تنبيه لأن يتمكن علم المخاطب بالحسرة ، كما يقال : يا عجباً أتفعل كذا . والمعنى : يا عجب أقبل ، فإنه من أمامك ، ونداء العجب أبلغ في الفائدة كذلك نداء الحسرة ، وهو معنى قول أبي إسحاق^(٦) .

قال ابن عباس : «يا حسرة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسول في الرسل»^{(٧)(٨)} . ثم بين سبب الحسرة ، فقال : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ ؛ أي في الدنيا ،

(١) عند قوله تعالى : ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم : ٣٩] . قال المؤلف رحمه الله : «والحسرة هي الندامة ، يتحسر المسيء هلا أحسن العمل ، ولم يذكر اشتقاق الحسرة فعلة وهم - رحمه الله - حينها أحال على ذلك الموضع» .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٧٥ .

(٣) هكذا في النسخ ، والصواب : (أيا شاعراً لا شاعرَ اليوم مثله) .

(٤) في (ب) : زيادة في أول الشطر الثاني (ومعنى) ، وهو خطأ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للصلتان العبدي في الكامل ٣/ ١١١١ ، والمقتضب ٤/ ٢١٥ ، والشعر والشعراء ٣١٤ ، والكتاب ٢/ ٢٣٧ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٧٥ . والشاهد فيه قوله : «أيا شاعراً» ؛ حيث نصب المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف ؛ لأنه موصوف بجمله .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٤ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩١ ، والفريد في إعراب القرآن ٤/ ١٠٦ ، والكشاف ٣/ ٢٨٥ .

(٧) هكذا في النسخ جميعها ، وهو تصحيف ، ولعل الصواب : (الدنيا) .

(٨) لم أقف على من نسب القول إلى ابن عباس ، وقد أورده المؤلف في الوسيط ٣/ ٥١٣ ، ونسبه إلى مجاهد ومقاتل ، وهو في تفسير مقاتل ١٠٦ ب ، وتفسير مجاهد ٥٣٤ .

﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ . ثم خَوْفُ كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية في الدنيا ليعتبروا ، [فقال] ^(١) :

٣١. ﴿الْمَرِيضَ كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «موضع كم نصب بأهلكنا ؛ لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها ، خبراً كانت أو استخباراً . وقوله : ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ : (أنهم) بدل من معنى ﴿الْمَرِيضَ كَمَا أَهْلَكْنَا﴾ . والمعنى : ألم يروا أن القرون التي أهلكنا أنهم لا يرجعون» ^(٢) .

والتفسير : لم يعتبروا بمن أهلكنا من قبلهم من القرون فيخافوا أن يعجل لهم في الدنيا مثل الذي عجل لغيرهم ممن أهلك ، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبداً .

٣٢. وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ : قُرئ : (لما) بالتخفيف والتشديد ؛ فَمَنْ خَفَّفَ فما زائدة ^(٣) مؤكدة . والمعنى : وإن كل لجميع

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) ، وهذه الكلمة لا تلزم السياق .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٥ / ٤ .

(٣) ما نقله المؤلف - رحمه الله - هنا عن الرَّجَّاح من القول بأن (ما) زائدة ، قال به أيضاً الزنجشيري في الكشف ٢٩٥ / ٢ ، وذكره أيضاً السمين في الدر ٤٠١ / ٦ ، ولكن هذا القول لا ينبغي أن يقال ؛ لأنه ينافي الأدب مع القرآن ، فالقول بأن هذا الحرف زائد يوحى بأنه لا فائدة له ، وهذا ليس صحيحاً في حق كلام الله جل وعلا . يقول ابن هشام في كتابه الإعراب عن قواعد الإعراب ١٠٨ ، ١٠٩ : «وينبغي أن يتجنب العرب أن يقول في حرف من كتاب الله : إنه زائد ؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له ، وكلام الله سبحانه منزه عن ذلك . والزائد عند النحويين معناه الذي لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل ، وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة ، وبعضهم يسميه لغواً ، لكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب» . اهـ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦ / ٥٣٧ بعد أن تكلم عن التكرار والزيادة في كلام العرب : «فليس في القرآن من هذا شيء ولا يذكر فيه لفظ زائد إلا لمعنى زائد ، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد ، وما يجيء به من زيادة اللفظ في مثل قوله : ﴿فِيمَا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَةٍ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، وقوله : ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِيَةً﴾ [المؤمنون : ٤٠] ، وقوله :

لدينا محضرون ، وَمَنْ شَدَّدَ جَعَلَ (لَمَّا) بمعنى إِلَّا ، تقول : سألتك لَمَّا فعلته ، وإِلَّا فعلت ، هذا قول الزَّجَّاج^(١) .

وقال الفراء : «الوجه التخفيف ؛ لأنها ما أدخلت عليها لام يكون جواباً لأن ، كأنك قلت : وإن كل لجميع . وَأَمَّا مَنْ ثَقُلَ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ لَمَّا بِمَنْزِلَةِ إِلَّا مع أن خاصة ، كأنها ضمت إليها ما^(٢) ، فصار جميعاً استثناء وخرجتا من حد الجحد إذا جمعتا فصارتا حرفاً واحداً^(٣) . هذا كلامه . ومعنى قوله : بمنزلة إِلَّا مع أن خاصة ، يعني أن إِلَّا كلمتان أولاهما التي هي جحد بمنزلة ما ولا أيضاً جحد ، جمع بينهما فصارتا استثناء ، وكذلك لما جحد إن اجتمعتا لم وما فتشابهتا في هذا المعنى ، وهذا كلام صاحب النظم في شرح ما ذكره الفراء ، قال : «وكان الكسائي ينفي هذا القول ، ويقول : لا أعرف جهة لما بالتشديد في القراءة»^(٤) ، وقد ذكرنا استقصاء هذه المسألة في سورة هود عند قوله : ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا يُؤْفِقَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١] . وتفسير مقاتل موافق لمذهب مَنْ شَدَّدَ لَمَّا ؛ لأنه يقول : «وما إِلَّا جميع لدينا محضرون»^(٥) . وَمَنْ خَفَّفَ لَمَّا كان أن في قوله : ﴿وَإِنْ كُلٌّ﴾ بمنزلة المشددة ، ولكنها إذا خَفَّفَتْ لم تنصب ، وهذه الجملة قد أشبعنا الكلام فيها في سورة هود .

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨] . فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه ، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ، وقوة اللفظ لقوة المعنى . اهـ . انظر : التأويل النحوي في القرآن الكريم ١٢٧٧ / ٢ وما بعدها ، والكاشف عن إعجاز القرآن ٣٠٢ ، والبرهان للزركشي ١٧٧ / ٢ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٦ / ٤ .

(٢) (ما) ساقطة من (ب) .

(٣) معاني القرآن ٣٧٧ / ٢ .

(٤) انظر : الدر المصون ١٤٠ / ٤ ، والبحر المحيط ٣١٩ / ٧ ، وتفسير القرطبي ٢٤ / ١٥ .

(٥) لم أقف على هذا التفسير عن مقاتل .

قال أبو إسحاق : «تفسير الآية : أنهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا»^(١) .

٣٣. ثم وعظ كفار مكة أن يتفكروا في صنعه ليعرفوا توحيدَه ، فقال :^(٢) ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا﴾ إلى قوله : ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ .
واختلفوا في الكناية في قوله : ﴿ثَمَرِهِ﴾ ؛ فقال أبو عبيدة : «العرب تذكر الاثنين ثم تقتصر على الخبر عن أحدهما ، كقوله : ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ .

وقال الأزرق بن طرفه بن العمرد^(٣) :

رمانى بأمرٍ كنتُ منه ووالدي بري ومن أجل الطَّويِّ رمانى
فاقتصر على خبر واحد ، وقد أدخل الآخر معه^(٤) ، فعلى قول الكناية تعود إلى مضمَر مراد في اللفظ ، وهو الماء ؛ لأن قوله :

٣٤. ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ تقديره : وفجرنا فيها ماء من العيون .

٣٥. ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ؛ لأن الشار لا تكون إلا من الماء وبالماء .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٦/٤ .

(٢) في (ب) : زيادة (وقوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

البيت من الطويل ، مختلف في نسبه ؛ فالأكثر ينسبه إلى عمر بن أحر ، وهو في ديوانه ١٨٧ ، وفي الدرر ٦٢/٢ ، والكتاب ٧٥/١ ، ونسبه أبو عبيدة إلى طرفه بن العمرد كما في مجاز القرآن ١٦١/٢ ، وله أو لابن أحر كما في اللسان (حول) ١٣٢/١١ ، وهو غير منسوب في المصون من الأدب ٨٤ . والشاهد فيه : حذف خبر كان ، والتقدير : كنت منه بريئاً ، وعليه (فبرئاً) الموجود خبر لكان المحذوفة مع اسمها . ومعنى رمانى : قذفني بأمر أكرهه ، والطوي : هي البشر المطوية بالحجارة . انظر : الكتاب ٧٥/١ .

(٤) مجاز القرآن ١٦١/٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: يجوز أن تكون^(١) ما موصولة بمعنى الذي، وتكون في موضع خفض^(٢) عطفاً على التمر: ليأكلوا من ثمره ومما عملت أيديهم، وهذا معنى قول ابن عباس؛ لأنه قال: «يريد من الغروس، يعني أن الغروس من عمل أيدينا»^(٣).

قال صاحب النظم: «المعنى: ويأكلوا مما عملت أيديهم بالمقاساة بالحرثة كما قال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]، فأضاف الحرثة إليهم. وعلى هذا العائد من الصلة إلى الموصول محذوف على قول^(٤) مَنْ قرأ: (عملت) بغير هاء، وأكثر ما جاء في التنزيل من هذا على حذف كقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، و﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الَّذِي أَصْطَفَىٰ﴾، و﴿أَبْنِ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، و﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾. وكل هذا على إرادة الهاء وحذفها، وقد جاء الإثبات في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبَطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، ويكون هذا كقول^(٥) مَنْ قرأ: (عملته) بالهاء، في أنه رد الكناية من الصلة إلى الموصول. ويجوز أن يكون في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ نفي، على معنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم، ولكن من فعلنا».

وقال الضحاك: «أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها»^(٦).

قال الفرّاء: «إذا جعلت (ما) جحداً لم تجعل لها موضعاً، ويكون المعنى: إنّنا جعلنا لهم الجنات والنخيل والأعناب، ولم تعملها أيديهم»^(٧). ويقوّي هذا

(١) في (أ): (يكون).

(٢) في (أ): (خفين)، وهو تصحيف.

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس ٤٩٢/٥، وتفسير القرطبي ٢٥/١٥، وتفسير ابن كثير ٥٧٠/٣.

(٤) في (أ): (قوله)، وهو خطأ.

(٥) في (أ): (كقوله)، وهو خطأ.

(٦) انظر: تفسير الماوردي ١٦/٥، وتفسير البغوي ١٢/٤، ومجمع البيان ٦٦١/٨.

(٧) انظر: معاني القرآن ٣٧٧/٢.

الوجه قوله : ﴿أَسْمَرُ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ . وَمَنْ قَدَّرَ هَذَا التَّقْدِيرَ لَمْ يَكُنْ ﴿عَمِلَتْهُ﴾ صِلَةً ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ صِلَةً لَمْ يَقْتَضِ الْهَاءُ الرَّاجِعَةَ إِلَى الْمَوْصُولِ ، وَيَجُوزُ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ (مَا) نَافِيَةً عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ أَثْبَتَ الْهَاءَ فِي عَمَلْتَهُ ، وَتَكُونُ الْهَاءُ كِنَايَةً عَنْ لَفْظِ الثَّمَرِ وَالتَّمَرِ لَمْ تَعْمَلْهُ أَيْدِي النَّاسِ ، إِنَّمَا ظَهَرَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَإِيجَادِهِ ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مَعْنَى قَوْلِ الْفَرَّاءِ ^(١) ، وَالزَّجَّاجِ ^(٢) ، وَأَبِي عَلِيٍّ ^(٣) رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

وقوله : ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «أَفَلَا يَطِيعُونَ» ^(٤) .

قَالَ مِقَاتِلٌ : «أَفَلَا يَشْكُرُونَ رَبَّ هَذِهِ النِّعَمِ وَيُوحِّدُونَهُ» ^(٥) .

٣٦ . ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ وَعَجَبَ خَلْقَهُ ، فَقَالَ : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «وَالْحُبُوبَ» .

﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ . قَالَ قَتَادَةُ وَمِقَاتِلٌ : «يَعْنِي الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، وَالْأَزْوَاجَ مِنَ النَّبَاتِ أَجْنَاسِهِ ، وَمِنَ الْأَنْفُسِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى» ^(٦) .

وقوله : ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : «مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ» ^(٧) .

وَقَالَ مِقَاتِلٌ : «[وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْخَلْقِ]» ^(٨) ^(٩) .

(١) انظر : المرجع السابق .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٦ / ٤ .

(٣) الحجة ٤٠ / ٦ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس .

(٥) تفسير مقاتل : ص ١٠٧ أ .

(٦) ورد في تفسير مقاتل ١٠٧ أ ، ولم أقف عليه عن قتادة .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبى ، وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ١٧ / ٧ من دون نسبة .

(٨) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) منسوباً إلى الزَّجَّاجِ ، وهو خطأ .

(٩) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

وقال الزَّجَّاج : «ومما لا يعلمون مما خلق الله من جميع الأنواع والأشياء»^(١) . والمعنى : أن الله خالق الأنواع مما يعلمون ، وهو ما ذكر من النبات والأنفس ، ومما لا يعلمون مما لا يقف عليها من دواب البر والبحر وغيرها من الأشياء التي لا نعلمها^(٢) .

٣٧ . وقوله : ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ﴾ ؛ أي علامة تدل على قدرتنا . ﴿أَلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : []^(٣) ويذهب به^(٤) . قال أبو عبيدة : «نخرج ونميز منه فيجيء الظلمة ، يقال للرجل : سلخه الله من دينه»^(٥) . وقال الفراء : «معناه نسلخ عنه النهار فرمي بالنهار عنه فيأتي بالظلمة»^(٦) ، وقال الزَّجَّاج : «نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء في ضوء النهار»^(٧) . هذا كلامه .

ومعنى السلخ في اللغة : كشطك الإهاب ، ثم تستعمل فيه أشياء كثيرة تكون بمعنى الإخراج ، والانسلاخ : الخروج ، كقوله : ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] ، وانسلخت الشمس ؛ أي استكملت أيامه^(٨) ، وقد مرَّ الكلام في هذا^(٩) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٧ / ٤ .

(٢) في (أ) : (يعلمها) ، وهو تصحيف .

(٣) قدر كلمة في النسخ جميعها غير واضحة ، والظاهر - والله أعلم - أنها : (ينزعه) .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣ / ٢٣٥ ب .

(٥) مجاز القرآن ٢ / ١٦١ .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٣٧٨ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٧ / ٤ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٧ / ١٧٠ ، واللسان (سلخ) ٣ / ٥٤ ، وعمدة الحفاظ ٢ / ٢٤١ .

(٩) عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] .

وتحقيق معنى نسلخ^(١) من النهار : أن الظلمة هي الأصل والنهار داخل عليها يسترّها بضوئه ، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل ؛ أي كشط وأزيل كما يكشط^(٢) الشيء الطارئ على الشيء ، فجعل ذهاب الضوء ظهور الظلمة كالسلخ من الشيء فيظهر المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه^(٣) .

قال أبو علي : «آية ترتفع بالابتداء ، ولهم صفة للنكرة ، والخبر مضمّر تقديره : وآية لهم في المشاهدة أو في الوجود»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾ الآية ، كما أن قوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] تفسير للوصية .

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ؛ أي داخلون في الظلمة . يقال : أظلمنا ؛ أي دخلنا في ظلام الليل ، وجاء فلان مظلماً ؛ أي بليل .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها»^(٥) .

قال المبرّد وابن قتيبة : «أي إلى مستقر لها ، كما تقول : هو^(٦) يجري لغايته ، وإلى غايته»^(٧) .

(١) في (ب) : (لنسلخ) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) : (يكشف) ، وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : (منه) .

(٤) الحجة ٤٠ / ٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٧ / ٤ .

(٦) في (أ) : (هم) ، وهو تصحيف .

(٧) ذكره تفسير غريب القرآن ٣٦٥ ، وتأويل المشكل ٣١٦ ، ولم أقف على قول المبرّد .

واختلفوا في مستقر الشمس ، فروى أبو ذر أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : «مستقرها تحت العرش»^(١) ، وهو قول ابن عباس ، قال : «يريد تحت عرش الرحمن»^(٢) .

وعلى هذا هي إذا غربت كل نهار استقرت تحت عرش الرحمن إلى أن تطلع ، يدل عليه ما روى أبو ذر أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : «أتدري أين تغرب ؟» فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : «يذهب بها حتى ينتهي تحت العرش ثم تستأذن فيؤذن بها ، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها»^(٣) .

وقال قتادة : «إلى وقت وأجل لها لا تعدوه»^(٤) ، ونحو هذا قال مقاتل^(٥) ، وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا ، وهو اختيار أبي إسحاق ، فقال : «لمستقرها ؛ أي لأجل قد أجّل لها»^(٦) .

وقال الكلبي : «تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ، ثم ترجع إلى منازلها حتى تنتهي إلى أبعد مغارها ثم ترجع ، فذلك مستقرها ؛ لأنها

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ تَقَرُّجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ، وقوله جل ذكره : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ ٦/ ٢٧٠٣ ، رقم ٦٩٩٦ ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيذان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيذان ١/ ١٣٩ ، رقم ٢٥١ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٥٢-١٧٧ ، والترمذي في سننه ، كتاب : التفسير (سورة يس) ٥/ ٤٢ ، رقم ٣٢٨٠ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٥ ب ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٦ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١١ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٧ .

لا تجاوزه»^(١)، وعلى هذا (المستقرها) ؛ أي لمستقر لسيرها لا يزيد إذا انتهى إليه انصرف ورجع .

وقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ . قال مقاتل : «ذلك الذي ذكره من أمر الليل والنهار والشمس . ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما قَدَّر من أمرها» .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ : قُرئ : (والقمر) بالرفع والنصب ؛ فالرفع بتقدير : وآية لهم القمر ، كما ذكرنا في قوله : ﴿أَيُّلُ نَسْلَخُ﴾ و ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ . ويجوز أن يكون ابتداء وقدّرناه الخبر ، والنصب على : وقدّرنا القمر قدّرناه ، وقد حمله سيبويه على : زيدا أضربته ، قال : «وهو عربي» ، هذا كلام أبي إسحاق وأبي علي^(٢) .

وقال الفراء : «في القمر^(٣) أعجب إليّ ؛ لأنه قال : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾ ، ثم جعل الشمس والقمر متبعين الليل ، وهما آيتان مثله»^(٤) .

وقال أبو عبيدة : «النصب أحب إليّ ؛ للفعل المتقدم قبله والمتأخر بعده ، فالمتقدم قوله : ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ، والمتأخر قوله : ﴿قَدَرْنَاهُ﴾ ، والتقدير في الآية : قدّرناه ذا منازل ، كما ذكرنا في قوله : ﴿قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٥) ، ثم حذف المضاف»^(٦) . ومنازل القمر معروفة ، وهي ثمان وعشرون منزلة ، من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة

(١) ذكر في تفسير الماوردي ١٧/٥ ، وزاد المسير ١٩/٧ ، وأورد هذا القول ولم ينسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٥٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/٦٦٣ .

(٢) معاني القرآن إعرابه ٤/٢٨٧ ، والحجة ٦/٣٩ ، ٤٠ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب كما في معاني القرآن للفراء : (الرفع في القمر . . .) .

(٤) معاني القرآن ٢/٣٧٨ .

(٥) في (أ) : (وقدّرناه) ، بزيادة الواو ، وهو خطأ .

(٦) لم أقف على قول أبي عبيد ، وانظر في توجيه هذه القراءة : القراءات وعلل النحويين فيها ٢/٥٦٤ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٨ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢١٦ .

منه تم ، فإذا صار في آخر منازل دق ، وذلك^(١) قوله : ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ . قال أبو إسحاق : «الرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ من العذق ، وهو فعلول من الانعراج ، وإذا جف وقدم دق وصغر ، يشبه^(٣) به الهلال في آخر الشهر ، وفي أول مطلعه»^(٤) . واستقوس^(٥) فشبه القمر ليلة ثمان وعشرين ، والآية مختصرة ؛ لأن التقدير : فسار في منازل حتى عاد كالرجون ، ودلّ قوله : ﴿قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٦) على هذا المحذوف ، وهو السير ؛ لأن كونه ذا منازل يقتضي سيره فيها ، وقال الكلبي : «كالرجون اليابس قد حال عليه الحول فتوش»^{(٧)(٨)} ، ونحو هذا قال مقاتل^(٩) .

والرجون على ما ذكر أبو إسحاق من الثلاثي ؛ لأنه^(١٠) جعل النون زائدة ، وذكره الليث في باب الرباعي ، فقال : «الرجون أصل العذق ، وهو أصفر عريض يشبه به الهلال إذا انمحق ، قال : والعرجنة تصوير عراجين النخل»^(١١) .

(١) في (ب) : (فذلك) .

(٢) في (أ) : زيادة بعد قوله (وقوله) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (يشبهه) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٨ / ٤ .

(٥) هكذا جاء الكلام في النسخ جميعها ، والظاهر عدم وجود ترابط بين كلام أبي إسحاق وكلام المؤلف بسبب سقط كلمة أو نحوها .

(٦) في (ب) : (وقدرناه) ، بزيادة الواو ، وهو خطأ .

(٧) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (فتقوس) .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(١٠) في (ب) : (لا أنه) ، وهو خطأ .

(١١) انظر : تهذيب اللغة (عرجن) ٣ / ٣٢٠ .

وقال رؤبة :

في خِدرِ مَيَّاسِ الدُّمَى مُعَرَّجِنِ^(١)

أي : مصوّر فيه صورة النخل^(٢) والدمى .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ . قال الكلبي : « لا تجري الشمس في سلطان القمر فيذهب بصره . ﴾ وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿ فيجيء قبل وقته »^(٣) .

وقال مقاتل : « يقول : فلا يدرك سواد الليل ضوء النهار فيغلبه على ضوءه »^(٤) . وحقيقة المعنى ما ذكره أبو إسحاق ، فقال : « أي لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر »^(٥) .

وشرح ابن قتيبة معنى ما ذكره المفسرون ، فقال : « في هذه الآية يقول الله تعالى إنها سيران الدهر دائبين لا يجتمعان ، فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار ، ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوءه ، وبطل سلطانه ، ودخل النهار على الليل ، وقد قال الله تعالى حين ذكر يوم القيامة : ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ ، وذلك عند إبطال هذا التدبير ، ونقض هذا التأليف ، وكما لا يدخل النهار على الليل قبل

(١) عجز بيت من الرجز ، وصدره :

أو ذكر ذات الرّيد الملعهن

وهو لرؤبة في ديوانه ١٦١ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٣٢٠ ، واللسان (عوجن) ١٣/ ٢٨٤ .

(٢) في (ب) : (القتل) ، وهو خطأ .

(٣) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ١٣ ، وزاد المسير ٧/ ٢٠ .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٨ .

انقضائه ، وهو قوله : ﴿وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ ؛ أي هما يتعاقبان ، فلا يذهب الليل قبل مجيء النهار^(١) ، وهذا معنى آخر سوى الأول .

وقوله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ؛ أي يجرون ، يعني الشمس والقمر والنجوم . وقال أبو إسحاق : «أي يسرون فيه بانسباط ، وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه ، ومن ذلك : السباحة في الماء»^(٢) . وسبق في سورة الأنبياء تفسير قوله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣) .

٤١ . وقوله : ﴿وَأَيُّهُمُ﴾ . قال مقاتل : «وعلاوة لكفار مكة . ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ : يعني ذرية أهل مكة في أصلاب آبائهم ، وعلى هذا المراد بالذرية : الأولاد ، وأولادهم كانوا في أصلاب من حمل مع نوح في سفينة»^(٤) . وقال آخرون : «المراد بالذرية هاهنا الآباء والأجداد . والمعنى : حملنا آباءهم الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون» . قال ثعلب : «الذرية تقع على الآباء ، واحتج بهذه الآية»^(٥) .

(١) تأويل مشكل القرآن ٣١٧، ٣١٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٨ / ٤ .

(٣) آية : ٣٣ . انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٢٤٢ / ٣ أ ، قال : «والفلك في كلام العرب : كل شيء مستدير ، وجمعه أفلاك» . هذا معنى الفلك في قول أهل اللغة ، وأمّا المفسرون فقال السُّدِّي في قوله : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ : «أي كل في مجرى واستدراجه» ، وقال الكلبي : «الفلك استدارة السماء ، وكل شيء استدار فهو فلك» ، وعلى هذا المراد بالفلك السماء ، والسماء مستديرة والنجوم تدور فيها ، وهذا معنى قول مجاهد .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٥) لم أقف عليه عن ثعلب ، والقول في تهذيب اللغة (ذراً) ١٥ / ٤ عن الليث .

وقال^(١) الفرّاء : «جعل ذرية التي كانت مع نوح لأهل مكة ؛ لأنها أصل لهم»^(٢) .

وقال الزّجاج : «قيل لأهل مكة حملنا ذريتهم ؛ لأن من حمل مع نوح فهم آبائهم وذرياتهم»^(٣) ، فهذه الأقوال تدل على أن الآباء يجوز أن تسمى ذرية الأبناء .

وقد كشف صاحب النظم على هذا ، فقال : «جعل الله تعالى الآباء ذرية للأبناء ، وجاز ذلك ؛ لأن الذرية مأخوذة من : ذرأ^(٤) الله الخلق ، فسمى الولد ذرية ؛ لأنه ذرى من الأب ، فكما جاز أن يقال للولد : ذرية لأبيه ؛ لأنه ذري منه ، وكذلك يجوز أن يقال للأب : ذرية للابن ؛ لأن ابنه ذري منه ، فالفعل يتصل به من أحد الوجهين ، وهذا كما تقول في المصدر ؛ فإنه سمي^(٥) به الفاعل مرة والمفعول أخرى ، نحو : درهم ضرب الأمير ، ونسج اليمن ، وكقول : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك : ٣٠] ؛ أي غائراً وهو كثير ، وكذلك يضاف المصدر^(٦) إلى الفاعل مرة ومرة إلى المفعول ؛ لاشتراكه عليهما ، واشتراكهما في التسمية به» . والمشحون : المملوء .

(١) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٢) معاني القرآن ٣٧٩ / ٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٨ / ٤ .

(٤) في (ب) : (ذر الله) .

(٥) في (ب) : (سعى) ، وهو تصحيف .

(٦) جاءت العبارة في (أ) هكذا : (وكذلك يضاف المصدر إلى المصدر مرة إلى الفاعل ومرة إلى المفعول) ، وهو خطأ .

قال أبو عبيدة : «يقال : شحنت المدينة وأشحنتها إذا ملأتهما»^(١) . قال مقاتل : «يعني الموقر من الناس والدواب»^(٢) .

٤٢ . وقوله : ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد السفن مثل مركب نوح» ، وهذا قول مقاتل والحسن وأبي صالح والسُّدِّي عن أبي مالك ، كل هؤلاء قالوا : «يعني السفن الصغار ؛ فإنها عملت بعد سفينة نوح على صنعتها»^(٣) .

وقال آخرون : «يعني الإبل» ، وهو قول عكرمة وعبدالله بن شداد^(٤) .

وذكر الكلبي القولين جميعاً ، وقال : «في البحر السفن ، وفي البر الإبل»^(٥) . والظاهر القول الأول ؛ لأنه قال : ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ ، والسفن هي التي تشبه ما عمله نوح ، وهي أيضاً من الخشب الذي هو من خشب سفينة نوح . ومن ذهب إلى الإبل احتاج أن يجعل (من) زائدة ، ويجعل الإبل من^(٦) السفينة في أنها تحمل الإنسان في البر كما تحمله السفينة في البحر ، فهو مثلها في العمل والحمل لا في الصورة والخلقة ، ويدل على صحة القول الأول :

٤٣ . قوله تعالى : ﴿وَلِنْ نَّشَأَنُغْرِقَهُمْ﴾ . والإغراق يكون بالماء في البحر ، والمراد بهذا أن الله تعالى ذكر مِتِّته على أنه خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نوح وركبوه للتجارات ، ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم ولو

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٧ أ ، وتفسير الطبري ٢٣ / ١٠ ، وتفسير الماوردي ٥ / ١٩ ، وبحر العلوم ١٠١ / ٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٣ / ١١ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٠ ، وزاد المسير ٧ / ٢٢ .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : تفسير القرطبي ١٥ / ٣٥ ، والمحرق الوجيز ٤ / ٤٥٥ .

(٦) هكذا جاءت في النسخ ، والذي يظهر أنها : (مثل) ، وليست : (من) .

شاء أغرقهم ، فلم^(١) يغثهم أحد ، ولم ينقذهم ، وهو قوله : ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس : «لا مغيث لهم» ، وهو قول الجميع^(٢) . والصريخ هاهنا بمعنى المصرخ . ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ؛ أي من الغرق . يقال : أنقذه واستنقذه إذا خلصه ، وتقدير قوله : ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ : فليس لهم صريخ ، كما تقول : إن شاء ضربك فلا ناصر لك . ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ . قال ابن عباس : «ولا أحد ينقذهم من عذابي»^(٣) .

٤٤ . وقوله : ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ؛ أي إلا أن يرحمهم^(٤) ويمنعهم إلى آجالهم . قال ابن عباس : «وذلك أن الكافر متَّعه الله في الدنيا ورزقه فيها وجعلها جنته ، فإذا ركب السفينة سلَّمه الله ورزقه حتى يموت»^(٥) . وكل نبي إذا كذَّبه قومه عَجَّلَ لهم العذاب إلا محمداً ﷺ ؛ فإنه أخر العذاب عمن كذَّبه إلى الموت وإلى القيامة ، وهو معنى قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] .

قال أبو إسحاق : «رحمة منصوب مفعول لها . المعنى : لا ينقذون إلا لرحمة منَّا ولمتاع إلى حين»^(٦) ، وهذا ليس بالظاهر القوي .

(١) في (ب) : (ولم) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١١ / ٢٣ ، وتفسير الماوردي ٢٠ / ٥ ، وتفسير البغوي ١٤ / ٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٩٩ / ٥ .

(٣) انظر : الوسيط ٥١٤ / ٣ ، وتفسير البغوي ١٤ / ٤ .

(٤) في (ب) : (نرحمهم) .

(٥) أورده المؤلف في الوسيط ٥١٥ / ٣ ، ولم أقف عليه عند غيره .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٩ / ٤ .

قال أبو عبيدة : ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾ (١٢) إِلَّا رَحْمَةً ﴿﴾ مجازها مجاز المصدر الذي فعله بغير لفظه ، وأنشد قول رؤبة :

إِنْ نَزَارًا أَصْبَحْتُ نَزَارًا دعوة أبرارٍ دعوا أبراراً^(١)^(٢)
يعني : دعوا دعوة أبرار ، كذلك المعنى في الآية : إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُمْ رَحْمَةً ، والمتاع هاهنا اسم أقيم مقام المصدر كالأداء والسراج .

٤٥ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ : اختلفوا في هذا ؛ فقال مقاتل وقتادة : «ما بين أيديكم عذاب الأمم الخالية ، وما خلفكم عذاب الآخرة»^(٣) . وعكس الكلبي ، فقال : «ما بين أيديكم من أمر الآخرة فاعملوا لها ، وما خلفكم من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بما فيها من زهرتها»^(٤) .

وقال مجاهد : «ما بين أيديكم ما يأتي من الذنوب ، وما خلفكم ما مضى منها»^(٥) . وذكر أبو إسحاق على القلب من هذا ، فقال : «ما بين أيديكم وما أسلفتم من ذنوبكم ، وما خلفكم وما تعملونه في ما تستقبلون»^(٦) .

(١) البيت من الرجز ، وهو لرؤبة في الكتاب ٣٨٢ / ١ ، ومجاز القرآن ١٦٢ / ٢ ، ومن دون نسبة في شرح المفصل ١٧٧ / ١ ، والمخصص ١٣٧ / ١٥ . ومعنى البيت : أن ربيعة ومضر ابني نزار كانت بينهما حرب وتقاطع ، فلمَّا اصطَلَحُوا انتَمَا كُلُّهُمْ إِلَى أَبِيهِمْ نَزَارَ وَجَعَلُوهُ شَعَارَهُمْ ، فجعل دعوتهم بَرَّةً بذلك .

(٢) مجاز القرآن ١٦٢ / ٢ .

(٣) تفسير مقاتل ١٠٧ ب ، وانظر : تفسير الطبري ١٢ / ٢٣ ، وتفسير الماوردي ٢١ / ٥ ، وتفسير البغوي ١٤ / ٤ .

(٤) انظر : بحر العلوم ١٠١ / ٣ .

(٥) تفسير مجاهد ٥٣٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٩ / ٤ .

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لكي ترحموا»^(١) .

وقال أهل المعاني : «لتكونوا على رجاء رحمته» ، وهو قول أبي إسحاق^(٢) ، وذكرنا هذا في ما تقدم أولاً^(٣) . وجواب إذا محذوف على التقدير : إذا قيل لهم هذا أعرضوا ، يدل على هذا المحذوف قوله : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ﴾ ؛ أي عبرة ودلالة تدل على صدق محمد ﷺ كاشتقاق^(٤) القمر وغيره من الآيات .

٤٦ . وقوله : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ . قال الفراء : «هذا جواب لقوله : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ ، وفيه جواب لقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ؛ لأن المعنى : إذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ، وإذا أتتهم آية أعرضوا»^(٥) ، ونحو هذا قال الكسائي : «إن هذا جواب لقوله : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ ، وفيه معنى جواب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾»^{(٦)(٧)} .

٤٧ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ . قال الكلبي : «كان [من]^(٨) أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون إليه بمكة وهم يومئذ فقراء ، فيخرجون فيسألون ، فيقول أهل مكة : لا والله لا نتصدق

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ ، وتفسير مقاتل ١٠٧ ب ، وانظر : مجمع البيان ٨ / ٦٦٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٠٦ .

(٣) ذكر المؤلف - رحمه الله - ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

(٤) هكذا جاء في النسخ ، وهو تصحيف ، والصواب : (كانشتقاق القمر) .

(٥) معاني القرآن ٢ / ٣٧٩ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) في (ب) : زيادة قوله (ولا لزوم لها) .

(٨) هكذا في النسخ ، والذي يظهر أن ما بين المعقوفين زائد .

عليكم بشيء وأنتم على غير ديننا حتى ترجعوا إليه ، فأنزل الله هذه الآية^(١) .

وقال مقاتل : «إن المؤمنين قالوا لكفار قريش : أنفقوا على المساكين ما زعتم من أموالكم أنه لله ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون هذا على حد الاستهزاء»^(٢) ، وذكر غيره أنهم ذهبوا في قولهم أن الله تعالى لمّا كان قادراً على إطعامهم وليس يشاء إطعامهم فنحن أحق بذلك ، على أي وجه قالوه فقد أخطأوا ؛ لأنهم إن قالوه استهزاء فلا إيمان لهم بمشيئة الله . ويقوي هذا الوجه ما روى معمر عن الكلبي : «أنها نزلت في الزنادقة»^(٣) . وإن قالوه على أنهم يوافقون مشيئة الله ، فلا يطعمون من لم يطعمها الله ، فقد أخطأوا ؛ لأن الله تعالى لو شاء لأغنى الخلق كلهم ، ولكنه قسم المعيشة بينهم ، فأغنى بعضاً وأفقر بعضاً ؛ ليلو الغني بالفقير في ما فرض له من ماله من الزكاة ، وندبه إليه من التطوع بالمساواة ؛ ليصح التكليف والابتلاء ، وأن يعترض^(٤) على المشيئة .

(١) لم أقف على هذا القول منسوباً إلى الكلبي ، وذكر نحوه الماوردي ٢١ / ٥ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤ / ٤٥٦ ، والبعوي في تفسيره ٤ / ١٤ ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٢٤ قولاً نسبته إلى الكلبي ، هو أن الآية نزلت في العاص بن وائل ، كان إذا سأله مسكين قال : اذهب إلى ربك فهو أولى بك مني ، ويقول : قد منعه الله أطعمه أنا ؟ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٣) ذكر في تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٤٤ ، وقد أورده الماوردي في تفسيره ٥ / ٢١ عن قتادة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٢٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨ / ٦٦٧ ، وأورده القرطبي في تفسيره ١٥ / ٣٧ ، ونسبه إلى ابن عباس .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، ولعل الصواب : (وأن لا يعترض) .

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . قال ابن عباس: «يريدون المؤمنين»^(١)، وقال مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان: «ثم قالوا لأصحاب النبي ﷺ: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قالوا في اتباعكم محمداً وترك ديننا»^(٢)، وقال الكلبي: «يقول الله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ أي خطأ بين»^{(٣)(٤)}.

٤٨. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . قال مقاتل: «يعني العذاب . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن العذاب نازل»^(٥)، وقال الكلبي: «متى هذا الوعد الذي تعدنا به من القيامة إن كنتم صادقين في ذلك»^(٦).

قال أبو إسحاق: «أي: متى إنجاز هذا الوعد؟ إن كنتم صادقين فأرونا ذلك»^(٧).

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره أكثر المفسرين، ولم ينسبه أحد - حسب علمي - إلى ابن عباس، وإنما نسبته بعضهم إلى قتادة . انظر مثلاً: الماوردي ٢٢ / ٥، ومجمع البيان ٨ / ٦٦٧ . ومنهم من ذكره، ولم ينسبه إلى أحد . انظر: تفسير الطبري ١٢ / ٢٣، وتفسير القرطبي ٢٧ / ١٥، وبحر العلوم ١٠٢ / ٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٧ ب، وانظر: تفسير القرطبي ٣٧ / ١٥ .

(٣) في (ب): زيادة (أي خاط خطأ بين)، وهو خطأ .

(٤) لم أقف على من نسبته إلى الكلبي، وانظر: تفسير الطبري ١٢ / ٢٣، وبحر العلوم ١٠٢ / ٣٠، وتفسير القرطبي ٣٧ / ١٥ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي، وقد أورده الماوردي ٢٢ / ٥ عن يحيى بن سلام .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٩ / ٤ .

٤٩. قال الله تعالى: []^(١) ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد النفخة الأولى»^(٢). والمعنى: أن القيامة تأتيهم بغتة، تأخذهم الصيحة وهم يخصمون؛ أي يختصمون. قال ابن عباس: «يريد البيع والشراء»^(٣).

قال الكلبي: «يتكلمون ويتبايعون في أسواقهم»^(٤).

وقال مقاتل: «وهم أعز ما كانوا يتكلمون في الأسواق والمجالس»^(٥).

وقال قتادة: «تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، فيصيح»^(٦) بهم وهم كذلك»^(٧).

وقال أبو إسحاق: «تقوم الساعة وهم متشاغلون في تصرفاتهم»^(٨).

وفي قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ وجوه من القراءة، أجودها فتح الخاء مع تشديد الصاد، والأصل: يخصمون، فألقيت حركة الحرف المدغم—وهو التاء—على الساكن الذي قبله—وهو الخاء—وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم: ردّ وفرّ

(١) في (أ): زيادة (قوله تعالى)، وهو تكرار لا لزوم له بل إثباته خطأ؛ لأنه يجعل (قوله تعالى) مقولاً لـ (قال الله تعالى)، فيكون قرآنًا وهو ليس كذلك، وقد تكررت في بعض المواضع في باقي السورة.

(٢) انظر: تفسير البغوي ١٤/٤، ومجمع البيان ٦٦٨/٨.

(٣) ورد نحوه في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢.

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأورده الماوردي في تفسيره ٢٢/٥ عن السدي.

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ ب.

(٦) في (ب): (فيهج).

(٧) ذكر في تفسير الطبري ١٣/٢٣، وأورده السيوطي في الدر ٦١/٧، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/٤.

وغَضَّ ، [فألقوا حركة العين على الساكن ، وذلك أن الأصل : ردد وافرر واغضض^(١)]. وبلي الوجه الأول في الجودة قراءة مَنْ قرأ بكسر الخاء ، ووجهه أنه حرك الخاء بالكسر لالتقاء الساكنين ؛ لأنه لم يلقَ حركة التاء على الفاء . وقرأ أهل المدينة بالجمع بين ساكنين والخاء والحرف المدغم . قال الزَّجَّاج : «وهو أشد الوجوه وأردؤها»^(٢) .

وقال أبو علي : «مَنْ زعم أن ذلك ليس في طاقة اللسان إدغاماً يعلم فساده بغير استدلال»^(٣) .

وقرأ همزة : (يخضمون) ساكنة الخاء مخففة الصاد ، وهي قراءة يحيى بن وثاب .

قال الفرَّاء : «مَنْ قرأ على قراءة يحيى فيكون تفعلون من الخصومة ، كأنه قال : وهم يتكلمون ، قال : ووجه آخر : وهم في أنفسهم يخضمون من وعدهم الساعة ، وهم يغلبون عند أنفسهم مَنْ قال لهم أن الساعة آتية»^(٤) .

وذكر^(٥) أبو إسحاق هذين الوجهين ، فقال : «في هذه القراءة أنها جيدة أيضاً ، ومعناها أنها تأخذهم وبعضهم يخضم بعضاً . قال : ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عند أنفسهم يخضمون ، فتقديره : يخضم بعضهم بعضاً ، فحذف المضاف ، وحذف المفعول به كثير في التنزيل وغيره . قال : ويجوز أن يكون المعنى : يخضمون

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٠ / ٤ .

(٣) الحجة ٤٢ / ٦ .

(٤) معاني القرآن ٣٧٩ / ٢ .

(٥) في (ب) : (وقال) ، وهو خطأ .

مجادلهم عند أنفسهم ، فحذف المفعول به ، ومعنى يخصمون يعلنون خصومهم في الخصام^(١) . انتهى كلامه .

والوجه الأول في معنى هذه القراءة كمعنى سائر الوجوه من القراءة ؛ لأنه بمعنى يخصم بعضهم بعضاً في تخصمهم ومكالمتهم في متصرفاتهم^(٢) ، يغلب بعضهم بعضاً متشاغلين بكلامهم ، وليس بمعنى الغلبة في الخصومة في الساعة كما ذكر في الوجه الثاني^(٣) .

فإن قيل : إن هؤلاء الذين أخبر عنهم ما هم قالوا متى هذا الوعد انقضوا صاروا رماداً ، فكيف يخبر عنهم بأن الساعة تقوم عليهم وهم يختصمون ؟ قيل : يراد بهذا مَنْ هو على مثل حالهم من المكذبين بالساعة ، والقوم إذا كان أمرهم واحداً كان الخبر عن بعضهم في ذلك الأمر كالخبر عن جميعهم .

٥٠ . ثم ذكر أن الساعة إذا^(٤) أخذتهم بغتة لم يقدرُوا على الإيصاء بشيء ، فقال : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ . قال مقاتل : «يقول عجلوا عن الوصية فماتوا»^(٥) ، وقال أبو إسحاق : «لا يستطيع أحد أن يوصي وصية في شيء من أمره»^(٦) .

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ : لا يلبث أن يصير إلى أهله ومنزله ، يموت في مكانه .

(١) لم أقف على هذا الكلام عن أبي إسحاق ، ويظهر أنه كلام أبي علي ، وإنما وَهَمَ المؤلِّف - رحمه الله - فنسبه إلى أبي إسحاق . انظر : الحجة ٤٢ / ٦ .

(٢) في (ب) : (متصرفتهم) ، وهو خطأ .

(٣) انظر : الحجة ٤١ - ٤٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٧٩ ، وعلل القراءات ٢ / ٥٦٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢١٧ .

(٤) في (ب) : (أودا) ، وهو خطأ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ أ ب .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٠ .

وقال مقاتل : «يقول : ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق»^(١) ، وهذا قول المفسرين^(٢) .

وقال الكلبي : «ولا إلى أهلهم يرجعون الكلام»^(٣) .

وذكر الفراء هذا القول أيضاً ، فقال : «أي لا يرجعون إلى أهلهم قولاً»^(٤) .

٥١ . قال مقاتل : «أخبرهم الله بما يقولون في النفخة الأولى ، ثم أخبرهم بما يقولون في النفخة الثانية إذا بُعثوا بعد الموت ، وذلك قوله»^(٥) : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد النفخة الثانية»^(٦) .

﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ : يعني القبور ، واحداها جدث . قال أبو عبيدة : «وهي لغة أهل العالية ، وهي أهل نجد يقولون : جدث»^(٧) .

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ . قال مقاتل : «يخرجون إلى الله من قبورهم أحياء»^(٨) ، وقال الزجاج : «ينسلون يخرجون بسرعة»^(٩) .

(١) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥ / ٢٣ ، وبحر العلوم ١٠٢ / ٣ ، وتفسير الماوردي ٢٢ / ٥ .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٣٠٥ / ٥ ، وتفسير القرطبي ٣٩ / ١٥ .

(٤) معاني القرآن ٣٨٠ / ٢ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وأكثر المفسرين قالوا : «إنها النفخة الثانية» . انظر : تفسير الطبري ١٥ / ٢٣ ، وتفسير الماوردي ٢٣ / ٥ ، بحر العلوم ١٠٢ / ٣ ، وتفسير القرطبي ٣٩ / ١٥ .

(٧) كلام أبي عبيدة كما في المجاز ١٦٣ / ٢ ، وهو لغة أهل العالية ، وأهل نجد يقولون : (جدف) .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٠ / ٤ .

قال المُبرِّد^(١): «يقال للإنسان إذا غدا عَجْلاً: نسل، والريب ينسل وينسل»، وأنشد الجعدي:

عَسَلَانَ الذَّبِّ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلِ عَلَيْهِ فَنَسَلَ^(٢)
ابن السكيت: «يقال: نسل في العدو ينسل نسلاناً»^(٣).

وقد يقال في مصدره: النسل، ومنه الحديث: شكونا إلى رسول الله ﷺ الضعف، فقال: «عليكم بالنسل»^(٤).

وقال ابن الأعرابي: «النسل ينشط، وهو الإسراع في المشي»^(٥).

٥٢. قال مقاتل: «فَلَمَّا رَأَوْا الْبَعْثَ ذَكَرُوا قَوْلَ الرِّسْلِ فِي الدُّنْيَا أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ^(٦)، فَقَالُوا: ﴿يَتَوَلَّيْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾». قال المفسرون: «إنما يقولون هذا؛ لأن الله رفع عنهم العذاب في ما بين النفختين فيرقدون».

(١) الكامل ٣٢١/١، ٣٢٢.

(٢) البيت من الرمل، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ٩٠، وتهذيب اللغة ٩٦/٢، وينسب إلى لبيد، وهو في ديوانه ٢٠٠، ولسان العرب (عسل) ٤٤٦/١١، والكامل ٣٢١/١. ومن دون نسبة في جمهرة اللغة ٣٠٥، ٨٤٢، والمخصص ١٢٦/٧، والخصائص ٤٨/٢. يقال: «عسل الذَّبِّ والثعلب يعسل عَسلاً وعسلاناً، مضى مسرعاً واضطرب في عدوه وهزَّ رأسه». قارباً تقرب؛ أي نطلب، والأصل في هذا طلب الماء ثم توسع فيه، والنسل: الإسراع في المشي.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (نسل) ٤٢٨/١٢.

(٤) أخرجه الخطابي في غريب الحديث ٣٧١/٢، وابن الأثير في غريب الحديث (نسل) ٤٩/٥، والزنجشري في الفائق في غريب الحديث (نسل) ٤٢١/٣، وابن الجوزي في غريب الحديث، باب النون مع السين ٤٠٥/٢.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (نسل) ٤٢٨/١٢، ولسان (نسل) ٦٦١/١١.

(٦) تفسير مقاتل ١٠٧ ب.

قال مقاتل : «إن أرواح الكفار كانت تعرض على منازلها من النار طرفي النهار^(٧) وكل يوم ، فلمّا كان بين النفختين رفع فرقد تلك الأرواح ، فلمّا بُعثوا في النفخة الأخيرة وعانوا القيامة دعوا بالويل^(٨) ، فقالوا : ﴿يَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ .»

قال أبي بن كعب : «ينامون قبل البعث نومة»^(٩) .

قال أبو هريرة : «إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر عليهم ماءً من تحت العرش ، فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا تكاملت أجسادهم نفخ فيها الروح ، ثم تلقى عليهم نومة ، فبينما هم في قبورهم إذ نفخ في الصور ، فجلسوا وهم يجردون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون :^(١٠) ﴿يَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ . وأكثر القراء وأهل المعاني على أن الوقف تام عند قوله^(١١) : ﴿مَرْقَدِنَا﴾ ، ثم يتبدى فيقول : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ . قال ابن عباس : «تقول الملائكة : هذا ما وعد الرحمن على ألسنة الرسل أن يبعث بعد الموت ، ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ بأن البعث حق»^(١٢) .

(٧) (الواو) هنا زائدة ، وليست في تفسير مقاتل .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٩) ذكر في تفسير الطبري ١٦ / ٢٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ٥٠٥ ، وزاد المسير ٧ / ٢٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٦٣ ، وزاد نسبه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٠) لم أقف عليه .

(١١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٣٨٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٨٠ ، والقطع والانتاف ٩١ ، ومنار الهدى ٣٢٠ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٤٧٣ .

(١٢) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ ، وذكر أكثر المفسرين هذا القول ، ولكن لم أقف على من نسبه إلى ابن عباس . انظر : تفسير الماوردي ٥ / ٢٤ ، والمحور الوجيز ٤ / ٤٥٨ ، وزاد المسير ٧ / ٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٥٧٤ .

وذهب آخرون إلى أن هذا من قول المؤمنين . روي عن أبي بن كعب أنه قال :
« فيقول المؤمن : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ »^(١) .

وقال قتادة : « أولها للكافرين وآخرها للمؤمنين . قال الكافر : يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا ، وقال المسلم : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » ، ونحو
هذا قال مجاهد^(٢) ، واختاره الزَّجَّاج^(٣) . والقول الأول اختيار الفراء^(٤) . وهذا في
موضع رفع ، كأنك قلت : هذا وعد الرحمن .

وذهب قوم إلى أن الوقف على قوله هذا ، على أن يكون هذا من نعت مرقدنا ،
ثم تبتدئ : ما وعد الرحمن ، حكى ذلك النحاس^(٥) ، وذكره الفراء^(٦) والزَّجَّاج ،
قال الزَّجَّاج : « إذا وقفت على قوله هذا ، كأن ما وعد الرحمن على ضريين ؛ أحدهما
على إضمار هذا ، والثاني على إضمار حق ، فيكون المعنى : حق ما وعد الرحمن ،
قال : والقول الأول - أعني ابتداء هذا - عليه التفسير ، وهو قول أهل اللغة »^(٧) .

٥٣ . ثم ذكر النفخة الثانية ، فقال : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ الآية ،
وهي ظاهرة ، وكذلك ما بعدها ، ثم ذكر - جل وعز - أوليائه ، فقال :

(١) لم أقف على هذا القول عن أبي ، وقد ذكر المفسرون هذا القول عن قتادة ومجاهد . انظر : تفسير
عبد الرزاق ٢ / ١٤٥ ، وتفسير الطبري ٢٣ / ١٦ ، ١٧ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٤ ، ومعاني القرآن
للنحاس ٥ / ٥٠٥ .

(٢) انظر : المراجع السابقة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩١ .

(٤) معاني القرآن ٢ / ٣٨٠ .

(٥) القطع والانتشاف ٩١ .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٣٨٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩١ .

٥٥. ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الآخرة»^(١) .

﴿فِي شُغْلٍ﴾ ، وَقُرِئَ : (شُغْل) ، وهما لغتان^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة : «يريد افتضاض العذارى والأبكار»^(٣) .

وقال مقاتل : «شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار ، فلا يذكرهم ولا يهتمون لهم»^(٤) .

وروى مجاهد عن ابن عباس : «شغلوا بفضة العذارى»^(٥) .

وقال أبو الأحوص^(٦) : «شغلوا بافتضاض^(٧) الأبكار على السرر في الحجال» .

(١) في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٤٤ ، قال : «يوم القيامة» . لم أقف على من نسب هذا القول إلى

ابن عباس . انظر : بحر العلوم ١٠٣/٣ ، وزاد المسير ٢٧/٧ ، وتفسير ابن كثير ٥٧٥/٣ .

(٢) انظر : علل القراءات ٥٦٦/٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢٩١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٨/٢٣ ، وبحر العلوم ١٠٣/٣ ، والمحزر الوجيز ٤٥٨/٤ .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٥) ذكره صاحب زاد المسير ٢٧/٧ ، وأورده الطبري في تفسيره ١٨/٢٣ برواية عكرمة عن ابن عباس .

(٦) لم أستطع تحديده ، وقد يكون قاضي عكبر ، أبا عبدالله محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي ، مولا هم البغدادي المشهور بأبي الأحوص ، حدث عن أبي نعيم وعبد بن رجاء وخلق غيرهما ، وروى عنه ابن ماجه حديثاً واحداً وأبو عوانة وعثمان بن السَّمَّاء وغيرهم . قال الدارقطني عنه : «إنه من الحفاظ الثقات» ، توفي بعكبر سنة ٢٧٩ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٣/٣٦٢ ، وتهذيب الكمال ٢٦/٥٧١ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/١٥٦ ، أولعله : الإمام الثقة سلام بن سليم الحنفي ، مولا هم الكوفي ، وقد تقدّمت ترجمته .

(٧) في (ب) : (بافتضاض) .

وقوله: ﴿فَكَهُونٌ﴾ . قال ابن عباس : «ناعمون»^(١) .

وقال مقاتل وقتادة : «أي معجبون بما هم فيه» ، وهو قول الحسن والكلبي^(٢) .
وهذان القولان عليهما أهل التفسير ، ولكل منهما أصل في اللغة ؛ فمن قال :
فاكهون ناعمون^(٣) فأصله من الفكية والفاكهة ، وهي المزاح والكلام الطيب ،
يقال : فاكهت القوم بملح الكلام مفاكهة .

روى أبو عبيد عن أبي زيد : «الفكه الطيب النفس الضحوك» . روى شمر
عنه : «رجل فكه وفاكهة»^(٤) ، وهو الطيب النفس المزاح^(٥) ، وأنشد أبو عبيدة :

فَكُهُ الْعَشِيِّ إِذَا تَأَدَّبَ رَحْلُهُ رَكْبُ الشِّتَاءِ مَسَامُحٌ فِي الْمَيْسِرِ^(٦)
[وأنشد أيضاً]:^(٧)

فَكُهُ لَدَى جَنْبِ الْخِوَانِ إِذَا أَتَتْ نَكْبَاءَ تَقْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ^(٨)

(١) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ ، ولم أقف على من نسبته إلى ابن عباس ، وقد ذكره أكثر
المفسرين عن مقاتل وقتادة والسُّدِّي . انظر : تفسير الثعلبي ٢٣٧/٣ أ ، وتفسير الماوردي ٢٥/٥ ،
وبحر العلوم ١٠٣/٣ ، وزاد المسير ٢٨/٧ ، وتفسير القرطبي ٤٤/١٥ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٨ أ ، وانظر : المراجع السابقة .

(٣) في (أ) : (فاكين ناعمين) ، وهو خطأ .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (فاكه) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (فكه) ٢٦/٦ ، واللسان (فكه) ٥٢٣/١٣ .

(٦) البيت من الكامل ، وهو لصخر بن عمرو بن الشريد ، أخو الخنساء ، في مجاز القرآن ١٦٣/٢ ،
وأساس البلاغة (فكه) ٣٤٦ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٨) لعل نسبة هذا البيت إلى أبي عبيدة خطأ من المؤلف تابع فيه الأزهرى ، فقد نسبته إلى أبي عبيدة كما في
تهذيب اللغة ٢٦/٦ ، أمّا ابن منظور في اللسان فقال : «أنشده أبو عبيد» . والبيت من الكامل ، وهو
من دون نسبة في تهذيب اللغة ٢٦/٦ ، واللسان (فكه) ٥٢٤/١٣ ، وأساس البلاغة (فكه) ٣٤٦ .
الخِوَانُ : ما يؤكل عليه (معرب) ، والجمع أخون ، والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرقت =

قال الفراء والزجاج والكسائي: «الفاكهة والفكه كالخادر والحذر والفاره والفره ولم يسمع في الثلاثي فعل»^(١).

قال الأخفش: «ولم أسمع فكه يفكه»^(٢). ويجوز أن تكون الفاكهة كاللابن والتامر، وهو قول أبي عبيدة والأخفش.

قال أبو عبيدة: «مَن قرأها: (فاكهون) معناه صاحب فاكهة؛ أي كثير الفاكهة»، وأنشد للحطيئة، فقال:

وَعَرَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ^{(٣)(٤)}

وقال أبو الحسن: «فاكهون به وفاكهة وذو الفاكهة ناعم»^(٥). فلذلك قال المفسرون في تفسير الفاكهة: «أنه الناعم»، ومَن قال: «الفاكهة المعجب»، فإن العرب تقول: «فكهنا من كذا؛ أي تعجبنا»، ومنه: قوله تعالى: ﴿فَطَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥]؛ أي تعجبون^(٦).

٥٦. وقوله: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ﴾: يعني حلائلهم من الحور العين [٧].

= ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر. انظر: اللسان (خون) ١٣/١٤، واللسان (نكب) ١/٧٧١.

(١) ورد في معاني القرآن ٢/٣٨٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٢٩١، ولم أقف على قول الكسائي.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البيت من مجزوء الكامل، وهو للحطيئة في ديوانه ٣٣، ومجاز القرآن ٢/١٦٤، والكتاب ٢/٨٨، والمقتضب ٣/٥٨، والخصائص ٣/٢٨٢، وهو من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر.

(٤) مجاز القرآن ٢/١٦٤.

(٥) لم أقف على قول أبي الحسن.

(٦) انظر: تهذيب (فكه): اللغة ٦/٢٦، واللسان (فكه) ١٣/٥٢٣.

(٧) ما بين المعقوفين قدر كلمة (أو كلمتين) لم أستطع قراءتها أو فهمها في النسخ جميعها.

ومنه قوله : ﴿ ظَلَّلِ ﴾ . قال مقاتل : « يعني أكتان القصور »^(١) . وذكرنا معنى الظلال عند قوله : (يتفياً ظلاله) [النحل : ٤٨] .

وُقِرَّي : (ظلل) ، وذكرنا معناها عند قوله : ﴿ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠]^(٢) . وتفسير الأرائك مذكور في سورة الكهف^(٣) .

قال أبو علي الفارسي : « الظلل جمع ظلة ، مثل غرفة وغرف ، والظلال يجوز أن يكون جمع ظلة أيضاً كعبلة وعلاب ، [وجفرة]^(٤) وجفار ، وبرمة وبرام . ويجوز أن يكون جمع ظلل »^(٥) .

قال أبو عبيدة في هذه الآية : « في ظلال واحدها ظلة والجمع الظلل ، وهو الكن لا يصحوا ، وقال : الأرائك واحدها أريكة ، وهي الفرش في الحجال ، وأنشد قول ذي الرمة :

حدودُ جفت في السيرِ حتى كأنها يباشرنَ بالمعزاءِ مسَّ الأرائكِ^(٦)^(٧)

-
- (١) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .
 (٢) قال في هذا الموضع : « الظلل » : جمع ظلة مثل : هلة وهلل ، والظلة : ما يستظل به من الشمس ، ويسمى السحاب ظلة ؛ لأنه يستظل بها ، منه قوله : ﴿ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ « أراد غياً تحت سموم » .
 (٣) عند الآية ٣١ ، وهي قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَجْعَلْ عَدْنُ نَجْرِي مِّنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .
 (٤) ما بين المعقوفين طمس في (أ) ، والجفرة تأنيث جفر ، وهو من أولاد الشاء إذا عظم وفصل عن أمه .
 انظر : اللسان ٤ / ١٤٢ .
 (٥) الحجة ٤٣ / ٤٤ ،
 (٦) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في شرح ديوانه ١٧٢٩ / ٣ ، ومجاز القرآن ٤٠١ / ١ ، ١٦٤ / ٢ .
 ومعنى البيت : جفت في السير : لم تطمئن فيه ، والأرائك : جمع أريكة ، وهي الأسرة ، والمعزاء : أرض غليظة ذات حصى . يقول : كأنهن إذا وقعن على المعزاء وجدن بها مس الأرائك من التعب والإعياء . انظر : ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي ١٧٢٩ .
 (٧) مجاز القرآن ١٦٤ / ٢ .

ونحو هذا قال أبو إسحاق^(١) . وأما المفسرون فإنهم قالوا في تفسير الأرائك :
«إنها السرر عليها الحجال» ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل^(٢) .

وقال أحمد بن يحيى : «الأريكة لا تكون إلا سريراً في قبة على شواره ومخدة»^(٣) .

وقال الكلبي : «الأرائك السرر في الحجال ، لا تكون أريكة إلا إذا اجتمعنا ، فإذا تفرقتا فليس بأريكة»^(٤) .

٥٧ . وقوله : ﴿وَهُمْ مَّايَدْعُونَ﴾ . قال أبو عبيدة : «ما يتمنون ، تقول العرب : ادع على ما شئت ؛ أي تمن»^(٥) ، ونحو هذا قال ابن قتيبة^(٦) ، والزجاج قال : «هو مأخوذ من الدعا . المعنى : كل ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم»^(٧) .

قال ابن عباس : «يريد ما يتمنون وما يشتهون»^(٨) ، وهو قول مقاتل^(٩) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٢/٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/٢٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٥٠٨ ، والمحزر الوجيز ٤/٤٥٩ ، وتفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٣) انظر : زاد المسير ٥/١٣٨ ، وفتح القدير ٤/٣٦٥ . ومعنى شواره : أي زينتته . انظر : اللسان (شور) ٤/٤٣٤ .

(٤) انظر : بحر العلوم ٣/١٠٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢/١٦٤ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٦٧ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٩٢ .

(٨) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ .

(٩) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

وقال الكلبي : «يسألون من التحف والتمني»^(١) . والسؤال معنى وليس بتفسير . وحقيقة تفسيره ما ذكره الزجاج : «أي ما يدعونه أهل الجنة فهو لهم ؛ لأن الادعا افتعال من الدعا ، فيدعون بمعنى يدعون»^(٢) .

٥٨ . وقوله : ﴿سَلِّمْ قَوْلًا﴾ . قال أبو إسحاق : «سلام بدل من ما . المعنى : لهم سلام بقوله عز وجل : ﴿قَوْلًا﴾»^(٣) . وهذا الذي ذكره الزجاج معنى قول أبي عبيدة : «سلام رفع على لهم عملت فيه ، وقولاً خرجت مخرج المصدر الذي يخرج من غير لفظ فعله»^(٤) ؛ أي يقولون ذلك قولاً ، ونحو هذا قال الفرّاء والكسائي^(٥) .

قال ابن عباس : «يرسل الرحيم إليهم بالسلام»^(٦) .

وقال الكلبي : «يرسل إليهم ربهم الملائكة في جناتهم بالتحف من عنده وبالسلام»^(٧) .

وقال مقاتل : «إن الملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب ، يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم»^(٨) . فهؤلاء قالوا : إن الله يرسل إليهم بالسلام .

(١) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكر نحوه الماوردي ٢٦/٥ عن أبي عبيدة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٢/٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) مجاز القرآن ١٦٤/٢ .

(٥) ورد في معاني القرآن ٣٨٠/٢ ، ولم أقف على قول الكسائي .

(٦) ذكر نحوه أبو حيان في البحر المحيط ٣٢٧/٧ عن ابن عباس .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : تفسير هود بن محكم ٤٣٨/٣ ، ومجمع البيان ٦٧١/٨ ، فقد ذكر نحو هذا القول غير منسوب .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

وروى جابر عن النبي ﷺ : «إن الله يشرف على أهل الجنة فيقول : السلام عليكم يا أهل الجنة» . فذلك قوله : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾^(١) ، وهو قول كعب القرظي^(٢) .

٥٩ . وقوله : ﴿وَأَمْتَرُوا أَلْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ؛ أي انقطعوا وتميزوا منهم ، يقال : أمرت الشيء من الشيء أميزه ، إذا عزلته عنه ، فانهاز وامتاز ، وميزته فتميز^(٣) .

وقال ابن عباس : «يقول : تنحوا أيها المشركون»^(٤) .

وقال مقاتل : «اعتزلوا اليوم - يعني في الآخرة - من الصالحين»^(٥) .

وقال السُّدِّي : «كونوا على حدة»^(٦) ، وهذا قول أكثر المفسرين^(٧) ، واختيار أبي إسحاق ، قال : «معناه : انفردوا عن المؤمنين»^(٨) .

وقال الضحاك : «هم يفرد كل واحد من أهل النار بيتاً ويرد بابه ، فيكون فيه أبداً ، لا يرى ولا يرى ، وعلى هذا امتيازهم : أن يمتازوا بعضهم من بعض»^(٩) .

(١) رواه ابن ماجه في سننه ، باب : ما أنكرت الجهمية ٣٦ / ١ ، رقم ١٧٢ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٨ / ٧ : «رواه البزار ، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي ، وهو ضعيف» .

(٢) ذكر في تفسير الطبري ٢٣ / ٢١ ، وأورده السيوطي في الدر ٧ / ٦٦ ، وزاد نسبته إلى أبي نصر السجزي في الإبانة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (ماز) ١٣ / ٢٧٢ ، واللسان (ميز) ٥ / ٤١٢ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر نحوه الماوردي ٥ / ٢٦ عن الكلبي ، وذكره هود بن محكم في تفسيره ٣ / ٤٣٨ من دون نسبة .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٦) ذكره المؤلف في الوسيط ٣ / ٥١٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ١٦ ، ومجمع البيان ٨ / ٦٧١ .

(٧) انظر : المراجع السابقة ، وانظر أيضاً : وبحر العلوم ٣ / ١٠٤ ، وزاد المسير ٧ / ٣٠ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٢ .

(٩) انظر : تفسير الماوردي ٥ / ٢٦ ، وتفسير البغوي ٤ / ١٦ ، وتفسير القرطبي ١٥ / ٤٦ .

٦٠. وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾؛ أي ألم أمر ولم أوص، كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ [طه: ١١٥]، وقد مرّ.

قال ابن عباس: «ألم أقدم إليكم»^(١).

وقال الزّجاج: «ألم أتقدم إليكم، يعني على لسان الرسل»^(٢). ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ﴾. قال مقاتل: «يعني الذين أمروا بالاعتزال»^(٣).

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾؛ أي لا يطيعوا إبليس في الشرك. ﴿إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ من العداوة إخراج أبيكم من الجنة، قاله ابن عباس^(٤). قال سعيد بن جبير والكلبي: «مَنْ أطاع الشيطان فقد عبده»^(٥).

٦١. ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾: يعني: ألم أعهد إليكم أن اعبدوني؟ قال ابن عباس: «أطيعوني»^(٦)، وقال مقاتل: «وَحْدُونِي»^(٧). ﴿هَذَا﴾: يريد الذي جاء به محمد ﷺ. ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٨): يعني دين الإسلام. ثم ذكر عداوته لبني آدم، فقال: []^(٩)

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٢/٤.

(٣) تفسير مقاتل ١٠٨ أ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه عنها، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ١٠٤/٣، ونسبه إلى ابن عباس.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس، وانظر: بحر العلوم ١٠٤/٣، وزاد المسير ٣٠/٧، وتفسير البغوي ١٧/٤.

(٧) تفسير مقاتل ١٠٨ أ.

(٨) قوله: (مستقيم) غير مثبت في (ب).

(٩) في (أ): زيادة (قوله تعالى)، وهو هنا زائد لا يلزم السياق.

٦٢. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾؛ أي عن الهدى. ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ فيه وجوه من القراءة: جُبْلًا وجُبْلًا بالضم وتشديد اللام، قال: وجبل وجِبِلَّة لغات كلها^(١)، ونحو هذا قال أبو عبيدة، قال: «ومعناها: الخلق والجماعة»^(٢).

وقال الليث: «الجبلبة الخلق خلقهم الله فهم محبوبون، وأنشد:

بحيثُ شدَّ الجبابِلُ المجابِلُ»^(٣).

أي: حيث شد أسر خلقه^(٤). وجبل الإنسان على هذا الأمر؛ أي طبع، فهو محبوب عليه.

قال ابن عباس ومجاهد والمفسرون: «خلقاً كثيراً»^(٥).

قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد ما رأيتم من الأمم قبلكم ألم تعقلوا فتعتبروا بما رأيتم من الأمم قبلكم»^(٦).

٦٣. قال مقاتل: «فلَمَّا دنوا من النار، قال لهم خزنتها: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا فتكذبون»^(٧).

(١) الحجة ٤٤/٦، ٤٥، والحجة في القراءات السبع ٢٩٩، وعلل القراءات ٥٦٧/٢.

(٢) مجاز القرآن ١٦٤/٢.

(٣) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله، وهو في تهذيب اللغة ٩٦/١١، واللسان ٩٨/١١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (جبل) ٩٦/١١، واللسان (جبل) ٩٨/١١.

(٥) انظر: تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢، وتفسير مجاهد ٥٣٦، وانظر أيضاً: تفسير البغوي ٢٣/٢٣، وتفسير الماوردي ٢٧/٥، وبحر العلوم ١٠٤/٣.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس، وانظر: الوسيط ٥١٧/٣، وبحر العلوم ١٠٤/٣، وتفسير البغوي ١٧/٤، وزاد المسير ٣١/٧.

(٧) تفسير مقاتل ١٠٨ أ.

٦٤. ﴿أَصْلَوْهَا﴾ : قاسوا حرها وشدتها . ﴿أَلْيَوْمَ﴾ : يعني في الآخرة .
﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ : بكفرهم بما كان في الدنيا .

٦٥. وقوله : ﴿أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ﴾ . قال مقاتل والكلبي : «وذلك أنهم أنكروا
الشرك والتكذيب ، فيختم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم
بإذن لها في الكلام ، فشهدت عليهم بما عملوا»^(١) .

٦٦. وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ : ذكرنا معنى الطمس
في سورة النساء ويونس^(٢) . قال أبو عبيدة^(٣) والمُبَرِّد^(٤) والزَّجَّاج^(٥)
في هذه الآية : «يقال : عين طمس ومطموس ، وهو الذي لا يرى
شق عينه ، ولا يتبين جفنه» . وذكرنا في تفسير هذه الآية قولين :
قال مقاتل : «يقول : لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى
فأبصروا طريق الهدى ، ثم قال : ﴿فَأَنزَلْنَا يُبْصِرُونَ﴾ يقول : فمن أين
يبصرون طريق الهدى ، وَلِمَ أُعِمْ عَلَيْهِمْ طريق الكفر ؟»^(٦) ، ونحو
هذا قال الكلبي^(٧) .

(١) انظر : المرجع السابق ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنًا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا
فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ [النساء : ٤٧] ، وهذه الآية مع آية أخرى ناقصة من المخطوط ، وعند قوله تعالى :
﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ [يونس : ٨٨] ، وقال المؤلف في هذا الموضع بعد أن
أحال على آية النساء : «قال الزَّجَّاج : تأويل طمس الشيء : إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال
الأولى التي كانت عليها» .

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٦٥ .

(٤) لم أقف على هذا القول عن المُبَرِّد .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٣ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٧) ورد في بحر العلوم ٣ / ١٠٤ ، ونسبه بعض المفسرين إلى قتادة القائل . انظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٦ ،
وزاد المسير ٧ / ٣٢ ، وتفسير القرطبي ١٥ / ٤٩ .

القول الثاني : أن معنى الآية : لو نشاء لأعميناهم وتركناهم عمياً يترددون ، وكيف يبصرون الطريق حينئذٍ ؟ وهذا قول الحسن وقتادة والسُّدِّي^(١) ، وهو الاختيار لأن الله تعالى يهددهم بهذه الآية كالتى بعدها كما قال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٠] ، يقول : « كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة » ، وهذا القول اختيار المُبرِّد والزَّجاج .

قال المُبرِّد : « تأويل الآية ، قال : راموا الاستباق إلى المنهاج ، فمن أين لهم أبصار ؟ »^(٢) .

وقال الزَّجاج : « أي لو^(٣) نشاء لأعميناهم فعدلوا عن الطريق ، فمن أين^(٤) يبصرون ؟ » .

وذكرنا معنى الاستباق عند قوله : ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ [يوسف: ٢٥] . والاستباق هاهنا معناه غير معنى ما تقدّم . قال الأزهري : ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ فجازوا الصراط وخلفوه ، وهذا الاستباق من واحد ، والذي في سورة يوسف من اثنين ؛ لأن هذا بمعنى سبقوا ، والأول بمعنى المسابقة^(٥) . هذا كلامه ، ويدل على صحته قول أبي إسحاق^(٦) : « عدلوا عن الطريق [في هذه الآية] »^(٧) . ومعنى عدلوا عن الطريق ما ذكره الأزهري : « جازوا الصراط وخلفوه » .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣ / ٢٥ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٩ ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٦ .

(٢) لم أقف على قول المُبرِّد .

(٣) في (ب) : (ولو نشاء) .

(٤) في (أ) كسر قول الزَّجاج ، ولكنه قال في آخر مرة : « فمن أين لهم أبصار ؟ » ، وقال في الأخرى : « فمن أين يبصرون ؟ » . انظر : معاني الزَّجاج ٤ / ١٩٣ .

(٥) تهذيب اللغة (سبق) ٨ / ٤١٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ١٩٣ .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة في (أ) .

ويدل على صحة القول الثاني ما ذكره عطاء عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «إن الأسود بن عبد الأسود أخذ حجراً وجماعة من بني مخزوم معه ليطرحوه على رسول الله ﷺ وهو يصلي ، فطمس الله بصره وألصق الحجر بيده ، فما أبصر ولا اهتدى»^(١) . ومعنى الاستباق في هذا القول ما ذكروا في القول الأول ، معناه : فاهتدوا الطريق .

قال الكلبي : «فاستبقوا إلى الصراط المستقيم»^(٢) . وفي هذا القول عدول عن الظاهر ؛ لأن قوله : ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ يقتضي طمس الأعين الظاهرة مع أنه ليس يليق بها بعده ، وهو قوله^(٣) :

٦٧ . ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد لمسخت أبا جهل وكل من معه ، على مكانتهم : يريد بالموضع الذي كانوا فيه قعوداً»^(٤) .

قال أبو عبيدة^(٥) والزجاج^(٦) : «المكانة والمكان واحد» ، وهذا مما تقدّم القول فيه .

وقال مقاتل : «لو شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيها أرواح» .

(١) انظر : القرطبي ٥٠ / ١٥ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكر نحوه القرطبي عن ابن عباس ٤٩ / ١٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢ / ٧ ، وقال : «روى عن جماعة منهم مقاتل» .

(٣) في (ب) : (واو) ، زائدة (وقوله) ، وهو خطأ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٩ / ٢٣ ، وتفسير الماوردي ٢٦ / ٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥١٤ / ٥ .

(٥) مجاز القرآن ١٦٥ / ٢ .

(٦) مجاز القرآن وإعرابه ٢٩٣ / ٤ .

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ . قال : «يقول : لا يتقدمون ، ولا يتأخرون»^(١) ، وقال ابن عباس : «لم يتقدموا ، ولم يتأخروا»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «أي لم يقدرُوا على ذهاب ولا مجيء»^(٣) . هذا الذي ذكرنا هو الصحيح في تفسير الآية ، وقال قتادة : «يقول لو نشاء لجعلناهم كسحاً لا يقومون»^(٤) . والكسح جمع الأكسح ، وهو المقعد ، والقول هو الأول ؛ لأن معنى المسخ تحويل الصورة إلى صورة ذي روح كالقرد والخنزير ، ولم يصح عنده هذا المسخ في الآية مع قوله : ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا﴾ ، فعدل إلى المسخ بالإقعاد ، وليس كما ظن ؛ فإنه يقال : مسخه الله حجراً ، وقد أوضح ذلك مقاتل .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ ، وقُرئ : (نُنَكِّسْهُ) بالتشديد ، يقال : نكسته^(٥) أنكسه وأنكسه ، ونكسته أنكسه^(٦) . وقد ذكرنا معنى النكس عند قوله : ﴿ثُمَّ نُكْسُوا﴾ [الأنبياء : ٦٥]^(٧) . قال الأخفش : «نكسه هو كلام العرب ، ولا يكادون يقولون : نكسته إِلَّا لَمَّا يَقلب ؛ فيجعل^(٨) رأسه أسفله»^(٩) . قال مقاتل : «يعني أدرك العمر»^(١٠) .

(١) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٣ ، وزاد المسير ٣٣ / ٧ ، وانظر : تفسير الطبري ٢٦ / ٢٣ ، وتفسير الماوردي ٢٩ / ٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٤٦١ / ٢ ، والمحزر الوجيز ١٤٥ / ٤ ، وزاد المسير ٣٣ / ٧ .

(٥) في (ب) : (نكسه) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٧ / ٢٣ ، والحجة ٤٥ / ٦ .

(٧) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٢٤٦ / ٣ أ .

(٨) في (ب) : (فنجعل) .

(٩) انظر : الحجة ٤٥ / ٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢٢٠ / ٢ .

(١٠) لم أقف على قول مقاتل ، وليس في تفسيره .

وقال أبو إسحاق : «مَنْ أَطْلَنَّا عمره نكسنا خلقه ، فصار بدل القوة ضعفاً ، وبدل الشباب هرمًا»^(١) ، وهذا معنى قول قتادة : «هو الهرم يتغير بصره وقوته ، كما رأيت قوله في رواية معمر»^(٢) . وهذا عام في كل مَنْ يهرم ، تتراجع قوته ويتغير عما كان عليه في شبابه .

وقال الكلبي^(٣) : «مَنْ نَعَمَّرَهُ حتى يدركه الهرم يرُدُّه في الخلق الأول الذي كان لا يعقل فيه شيئاً» ، وروي ذلك عن قتادة^(٤) ، قال : «نكَّسه في الخلق لكي لا يعلم بعد علم شيئاً ، يعني الهرم» . وهذا لا يعم ؛ لأنه ليس كل مَنْ عُمِّر صار إلى الفسد ، على أن ابن عباس خص الآية ، بالكافر فقال في رواية عطاء : «ومن نَعَمَّرَهُ يريد المشركين ، نرُدُّه إلى ذهاب العقل» ، كما قال : ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ [التين : ٥] يريد الكافرين من ولد آدم^(٥) . فالنكس على هذا القول ردُّه من حالة العلم إلى حالة الجهل ، وعلى القول الأول من القوة إلى الضعف ، ومن الشباب إلى الشيب ، ومن الزيادة إلى النقصان .

وقوله : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ؛ أي فليس لهم عقل فيعتبروا فيعلموا أن الذي قدر على هذا من تصريف أحوال الإنسان ، قدر على البعث بعد الموت ، ومن قرأ بالتاء ، فلقوله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٤٥ / ٢ ، وتفسير الطبري ٢٣ / ٢٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ٥١٤ .

(٣) لم أقف على قول الكلبي ، وذكر نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠ / ٣٢٠٠ عن قتادة .

(٤) انظر : مجمع البيان ٨ / ٦٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٥ / ٥١ .

(٥) لم أقف عليه .

٦٩. قوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ . قال الكلبي^(١) ومقاتل^(٢) : «نزلت في مشركي مكة ، حين قالوا : إن القرآن شعر ، وإن محمداً شاعر ساحر كذاب ، فقال الله تكذيباً لهم : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾» . قال ابن عباس : «يريد ما^(٣) ينبغي له الشعر ، ما كان يروي بيت شعر ولا يقومه مستقيماً»^(٤) . قال أبو إسحاق : «وما يتسهل ذلك»^(٥) .

وأصل (ينبغي) من قولهم : بغيت الشيء أبغيه ؛ أي طلبته ، فابتغى لي ذلك الشيء أن تسهل وحصل ، كما تقول : كسرتة فانكسر^(٦) . وكان النبي ﷺ بالصفة التي وصفه الله بها ما كان يقرن له بيت شعر ، حتى إنه إذا تمثّل بيت شعر جرى على لسانه منكسراً ، فقد روي أنه كان يتمثّل بقول العباس بن مرداس ، فيقول :

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ^(٧)

-
- (١) لم أقف عليه .
 (٢) تفسير مقاتل ١٠٨ ب ، وتفسير البغوي ١٨/٤ ، وزاد المسير ٣٤/٧ .
 (٣) في (ب) : (وما) .
 (٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الطبري ٢٧/٢٣ ، وبحر العلوم ١٠٥/٣ ، وتفسير البغوي ١٨/٤ ، ومجمع البيان ٦٧٤/٨ .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣/٤ .
 (٦) انظر : تهذيب اللغة (بغوي) ٢١٢/٨ ، واللسان (بغا) ٧٦/١٤ .
 (٧) البيت من المتقارب ، وصحته :
 أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
 وهو في ديوان العباس ٨٤ ، ولسان العرب (نهب) ١/٧٧٤ ، وتاج العروس (نهب) ٣١٩/٤ ، وخزانة الأدب ١/١٥٣ . وذكر هذا الأثر القرطبي في تفسيره ١٥/٥٢ .

وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس^(١)، يقول :

كلي^(٢) الإسلام والشيب للمرء ناهياً^(٣)

وكان يتكلم بيت طرفة ، فيقول :

وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ بِالْأَخْبَارِ^(٤)

(١) عبد بني الحسحاس ، اسمه سحيم ، وكان عبداً أسود نوبياً أعجمياً ، وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا يعرف له صحة . قُتل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، قتله بنو الحسحاس لأنه أحب امرأة منهم ، وطفق يتغزل فيها ، فقتلوه خشية العار . انظر : الخزائن ١٠٢ / ٢ ، والأغاني ٣٠٥ / ٢٢ ، والشعر والشعراء ٢٤١ .

(٢) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (كفى) .

(٣) البيت من الطويل ، وصحته :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنِّ تَجَهَّزَتْ غَازِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا
وهو لسحيم في البيان والتبيين ٧١ / ١ ، والكمال ٢٨٥ / ١ ، والخزانة ٢٦٧ / ١ ، ١٠٢ / ٢ ، والأغاني ٣٠٧ / ٢٢ ، ومرصنة الإعراب ١٤١ / ١ .

وذكر هذا الأثر الإمام محمد بن يوسف الصالح الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٥٢ / ٩ ، وقال : «أخرجه ابن سعد عن الحسن البصري» ، والقرطبي في تفسيره ٥٢ / ١٥ .

(٤) البيت من الطويل ، وصحته :

سَتُبْدِي لَكَ الْإِيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وهو لطرفة بن العبد في معلقته المشهورة في ديوانه ٤١ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ٥٧ / ٢ ، ولسان العرب (تبت) ٨ / ٢ ، وتاج العروس ١٥٠ / ١٥ .

فيعاد عليه مستوياً ، فيقول : إني «لست بشاعر ولا ينبغي لي»^(١) . والمفسرون ذهبوا إلى أنه ما كان يتسهل له أن يأتي بيت موزون ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ . وما روي عنه من الأراجز كقوله : «هل أنت إلا إصبع دَمِيت»^(٢) .

وقوله : «لبيك إن العيشَ عيشُ الآخرة»^(٣) .

فالرجز جنس من الكلام ليس بشعر^(٤) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣١/٦ ، ١٤٦ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٥٤٩ ، والترمذي في سننه ، أبواب : الآداب ، باب : ما جاء في إنشاد الشعر ٢١٨/٤ ، رقم ٣٠٠٦ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٨/٨ : «رواه الترمذي عن عائشة ، ورواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار ، والطبراني عن ابن عباس ، ورجاله رجال الصحيح» .

(٢) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : من ينكب في سبيل الله ١٠٣١/٣ ، رقم ٢٦٤٨ ، وكتاب : الأدب ، باب : ما يجوز من الشعر ٢٢٧٦/٥ ، رقم ٥٧٩٤ من حديث جندب بن سفيان ، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢١/٣ ، رقم ١٧٩٦ من حديث جندب بن سفيان .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : التحريض على القتال ١٠٤٣/٣ ، رقم ٢٦٧٩ ، وباب : البيعة في الحرب ألا يفروا ١٠٨١/٣ ، رقم ٢٨٠١ عن أنس ، وكتاب : الرقاق ، باب : ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٢٣٥٧/٥ ، رقم ٦٠٥٠ عن أنس ، ورقم ٦٠٥١ عن سهل بن سعد الساعدي ، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : غزوة الأحزاب ١٤٣١/٣ ، رقم ١٨٠٤ من حديث أنس .

(٤) ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري ٣٨/٨ في شرحه لقول النبي ﷺ : «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» . قال : «وقد أجيب عن مقالته ﷺ هذا الرجز بأجوبة : أحدها : أنه نظمته غيره وأنه كان فيه : أنت النبي لا كذب أنت عبد المطلب ، فذكره بلفظ أنا في الموضوعين . ثانيها : أن هذا رجز وليس من أقسام الشعر ، وهذا مردود . ثالثها : أنه لا يكون شعراً حتى يتم قطعة . وهذه كلمات يسيرة لا تسمى شعراً . رابعها : أنه خرج موزوناً ولم يقصده الشعر ، وهذا أعدل الأجوبة» . وقال الإمام القرطبي في تفسيره ٥٢/١٥ : «وإصابته ﷺ الوزن أحياناً لا يوجب أنه يعلم الشعر ، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن . . . فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعراً ولا في معناه» . للاستزادة ، انظر : فتح الباري ٣٨/٨ ، ٦٦٠/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٥١/١٥ ، والشعر الإسلامي في صدر الإسلام ٢٤ وما بعدها .

وقال أبو إسحاق : « ليس يوجب هذا أن يكون النبي ﷺ لم يتمثل بيت شعر قط ، وإنما يوجب هذا أنه ليس بشاعر ، وأن يكون القرآن أتى به مбайناً لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب »^(١) . وعلى ما ذكر قوله : ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ معناه : وما يسهل له إنشاء الشعر من قبل نفسه .

قوله : ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ . قال مقاتل : « القرآن »^(٢) . ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ . قال ابن عباس : « موعظة » . ﴿ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ . قال : « يريد فيه الفرائض والحدود والأحكام »^(٣) .

٧٠ . ﴿ لِيُنْذِرَ ﴾ ؛ أي القرآن ، ومن قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ ؛ أي لتنذرياً محمد بما في القرآن من الوعيد^(٤) . ﴿ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد مؤمناً »^(٥) .

وقال مقاتل : « من كان مهتدياً في علم الله »^(٦) .

وقال أبو إسحاق : « أي من يعقل ما يخاطب به ، فإن الكافر كالميت ، وإنه لا يتدبر »^(٧) .

وقال أبو علي الفارسي : « يعني المؤمنين ؛ لأن الكفار أموات كما قال : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل: ٢١] . وقال : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢] »^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٤ / ٤ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٣) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٣ ، وانظر : تفسير البغوي ١٩ / ٤ ، وزاد المسير ٣٣ / ٧ .

(٤) انظر : الحجة ٤٧ / ٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢ / ٢٢٠ .

(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الماوردي ٣٠ / ٥ ، وزاد المسير ٣٧ / ٧ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٤ / ٤ .

(٨) الحجة ٤٧ / ٦ .

وقوله : ﴿وَبِحَقِّ الْقَوْلِ﴾ ؛ أي ويجب الحجة بالقرآن على الكافرين ، ثم وعظهم ليعتبروا ، فقال : [(١)]

٧١ . ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ ؛ أي مما تولينا خلقه .

﴿أَيْدِينَا﴾ : بإبداعنا وإنشائنا واختراعنا ، لم نشارك في خلقه ، ولا خلقناه بإعانة معين ، ولا إرشاد دليل . وذكر الأيدي هاهنا بدل هذه المعاني التي (٢) ذكرنا ، وإنها خاطبتنا بما نعقل ، والألفاظ التي تستعمل نستعملها في مخاطبتنا ، والواحد منّا إذا قال : عملت هذا بيدي دلّ ذلك على توليته بعمله وانفراده به (٣) .

وأراد بالأنعام : الإبل والبقر والغنم . وقال المفسرون في قوله : ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ : «عملناه» .

قوله تعالى : ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني لضابطين» (٤) ، وقال الزّجاج : «مالكون ضابطون ؛ لأن القصد إلى أنها ذليلة لهم ، ألا ترى إلى قوله :

٧٢ . ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ ، ومثله قول الشاعر :

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إنْ نفرا (٥)

(١) في (أ) : زيادة (قوله) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٢) في (ب) : (الذي) .

(٣) سبق أن بيّنا خطأ المؤلف - رحمه الله - في تفسير مثل هذه الآية ؛ حيث إنه يؤول بعض الصفات ، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله - جل وعلا - ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٥) البيت من المنسوخ ، وهو للربيع بن ضبع الفزاري في الخزانة ٣٨٤ / ٧ ، والكتاب ٨٩ / ١ ، ولسان العرب (ضمن) ٢٥٩ / ١٣ .

أي : لا أضبط رأس البعير»^(١) .

وقوله ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ . قال الليث : «الركوب بفتح الراء كل دابة تركب ، والركوبة اسم يجمع ما يركب ، كالحمولة والركوبة والحلوبة»^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «ركوبهم ما ركبوا ، والحلوبة ما حلبوا»^(٣) .

قال الأزهري^(٤) : «فعل أكثر ما يجيء الفاعل كالمغفور والشكور ، ويجيء بمعنى مفعول كالركوب والحلوب ، وربما أدخلوا الهاء في هذا الباب ، وقد يجيء اسماً لا صفة كالذنوب ، وهو النصيب أو الدلو ، وقد يجيء مصدراً كالقبول والولوج والزروع [والوزوع]»^(٥) .

قال مقاتل : «فمنها ركوبهم ، يعني حلوبتهم الإبل والبقر ، ومنها يأكلون الغنم»^(٦) .

٧٣ . ﴿وَهُمْ فِيهَا مَنَفِعٌ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : «يعني بالركوب والحمل والأصواف والأوبار والأشعار والسحال»^(٧) والفصلاّن ومنافع كسبها

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٤ / ٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (ركب) ٢١٨ / ٨ .

(٣) مجاز القرآن ١٦٥ / ٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٢١٦ / ٨ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٧) السحال : جمع سحليل ، وهو الناقة العظيمة الضرع التي ليس في الإبل مثلها ، فتلك ناقة سحليل ، وأما الفصلاّن : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه ، وأكثر ما يطلق في الإبل ، وقد يقال في البقر . انظر : اللسان (فصل) ٥٢٢ / ١١ .

وظهورها»^(١). ﴿وَمَشَارِبُ﴾ : من ألبانها . ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رب هذه النعم فيوحدونه .

٧٤ . ثم ذكر جهلهم وغرتهم^(٢) ، فقال : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾^(٣) ؛ أي لعلهم يمنعون من العذاب باتخاذ الآلهة .

٧٥ . ثم بين أن الأمر ليس على ما يقدرون ، فقال : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن الأصنام لا تقدر على نصرهم»^(٤) .

وقال مقاتل : «لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب»^(٥) . ﴿وَهُمْ﴾ : يعني الكفار . ﴿هَلُمُّ﴾ : الآلهة . ﴿جُنُودٌ مُخَضَّرُونَ﴾ .

وقال ابن عباس ومقاتل : «وهم لهم جند يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا»^(٦) ، وهذا قول قتادة والحسن ، واختيار أبي إسحاق .

قال قتادة : «يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم»^(٧) خيراً ، ولا تدفع عنهم شراً ، إنما هي أصنام»^(٨) .

(١) لم أقف عليه عنها ، وقد أورده بعض المفسرين غير منسوب . انظر : تفسير القرطبي ٥٦/١٥ ، وزاد المسير ٣٩/٧ .

(٢) لعله من التَّغْرِير ، وهو حل النفس على الغرر ، والغرور (بالضم) : الأباطيل . انظر : اللسان (غرر) : ١٢ .

(٣) قوله : (آلهة) غير مثبت في النسخ ، وهو خطأ .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٣ ، وانظر : الوسيط ٥١٩/٣ ، وتفسير البغوي ٢٠/٤ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٦) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وهو في تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٧) في (ب) : (لهم) .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٩/٢٣ ، وبحر العلوم ١٠٦/٣ ، وزاد المسير ٣٩/٧ .

وقال الحسن : « محضرون لأهتهم يدفعون عنهم ويمنعونهم »^(١) .

وقال أبو إسحاق : « أي هم للأصنام ينتصرون ، والأصنام لا تستطيع نصرهم »^(٢) ، وهذا القول هو الاختيار^(٣) . وفيه قول آخر ، وهو أن المعنى : والآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار ، يريد أن العابدين والمعبودين كلهم مجتمعون في النار ، فلا يدفع بعضهم عن بعض ، ولا ينتفع الكفار بعبادتهم ورجائهم نصرتهم . وهذا معنى قول الكلبي^(٤) ، ورواية معمر عن الحسن^(٥) ، وعلى هذا القول ﴿ هُمْ ﴾ كناية عن الآلهة ، والكناية في هم الكفار والخلق لفظ للجند على الآلهة بزعمهم ، وعلى ما كانوا يقدرّون من أنها لهم جند تمنعهم ، فقليل : إنهم لهم جند محضرون معهم النار . ثم عزى نبيه ﷺ ، فقال : []^(٦)

٧٦ . ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ ﴾ في ضمائرهم من الشرك والتكذيب . ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ بألسنتهم . والمعنى : أنا نعلم ذلك ، ثم إذا علم أثاب نبيه على صبره على أذاهم وجازاهم بسوء صنيعهم ، وكأنه قال : لا يحزنك ما يقولون ، فإنّا نثيك ونجازيهم .

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٩٠ / ١٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٥ / ٤ .

(٣) وهو ما رجّحه الإمام الطبري ٣٠ / ٢٣ .

(٤) انظر : زاد المسير ٣٩ / ٧ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ١٤٦ / ٢ ، وزاد المسير ٣٩ / ٧ .

(٦) في (أ) : زيادة (وقوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

٧٧. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء^(١): «يريد أبي ابن خلف»، وهو قول مقاتل^(٢)، والأكثرين^(٣).

وقال سعيد بن جبير^(٤): «هو العاص بن وائل».

وقال الحسن^(٥): «هو أمية بن خلف، خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعضهم حائل ففتنه بين يديه، وقال^(٦): أيجي هذه الله بعدما رمّ^(٧) وبلي؟ فأنزل الله [وقوله]^(٨): ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾، يعني: ألا يرى أنه مخلوق من نطفة ثم هو يخاصم؟ وهذا تعجب من جهله وإنكار عليه خصومته؛ أي كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته^(٩)؟ وهذا كقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، وقد مرّ تفسيره.

- (١) ذكر في بحر العلوم ١٠٧/٣، وأورده السيوطي في الدر ٣٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه عن ابن عباس.
- (٢) تفسير مقاتل ١٠٨ ب.
- (٣) قال به مجاهد وقتادة والسُّدِّي وعكرمة والكلبي. انظر: تفسير الطبري ٣٠/٢٣، وتفسير الماوردي ٣٣/٥، وبحر العلوم ١٠٧/٣. قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤١/٧: «وبه قال الجمهور، وعليه المفسرون».
- (٤) انظر: تفسير الطبري ٣٠/٢٣، وزاد المسير ٤٠/٧، وتفسير القرطبي ٧٠/١٥.
- (٥) انظر: مجمع البيان ٦٧٨/٨، وزاد المسير ٤١/٧، وفتح القدير ٣٨٣/٤.
- (٦) في (ب): (فقال).
- (٧) في (ب): (ورمى).
- (٨) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ).
- (٩) هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في مَنْ نزلت هذه الآية هي بعض ما قاله المفسرون. وقد قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٥٨١/٣: «بعد أن ذكر الأقوال: «وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيها، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾ للجنس، فيعم كل منكر للبعث». اهـ.

٧٨. ثم أكد الإنكار عليه بقوله : ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ . قال مقاتل ^(١) : «وصف لنا شبيهاً ، يعني أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم الحائل ، ففتته وبذره وينكر إحياءه بعد بلائه ويتعجب ممن يقول : إن الله يحييه . فهذا معنى ضرب المثل هاهنا ، وهو أنه بين بها فعله إنكار البعث واعتقده في استحالة الإعادة ، وكان ذلك ضرب مثل الله ؛ أي فإن قدر على الإحياء والإعادة فليحي هذا العظم» .

قوله تعالى : ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ . قال مقاتل : «يقول : وترك النظر في خلق نفسه أئذا خلق من نطفة ولم يك قبل ذلك شيئاً» ^(٢) . ثم بين أيش ^(٣) كان ذلك المثل بقوله [٤] : ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ . قال أبو عبيد : «الرميم مثل الرمة ، يقال منه : رمَّ العظم ، وهو يرم رمماً ، وهو رميم» ^(٥) ، وقال ابن الأعرابي : «رمت عظامه وأرمت إذا بليت» ^(٦) .

وقال أبو عبيدة : «الرميم الرفات» ^(٧) . وإنما قال رميم بغير هاء ، وهو صفة العظام ؛ لأنه منقول عن فاعل ، فهو غير مبني على الفعل ، وإذا لم يبنَ على الفعل لم يدخل عليه علامة التأنيث .

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) أصل الكلمة : (أي شيء) .

(٤) في (أ) : زيادة (قوله) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (رمم) ١٥ / ١٩١ .

(٦) انظر : اللسان (رمم) ١٢ / ٢٥٣ .

(٧) مجاز القرآن ٢ / ١٦٥ .

٧٩. ثم ذكر جواب المنكر بقوله : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ابتدأها أول مرة»^(١) .

قال أبو إسحاق : «والقدرة في الابتداء أي من الإعادة»^(٢) .

وقوله : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد حين ابتدأه ، وحين يعيده»^(٣) .

وقال مقاتل : «عليم بخلقهم في الدنيا ، وعليم بخلقهم بعد الموت»^(٤) .

٨٠. ثم زاد في البيان وأخبر عن عجيب صنعه مما يشاهدون ؛ ليعتبروا ويستدلوا ، فقال : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ . قال الكسائي والفراء^(٥) : «ذكر الشجر هاهنا ، وفي قوله : ﴿لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾»^(٦) ﴿فَالثَّوْنُ مِنهَا الْبُطُونُ﴾ [الواقعة : ٥٢-٥٣] ذكرها بالتأنيث ، ثم ذكر أيضاً في قوله : ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل : ١٠] والشجر يؤنث ويذكر كالنخل ، و [٦] قد تقدّم الكلام فيه^(٧) .

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره المؤلف في الوسيط ٣ / ٥٢٠ من دون نسبة ، وكذا الماوردي ٣٢ / ٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٥ .

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٥ / ٣٢ من دون نسبة .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .

(٥) لم أقف على قول الكسائي ، وانظر قول الفراء في : معاني القرآن له ٢ / ٣٨٢ .

(٦) قدر كلمة في النسخ جميعها غير واضحة .

(٧) لم أقف على الموضع الذي أحال المؤلف - رحمه الله - إليه .

وقوله : ﴿نَارًا﴾ : يعني ما جعل من النار في المرخ والعفار ، وهما شجرتان تتخذ الأعراب وقودها منهما . وقال ابن عباس : « ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا الشجرة ^(١) التي كلم الله موسى منها ، وهي العناب » ^(٢) .

وقوله : ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ؛ أي تقدحون النار وتوقدون منها من ذلك الشجر . قال مقاتل : « والذي يخرج من الشجر ناراً وأنتم تبصرونه ، والنار تأكل الحطب ، فهو قادر على البعث » ^(٣) . ومعنى الآية : أنه يدلهم على قدرته على البعث بخلقه النار في الشجر الأخضر ، ثم إيقادهم النار من الشجر الأخضر . قال مقاتل : « ثم ذكر ما هو أعظم خلقاً من الإنسان ^(٤) ، فقال : [] » ^(٥)

٨١ . ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ : هذا استفهام معناه التقرير ، يقول : أو لا يقدر من خلق السموات والأرض على أن يخلق مثلهم . قال مقاتل : « أن يخلق في الآخرة مثل خلقهم في الدنيا » ^(٦) ، وعلى هذا المضاف مقدر ، وهذا كقوله : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] .

(١) في (أ) : (شجرة) .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٣٤ / ٥ عن الكلبي ، والطبرسي في مجمع البيان ٦٧٩ / ٨ عن الكلبي أيضاً ، والبغوي في تفسيره ٢١ / ٤ عن الحكماء .

(٣) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) في (أ) : زيادة (قوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٦) انظر : المرجع السابق .

ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله : ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ أي هو قادر على ذلك . ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ : خلقهم في الدنيا ، ويخلقهم في الآخرة خلقاً جديداً . ﴿أَلَعَلِّمُمْ﴾ . قال ابن عباس : «بجميع ما خلق»^(١) .

ثم ذكر قدرته على إيجاد الشيء فقال : []^(٢)

٨٢ . ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . وهذا كقوله في سورة النحل : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل : ٤٠] ^(٣) الآية ، وقد تقدّم الكلام فيها .

٨٣ . ثم نزه فيها نفسه عن قولهم أنه لا يقدر ، فقال : ﴿فَسُبْحَانَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي تنزيهه من السوء ، ومن أن يوصف بغير القدرة»^(٤) . ﴿الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ . قال مقاتل : «يعني خلق كل شيء»^(٥) . قال عطاء : «ملك كل شيء»^(٦) .

وقال الزجاج : «أي القدرة على كل شيء»^(٧) . ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾ ؛ أي هو يبعثكم بعد موتكم .

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (أ) : زيادة (قوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٣) في النسخ جميعها : (أمرنا) ، وهو خطأ .

(٤) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣ / ١٢٤ ب .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٢٩٦ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .

(٧) لم أقف عليه .

وقال عطاء : «يريد مصير عبادي إليَّ»^(١) . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

[والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً]^(٢) .

* * *

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٦/٤ .

(٢) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .